Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أحمد بن زيني دحلان

السيرة النبوية

الجزء الأول

دار القلم العربي
حلب - سوريا











السيرة النبوية

١

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد بن زيني دحلان

السيرة النبوية

الجزء الأول

دار القلم العربي

منشورات

دار القلم العربي بحلب

الطبعه الأولى

١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

عنوان الدار

سُورِيَة - حَلَبْ - خَلفَ الفُنْدُقِ السِّياحِي

شارع هدى الشِعْرَاوِيْ

هاتف | ٢١٣١٢٩ | ص.ب |٧٨| فاكس ٢١٢٣٦١،٢١،٠

بسم الله الرحمن الرحيم

تمتاز « السيرة النبوية » لابن زَيْني دَحْلان ـ التي نُفْرِدُها ، هنا ، بالطبع ـ بالاختصار والوضوح . فقد خلَّصها واضعُها من شوائب التشتيت بـ « قيل وقال » التي رانتْ على « السيرة الحلبية » ، فجاء حذفها محققاً لما ابتغاه من الإيجاز ، غيرَ مُخلٍّ بالشمول الذي توخّاه . وزاد على ذلك أنه استفاد من كتب السِّيَر التي تقدمتْه ، مثل « سيرة ابن هشام » ، و « المواهب اللدنّيّة » للقسطلاني ؛ والشروح : « كالروض الأُنُف » للسُّهَيْلي ، و « شرح اللقّاني » « للمواهب اللدنّية » .

فهي ، إذاً ، نسيجُ وَحْدِها ، في هذا المُقام . وإنَّ في بَذْلها مطبوعةً على حدة (بعدما كانت هامشاً تنوء به « السيرة الحلبية » ، أو كانت رازحةً تحت وطأة كتاب آخر) لخِدْمَةً لإحياء للتراث الإسلامي الذي تُوليهِ دارُنا ما ترجو أن يكون كفاءَ بعض حقه وفضله .

*****

وُلِدَ أحمد بن زَيْنِي دَحْلان بمكة المكرمة ، سنة ١٢٣٢ هـ (١٨١٧ م) ، وتولّى فيها الإفتاء والتدريس . ومن محامد المصادفات أن تُنْشَأ ، في زمنه ، أول مطبعة في مكة ، فتولاّها ، وثمة طُبِعَتْ بعضُ تصانيفه .

ثم كانت وفاته ـ في المدينة المنوّرة ـ سنة ١٣٠٤ هـ (١٨٨٦ م) .



فهرست

باب فيما ورد على لسان الانبياء من التنويه بشأنه «صلـم» ١٥
باب في ذكر شيء من الخوارق التي ظهرت في زمان رضاعه ﷺ ٥٥
باب وفاة امه ﷺ ٦٥
باب في وفاة جده عبد المطلب ووصيته لأبي طالب ﷺ ٨٧
باب رعايته ﷺ ١٠٤
باب سفره ﷺ ١١٦
باب ما جاء من امر رسول الله ﷺ ١١٦
باب سلام الشجر والحجر عليه ﷺ قبل البعثة ١٥٩
باب بيان خبر المبعث وعموم بعثته ﷺ ١٦١
باب في مراتب الوحي واقسامه ١٧١
ذكر اول من آمن بالله ورسوله ﷺ ١٧٥
باب في بيان تعذيب كفار قريش للمستضعفين من المؤمنين ٢٣٩
باب خبر الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه ٢٧٥
باب ذكر الإسراء والمعراج ٢٧٧
باب عرض رسول الله ﷺ نفسه على القبائل ان يحموه ويناصروه ٢٨٢
باب معاداة اليهود ٣٣٥
باب مغازية ﷺ ٣٥٢



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين (اما بعد) .

فيقول العبد الفقير المرتجي من ربه الغفران أحمد بن زيني بن أحمد دحلان غفر الله له ولوالديه ـ ولأشياخه ومحبيه والمسلمين أجمعين أنه لما منّ الله تعالى عليّ بقراءة الشفا في حقوق النبيّ المصطفى ﷺ وكان ذلك بمدينته المنورة في عام الثامن والسبعين بعد المائتين والألف يسّر الله لي مطالعة جملة من شروح الشفا مع مراجعة المواهب وشرحها للعلامة الزرقاني ، ومع مراجعة شيء من كتب السير كسيرة ابن سيد الناس ، وسيرة ابن هشام ، والسيرة الشامية ، والسيرة الحلبية ، وهذه الكتب هي أصح الكتب المؤلفة في هذا الشأن ، فأحببت أن ألخص ما احتوت عليه من سيرته ﷺ ومن المعجزات وخوارق العادات الدالة على صدق اشرف المخلوقات ﷺ لأني رأيتها منتشرة في تلك الكتب مخلوطة بمباحث ، لها تعلق بها ألا أنها زائدة على المراد بحيث يعسر على القاصرين في هذه الأزمان أن يفهموها ويقفوا على حقيقتها لصعوبتها وطولها وانتشارها فيحملهم ذلك على اهمالها وعدم قراءتها ، فلا يكون عندهم علم ولا اطلاع عليها ، ولا يكاد يعلم ذلك ويطلع عليه إلا الراسخون في العلم ، مع ان الاطلاع على سيرة النبي ﷺ ومعجزاته من أعظم الأسباب التي يحصل بها قوة الايمان ورسوخه في القلوب لما في ذلك من التبصر والاعتبار حتى تصير أطوار النبي ﷺ وأحواله كأنها مشاهدة للنظار .

قال الزهري في علم المغازي : خير الدنيا والآخرة وهو أول من ألف في السير ، وكان سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه يعلم بنيه سيرة النبي ﷺ ومغازيه وسراياه ، ويقول : يا

بنيّ هذه شرف آبائكم فلا تنسوا ذكرها . وفي ذكر السير أيضاً معرفة فضائل النبي ﷺ وكما لاته وفضائل الصحابة وقريش وسائر العرب ، وكل ذلك من الأسباب المقوية للإيمان ، وفيها معرفة معاني كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، إلى غير ذلك من الفضائل التي لا يمكن حصرها ، وينبغي قبل الشروع في ذلك التبرك بذكر شيء من فضائل قريش وفضائل سائر العرب ويعلم من ذلك فضائل النبيّ ﷺ وأهل بيته وأصحابه بالأولى لأن العرب إنما فضلوا بسببه ﷺ والأحاديث الواردة في ذلك كثيرة .

فمن ذلك ما روي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : قيل يا رسول الله قتل فلان لرجل من ثقيف ، فقال : أبعده الله إنه كان يبغض قريشاً ، وفي الجامع الصغير مرفوعاً قريش صلاح الناس ولا يصلح الناس إلا بهم كما أن الطعام لا يصلح إلا بالملح قريش خالصة الله تعالى ، فمن نصب لها حرباً سلب ومن أرادها بسوء خزي في الدنيا والآخرة ، وعن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : من يرد هوان قريش أهانه الله ، وعن أم هانىء بنت أبي طالب رضي الله عنها قالت : فضل رسول الله ﷺ قريشاً بسبع خصال لم يعطها أحد قبلهم ولا يُعْطاها أحد بعدهم النبوّة فيهم والخلافة فيهم والحجابة فيهم والسقاية فيهم ، ونصروا على أصحاب الفيل ، وعبدوا الله سبع سنين لم يعبده أحد غيرهم ، ونزلت فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها أحد غيرهم لإيلاف قريش .

قوله وعبدوا الله سبع سنين في رواية عشر سنين ، قال بعضهم : المراد منها السنون التي كانت في أول بعثته ﷺ فان أول المؤمنين الذي اتبعوه كانوا من قريش ، وصبروا معه على كثير من الأذى الحاصل من بقية قريش الذين لم يسلموا واستمر الإسلام يتقوّى بمن أسلم منهم حتى فشا وظهر باسلام الأوس والخزرج ، وذلك القدر يبلغ عشر سنين وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ حب قريش إيمان وبغضهم كفر .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه الناس تبع لقريش مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم وقال ﷺ : العلم في قريش وقال أيضاً : الأئمة في قريش . وقال أيضاً : لا تسبوا قريشاً فان عالمها يملأ طباق الأرض علماً . قال جماعة منهم الإمام أحمد رضي الله عنه هذا العالم هو الشافعيّ رضي الله عنه لأنه لم ينتشر في طباق الأرض من علم عالم من قريش من الصحابة وغيرهم ما انتشر من علم الشافعي ـ رضي الله عنه ـ وقال ﷺ : قدموا قريشاً

ولا تقدموها . وفي رواية : ولا تعالموها أي لا تغالبوها ولا تكاثروها فيه . وفي رواية : ولا تعلوها أي لا تعلوا عليها بمعنى لا تجعلوها في المقام الأدنى الذي هو مقام التعلم والقصد ، أن لا تحتقر . وقالﷺ : أحبوا قريشاً فان من أحبهم أحبه الله . وقالﷺ : لولا أن تبطر قريش لأخبرتها بالذي لها عند الله تعالى . وقالﷺ يوماً : يا أيها الناس إن قريشاً أهل أمانة من بغاها العواثر أي من طلب لها المكايد كبه الله لمنخريه أي كبه الله على وجهه .

قال ذلك ثلاث مرات .وقالﷺ : خيار قريش خيار الناس وشرار قريش خيار شرار الناس . وفي رواية وشرار قريش شرار الناس . والرواية الأولى أصح وأثبت . وقالﷺ : قريش ولاة هذا الأمر فبرّ الناس تبع لبرّهم وفاجرهم تبع لفاجرهم . وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال لي رسول الله ﷺ : من أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغض العرب فيبغضني أبغضهم .

وروى الترمذي عن سلمان ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول اللهﷺ : يا سلمان لا تبغضني فتفارق دينك قلت : يا رسول الله كيف أبغضك وبك هداني الله ؟ قال : تبغض العرب فتبغضني . وروى الطبراني عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول اللهﷺ : لا يبغض العرب إلا منافق . وروى الترمذي عن عثمان ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺقال : من غش العرب لم يدخل في شفاعتي ولم تنله مودتي . وقالﷺ : أحبوا العرب لثلاث : لأني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي . وقالﷺ : إن لواء الحمد بيدي يوم القيامة وأنّ أقرب الخلائق من لوائي يومئذ العرب : وقالﷺ : إذا ذلت العرب ذل الإسلام . وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ مرفوعاً : خير العرب مُضرَ وخير مضر عبد مناف ، وخير عبد مناف بنو هاشم ،وخير بني هاشم بنو عبد المطلب ، والله ما افترق فرقتان منذ خلق الله آدم ، إلا كنت في خيرهما وأفتى بعض العلماء بقتل من سب العرب. وفي الصحيحين آية الايمان حب الأنصار ، وآية النفاق بغضهم ، وروى الطبراني حب قريش إيمان وبغضهم كفر وحب الانصار من الإيمان وبغضهم من الكفر ، ومن أحب العرب فقد أحبني ، ومن أبغض العرب فقد أبغضني .

وروى ابن عساكر عن جابر ـ رضي الله عنه ـ عن النبيّﷺ حب أبي بكر وعمر من الايمان وبغضهما كفر وحب الأنصار من الإيمان وبغضهم كفر وحب العرب من الإيمان وبغضهم كفر ومن سب أصحابي فعليه لعنة الله ، ومن حفظني فيهم فأنا أحفظه يوم

القيامة . قال بعض شراح الشفا والأحاديث كثيرة في هذا الباب وبالجملة من أحب شيئاً أحب كل شيء يحبه وهذه سيرة السلف فيجب على كل أحد أن يحب أهل بيت النبي ﷺ وجميع الصحابة من العرب والعجم ، لا سيما جنسه ﷺ . ولا يكون من الخوارج في بغض أهل البيت فإنه لا ينفعه ، حينئذ حب الصحابة ، ولا من الروافض في بغض الصحابة ، فانه لا ينفعه حينئذ حب أهل البيت ، ولا من الأروام الذين يكرهون العرب بالطبع الملام ويرمونهم بسوء الكلام ، فانه يخشى منه سوء الختام .

بابٌ فيما وردَ على لسان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من التنويه بشأنه ﷺ مع ما وردَ من ذلك على لسان آبائه

يروى من طرق شتى ان الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام ألهمه الله أن قال : يا رب لم كنيتني أبا محمد ؟ قال الله تعالى : يا آدم ارفع رأسك فرفع رأسه فرأى نور محمد ﷺ في سرادق العرش فقال : يا رب ما هذا النور ؟ قال : هذا النور نور نبي من ذريتك اسمه في السماء أحمد وفي الأرض محمد ، لولاه ما خلقتك ولا خلقت سماءً ولا أرضاً ، وروى الحاكم في صحيحه عن عمر ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً أن آدم عليه السلام رأى اسم محمد ﷺ مكتوباً بأعلى العرش وان الله تعالى قال لآدم عليه السلام : لولا محمد ما خلقتك .

وفي المواهب :ان آدم عليه السلام رأى مكتوباً على ساق العرش وعلى كل موضع في الجنة من قصر وغرفة ونحور الحور العين وورق شجرة طوبى وورق سدرة المنتهى وأطراف الحجب وبين أعين الملائكة اسم محمد ﷺ مقروناً باسم الله تعالى وهو لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فقال آدم : يا رب هذا محمد من هو ؟ فقال الله له : هذا ولدك الذي لولاه ما خلقتك . فقال : يا رب بحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد ، فنودي يا آدم لو تشفعت الينا بمحمد ﷺ في أهل السماء والأرض لشفعناك . وعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : لما اقترف آدم الخطيئة قال : يا رب أسألك بحق محمد ﷺ إلا ما غفرت لي . فقال الله تعالى : يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه ؟ قال : يا رب لأنك لما

خلقتني بيدك أي من غير واسطة أم وأب ونفخت فيّ من روحك أي من الروح المبتدأة منك المتشرفة بالإضافة إليك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق اليك فقال الله تعالى : صدقت يا آدم انه لأحب الخلق اليّ واذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ، ولولا محمد ما خلقتك رواه البيهقي في دلائله .

وروى الشيخ والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً : أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام آمن بمحمدﷺ ومر أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار ، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ فسكن صححه الحاكم . وروى الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً أتاني جبريل فقال : إن الله تعالى يقول لولاك ما خلقت الجنة ولولاك ما خلقت النار .

وروى ابن سبع عن علي ـ رضي الله عنه ـ أن الله تعالى قال لنبيه ﷺ : من أجلك أسطح البطحاء وأموّج الموج وأرفع السماء وأجعل الثواب والعقاب . قال العلامة الزرقاني : وهذاليسلغيرهمن نبي ولا ملك ولله درّ من قال :

ومن عجب اكرام الف لواحد ... لعين تفدّى الف عين وتكرم

وقال آخر :

وكان لدى الفردوس في زمن الصبا ... وأثواب شمل الإنس محكمة السدى
يشاهد في عدد ضياء مشعشعا

يزيد على الأنوار في الضوء من الهدى ... فقال إلهي ما الضياء الذي أرى
جنود السما تعشوا اليه تردّداً

فقال نبي خير من وطىء الثرى ... وأفضل من في الخير راح أو اغتدى
تخيرته من قبل خلقك سيدا ... وألبسته قبل النبيين سؤددا
وأعددته يوم القيامة شافعاً ... مطاعاً إذا ما الغير حاد وحيدا
فيشفع في إنقاذ كل موحد ... ويدخله جنات عدن مخلدا
وإن له اسماء سميته بها ... ولكنني احببت منها محمدا
فقال إلهي امنن عليّ بتوبة ... تكون علي غسل الخطيئة مسعدا

بحرمــة هذا الاســم والزلفــة التي خصصــت بهــا دون الخليقــة احدا
أقلنــي عثــاري يا إلهــي فانّ لي عدواً لعيناً جار في القصــد واعتدى
فتــاب عليه ربــه وحمــاه من جنــاية ما أخطــأه لا متعمدا

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله تعالى خلق حوّاء من ضلع آدم الأيسر وهو نائم فلما استيقظ ورآها سكن ومال إليها فمد يده اليها فقالت الملائكة : مه يا آدم تريد بذلك نهيه . فقال : ولم وقد خلقها الله لي ؟ فقالوا : حتى تؤدي مهرهـا . قال : ومـا مهرها ؟ قالوا : أن تصلي على محمدﷺ ثلاث مرات . وفي رواية : أن آدم ـ عليه السلام ـ لما طلب منه المهر قال : يا رب وما أعطيها ؟ قال : يا آدم صل على حبيبي محمد بن عبد الله عشرين مرة .

وروى ابن عساكر عن سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ قال : هبط جبريل عليه السلام على النبيﷺ فقال : إنّ ربك يقول لك إن كنت اتخذت إبراهيم خليلاً فقد اتخذتك حبيباً وما خلقت خلقاً أكرم عليّ منك ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأعرفهم كرامتك ومنزلتك عندي ، ولولاك ما خلقت الدنيا . وما أحسن قول العارف بالله سيدي علي وفى ـ رضي الله عنه ـ :

سكن الفــؤاد فعش هنيئــاً يا جسد ذاك النعيم هو المقيم إلى الأبد
أصبحــت في كنف الحبيب ومــن يكن جار الــكريم فعيشــه عيش الرغد
عش في أمــان الله تحــت لوائه لا خوف في هذا الجنــاب ولا نكد
لا تختشي فقــراً وعنــدك بيت من كل المنــى لكل من أياديه مدد
رب الجمال ومرســل الجــدوى ومن هو في المحاســن كلهــا فرد أحد
قطــب النهــى غوث العوالــم كلها أعلى عليّ صار أحمــد من حمد
روح الوجــود حياة من هو واحد لولاه ما تم الوجــود لمن وجد
عيسى وآدم والصــدور جميعهم همأعــين هو نورهــا لما ورد
لو أبصر الشيطــان طلعــة نوره في وجــه آدم كان أوّل من سجد
أو لو أرى النمــروذ نور جماله عبــد الجليل مع الخليل ولا عند

لكن جمـال الله جل فلا يرى إلا بتخصيص من الله الصمد

فأبشر بمـن سكن الجوانـح منـك يا أنـا قد ملأت من المنـى عينـا ويد
عـين الوفـا معنـى الصفـا سرّ الندى نور الهـدى روح النهـى جسـد الرشد
هو للصـلاة من السـلام المرتضى الجامـع المخصـوص ما دام الأبد

روى عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه لما نفخ في آدم الروح صار نور محمد ﷺ يلمع من جبهته كالشمس ، قال بعض العارفين : لكن إبليس لم يبصر ذلك لخذلانه ، ولما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم كان استقبالهم لذلك النور فالمسجود له حقيقة هو الله تعالى وآدم عليه السلام كالقبلة ، وتلك القبلة المقصد إلا عظم منهـا ، انمـا هو النـور المحمدي الذي في جبهته . ولما جلت حوّاء عليها السلام ـ بشيث انتقل ذلك النور اليها ثم لما وضعته ـ عليه السلام ـ ظهر ذلك النور في جبهته وكان هو وصي آدم عليه السلام على ذريته وأوصاه آدم أن لا يضع ذلك النور إلا في المطهرات من النساء ولم تزل هذه الوصية جارية بينهم تنتقل من قرن إلى قرن إلى أن وصل ذلك النور إلى جده عبد المطلب ، ثم الى ابنه عبد الله ، ثـم إلى أمه آمنة ، وطهر الله تعالى هذا النسب الشريف من سفاح الجاهلية .

روى البيهقي في سننه عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء ما ولدني ، إلا نكاح الإسلام ، أي نكاح كنكاح الإسلام يعني بعقد صحيح .

وروى ابو نعيم في الدلائل عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ عن جبريل عليه السلام قال : قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أرَ رجلاً أفضل من محمد عليه الصلاة والسلام ، ولم أرَ بني أب أفضل من بني هاشـم .

وفي الشفاء أن آدم ـ عليه السلام ـ لما أكل من الشجرة قال : اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي ، وتقبل توبتي ، فتاب الله عليه وغفر له ، وهذا تأويل قوله تعالى ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ﴾ وقيل : إنّ الكلمات هي ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين ﴾ وقيل : اللهم لا إلّه إلا أنت سبحانك وبحمـدك إنـي ظلمت نفسي فاغفر لي فانك خير الغافرين وقيل : اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك

اني ظلمت نفسي فتب عليّ إنك أنت التوّاب الرحيم .

قال بعضهم : ولا مانع من كون آدم عليه السلام أتى بالجميع وصح في أحاديث كثيرة انه ﷺ كان في صلب نوح ـ عليه السلام ـ حين ركب السفينة وفي صلب إبراهيم ـ عليه السلام ـ ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكّيهم ﴾ وقد قال ﷺ : أنا دعوة أبي ابراهيم وبشرى عيسى ـ عليه السلام ـ .

وأما ما نقل عن آبائه من ذكره عليه ـ عليه السلام ـ والتنويه بشأنه فكثير ، فن ذلك ما روى عن جده كعب بن لؤي فإنه كان يجمع قومه يوم العروبة وهو المسمى بيوم الجمعة ويعظهم ويذكرهم بمبعث النبي ﷺ ويخبرهم بأنه من ولده يأمرهم باتباعه فما كان يقوله لهم سيأتي لحرمكم نبأ عظيم وسيخرج منه نبي كريم وينشد أبياتاً آخرها :

على غفلة يأتي النبي محمد فيخبر أخباراً صدوق خبيرها

وينشد أيضاً :

يا ليتني شاهد فحوّاء دعوته حين العشيرة تبغي الحق خذلانا

ومن خطبه التي كان يخطبها : أما بعد فاسمعوا وافهموا وتعلموا واعلموا ليل داج ، ونهار صاح ، والأرض مهاد ، والسماء بناء ، والجبال اوتاد ، والنجوم أعلام ، والأوّلون كالآخرين ، فصلوا أرحامكم ، واحفظوا أصهاركم ، وثمروا أموالكم ، الدار أمامكم ، والظن غير ما تقولون . وكان بينه وبين مبعثه ﷺ خمسمائة وستون سنة ، وقيل وعشرون ، وكانوا يؤرخون بموته حتى كان عام الفيل فأرّخوا به ثم بموت عبد المطلب ، ثم كان التاريخ في الإسلام بالهجرة .

ومن ذلك ما نقل عن جده ﷺ كنانة بن خزيمة أنه كان شيخاً عظيماً تقصده العرب لعلمه وفضله . وكان يقول : قد آن خروج نبي من مكة يدعى أحمد يدعو إلى الله تعالى وإلى البر والإحسان ومكارم الاخلاق ، فاتبعوه تزدادوا شرفاً وعزاً إلى عزكم ، ولا تفندوا أي لا تكذبوا ما جاء به فهو الحق وتواتر أن جده ﷺ الياس كان يسمع من صلبه تلبية النبي ﷺ المعروفة في الحج وكان كبيراً عند العرب يدعونه سيد العشيرة ولا

يقضون أمراً دونه ، وهو أوّل من أهدى البدن الى البيت ، وجاء في الحديث : لا تسبوا الياس فانه كان مؤمناً وكان في العرب مثل لقمان الحكيم في قومه. وجاء في الحديث أيضاً لا تسبوا ربيعة ولا مضر فإنهما كانا مؤمنين ، وفي رواية : لا تسبوا مضر فإنه كان على دين إسمٰعيل ، ومن كلامه : من يزرع خيراً يحصد غبطة ومن يزرع شراً يحصد ندامة . وجاء أن خزيمة ومدركه ونزاراً كل منهم كان نور النبي ﷺ بين عينيه ، وان نزاراً لما ولد ونظر أبوه إلى نور النبي ﷺ بين عينيه فرح فرحاً شديداً ونحر وأطعم ، وقال : إنّ هذا كله نزر أي قليل بحق هذا المولود فسمى نزاراً لذلك وكان أجمل أهل زمانه وأكبرهم عقلاً ، وجاء أنّ الله لما سلط بختنصر على العرب أمر الله أرمياء ـ عليه السلام ـ أن يحمل معه معد بن عدنان على البراق كي لا تصيبه النقمة ، وقال فإني سأخرج من صلبه نبياً كريماً أختم به الرسل ، ففعل أرمياء ذلك واحتمله معه إلى أرض الشام ، فنشأ مع بني اسرائيل ثم عاد بعد أن هدأت الفتن بموت بختنصر .

وحكى الزبير بن بكار : أنّ أوّل من وضع أنصاب الحرم عدنان ، قيل : وهو أوّل من كسا الكعبة أو كسيت في زمنه ، وجاء أنه إنما سمي عدنان من العدن وهو الإقامة ، لأنّ الله أقام ملائكة لحفظه ، وسبب ذلك ان أعين الجن والإنس كانت اليه ، وأرادوا قتله وقالوا : لئن تركنا هذا الغلام حتى يدرك مدرك الرجال ليخرجن من ظهره من يسود الناس ، فوكل الله به من يحفظه .

وروى أبو جعفر في تاريخه عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : كان عدنان ومعد وربيعة وخزيمة وأسد على ملة ابراهيم فلا تذكروهم إلا بخير، وجاء أيضاً ان مضر إنما سمي بذلك لأنه كان يمضر القلوب أي يأخذها لحسنه وجماله ، ولم يره أحد إلا أحبه لما كان يشاهد في وجهه من نور النبي ﷺ .

ومن كلامه : خير الخير أعجله فاحملوا انفسكم على مكروهها واصرفوها عن هواها فيما افسدها فليس بين الصلاح والفساد إلا صبر فواق ، وهو ما بين الحلبتين وهو أوّل من حدا للإبل ، وذلك أنه سقط عن بعيره وهو شاب فانكسرت يده فقال : يا يداه يا يداه فأتت إليه الإبل من المرعى ، فلما صح وركب حدا وكان من أحسن الناس صوتاً ، وقيل بل كسرت يد مولى له فصاح ، فاجتمعت اليه الابل . فوضع الحداء وزاد الناس فيه ويقال لمضر : مضر الحمراء . وسبب ذلك أنه لما اقتسم هو واخوه ربيعة مال والدهما نزار أحد مضر

الذهب ، فقيل له : مضر الحمراء وأخذ ربيعة الخيل فقيل له : ربيعة الفرس قيل إن قبر مضر بالروحاء . وجاء ان معدا سمي بذلك لأنه كان صاحب حروب وغارات على بني إسرائيل ، ولم يحارب أحداً إلا رجع بالنصر بسبب نور النبيﷺ الذي في جبهته، وخزيمة قيل إنه تصغير خزمة وإنما سمي بذلك لأنه خزم أي جمع فيه نور النبيﷺ الذي كان في آبائه . ومدركة سُمي بذلك لأنه أدرك كل عز وفخر بسبب نور النبيﷺ ، وكان ظاهراً بيناً فيه . والنضر إنما لقب بذلك لنضارة وجهه وإشراقه وجماله من نور النبيﷺ ، قيل ان أم النضر برة بنت ادّ بن طابخة تزوّجها أبوه كنانة بعد أبيه خزيمة فولدت له النضر ، على ما كان عليه أهل الجاهلية إذا مات رجل خلف على زوجته أكبر بنيه من غيرها ولذا قال تعالى : ﴿ ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف ﴾ وهذا كله غلطفاحش قال ابو عثمان الجاحظ : أن كنانة خلف على زوجة أبيه فماتت ولم تلد له ذكراً ولا أنثى فنكح بنت أخيها وهي برة بنت مر بن ادّ بن طابخة فولدت له النضر ، قال : وإنما غلط كثير لما سمعوا أن كنانة خلف على زوجة أبيه لاتفاق اسمى الزوجتين وتقارب النسب ، قال وهذا هو الذي عليه مشايخنا من أهل العلم والنسب ، ومعاذ الله أن يكون أصاب نسبهﷺ نكاح مقت ، وقد قالﷺ : ما زلت أخرج من نكاح كنكاح الإسلام ، ومن قال غير هذا فقد خطأ وشك في هذا الخبر . والحمد لله الذي طهّره من كل وصم تطهيراً .

قال الدميري : وهذا أرجو به الفوز للجاحظ في منقلبه وانه يتجاوز عنه فيما سطره في كتبه . قال الحافظ الشامي : وهو من النفائس التي يرحل اليها وهو الذي ينثلج له الصدور ويذهب وحره ويزيل الشك ويطفىء شرره انتهى . وقد أجمع العلماء على أن رسول الله ﷺ كان إذا انتسب ينتهي الى عدنان ولم يتجاوزه . ويقول : كذب النسابون ، وذلك لأنه اختلف فيما بين عدنان وإسمعيل إلى آدم متفق على أكثره ، وفيه خلف يسير في عدد الآباء وفي ضبط بعض الأسماء . وعن ابن عباس رضي الله عنهما بين عدنان وإسمعيل ثلاثون أباً لا يعرفون وقيل أقل وقيل أكثر . وقال عروة : ابن الزبير ما وجدت أحداً يعرف بعد معد بن عدنان .

وسئل مالك عن الرجل يرفع نسبه إلى آدم فكره ذلك ، وقال على سبيل الإنكار : من أخبره بذلك فينبغي لمن أراد أن يذكر نسب النبيﷺ أن يوصله . إلى عدنان بن ادّ ويقف اقتداء بهﷺ وأجمعوا على ان عدنان ينتهي نسبه الى إسمعيل عليه السلام ، فهوﷺ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصّي بن كلاب بن مرة بن

كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ولله درّ القائل :

ونسبة عز هاشم من أصولها ومحتدها المرضيّ اكرم محتد
سمت رتبة علياء اعظم بقدرها ولم تسمّ إلا بالنبي محمد

ورحم الله آخر حيث قال :

قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم كلا لعمري ولكن منه شيبان
وكم أب قد علا بابن ذرى شرف كما علا برسول الله عدنان

قال الماوردي في كتاب اعلام النبوّة : وإذا اختبرت حال نسبه ﷺ وعرفت طهارة مولده ، علمت انه سلالة آباء كرام ليس فيهم مسترذل بل كلهم سادة قادة ، وشرف النسب وطهارة المولد من شروط النبوّة .

وفهر اسمه قريش وإليه تنتهي وتجتمع قبائل قريش وما فوقه كناني وسمي قريشاً لأنه كان يقرّش أي يفتش على حاجة المحتاج فيسدّها بماله ، وقيل كان بنوه يقرشون أهل الموسم عن حوائجهم فيرفدونهم .

وكلاب اسمه حكيم ، سمي بكلاب لأنه كان يكثر الصيد بالكلاب ، وقيل من المكالبة أي المضايقة لمضايقته على أعدائه . وقيل من الكلاب جمع كلب كأنهم يريدون الكثرة .

وسئل أعرابي لم تسمّون أبناءكم بشرّ الأسماء نحو : كلب وذئب وعبيدكم بأحسن الأسماء نحو : رزق ومرزوق ورباح ؟ فقال : إنما نسمي ابناءنا لأعدائنا وعبيدنا لأنفسنا ، يريد أن الأبناء عدّة للأعداء وسهام في نحورهم ، فاختاروا لهم هذه الأسماء .

وقصي اسمه زيداً ويزيد ، ويقال له مجمع به جمع الله القبائل من قريش في مكة بعد تفرّقها . قال الشاعر :

ابوكم قصيّ كان يدعى مجمعاً به جمع الله القبائل من فهر

وهذا البيت من قصيدة مدح بها حذافة بن غانم عبد المطلب جد النبيﷺ حيث أنجده من كربة وقعت له فوجده مربوطاً ربطة ركب من جذام ادّعوا عليه قتيلاً قتله بمكة ، ففداه عبد المطلب بمال وأطلقه ، وكان مع عبد المطلب حين أطلقه ابنه أبو لهب فقال يمدح عبد المطلب وبنيه :

بنـو شيبـة الحمـد الـذي كان وجهه يضيء ظلام الليل كالقمـر البدر

إلى أن قال :

أبـوكم قصي كان يدعـى مجمعاً به جمـع الله القبائـل من فهر

ومن كلام قصي من أكرم لئيماً شاركه في لؤمه ، ومن استحسن قبيحاً ترك إلى قبحه ، ومن لم تصلحه الكرامة أصلحه الهوان ، ومن طلب فوق قدره استحق الحرمان ، والحسود هو العدو الخفي . ولما احتضر قال لبنيه : اجتنبوا الخمرة فانها تصلح الأبدان وتفسد الأذهان .وتزوّج قصي من خزاعة حبي بنت خليل الخزاعي فولدت له عبد مناف ، وكانت ولاية الحرم لخزاعة وانتهت الى خليل الخزاعي فأوصى بها إلى بنته زوج قصيّ فقالت : لا قدرة لي على فتح البيت وإغلاقه ، فجعل أبوها ذلك لأبي غبشان الخزاعي فاشترى منه قصيّ ؛ أمر البيت وأمر مكة بزق من خمر ثم زاده أزواداً من الإبل ، وأثواباً فنازعته خزاعة فدعا قريشاً وبني كنانة لإعانته فأعانوه ، حتى أزاح يد خزاعة وذلك بعد أن اقتتلوا أيام منى بعد أن حذرتهم قريش الظلم والبغي وذكرتهم ما صارت إليه جرهم حين ألحدوا في الحرم بالظلم ، فأبت خزاعة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وكثر القتل والجراح في الفريقين ، إلا أنه في خزاعة اكثر ثم تداعوا للصلح ، واتفقوا على أنهم يحكمون بينهم رجلاً من العرب فحكموا يعمر بن عوف وكان رجلاً عريفاً فقال لهم : موعدكم فناء الكعبة غداً فلما اجتمعوا قام يعمر فقال : ألا إني قد شدخت ما كان بينكم من دم تحت قدميّ هاتين فلا تباعة لأحد على أحد وقضى لقصي بأنه أولى بولاية مكة فتولاها ، وكانت خزاعة قد ازالت يد جرهم عن ولاية البيت فان مضاض بن عمرو الجرهمي الأكبر ولّي أمر البيت ، بعد نابت بن إسمعيل عليه الصلاة والسلام لأنه كان جداً لنابت ، وغيره من اولاد إسمعيل لأمهم ، لأن إسمعيل تزوّج من جُرْهم فجاءه الأولاد منهم فأخذ ولاية البيت بعد نابت بن إسمعيل مضاض بن عمرو الجرهمي واستمرت جرهم ولاة البيت ، والحكام لا تنازعهم

ولد إسمعيل في ذلك لخؤلتهم وإعظاماً لأن يكون بمكة بغي ثم إن جرهماً بغوا بمكة وظلموا من يدخلها من غير أهلها وأكلوا مال الكعبة الذي يُهْدى لها ، فأجمعت خزاعة لحربهم وإخراجهم من مكة ففعلوا ذلك بعد أن سلط الله على جرهم دواب تشبه النغف بالغين المعجمة والفاء وهو دود يكون في أنوف الإبل والغنم ، فهلك منهم ثمانون كهلاً في ليلة واحدة سوى الشباب . وقيل سلّط الله عليهم الرعاف فأفنى غالبهم ، وذهب من بقي إلى اليمن مع عمرو بن الحرث الجرهمي آخر من ملك أمر مكة من جرهم ، وحزنت جرهم على ما فارقوا من أمر مكة وملكها حزناً شديداً وقال عمرو بن الحرث أبياتاً منها :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ... أنيس ولم يسمر بمكة سامر
وكنا ولاة البيت من بعد نابت ... نطوف بذاك البيت والخير ظاهر
بلى نحن كنا أهله فأبادنا ... صروف الليالي والدهور البواتر

ثم استقر الأمر في خزاعة إلى أن تزوّج قصيّ منهم وحصل ما تقدّم ذكره فأزاح يد خزاعة وولي أمر مكة وشرفها فكان بيده السقاية والرفادة والحجابة والندوة واللواء والقيادة وكان عبد الدار أكبر أولاد قصي وأحبّهم إليه ، وكان عبد مناف اشرفهم لأنه شرف في زمن أبيه ، وذهب شرفه كل مذهب وكانت قريش تسميه الفياض لكرمه ، فأعطى قصي تلك الوظائف ولده عبد الدار لمحبته له وقال : أما والله يا بني لألحقنك بالقوم يعني بقية اخوته وبني عمه ، وإن كانوا قد شرفوا عليك لا يدخل رجل منهم الكعبة ، حتى تكون انت تفتحها ولا يعقد لقريش لواء للعرب إلا أن تعقده أنت ، ولا يشرب رجل بمكة ، إلا من سقايتك ، ولا يأكل أحد من أهل الموسم إلا من طعامك ، وهذا هو المراد من الرفادة ، ولا تقطع قريش أمراً من أمورها إلا في دارك يعني دار الندوة ، ولا يكون أحد قائداً لقوم في قتال إلا أنت ، فلما مات عبد الدار وأخوه عبد مناف اختلف أبناؤهم ، فأراد بنو عبد مناف وهم : هاشم والمطلب وعبد شمس ونوفل ، أن يأخذوا تلك الوظائف من بني عمهم عبد الدار ، وأجمعوا على المحاربة ، وأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيباً فوضعوها لمن أراد أن يحالفهم ويكون معهم في المسجد ، عند باب الكعبة ، فغمس جماعة من قريش أيديهم فيها للإشارة إلى أنهم معهم ، وتحالفوا بعد أن تطيبوا منها معهم ، فسموا المطيبين وهم بنو عبد مناف وبنو زهرة وبنو أسد بن عبد العزى بن قصي وبنو تيم بن مرة وبنو الحرث بن

فهر ، فالمطيبون قبائل خمسة وتعاقد بنو عبد الدار مع أحلافهم وهم بنو مخزوم وبنو سهم وبنو جمح وبنو عدي بن كعب على أن لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضاً لتحالفهم ، بعد أن آخرجوا جفنة مملوءة دما من دم جزور نحروها ثم قالوا من أدخل يده في دمها فلعق منها فهو منا ، ففعلوا ذلك ولذا أسموا لعقة الدم ، ثم اصطلحوا على ان تكون الرفادة والقيادة والسقاية لبني عبد مناف ، والحجابة واللواء لبني عبد الدار ، ودار الندوة بينهم بالاشتراك ، وقيل إن دار الندوة بقيت في يد بني عبد الدار ، حتى باعها بعض من أبنائهم على حكيم بن حزام بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، فاشتراها بزق خمر ، ثم باعها في الإسلام بمائة ألف درهم ، فقال له عبد الله بن الزبير ـ رضي الله عنهما ـ أتبيع مكرمة آبائك وشرفهم ؟ فقال حكيم : ذهبت المكارم إلا التقوى ، والله لقد اشتريتها في الجاهلية بزق خمر ، وقد بعتها بمائة الف واشهدكم أن ثمنها في سبيل الله ، فأينا المغبون ؟ وكانت دار الندوة لقريش يجتمعون فيها للمشاورة ولا يدخلها إلا من بلغ الأربعين ، وكانت الجارية إذا حاضت تدخل دار الندوة ثم يشقّ عليها بعض ولد عبد الدار درعها ثم يدرعها إياه ، وينقلب بها فتحجب ، وكانوا لا يعقدون عقد نكاح إلا في دار قصيّ اعني دار الندوة ولا يعقد لواء حرب إلا فيها .

وأما القيادة وهي إمارة الركب فقام بها من أبناء عبد مناف عبد شمس ، ثم ابنه أمية ، ثم ابنه حرب ، ثم ابنه أبو سفيان ، فكان يقود الناس في غزواتهم قاد الناس يوم أحد ، ويوم الأحزاب ، وأما يوم بدر فقاد الناس عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، لانه أكبر من أبي سفيان ، إذ هو ابن عم أبيه ، وأيضاً كان أبو سفيان مع العير ولم يكن حاضراً بمكة وقت خروج النفير .

وأما الرفادة وهي إطعام الحاج أيام الموسم حتى يتفرّقوا ، فإن قريشاً كانت على زمن قصي تخرج من أموالها في كل موسم فتدفعه الى قصي فيصنع به طعاماً للحاج يأكله من لم يكن معه سعة ولا زاد . ثم قام بذلك بعد قصي ابنه عبد مناف ، ثم ابنه هاشم ، ثم ابنه عبد المطلب ، ثم ابنه أبو طالب ، ثم أخوه العباس ، واستمر ذلك الى زمنه ﷺ وزمن الخلفاء بعده ، إلى أن انقرضت الخلافة من بغداد ومن مصر .

وأما السقاية فقام بها أيضاً عبد مناف ، ثم ابنه هاشم ، ثم ابنه المطلب ، ثم لما كبر عبد المطلب بن هاشم فوّض عمه المطلب السقاية إليه ، فلما مات المطلب وثب أخوه نوفل

ابن عبد مناف على ابن أخيه عبد المطلب واغتصبه أركاحاً أي أفنية ودوراً ، فسأل عبد المطلب رجالاً من قومه النصرة على عمه نوفل فأبوا وقالوا : لا ندخل بينك وبين عمك ، فكتب الى أخوا له بني النجار بالمدينة بما فعله معه عمه نوفل ، فلما وقف خاله أبو سعد بن عدي النجار على كتابه بكى ، وسار من المدينة في ثمانين راكباً حتى قدم مكة ، فنزل الأبطح فتلقاه عبد المطلب وقال له : المنزل يا خال ، فقال لا والله حتى ألقى نوفلاً . فقال : تركته في الحجر جالساً في مشايخ قريش ، فأقبل ابو سعد حتى وقف عليهم فقام نوفل قائماً وقال : يا أبا سعد أنعم صباحاً ، فقال له أبو سعد : لا أنعم الله لك صباحاً ، وسلّ سيفه وقال : ورب هذه البنية لئن لم ترد على ابن أختي أركاحه لأملأنّ منك هذا السيف : فقال : قد رددتها عليه ، فأشهد عليه مشايخ قريش .

ثم نزل على عبد المطلب فأقام عنده ثلاثاً ثم اعتمر ورجع الى المدينة ، وبعد أن جرى ذلك حالف نوفل وبنوه بني أخيه عبد شمس على بني هاشم ، وحالف بنو هاشم بني المطلب وخزاعة على بني نوفل ، وبني عبد شمس أي فان خزاعة قالت : نحن أولى بنصرة عبد المطلب ، وقالوا له : إن أم عبد مناف حبي بنت خليل الخزاعي فهلم فلنحالفك فدخلوا دار الندوة وتحالفوا وتعاقدوا ، وكتبوا بينهم كتاباً باسمك اللهم هذا ما تحالف عليه بنو هاشم ورجالات عمرو بن ربيعة من خزاعة ، على النصرة والمواساة ما بل بحر صوفة .

وما أشرقت الشمس ،على ثبير وهب أي قام بفلاة بعير وما أقام الاخشبان واعتمر بمكة انسان ، والمراد من ذلك الأبد ، قيل إن السقاية انتقلت من أبي طالب إلى أخيه العباس في حياة أبي طالب وسبب ذلك أن أبا طالب كان يقذف في الماء التمر والزبيب تبعاً لأبيه عبد المطلب ، فاتفق أنه أملق أي افتقر في بعض السنين فاستدان من أخيه العباس عشرة آلاف درهم الى الموسم الآخر ، فصرفها أبو طالب في الحجيج عامه ذلك ، فيما يتعلق بالسقاية ، فلما كان العام المقبل لم يكن مع أبي طالب شيء ، فقال لأخيه العباس : أسلفني أربعة عشر ألفاً الى العام المقبل لأعطيك جميع مالك : فقال العباس بشرط ان لم تعطني تترك السقاية لأكفلها فقال : نعم . فلما جاء العام الآخر لم يكن مع أبي طالب ما يعطيه لأخيه العباس . فترك له السقاية فصارت إلى العباس ثم لولده عبد الله وهكذا وأما الحجابة فكانت في بني عبد الدار ، حتى جاء الإسلام فلما كان فتح مكة طلبها العباس من النبي ﷺ ، فأراد أن يعطيه مفتاح الكعبة لتكون الحجابة عنده مع السقاية ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها ﴾ فردّه ﷺ إلى عثمان بن طلحة بن

عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار الحجبي ، ثم صارت بعده لأخيه شيبة ثم بقيت في بني شيبة ، وكذلك اللواء كان بيدهم فكانوا يحملون لواء قريش في حروبها ، ولهذا قتل منهم جماعة يوم أحد كلما قتل واحداً أخذ اللواء بعده واحد آخر منهم .

وأما عبد مناف بن قصي فاسمه المغيرة وكان يقال له قمر البطحاء لحسنه وجماله ، ووجد على بعض الأحجار كتابة منها : أنا المغيرة بن قصي أوصي قريشاً بتقوى الله جل وعلا وصلة الرحم . وكان نور النبي ﷺ يضيء في وجهه وكان في يده لواء نزار ، وقوس اسمعيل ، وإياه عني القائل بقوله :

كانت قريش بيضة فتفلقت فالمح خالصه لعبد مناف

وابنه هاشم اسمه عمرو ويقال له عمر ، والعلا لعلوّ رتبته وهو أخو عبد شمس وكانا توأمين وكانت رجل هاشم أي أصبعها ملصقة بجبهة عبد شمس ولم يمكن نزعها إلا بسيلان دم ، فكانوا يقولون : سيكون بينهما دم ، فكان بين ولديهما إلى أن اشتدّ الأمر بين بني العباس وبني أمية سنة مائة وثلاث وثلاثين من الهجرة ، وأوّل العداوة وقعت بين هاشم وبين ابن اخيه امية بن عبد شمس ، لأن هاشماً لما ساد قومه بعد أبيه عبد مناف ، حسده ابن اخيه أمية بن عبد شمس ، فتكلف أن يصنع كما يصنع هاشم فعجز فعيرته قريش وقالوا له أتتشبه بهاشم ثم دعا أمية هاشماً للمنافرة ، فأبى هاشم ذلك لسنه وعلو قدره ، فلم تدعه قريش فقال هاشم لأمية ، أنافرك على خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكة والجلاء عن مكة عشر سنين ، فرضي أمية بذلك ، وجعلا بينهما الكاهن الخزاعي وكان بعسفان ، فخرج كل منهما في نفر فنزلوا على الكاهن فقال قبل أن يخبروه خبرهم : والقمر الباهر ، والكوكب الزاهر ، والغمام الماطر ، وما بالجو من طائر ، وما اهتدى بعلم مسافر من منجد وغائر ، لقد سبق هاشم أمية إلى المفاخر ، فنفر هاشم على أمية فعاد هاشم إلى مكة ونحر الإبل وأطعام الناس وخرج أمية إلى الشام فأقام بها عشر سنين فكانت هذه أوّل عداوة وقعت بين هاشم وأمية وتوارثت ذلك بنوهما ، وكان يقال لهاشم واخوته عبد شمس والمطلب ونوفل : أقداح النضار أي الذهب ، ويقال لهم : المجيرون لكرمهم وفخرهم وسيادتهم على العرب . ووقعت مجاعة شديدة في قريش بسبب جدب شديد حصل لهم ، فخرج هاشم إلى الشام فاشترى دقيقاً وكعكاً وقدم به مكة في الموسم ، فهشم الخبز

والكعك ونحر جزراً وجعل ذلك ثريداً ، وأطعم الناس حتى أشبعهم ، فسمي بذلك هاشماً ، وكان يقال له أبو البطحاء ، وسيد البطحاء ، ولم تزل مائدته منصوبة لا ترفع في السراء والضراء ، قال الإمام ابو سهل الصعلوكي في قوله ﷺ : فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام ، أراد فضل ثريد هاشم الذي عظم نفعه وقدره وعم خيره وبره وبقي له ولعقبه ذكره . وقال ابن الصلاح الأولى حمل الحديث على العموم ، وأن المراد تفضيل الثريد من الطعام على باقي الطعام لأن سائر بمعنى باقي فالمراد أي ثريد ، وهذا لا ينافي بقاء المزية لثريد هاشم على غيره من أنواع الثريد ، ولبعضهم ، عمرو العلا هشم الثريد لقومه :

ورجال مكة مرملون عجاف

ولآخر :

عمــرو العــلا ذو النــدى من لا يسابقه ... مر السحــاب ولا ريح تجاريه
أجفانــه كالجوابــي للوفــود اذا ... لبــوا بمــكة ناداهم مناديه
وأمحلــوا اخصبــوا منهــا وقــد ملئت ... قوتــاً لحــاضره منهــم وباديه

ولآخر

قل للــذي طلــب السماحــة والندى ... هلا مررت بآل عبــد مناف
الرائشون وليس يوجــد رائش ... والقائلــون هلــم للأضياف

وعن بعض الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ قال : رأيت رسول الله ﷺ وأبا بكر ـ رضي الله عنه ـ على باب بني شيبة فمرّ رجل وهو يقول :

يا أيهــا الرجــل المحــوّل رحله ... ألا نزلــت بآل عبــد الدار
هبلتــك أمــك لو نزلــت برحلهم ... منعــوك من عدم ومــن اقتار

فالتفت رسول الله ﷺ إلى أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وقال : أهكذا قال الشاعر : قال : لا والذي بعثك بالحق لكنه قال :

يا أيها الرجل المحوّل رحله ألا نزلت بآل عبد مناف
هبلتك أمك لو نزلت برحلهم منعوك من عدم ومن إقراف
الخالطين غنيهم بفقيرهم حتى يعود فقيرهم كالكافي

فتبسم رسول الله ﷺ وقال : هكذا سمعت الرواة ينشدونه ، وفي المواهب وشروحها ان نور النبي ﷺ كان يتوقد شعاعه في وجه هاشم ويتلألأ ضياؤه ، لا يراه حبر ، إلا قبَّل يده ولا يمرّ بشيء إلا خضع له . تغدو اليه قبائل العرب ووفود الأحبار يحملون بناتهم يعرضون عليه ان يتزوّج بهن . حتى بعث إليه هرقل ملك الروم وقال : إني لي ابنة لم تلد النساء أجمل منها ولا أبهى وجهاً فأقدم إليّ حتى أزوّجهكا فقد بلغني جودك وكرمك وإنما أراد بذلك نور المصطفى ﷺ ، الموصوف عندهم في الإنجيل . فأبى هاشم ذلك وكانِ هاشم يحمل ابن السبيل ويؤدّي الحق ويؤمن الخائف ، وكان إذا هلّ هلال ذي الحجة قام صبيحته وأسند ظهره إلى الكعبة من تلقاء بابها ويخطب ، ويقول في خطبته :

يا معشر قريش إنكم سادة العرب أحسنها وجوهاً ، وأعظمها أحلاماً أي عقولاً ، وأوسط العرب أي أشرفها أنساباً ، وأقرب العرب بالعرب أرحاماً . يا معشر قريش : إنكم جيران بيت الله أكرمكم الله بولايته ، وخصكم بجوار دون بقية بني إسمعيل ، وأنه يأتيكم زوّار الله يعظّمون بيته فهم أضيافه ، وأحق من أكرم أضياف الله أنتم فأكرموا ضيفه وزوّار بيته ، فوربّ هذه البنية لو كان لي مال يحتمل ذلك لكفيتكموه ، وأنا مخرج من طيب مالي وحلاله ، ما لم يقطع فيه رحم ، ولم يؤخذ بظلم ، ولم يدخل فيه حرام ، فمن شاء منكم أن يفعل ذلك فعل ،وأسألكم بحرمة هذا قوله ما ذكره الخ ، هكذا في النسخ التي بأيدينا بلا خبر ، ولعل الخبر صحيح أو نحوه بدليل الجواب اهـ مصححة البيت أن لا يخرج رجل منكم من ماله كرامة زوّار بيت الله وتقويتهم ، إلا طيباً ، لم يؤخذ ظلماً ولم يقطع فيه رحم ، ولم يؤخذ غصباً ، فكانوا يجتهدون في ذلك ويخرجونه من أموالهم فيضعونه في دار الندوة ومما نقل من شعر أبي طالب عم النبي ﷺ قوله في مدح النبي ﷺ :

إذا اجتمعت يوماً قريش لمفخر فعبد مناف سرها وصميمها
وإن حصلت انساب عبد منافها ففي هاشم اشرافها وقديمها
وإن فخرت يوماً فان محمداً هو المصطفى من سرّها وكريمها

وأما عبد المطلب بن هاشم فكان من حلماء قريش وحكمائها ، وكان مجاب الدعوة محرّماً الخمر على نفسه ، وهو أوّل من تحنث بحراء ، والتحنث التعبّد الليالي ذوات العدد كان إذا دخل شهر رمضان صعده وأطعم المساكين ، وكان صعوده للتخلي عن الناس يتفكر في جلال الله وعظمته ، وكان يرفع من مائدته للطير والوحوش في رؤوس الجبال ، ولذلك كان يقال له مطعم الطير ، ويقال له الفياض . ولد في رأسه شيبة فقيل له شيبة الحمد ولعل وجه إضافته إلى الحمد رجاء انه يكبر ويشيخ ويكثر حمد الناس له وقد حقق الله ذلك فكثر حمدهم له ، لأنه كان مفزع قريش في النوائب وملجأهم في الأمور وشريفهم وسيدهم كمالاً وفعالاً ، عاش مائة وأربعين سنة قيل إنما قيل له عبد المطلب لأن أباه هاشماً ، قال لأخيه المطلب حين حضرته الوفاة ، أدرك عبدك يعني شيبة الحمد بيثرب وقيل : إن هاشماً تزوّج بالمدينة من بني عدي بن النجار من الخزرج ، فولد له شيبة الحمد ومات أبوه وبقي عند أمه ، فمرّ رجل على غلمان وهم يلعبون أي ينتضلون بالسهام ، وإذا غلام فيهم إذا أصاب قال : أما أنا ابن سيد البطحاء فقال له الرجل : ممن أنت يا غلام ؟ فقال أنا شيبة الحمد بن هاشم بن عبد مناف ، فلما قدم الرجل مكة وجد المطلب جالساً بالحجر ، فقص عليه ما رأى فذهب المطلب إلى المدينة فعرف شبه أبيه فيه ففاضت عيناه ، وضمه إليه خفية من أمه وقال له : يا ابن أخي أنا عمّك وقد أردت الذهاب بك الى قومك وأناخ راحلته فجلس على عجز الناقة ، فانطلق به ولم تعلم أمه حتى كان الليل فقامت تدعوه ، فأخبرت بأن عمه قد ذهب به ، وقيل : انه استأذن امه وقال لها ان ابن أخي غريب في غير قومه ، ونحن أهل بيت شرف في قومنا وقومه وعشيرته وبلده خير من الإقامة في غيرهم ، فأذنت له فأردفه خلفه وكساه حلة يمانية ، فلما قدم به مكة قالت قريش : هذا عبد المطلب ، وقيل : إن الشمس اثرت في شيبة الحمد فقالت قريش : هذا عبد المطلب فقال المطلب لهم : ويحكم انما هو ابن اخي هاشم ، وقيل : إنما قيل له عبد المطلب لأنه تربى يتيماً في حجر المطلب وكانوا يسمون اليتيم عبداً لمن تربى في حجره فنشأ عبد المطلب على أكمل الصفات ، وانتهت إليه الرياسة بعد عمه المطلب ، وكان يأمر أولاده بترك الظلم والبغي ويحثهم على مكارم الأخلاق ، وينهاهم عن دنيّات الامور ، وكان يقول : لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم الله منه وتصيبه عقوبة ، الى أن هلك رجل ظلوم من أرض الشام ولم تصبه عقوبة ، فقيل لعبد المطلب في ذلك ففكر وقال : والله من وراء هذه الدار دار يجزى فيها المحسن بإحسانه ، ويعاقب المسيء باساءته أي فالظلوم شأنه أن تصيبه عقوبة ،

فإذا خرج من الدنيا ولم تصبه عقوبة فهي معدّة له في الآخرة . ورفض عبد المطلب في آخر عمره عبادة الأصنام ووحّد الله . ويؤثر عنه سنن جاء القرآن بأكثرها ، وجاءت السنة بها ، منها : الوفاء بالنذر ، والمنع من نكاح المحارم ، وقطع يد السارق ، والنهي عن قتل الموءودة ، وتحرين الخمر والزنا ، وان لا يطوف بالبيت عريان ، نقله الحلبي في السيرة عن ابن الجوزي . وزاد في المواهب وشرحها كان عبد المطلب يفوح منه رائحة المسك الإذفر وكان نور رسول الله ﷺ يضيء في غرّته وفيه يقول القائل :

علا شيبة الحمد الذي كان وجهه   يضيء ظلام الليل كالقمر البدر

وكانت قريش إذا أصابها قحط شديد تأخذ بيد عبد المطلب فتخرج به الى جبل ثبير ويستسقي الله لهم ، لما جربوه من قضاء الحوائج على يديه ببركة نور النبي ﷺ ، ولما جعله الله فيه من مخالفة ما كان عليه الجاهلية بالهام من الله تعالى ، فكان يسأل الله لهم الغيث فيغيثهم . ولما وجد النبي ﷺ كان يحضره عبد المطلب معه في الإستقساء فيسقون به . وأمر ابا طالب أن يحضر النبي ﷺ معه في الاستسقاء ، ولما قدم أصحاب الفيل مكة هلكوا بدعاء عبد المطلب ومما نقل عنه في ذلك اليوم .

لا هم ان المرء يمنع رحله فامنع رحالك
وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

وقال يا معشر قريش لا يصل إلى هدم البيت لأن لهذا البيت رباً يحميه ويحفظه . ومن شعره حين اراد ذبح ابنه عبد الله ، وكان يضرب بالقداح عليه قوله : يا رب أنت الملك المحمود وأنت ربي الملك المعبود من عندك الطارف والتليد ، وكان نديمه في الجاهلية حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف والد ابي سفيان ، وكان في جوار عبد المطلب يهودي ، فأغلظ ذلك اليهودي القبول على حرف في سوق من أسواق تهامة ، فأغرى عليه حرب من قتله ، فلما علم عبد المطلب بذلك ترك منادمة حرب ولم يفارقه حتى أخذ منه مائة ناقة ودفعها لابن عم اليهودي ، ثم نادم عبد الله بن جدعان التميمي . ويروى أن حرباً كان لا يلتقي مع أحد من رؤساء قريش أو غيرهم في عقبة أو مضيق إلا تأخروا ، وتقدم هو ولا يستطيع أحد أن يتقدم عليه فالتقى حرب مع رجل من بني تميم في عقبة ، فتقدمه التميمي فقال حرب : أنا حرب بن أمية فلم يلتفت إليه التميمي ومر قبله فقال

حرب : موعدك مكة فبقي التميمي دهراً ثم أراد دخول مكة فقال من يجبرني من حرب بن امية ؟ فقيل له عبد المطلب بن هاشم فأتى التميمي ليلاً دار الزبير بن عبد المطلب فدقّ الباب فقال الزبير لأخيه الغيداق قد جاءنا رجل إما مستجيز او طالب حاجة ، او طالب قرى وقد أعطيناه ما أراد فخرج الزبير فأنشد الرجل :

لاقيت حرباً في الثنية مقبلاً والصبح ابلج ضوءه للباري
فدعا بصوت واكتنى ليروعني ودعا بدعوته يريد فخاري
فتركته كالكلب ينبح وحده وأتيت أهل معالم وفخار
ليثاً هزبراً يستجار بقربه رحب المنازل مكرماً للجار

ولقد حلفت بمكة وبزمزم والبيت ذي الأحجار والأستار
ان الزبير لمانعي من خوفه ما كبر الحجاج في الأمصار

فقال الزبير للتميمي : تقدم فإنا لا نتقدم على من نجير ، فتقدم التميمي ودخل المسجد فرآه حرب فقام اليه فلطمه ، فعدا عليه الزبير بالسيف فعدا حرب حتى دخل دار عبد المطلب فقال : أجرني من الزبير فاكفأ عليه جفنه كان أبوه هاشم يطعم الناس فيها فبقي تحتها ساعة ثم قال له عبد المطلب : اخرج فقال : كيف أخرج وسبعة من ولدك قد اجتمعوا بسيوفهم على الباب ؟ فألقى عليه عبد المطلب رداء فخرج عليهم فعلموا أنه اجاره ، فتفرقوا ، وإلى هذه القصة أشار ابن عباس رضي الله عنهما حين دخل على معاوية ـ رضي الله عنه ـ في أيام خلافته وعنده وفود العرب فذكر كلاماً فيه افتخار وذكر في كلامه حرب بن أمية فقال له ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فمن أكفأ عليه إناءه وأجاره برداثه ؟ فسكت معاوية ـ رضي الله عنه ـ وكان عبد المطلب يكرم النبي ﷺ ويعظمه وهو صغير ويقول : إن لابني هذا لشأناً عظيماً وذلك مما كان يسمعه من الكهان والرهبان قبل مولده وبعده وكان عبد المطلب معظماً في قريش وكانوا يفرشون له حول الكعبة فيجلس ويجتمع حوله رؤساء قريش ولا يستطيع أحد أن يجلس على فراشه ولا أن يطأه بقدمه وكان النبي ﷺ وهو صغير يزاحم الناس فيدخل حتى يجلس بجنب جده عبد المطلب ، وربما جاء قبل جده عبد المطلب فجلس على فراشه ، فإذا أراد أحد من أعمامه أن يمنعه يزجره جدّه عبد المطلب ويقول : دعوه إن له لشأناً ، ثم يجلسه عليه معه ويمسح ظهره ، ويسره ما يراه يصنع .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - ان عبد المطلب كان يقول لهم : دعوا ابني يجلس فإنه يحس من نفسه بشيء أي بشرف وأرجو أن يبلغ من الشرف ما لم يبلغه عربي قبله ولا بعده. وفي رواية : دعوا ابني انه ليؤنس ملكاً أي يعلم من نفسه أن له ملكاً . وفي رواية : ردوا ابني إلى مجلسي فإنه تحدّثه نفسه بملك عظيم وسيكون له شأن . وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أيضاً قال : سمعت أبي يقول : كان لعبد المطلب مفرش في الحجر يجلس عليه لا يجلس عليه غيره ، وكان حرب بن أمية فمن دونه من عظماء قريش يجلسون حوله دون المفرش ، فجاء رسول الله ﷺ يوماً وهو غلام لم يبلغ الحلم فجلس على الفرش ، فجذبه رجل فبكى رسول الله ﷺ فقال عبد المطلب : ما لابني يبكي ؟ قالوا : أراد أن يجلس على الفرش ، فمنعوه ، فقال عبد المطلب : دعوا ابني يجلس عليه فإنه يحس من نفسه بشرف وأرجو أن يبلغ من الشرف ما لم يبلغه عربي قبله ولا بعده ، فكانوا بعد ذلك لا يردونه عنه حضر عبد المطلب أو غاب . وفي السيرة الحلبية عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ يبعث جدي عبد المطلب في زيّ الملوك وأبهة الأشراف .

ومما أكرم الله به عبد المطلب وكان من الإرهاصات لنبوّة النبي ﷺ حفر بئر زمزم وحاصل القصة أن عمرو بن الحرث الجرهمي لما أحدث قومه جرهم بحرم الله تعالى الحوادث خاف نزول العذاب بهم ، فعمد إلى أنفس الاموال وهي : غزالان من ذهب وسيوف وأدراع وحجر الركن وقيل : حجر المقام فجعلها في زمزم وبالغ في طمها وفرّ إلى اليمن بقومه ، فلم تزل زمزم من ذلك العهد مجهولة إلى أن رفعت الحجب عنها برؤيا رآها عبد المطلب ، دلته على حفرها بأمارات عليها . روى ابن اسحق بسنده إلى علي - رضي الله عنه - قال : قال عبد المطلب إني لقائم في الحجر إذ أتاني آت فقال : احفر طيبة فقلت : وما طيبة ، فذهب عني فلما كان الغد رجعت الى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال : احفر برة . فقلت : وما برة ؟ فذهب عني فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فجاءني فقال : احفر المضنونة : فقلت : وما المضنونة ؟ فذهب عني فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال : احفر زمزم . قلت : وما زمزم ؟ قال لا تنزف أبداً ولا تذمّ تسقي الحجيج الأعظم بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الأعصم عند قربة النمل فلما كان الغد ذهب عبد المطلب وولده الحرث فوجد قربة النمل بين أساف ونائلة اعني الصنمين اللذين يذبحون عندهما ، ووجد الغراب ينقر عندها بين الفرث والدم أي في

محلها وقوله : برة بفتح الموحدة وتشديد المهملة سميت بذلك لكثرة منافعها وسعة مائها ، وهو اسم صادق عليها لأنها فاضت للأبرار ، وغاضت عن الفجار ، وسميت أيضاً المضنونة لأنها ضنّ بها على غير المؤمن فلا يتضلع منها منافق . وفي الحديث مرفوعاً : من شرب من زمزم فليتضلع فانها فرق ما بيننا وبين المنافقين لا يستطيعون أن يتضلعوا منها ، رواه الدارقطني .

وروى الزبير بن بكار : أن عبد المطلب قيل له : احفر المضنونة ضننت بها على الناس إلا عليك ، وقوله : لا تنزف أي لا يفرغ ماؤها ولا يلحق قعرها ، وقوله : ولا تذم أي لا توجد قليلة الماء من قول العرب بئر ذمة أي قليل ماؤها والغراب الأعصم ، فسره النبي ﷺ بأنه الذي بإحدى رجليه بيضاء ، رواه ابن أبي شيبة . فلما بين لعبد المطلب شأنها ودلّ على موضعها وعرف انه صدق ، غدا بمعوله ومعه ولده الحرث ليس له يومئذ ولد غيره ، فجعل يحفر ثلاثة أيام فلما بدا له الطي كبر وقال : هذا طي اسمٰعيل فقاموا اليه فقالوا : إنها بئر أبينا إسمٰعيل وإن لنا فيها حقاً فأشركنا معك فيها ، فقال ما أنا بفاعل إن هذا الأمر قد خصصت به دونكم واعطيته من بينكم قالوا له فأنصفنا فإنا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها . قال : فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم اليه قالوا : كاهنة سعد بن هذيم . قال : نعم ، وكانت بأشراف الشام .

فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني عبد مناف ، وركب من كل قبيلة من قريش نفر فخرجوا حتى إذا كانوا بمفازة بين الحجاز والشام ظميء عبد المطلب وأصحابه ، حتى أيقنوا بالهلكة فاستسقوا من معهم من قبائل قريش فأبوا وقالوا : إنا بمفازة نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم فلما رأى ما صنع القوم وما يتخوّف على نفسه وأصحابه قال : ماذا ترون ؟ قالوا : ما رأينا الا تبع لرأيك فمرنا بما شئت ، فأمرهم فحفروا قبورهم وقال : من مات واراه أصحابه حتى يكون الآخر فضيعته أيسر من ركب ، وقعدوا ينتظرون الموت عطشاً ثم قال : والله ان إلقاءنا بأيدينا للموت عجز لنضربن في الأرض عسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد ، وركب راحلته فلما انبعثت به انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب ، فكبّر عبد المطلب وأصحابه ثم نزل فشربوا واستقوا حتى ملئوا أسقيتهم ثم دعا قبائل قريش فقال : هلم إلى الماء فقد سقانا الله ، فاستقوا وشربوا ، ثم قالوا : قد والله قضى لك علينا يا عبد المطلب والله لا نخاصمك في زمزم أبداً إنّ الذي أسقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهو الذي أسقاك زمزم فارجع إلى سقايتك راشداً ، فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا إلى الكاهنة

وخلوا بينه وبين زمزم ثم آذاه عدي بن نوفل بن عبد مناف وقال له : يا عبد المطلب أتستطيل علينا وأنت فذ ، لا ولد لك ؟ فقال : أبالقلة تعيرنني فوالله لئن آتاني الله عشرة الولد ذكوراً لأنحرن أحدهم عند الكعبة ، وقيل سفّه عليه وعلى ابنه ناس من قريش ونازعوهما وقاتلوهما واشتد بذلك بلواه ، وكان معه ولده الحرث ولم يكن له ولد سواه ، فنذر لئن جاء له عشرة بنين وصاروا له أعواناً ليذبحنٌ أحدهم قرباناً لله عند الكعبة ، واحتفر عبد المطلب زمزم في عامه ذلك هو وابنه الحرث . قال ابن اسحق : فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عندها بين اساف ونائلة التي كانت قريش تنحر عندهما ذبائحها فجاء بالمعول وقام يحفر حيث أمر فقالت قريش : والله ما نتركك تحفر بين وثنينا اللذين ننحر عندهما فقال لابنه : ردّ عني حتى أحفر فوالله لامضينٌ لما أمرت به فلما عرفوا أنه غير تارك خلوا بينه وبين الحفر وكفوا عنه فلم يحفر إلا يسيراً حتى بدا له الطيّ ، فكبر وعرف أنه قد صدق ، فلما تمادى به الحفر وجد الغزالين والأسياف والادراع التي دفنتها جرهم فقالت قريش : إنا معك في هذا شركاء فقال لا ، ولكن هلم إلى أمر نصف بيني وبينكم نضرب عليها القداح ، قالوا : كيف نصنع ؟ قال : اجعل للكعبة قدحين ولي قدحين ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على شيء كان له ، ومن تخلف قدحاه فلا شيء له قالوا : أنصفت فجعل قدحين أصفرين للكعبة وأسودين له وأحمرين لقريش فخرج الأصفران على الغزالين للكعبة والأسودان على الأسياف والادراع له ، وتخلف قدحا قريش فضرب الأسياف باباً للكعبة ، وضرب بالباب الغزالين من ذهب ، فكان أوّل ذهب حليته الكعبة ثم أتم حفر زمزم ، وأقام سقايتها للحاج ، فكانت له فخراً وعزاً على قريش وعلى سائر العرب . قال الزهري: انه اتخذ عليها حوضاً يستقي منه فكان يخرب بالليل جسداً فلما أهمه ذلك قيل له في النوم قل : لا أحلها لمغتسل وهي لشارب حل وبل فلما أصبح قال ذلك فكان من أرادها بمكروه رمي بداء في جسده حتى انتهوا عنه ، وقوله حل بكسر الحاء المهملة ضد الحرام ، وبل بكسر الباء مباح ، وقيل شفاء . قال ابن إسحق: ففاقت زمزم على آبار كانت قبلها وانصرف الناس اليها لمكانها من المسجد الحرام وفضلها على ما سواها ، ولأنها بئر إسمٰعيل وافتخر بها بنو عبد مناف على قريش كلها وعلى سائر العرب ، فكان منها شرب الحاج وكان لعبد المطلب إبل كثيرة يجمعها في الموسم ويسقي لبنها بالعسل في حوض من أدم عند زمزم ، ويشتري الزبيب فينبذه بماء زمزم ، ويسقيه الحاج ليكسر غلظها وكانت إذ ذاك غليظة . فلما توفي قام بالسقاية أبو طالب ثم العباس ، وكان له كرم بالطائف فكان

يحمل زبيبه إليها ويسقيه الحاج أيام الموسم ، فلما دخل ﷺ مكة عام الفتح قبض السقاية منه ، ثم ردها إليه . ولما تكامل بنو عبد المطلب عشرة بعد حفر زمزم بثلاثين سنة وهم الحرث والزبير وحجل وضرار والمقوّم وأبو لهب والعباس وحمزة وأبو طالب وعبد الله ، وأقرّ الله عينه بهم نام ليلة عند الكعبة المطهرة فرأى في المنام قائلاً يقول : يا عبد المطلب أوف بنذرك لرب هذا البيت ، فاستيقظ فزعاً مرعوباً وأمر بذبح كبش وأطعمه للفقراء والمساكين ، ثم نام فرأى أن قرب ما هو أكبر من ذلك ، فاستيقظ من نومه وقرب ثوراً ثم نام فرأى ان قرب ما هو أكبر من ذلك ، فانتبه وقرب جملاً وأطعمه للمساكين ثم نام فنودي أن قرب ما هو أكبر من ذلك فقال : وما هو أكبر من ذلك ، قال ؟ قرب أحد أولادك الذي نذرته فاغتم غماً شديداً وجمع أولاده وأخبرهم بنذره ، ودعاهم إلى الوفاء بالنذر ، فقالوا : إنا نطيعك فمن تذبح منا ؟ قال : ليأخذ كل واحد منكم قدحاً والقدح بكسر القاف والسهم قبل أن يراش ويوضع فيه النصل ، ثم ليكتب فيه اسمه ثم ائتوا به ففعلوا وأخذوا قداحهم ودخلوا على هبل وهو اسم لصنم عظيم كان في جوف الكعبة وكانوا يعظمونه ويضربون بالقداح عنده ، وكان له قيم يدفعون القداح له فيضربها ، فدفع عبد المطلب الى القيم تلك القداح وقام يدعو الله تعالى ويقول : اللهم إني نذرت أن نحر أحدهم وإني أقرع بينهم فأصب بذلك من شئت ، ثم ضرب السادن القدح فخرج على عبد الله وكان أحبهم إليه فقبض عبد المطلب على يد ولده عبد الله وأخذ الشفرة ثم أقبل إلى أساف ونائلة صنمين عند الكعبة ـ تذبح وتنحر عندهما النسائك وأصلهما رجل وامرأة الرجل من جرهم يقال له : أساف بن يعلى والمرأة نائلة بنت زيد من جرهم أيضاً وكان أساف يتعشقها في أرض اليمن ، فحجا فدخلا الكعبة فوجدا غفلة من الناس وخلوة من البيت ففجر بها فيه فمسخا فأصبحوا فوجدوهما ممسوخين فوضعوهما موضعهما ليتعظ بهما الناس ، فلما طال مكثهما وعبدت الأصنام عبداً معها فلما جاء عبد المطلب بابنه ليذبحه قام إليه سادات قريش : فقالوا ما تريد أن تصنع والله لا ندعك تذبحه حتى نعذر فيه ولئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه فيذبحه فما بقاء الناس على هذا ؟ وقال المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان عبد الله ابن أخت القوم : والله لا نذبحه أبداً حتى نعذر فيه فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه وقالوا له : انطلق الى فلانة الكاهنة ، فلعلها أن تأمرك بأمر فيه فرج لك ، فانطلقوا حتى أتوها بخيبر فقص عليها عبد المطلب القصة فقالت لهم : ارجعوا عني حتى يأتيني تابعي فأسأله ، فرجعوا من عندها فلما خرجوا عنها قام عبد المطلب يدعو الله تعالى ثم غدوا عليها فقالت لهم : قد جاءني الخبر كم دية الرجل عندكم ؟ قالوا : عشرة من

الإبل فقالت : ارجعوا إلى بلادكم ثم قربوا صاحبكم أي احضروه إلى موضع ضرب القداح ثم قربوا عشرة من الإبل ، ثم اضربوا عليها وعليه القداح فإن خرجت القداح على صاحبكم فزيدوا في الإبل عشرة ثم اضربوا ايضاً وهكذا حتى يرضى ربكم . فخرج القوم عنها ورجعوا الى مكة وقرّبوا عبد الله وعشرة من الإبل وقام عبد المطلب يدعو ، فخرجت القداح على ولده عبد الله فلم يزل يزيد عشراً عشراً وهي تخرج على عبد الله حتى بلغت الإبل مائة ، فخرجت القداح على الإبل فقالت قريش ومن حضر : قد انتهى رضا ربك يا عبد المطلب فزعموا أنه قال لا والله حتى اضرب عليها الاقداح ثلاث مرات ، فضربوا على عبد الله وعلى الإبل ، فقام عبد المطلب يدعو فخرجت على الإبل ثم عادوا الثانية وهو قائم يدعو فضربوا ، فخرجت على الإبل ثم الثالثة وهو قائم فخرجت على الإبل فنحرت وتركت لا يصدّ عنها انسان ولا طائر ولا سبع ، ولهذا روي أنه ﷺ قال أنا ابن الذبيحين ، وروى الحاكم في المستدرك عن معاوية بن ابي سفيان ـ رضي الله عنهما ـ قال : كنا عند رسول الله ﷺ فأتاه أعرابي فقال : يا رسول الله خلفت البلاد يابسة والماء يابساً وخلفت المال عابساً هلك المال وضاع العيال فعد علي مما أفاء الله عليه يا ابن الذبيحين . قال معاوية ـ رضي الله عنه ـ فتبسم رسول الله ﷺ ولم ينكر عليه ويعني بالذبيحين : عبد الله وإسمعيل ابن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام .|وفي هذا الحديث دلالة على أن الذبيح هو اسمٰعيل لا إسحق وفي ذلك خلاف مشهور ومما يدل على أن الذبيح اسمعيل عليه السلام أن الذبح كان بمكة ولذلك جعلت القرابين يوم النحر بها ، كما جعل السعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار تذكيراً لشأن إسمعيل وأمه ومعلوم أنهما هما اللذان كانا بمكة دون اسحق وأمه ، ولو كان الذبح بالشأم كما يزعم أهل الكتاب ومن تلقى عنهم لكانت القرابين والنحر بالشأم لا بمكة ، وأيضاً مما يدل على أنه إسمعيل عليه السلام ظاهر القرآن الكريم فان الله سمى الذبيح حليماً في قوله تعالى : ﴿ فبشرناه بغلام حليم ﴾ لانه لا أحلم ممن سلم نفسه للذبح طاعة لربه مع كونه مراهقاً ابن ثمان سنين أو ثلاث عشرة سنة ، ولما ذكر إسحق عليه السلام سماه عليماً في قوله : ﴿ إنا نبشرك بغلام عليم وبشروه بغلام عليم ﴾ وأيضاً فان الله بعد أن قصّ في كتابه قصة الذبح قال : ﴿ وبشرناه بإسحق نبياً من الصالحين ﴾ فهذا يدل على ما تقدم قصة الذبح فتكون مع إسمعيل وايضاً فإن الله تعالى أجرى العادة البشرية أن أكبر الأولاد أحب إلى الوالدين ممن بعده وإبراهيم عليه السلام لما سأل الله الولد ووهبه له تعلقت شعبة من قلبه بمحبته فأمر بذبح المحبوب فلما أقدم على ذبحه وكانت محبة الله عنده اعظم من محبة الولد خلصت الخلة حينئذ من شوائب المشاركة ، فلم يبق في

الذبح مصلحة إذ كانت المصلحة إنما هي العزم وتوطين النفس ، وقد حصل المقصود فنسخ الأمر وفدي الذبيح وصدق الخليل الرؤيا ـ عليهما الصلاة والسلام ـ ولبعضهم :

ان الذبيح فديت اسمعيل   نطق الكتاب بذاك والتنزيل
شرف به خص الإله نبينا   وأبانه التفسير والتأويل

وروى فيما ذكره المعافي بن زكريا أن عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ سأل رجلاً أسلم من علماء اليهود أي ابني ابراهيم أمر بذبحه ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين إن اليهود ليعلمون أنه اسمعيل ولكنهم يحسدونكم معشر العرب أن يكون الذبيح أباكم فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه اسحق .

واعلم أن بعض العلماء ذكر أن أعمام النبي ﷺ اثنا عشر فزادوا على العشرة السابقين الغيداق وقثم وعبد الكعبة فيكون أولاد عبد المطلب ثلاثة عشر وان حمزة والعباس تأخرت ولادتهما عن قصة الذبح ، فيكون الموجود وقت الذبح عشرة غير عبد الله والد النبي ﷺ ، وقيل : الغيداق هو حجل وعبد الكعبة هو المقوم وقثم لا وجود له ، فالأعمام تسعة فقط وعبد الله تمام العشرة ولما انصرف عبد الله مع أبيه من نحر الإبل مر على امرأة من بني أسد ابن عبد العزى ، وهي عند الكعبة فقالت له حين نظرت الى وجهه وفيه نور المصطفى ﷺ وكان عبد الله أحسن رجل رؤي في قريش : لك مثل الإبل التي نحرت عنك وقع عليّ الآن فقال لها :

أما الحرام فالممات دونه   والحل لا حل فأستبينه
يحمي الكريم عرضه ودينه   فكيف بالأمر الذي تبغينه

وفي السيرة الحلبية من شعر عبد الله والد النبي ﷺ :

لقد حكم البادون في كل بلدة   بأن لنا فضلاً على سادة الأرض
وإن أبي ذو المجد السؤدد الذي   نشأ بها ما بين نشز إلى خفض

أي ارتفاع وانخفاض .

وروى أبو نعيم عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ لما خرج عبد المطلب بعد نحر الإبل بابنه عبد الله ليزوّجه مر به على كاهنة من تبالة قد قرأت الكتب يقال لها فاطمة بنت مر الخثعمية ، وكانت من أجمل النساء وأعفهن فرأت نور النبوّة في وجه عبد الله فعرضت نفسها عليه فلما أبى قالت :

إنـي رأيت مخيلـة نشأت فتـلألأت بحاتـم القطر
فسما لهـا نور يضيء به ما حولـه كإضـاءة الفجر
ورأيت سقياهـا حيا بلد وقعـت به وعمارة القفر
ورأيت شرفـاً ينـوء به ما كل قادح زنـده يوري
لله ما زهـرية سلبت منـك الـذي سلبـت ومـا تدري

وقد روي عن العباس ـ رضي الله عنه ـ أنه لما بنى عبد الله بآمنة ـ رضي الله عنها ـ أحصوا مائتي امرأة من بني مخزوم وبني عبد مناف متن ولم يتزوّجن اسفاً على ما فاتهن من عبد الله وأنه لم تبق امرأة في قريش إلا مرضت ليلة دخل عبد الله بآمنة .

ومن الإرهاصات التي وقعت قبل وجود النبي ﷺ قصة أصحاب الفيل وما حصل لهم من العذاب الوبيل ببركة دعاء عبد المطلب وتأليفاً لقريش وتمهيداً لمولد النبي ﷺ وبعثته وأمر أبرهة ، سائس الفيل أن يحضر فيله الأعظم بين يديه ليرهب عبد المطلب لما حضر لطلب إطلاق إبله التي أخذها جنود أبرهة ، فلما نظر الفيل إلى عبد المطلب برك كما يبرك البعير وخرَّ ساجداً ، وكان أبرهة قبل ذلك أرسل رجلاً من قومه إلى أهـل مكة ليدخـل الرعب في قلوبهم ، فلما دخل مكة ورأى عبد المطلب خضع وتلجلج لسانه ، وخرَّ مغشياً عليه فكان يخور كما يخور الثور عند ذبحه ، فلما أفاق خرَّ ساجداً لعبد المطلب ، وقال : أشهد أنك سيد قريش حقاً . وكان هذا الرسول قد قال له أبرهة ، اسأل عن سيد أهل البلد وشريفهم ، ثم قل له : إن الملك يقول لم آت لحربكم إنما جئت لهدم هذا البيت فان لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لي بدمائكم فان هو لم يرد حرباً فأتني به ، فدخل فسأل عن سيد أهل البلد وشريفهم فقالوا له : عبد المطلب فقال ما أمره به أبرهة بعد أن أفـاق من غشيته؟ فقال عبد المطلب : والله ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة هذا بيت الله الحرام ، وبيت خليله إبراهيم فان يمنعه فهو بيته وحرمه ، وإن يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع

عنه . ثم ذهب معه إلى أبرهة واستأذن له وقال : أيها الملك ، هذا سيد قريش يستأذن عليك وهو صاحب عزة مكة ويطعم الناس في السهل والجبال ، فأذن له أبرهة وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجملهم وأعظمهم فعظم في عين أبرهة فأجله وأكرمه ، وكره أن يجلس تحته وأن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه فنزل عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه إلى جنبه ثم قال لترجمانه : قل له ما حاجتك؟ فقال له : حاجتي أن يرد الملك عليّ مائتي بعير أصابها .فقال لترجمانه : قل له: كنت أعجبتني حين رأيتك ثم قد زهدت فيك أتكلمني في مائتي بعير وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه ، فقال عبد المطلب : إني أنا ربّ الإبل وأن للبيت رباً سيمنعه. قال : ما كان يمتنع مني ؟ قال : أنت وذاك فردّ عليه إبله فقلدها وأشرعها وجللها وجعلها هدياً للبيت وبثها في الحرم ، وانصرف إلى قريش وأخبرهم بالخبر ، ثم جاء بهم الى البيت ودعا الله تعالى ثم أمرهم بالخروج من مكة والتحرز في رؤوس الجبال والشعب تخوّفاً عليهم من معرة الحبشة ، ثم أقبل الحبشة يريدون دخول الحرم فأرسل الله عليهم طير الأبابيل وأهلكهم ، كما قص ذلك في كتابه سبحانه وتعالى فكانت تلك القصة إرهاصاً له ﷺ والصحيح أن قصة الفيل كانت قبل ميلاده ﷺ ، وكانت في عام الولادة على الصحيح أيضاً وجاء في بعض الروايات أن نور النبي ﷺ استدار في وجه عبد المطلب لما أقبل على أبرهة ، مع ان النور كان قد انتقل الى ابنه عبد الله ، بل الى آمنة أم النبي ﷺ لأنها ذلك الوقت كانت حاملاً به على الصحيح .

وأجاب المحققون عن ذلك بأن النور وإن كان قد انتقل عن عبد المطلب في ذلك الوقت إلا أنه كان يستدير في وجهه مثل انتقاله ، ويكون ذلك عند الاحتياج اليه كما في هذه القصة ، وذلك من جملة الإرهاصات أيضاً .

ومن ذلك رؤيا جده عبد المطلب، روى أبو نعيم من طريق أبي بكر بن عبد الله بن أبي الخيثم عن أبيه عن جده قال : سمعت أبا طالب يحدث عن عبد المطلب . قال : بينما أنا نائم في الحجر إذ رأيت رؤيا هالتني ففزعت منها فزعاً شديداً . فأتيت كاهنة قريش فقلت لها : إني رأيت الليلة كأن شجرة نبتت من ظهري وقد نال رأسها السماء وضربت بأغصانها المشرق والمغرب وما رأيت نوراً أزهر منها أعظم من نور الشمس سبعين ضعفاً ، ورأيت العرب والعجم لها ساجدين وهي تزداد كل ساعة عظماً ونوراً وارتفاعاً ساعة تخفى ، وساعة تظهر ورأيت رهطاً من قريش قد تعلقوا بأغصانها وقوماً من قريش يريدون قطعها ، فإذا دنوا منها أخذهم شاب لم أر قط أحسن منه وجهاً ولا أطيب ريحاً فيكسر أظهرهم

ويقلع أعينهم ، فرفعت يدي لأتناول منها نصيباً فلم أنل فقلت : لمن النصيب ؟ فقال : النصيب لهؤلاء الذين تعلقوا بها وسبقوك فانتبهت مذعوراً فرأيت وجه الكاهنة قد تغير ، ثم قالت : لئن صدقت رؤياك ليخرجنّ من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب وتـدين له الناس ، فقال عبد المطلب لأبي طالب : لعلك أن تكون هو المولود فكان أبو طالب يحدث بهذا الحديث والنبي ﷺ قد خرج أي بُعث ويقول : كانت الشجرة والله أبا القاسم الأمين فيقال له : ألا تؤمن به ؟ فيقول : السبة والعار أي أخشى أو يمنعني .

وروى أبو علي القيرواني في كتاب البستان : أن عبد المطلب رأى في منامه كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في الأرض وطرف في المشرق وطرف في المغرب ، ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور وإذا أهل المشرق والمغرب كأنهم يتعلقون بها ، فقصها فعبرت بمولود يكون من صلبه ويتبعه أهل المشرق والمغرب ويحمده أهل السماء والأرض وقد صح في أحاديث كثيرة أنه ﷺ قال : لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات .وفي رواية: لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الحسيبة إلى الأرحام الطاهرة ، وعلى هذا حمل بعضهم قوله تعالى : ﴿ الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين ﴾ وروى البخاري : بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى كنت في القرن الذي كنت فيه .

وفي السيرة الحلبية قال الحافظ السيوطي : الذي تلخص أن أجداده ﷺ من آدم الى مرة بن كعب مصرح بإيمانهم أي في الأحاديث وأقوال السلف ، وبقي بين مرة وعبد المطلب أربعة لا أجداد لم أظفر فيهم بنقل ، وقد ذكر في عبد المطلب ثلاثة أقوال الأشبه انه لم تبلغه الدعوة لأنه مات وسن النبي ﷺ ثمان سنين ، وقيل : إنه كان على ملة إبراهيم -عليه السلام- أي لم يعبد الأصنام وقيل : إن الله أحياه له بعد البعثة حتى آمن به ثم مات .

قال بعضهم : وقوله ﷺ من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات دليل على أن آباء النبي ﷺ وأمهاته إلى آدم وحوّاء ليس فيهم كافر ، لأن الكافر لا يوصف بأنه طاهر وقد أشار إلى ذلك صاحب الهمزية حيث قال :

لم تزل في ضمائر الكون تختا ر لك الامهات والآباء

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ : ما ولدني بغي قط منذ

خرجت من صلب آدم ، ولم تزل تتنازعني الأمم كابراً عن كابر حتى خرجت من أفضل حيين من العرب : هاشم وزهرة. وفي رواية : خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي ، ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء ما ولدني إلا نكاح أهل الإسلام،ولما أراد الله انتقال النور من جده عبد المطلب تزوج فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمرو بن مخزوم ، فولدت له أبا طالب وعبد الله والد النبي ﷺ ، فانتقل النور إلى عبد الله وكان قد تزوج قبلها بزوجات قيل أوّل زوجة تزوّجها قبله بنت جندب . ويقال صفية بنت جندب وهي أم ولده الحرث وأن سبب تزوّجه أنه بعد أن بلغ الحلم نام يوماً في الحجر فانتبه مكحولاً مدهوناً وقد كُسِيَ حلة البهاء والجمال ، فبقي متحيراً لا يدري من فعل ذلك به ، فأخذ بيده عمه المطلب ثم انطلق به إلى كهنة قريش فأخبرهم بذلك فقالوا : إنّ إله السماء قد أذن لهذا الغلام ان يتزوّج فزوّجه قيلة بنت جندب ، فولدت له الحرث ثم لما تزوّج فاطمة بنت عمرو المخزومية وولدت له عبد الله انتقل النور إليه وكان أي عبد الله أحسن رجل في قريش خَلْقاً وخُلُقاً . وفي رواية : كان أكمل بني أبيه وأحسنهم وأعفهم وأحبهم الى قريش ، وكان نور النبي ﷺ بيناً في وجهه .وفي رواية: يرى في وجهه كالكوكب الدري ،وفي شرح المواهب كان يتلألأ نوراً في قريش ، وكان أجملهم فشغفت به نساء قريش وكدن أن تذهل عقولهن .

قال أهل السير : فلقي عبد الله في زمنه من النساء من العناء مثل ما لقي يوسف في زمنه من امرأة العزيز ، وقد هدى الله والده فسماه بأحب الأسماء إلى الله ، ففي الحديث أحب الأسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن وهو الذبيح - كما تقدم - وكان ذا عفة وكرم وسماحة ، ولما بلغ من العمر ثمان عشرة سنة خرج مع أبيه ليزوّجه آمنة بنت وهب ، فمر على جملة من النساء فصارت كل واحدة تعرض نفسها عليه وهو يأبى لديانته وعفته فأتى عبد المطلب عم آمنة وهو وهب بن عبد مناف بن زهرة ابن قصي وقيل إن وهباً المذكور أبوها لا عمها فزوّج آمنة لعبد الله وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعاً ، فدخل بها عبد الله حين أملك عليها فحملت برسول الله ﷺ ، وانتقل ذلك النور اليها . وعن قتادة ان رسول الله ﷺ أجرى فرسه مع أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - فسبقته فرس المصطفى ﷺ فقال ﷺ : أنا ابن العواتك إنه لهو الجواد البحر يعني فرسه . وقال في بعض غزواته : أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب .

أنا ابن العواتك وجاءنا ابن العواتك من سليم ، والعاتكة في الأصل المتلطخة

بالطيب أو الطاهرة عن بعض الطالبيين : أنّ رسول الله ﷺ قال في يوم أحد: أنا ابن الغواطم ، واختلف الناس في عدد العواتك من جداته ﷺ فمن مكثر ومن مقل .

ـ نقل الحافظ ابن عساكر أن العواتك من جداته ﷺ أربع عشرة وقيل إحدى عشرة وأوّلهن أم لؤي بن غالب ، واللواتي من سليم منهن عاتكة بنت هلال أم عبد مناف ، وعاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال أم هاشم ، وعاتكة بنت مرة بن هلال أم أبي أمه ﷺ وهب . وقيل : أراد بالعواتك من سليم ثلاثة من بني سليم أبكاراً أرضعنه كل واحدة منهن تسمى عاتكة .

وأما الفواطم من جداته فقيل عشر وقيل خمس وقيل ست وقيل ثمان منهن فاطمة أم عبد الله ، وفاطمة أم قصي وقيل لم يرد خصوص الأمهات التي في عمود نسبه بل أراد الأعم حتى يشمل فاطمة أم أسد بن هاشم وفاطمة بنت أسد التي هي أم علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وفاطمة أمها وهؤلاء الفواطم غير الثلاث الفواطم اللاتي قال ﷺ فيهن لعلي وقد دفع اليه ثوباً حريراً اقسم هذا بين الفواطم الثلاث فان هؤلاء فاطمة بنت رسول الله ﷺ وفاطمة بنت حمزة وفاطمة بنت أسد ، ومن جدّاته الفواطم أم عمرو بن عائذ وفاطمة بنت عبد الله بن رزام وأمها فاطمة بنت الحرث ، وفاطمة بنت نصر بن عوف أم أم عبد مناف والله اعلم .

والسبب الذي دعا عبد المطلب لاختيار بني زهرة أنه قدم اليمن مرة فنزل على حبر من اليهود فقال : ممن الرجل ؟ فقال من بني هاشم قال : أتأذن لي أن أنظر بعضك ؟ قلت : نعم ؟ ما لم يكن عورة ففتح إحدى منخري فنظر فيها ثم نظر في الأخرى فقال : اشهد ان في احدى يديك ملكاً وفي الأخرى نبوّة ، وإنما نجد ذلك أي كلاً من الملك والنبوّة في بني زهرة فكيف ذلك ؟ قلت : لا أدري قال : هل لك من شاعة أي زوجة من بني زهرة ؟ قلت : اما اليوم فلا ، فقال : إذا تزوّجت فتزوّج منهم . فتزوّج عبد المطلب هالة بنت وهيب بن عبد مناف أم حمزة وصفية قيل وأم العباس ايضاً وقيل : غير ذلك . وزوج ابنه عبد الله آمنة بنت وهب رجاء لما اخبره به الحبر . وقيل : الذي دعا عبد المطلب لاختيار آمنة من بني زهرة لولده عبد الله أن سودة بنت زهرة الكاهنة عمة وهب والد آمنة أمه ﷺ كان من أمرها أنها لما ولدت رآها أبوها سوداء وكانوا يئدون من البنات من كانت على هذه الصفة اي يدفنونها حية ، ويمسكون من لم تكن على هذه الصفة . فأمر أبوها بوأدها

وأرسلها إلى الحجون لتدفن هناك ، فلما حفر لها الحافر وأراد دفنها سمع هاتفاً يقول لا تَئِدْ الصبية وخلها البرية . فالتفت فلم ير شيئاً فعاد لدفنها ، فسمع الهاتف يسجع بسجع آخر في ذلك المعنى فرجع إلى أبيها وأخبره بما سمع فقال : إن لها لشأنا وتركها فكانت كاهنة قريش فقالت يوماً لبني زهرة : فيكم نذيرة او تلـد نذيراً له شأن وبرهـان ، وقيل : إن الكاهن الذي في اليمن قال له : ارى نبوّة وملكاً وأراهما في المنافين عبد مناف بن قصي وعبد مناف بن زهرة ولما حملت به امه ﷺ ظهر لها كثير من خوارق العادات إرهاصاً لنبوّته ﷺ .

منها انها لم تشك لحمله ثقلاً وأتاها آتٍ في المنام فقال لها : إنك حملت بسيد هذه الأمة ونبيها ، وتوفي ابوه وامه حامل به وكانت وفاته بالمدينة وكان قد رجع ضعيفاً مع قريش لما رجعوا من تجارتهم ، ومروا بالمدينة فتخلف عند بني عدي بن النجار وهم أخوال ابيه عبد المطلب ، لأن أمه منهم . فأقام عندهم مريضاً شهراً ، فلما قدم اصحابه مكة سألهم عبد المطلب عنه فقالوا : خلفناه مريضاً عند اخواله فبعث عبد المطلب اليه أخاه الحرث وقيل الزبير فوجده قد توفي بالمدينة ودفن بها فقالت آمنة زوجته ترثيه :

عفـا جانـب البطحـاء من آل هاشم	وجـاور لحـداً خارجـاً في الغمائم
دعتـه المنـايا دعـوة فأجابها	وما تركت في الناس مثل ابن هاشم
عشية راحـوا يحملـون سريره	تعـاوره أصحابـه في التزاحم
فإن تك غالتـه المنـون وريبها	فقـد كان معطـاء كثـير التراحم

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : لما توفي عبد الله قالت الملائكة : يا إلهنا وسيدنا بقي نبيك يتيماً لا أب له . فقال الله تعالى لهم : أنا له حافظ ونصير . وفي رواية : أنا وليه وحافظه وحاميه وربه وعونه ورازقه وكافيه فصلوا عليه وتبركوا باسمه . وقيل لجعفر الصادق ـ رضي الله عنه ـ لم يتم النبي ﷺ أي ما حكمة ذلك ؟ قال : لئلا يكون عليه حق لمخلوق . والمراد الحقوق الثابتة بعد البلوغ لأن أمه ماتت وعمره ست سنين ، وليعلم أنّ العزيز من أعزه الله وإن قوته ليست من الآباء والامهات ولا من المال ، بل قوته من الله تعالى وايضاً ليرحم الفقير واليتيم .

ولما دنت ولادتها أتاها آتٍ في المنام فقال لها : قولي إذا ولدتيه أعيذه بالواحدة من شرّ

كل حاسد ثم سميه محمداً . وفي السيرة الحلبية عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : كان من دلالة حمل آمنة برسول الله ﷺ أن كل دابة لقريش نطقت تلك الليلة التي حمل فيها وقالت : حمل برسول الله ﷺ وربّ الكعبة ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوساً ومثل هذا لا يقال من قبل الرأي ا هـ .

ومن علامات حمل آمنة به ﷺ انتقال النور الذي كان في عبد الله اليها .

وعن كعب الأحبار أن في صبيحة تلك الليلة اصبحت أصنام الدنيا منكوسة ، ووقع ذلك أيضاً عند ولادته ﷺ .

وروى الحاكم باسناد صحيح : أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا له : يا رسول الله أخبرنا عن نفسك فقال : أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى أخي عيسى ، ورأت أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نوراً أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام ، وصح أيضاً أنها رأت ذلك عند الولادة . قيل ان الذي عند الحمل كان مناماً والذي عند الولادة كان يقظة . وكانت تلك السنة التي حمل فيها برسول الله ﷺ سنة الفتح والابتهاج فان قريشاً كانت قبل ذلك في جدب وضيق عيش عظيم ، فاخضرّت الأرض وحملت الأشجار وأتاهم الرعد والمطر من كل جانب في تلك السنة وأذن الله تلك السنة لنساء الدنيا أن يحملن ذكوراً كرامة لرسول الله ﷺ .

وولد ﷺ مختوناً أي على صورة المختون مكحولاً نظيفاً ما به قذر .

ولبعضهم :

وفي الرسول مختون لعمرك خلقة ثمان وتسع طيبون أكارم
وهم زكريا شيث ادريس يوسف وحنظلة عيسى وموسى وآدم
ونوح شعيب سام لوط وصالح سليمان يحيى هوديس خاتم

وقيل ختنه جدّه وقد يجمع بأنه تمم خناتة جرياً على المعتاد .

ولما ولد رسول الله ﷺ وقع على الأرض مقبوضة أصابع يده يشير بالسبابة كالمسبح بها . وفي رواية عن امّه أنها قالت : فلما خرج من بطني نظرت اليه فإذا هو ساجد قد رفع

اصبعيه كالمتضرع المبتهل . وفي رواية : شاخصاً ببصره الى السماء . وفي رواية : أنه قبض قبضة من تراب فبلغ ذلك رجلاً من بني لهب فقال لصاحبه : لئن صدق هذا الغلام ليغلبنّ هذا المولود أهل الأرض اي لأنه قبض عليها وصارت في يده .

وروى ابن سعد أن رسول الله ﷺ قال : رأت أمي حين وضعتني أنه سطع منها نور أضاء له قصور بصرى . وفي رواية أنها قالت : ولما وضعته خرج معه نوراً اضاء له ما بين المشرق والمغرب فأضاءت له قصور الشام وأسواقها حتى رأيت اعناق الإبل ببصرى ، ولذلك قال عمه العباس ـ رضي الله عنه ـ في قصيدة مدحه بها لما رجع من تبوك :

وأنت لما ولدت وأشرقت الـ أرض وضاءت بنورة الافق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نستبق

وقال البوصيري في الهمزية :

وتراءت قصور قيصر بالرو م يراها من دار البطحاء

قال في المواهب : وخروج هذا النور عند وضعه إشارة الى ما يجيء به من النور الذي اهتدى به أهل الأرض وزالت به ظلمة الشرك : كما قال تعالى : ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم ﴾ .

روى السهلي : أنه ﷺ لما ولد تكلم فقال : جلال ربي الرفيع ، وروى أيضاً انه قال الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً . وعن عثمان بن أبي العاص عن أمه ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت : شهدت ولادة النبي ﷺ ليلاً قالت : فلم أنظر من البيت إلا نوراً وإني لأنظر الى النجوم تدنو حتى إني لأقول ليقعن عليّ وقولها : ليلاً أي قرب الفجر جمعاً بين الروايات .

قال بعض المفسرين : إن الله أقسم بالليلة التي ولد فيها في قوله تعالى : ﴿ والضحى والليل ﴾ . وقيل المراد ليلة الإسراء ، وعن الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله عنها ـ قالت : لما ولد رسول الله ﷺ وقع على يدي فسمعت قائلاً يقول: رحمك الله وإلى ذلك يشير قول البوصيري في الهمزة :

شمتتـــه الامـــلاك إذ وضعته وشفتنـــا بقولهـــا الشفاء

قال بعضهم : لعله عطس فحمد الله فشمتته الملائكة ، ويدل لهذا الحديث الذي فيه أنه قال حين خروجه الحمد لله كثيراً ، وعن آمنة أم النبـي ﷺ - ورضي عنهـا - أنهـا قالت : لما أخذني ما يأخذ النساء أي عند الولادة رأيت نِسْوة كالنحل طولاً كأنهن من بنات عبد مناف ويحدقن بي ما رأيت اضوأ منهن وجوهاً ، وكأن واحدة من النساء تقدمت إليّ فاستندت إليها ، وأخذني المخاض واشتد عليّ الطلق ، وكأن واحدة منهن تقدمـت إليّ وناولتني شربة من الماء أشد بياضاً من اللبن ، وأبـرد مَن الثلـج ، وأحلى من الشهـد ، فقالت : اشربي فشربت ثم قالت الثانية : ازدادي فازددت ثم مسحت بيدها على بطني وقالت : بسم الله أخرج بإذن الله ، فقلن لي أي تلك النسوة نحن آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وهؤلاء من الحور العين . قال بعضهم : لعل ذلك كان قبل وجود الشفاء وأم عثمان عندها ، ولعل الحكمة في شهود مريم وآسية كونهما تصيران زوجتين له ﷺ في الجنة مع كلثم أخت موسى - عليه السلام - وقد حمى الله هؤلاء النسوة أن يطأهنّ أحد . فقد روي أن آسية لما زفت إلى فرعون أخذه الله عنها وكان هذا حاله معها ، وقد رضي عنها بالنظر إليها .

قالت أمه ﷺ ورأيت ثلاثـة أعـلام مضروبـات علماً بالمشرق وعلماً بالمغـرب وعلماً على ظهر الكعبة ، ولما ولد ﷺ وضعت عليه جفنة فانفلقت عنه فلقتين لأن عادتهم إذا ولد لهم مولود في الليل وضعوه تحت الإناء لا ينظرون إليه حتى يصبحوا ، فلما ولد ﷺ وضعوه في رواية تحت برمة ضخمة ، فلما أصبحوا أتوا البرمة فاذا هي قد انفلقت اثنتين وعيناه الى السماء وهو يمص إبهامه يشخب اي يسيل لبناً .

ولما ولد ﷺ ارسلت الى جده وكان يطوف بالبيت تلك الليلة فجاء اليها فقالت له : يا أبا الحرث ولد لك مولود له أمر عجيب فذعـر عبـد المطلـب وقـال : ليس بشرا سوياً : فقالت : بلى ولكن سقط ساجداً ثم رفع رأسه واصبعه الى السماء فأخرجت له ونظر اليه وأخذوه ودخل به الكعبة ، ودعا الله تعالى ثم خرج فدفعه اليها . وعن عكرمة أن إبليس لما ولد رسول الله ﷺ ورأى تساقط النجوم قال لجنوده : قد ولد الليلة ولد يفسد أمرنا فقال له جنوده : لو ذهبت فخبلته فلما دنا من رسول الله ﷺ بعث الله جبريل فركضه برجله ركضة

وقع بعدن . وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الشياطين كانوا لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون باخبارها مما سيقع في الأرض فيلقونها على الكهنة فلما ولد عيسى عليه السلام حجبوا عن ثلاث سموات ، وعن وهب عن اربع سموات ، ولما ولد رسول الله ﷺ حجبوا عن الكل وحرست السماء بالشهب فما يريد أحد منهم استراق السمع إلاّ رمي بِشهاب وازداد ذلك عند المبعث .

وقد أخبرت الاحبار والرهبان بليلة ولادته ﷺ ، فعن حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ قال : إني لغلام يفعة اي غلام مرتفع ابن سبع او ثمان أعقل ما رأيت وسمعت اذا يهودي بيثرب يصرخ ذات غداة على أطمة ـ أي محل مرتفع ـ يا معشر يهود فاجتمعوا إليه وأنا أسمع وقالوا : ويلك مالك قال طلع نجم احمد الذي ولد به في هذه الليلة أي الذي طلوعه علامة على ولادته ﷺ في تلك الليلة في بعض الكتب القديمة .

وعن كعب الاحبار قال : رأيت في التوراة ان الله تعالى أخبر موسى عن وقت خروج محمد ﷺ أي من بطن أمه وموسى أخبر قومه أنّ الكوكب المعروف عندكم اسمه كذا إذا تحرّك وسار عن موضعه فهو وقت خروج محمد ﷺ وصار ذلك مما يتوارثه العلماء من بني اسرائيل . وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ ترويه عمن كان موجوداً وقت ولادته ﷺ قالت : كان يهودي يسكن مكة فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ قال في مجلس من مجالس قريش : هل ولد فيكم الليلة مولود ؟ فقال القوم : والله ما نعلمه فقال : احفظوا ما أقول لكم ، ولد هذه الليلة نبي هذه الأمة الأخيرة وهو منكم معاشر قريش على كتفه شامة فيها شعرات متواترات ، أي متتابعات ، كأنهن عرف فرس أي وتلك العلامة هي خاتم النبوّة أي علامتها ، والدليل عليها لا يرضع لليلتين وذلك في الكتب القديمة من دلائل نبوّته وعند قول اليهودي ما ذكر تفرق القوم من مجالسهم وهم متعجبون من قوله . فلما صاروا إلى منازلهم أخبر كل انسان منهم أهله فقالوا : قد ولد الليلة لعبدالله بن عبد المطلب غلام سموه محمداً ، فالتقى القوم حتى جاؤوا لليهودي فاخبروه الخبر أي قالوا له أعلمت ولد فينا مولود؟ فقال :اذهبوا معي حتى أنظر اليه فخرجوا حتى ادخلوه على أمه ، فقالوا : أخرجي الينا ابنك فأخرجته وكشفوا عن ظهره ، فرأى تلك الشامة فخرّ مغشياً عليه ؛ فلما أفاق قالوا : ويلك ما لك ؟ قال: والله ذهبت النبوّة من بني إسرائيل أفرحتم به يا معشر قريش أما والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق الى المغرب .

وعن الواقدي أنه كان بمكة يهودي يقال له يوسف لما كان اليوم اي الوقت الذي ولد فيه رسول الله ﷺ قبل أن يعلم به أحد من قريش ، قال يا معشر قريش قد ولد نبي هذه الأمة هذه الليلة في بحرتكم أي ناحيتكم هذه ، وجعل يطوف في أنديتهم فلا يجد خبراً حتى انتهى إلى مجلس عبد المطلب ، فسأل فقيل له : قد ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام فقال هو نبي والتوارة ، وكان بمر الظهران راهب من أهل الشأم يدعى عميص وكان قد آتاه الله علماً كثيراً وكان يلزم صومعة له ويدخل مكة ، فيلقى الناس ويقول : يوشك أي يقرب أن يولد فيكم مولود ياأهل مكة تدين له العرب ، أي تذل وتخضع ويملك العجم ، أي ارضها وبلادها هذا زمانه ، فمن أدركه أي بعثته واتبعه أصاب حاجته أي ما يؤمله من الخير ومن أدركه وخالفه أخطأ حاجته ، فكان لا يولد مولود بمكة إلا ويسئل عنه فيقول : ما جاء بعد أي الآن فلما كان صبيحة اليوم ، اي الوقت الذي ولد فيه رسول الله ﷺ خرج عبد المطلب حتى أتى عميصاً فوقف على أصل صومعته فناداه فقال : من هذا ؟ فقال : أنا عبد المطلب فقال : كن أباه فقد ولد ذلك المولود الذي كنت أحدثكم به وانّ نجمه طلع البارحة وعلامة ذلك أيضاً أنه وجع فيشتكي أي لا يرضع ثلاثاً ، ثم يعافى فاحفظ لسانك لا تذكر ما قلته لك لأحد من قومك فانه لم يحسد أحد حسده ولم يبغ على أحد كما يبغى عليه ، فقال : فما عمره ؟ قال : إن طال عمره لم يبلغ السبعين يموت في وتر دونها وذلك جل أعمار أمته .

وتنكست الأصنام عند ولادته ﷺ وتقدم أنها تنكست أيضاً عند الحمل وعن عبد المطلب ، قال : كنت في الكعبة فرأيت الأصنام سقطت من أماكنها وخرت سجداً وسمعت من جدار الكعبة قائلاً يقول : ولد المصطفى المختار الذي تهلك بيده الكفار ، ويطهر من عبادة الأصنام ويأمر بعبادة الملك العلام .

وفي السيرة الحلبية : أن نفراً من قريش منهم ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل وعبيد الله بن جحش كانوا يجتمعون إلى صنم فدخلوا عليه ليلة مولد رسول الله ﷺ فرأوه منكساً على وجهه فأنكروا ذلك فأخذوه فردّوه إلى حاله فانقلب انقلاباً عنيفاً فردّوه فانقلب كذلك الثالثة فقالوا : إن هذا الأمر حدث ثم أنشد بعضهم أبياتاً يخاطب بها الصنم ويتعجب من امره ويسأله فيها عن سبب تنكسه ، فسمع هاتفاً من جوف الصنم بصوت جهري مرتفع يقول :

تردّى لمولود أنارت بنوره جميع فجاج الأرض بالشرق والغرب

قال في الهمزية :

وتوالت بشرى الهواتف أن قد ولد المصطفى وحق الهناء

وتزلزلت الكعبة واضطربت ليلة ولادته ﷺ ولم تسكن ثلاثة أيام ولياليهن ، وكان ذلك أوّل علامة رأت قريش من مولد النبي ﷺ وارتجس أي اضطرب وانشق إيوان كسرى أنو شروان ، وكان مبنياً بناء في غاية الإحكام بحيث لا تعمل فيه الفؤوس ، وسمع لشقه صوت هائل وسقط منه أربع عشرة شرافة ، وليس ذلك الخلل في بنائه وإنما أراد الله أن يكون ذلك آية لنبيه ﷺ باقية على وجه الأرض . يروى أن الرشيد أراد هدم الإيوان فقال له وزيره يحيى بن خالد البرمكي : يا أمير المؤمنين لا تهدم بناء هو آية الإسلام وخمدت نار فارس أي مع إيقاد خدامها لها أي وكتب صاحب فارس لكسرى أن بيوت النار خمدت تلك الليلة ، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام وغاضت أي غارت بحيرة ساوة بحيث صارت يابسة ، كأن لم يكن بها شيء من الماء مع شدة اتساعها أي وكتب لكسرى عامله بذلك أيضاً وإلى ذلك يشير البوصيري في الهمزية بقوله :

وتداعى إيوان كسرى ولولا آية منك ما تداعى البناء
وغدا كل بيت نار وفيه كربة من خمودها وبلاء
وعيون للفرس غارت فهل كان لنيرانهم بها اطفاء

ورأى الموبذان وهو القاضي الكبير ، وقيل خادم النيران الكبير ورئيس الأحكام في منامه إبلا صعاباً تقود خيلاً عراباً قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها ، وكان كسرى قد رأى ما هاله وأفزعه من ارتجاس الإيوان وسقوط الشرفات ، فلما أصبح تصبر ولم يظهر الانزعاج لهذا الأمر الذي رآه تشجعاً ثم رأى انه لا يدّخر هذا الأمر عن مرازبته اي فرسانه وشجعانه ، فجمعهم ولبس تاجه وجلس على سريره ثم بعث اليهم فلما اجتمعوا قال : تدرون فيم بعثت اليكم ؟ قالوا : لا ، إلا أن يخبرنا الملك ، فبينما هم كذلك إذ ورد عليه كتاب بخمود النيران وكتاب من صاحب ايليا يخبره أن بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة ، وورد عليه كتاب صاحب الشام يخبره ان وادي سماوة انقطع تلك الليلة وكتاب صاحب طبرية فازداد غماً إلى غمه ، ثم أخبرهم بما رأى وما هاله من ارتجاس الإيوان وسقوط

الشرفات ، فقال الموبذان : فأنا أصلح الله الملك رأيت في هذه الليلة رؤيا ، ثم قص عليه رؤياه في الليل ، فقال : أي شيء هذا يا موبذان ؟ قال : حدث يكون في ناحية العرب فابعث الى عاملك بالحيرة يوجه اليك رجلاً من علمائهم فانهم أصحاب علم بالحدثان . فكتب كسرى عند ذلك ، من كسرى ملك الملوك إلى النعمان بن المنذر ، أما بعد ، فوجه إليّ رجلاً عالماً بما أريد أن أسأله عنه فوجه اليه بعبد المسيح الغساني وهو معدود من المعمرين ، عاش مائة وخمسين سنة فلما ورد عليه قال : ألك علم بما أريد أن أسألك عنه ؟ قال : ليسألني الملك بما أحب فان كان عندي علم منه أعلمته وإلا أخبرته بمن يعلمه ، فأخبره بالذي وجه اليه فيه قال : علم ذلك عند خال لي يسكن مشارف الشام أي أعاليها وهي الجابية المدينة المعروفة يقال له سطيح قال : فأته فأسأله عما سألتك عنه ، ثم ائتني بتفسيره ، فخرج عبد المسيح حتى انتهى الى سطيح وقد أشفى على الضريح اي الموت وعمره إذ ذاك ثلثمائة سنة ، وقيل سبعمائة سنة ، وكان جسداً ملقى لا جوارح له ، وكان لا يقدر على الجلوس إلا إذا غضب فانه ينتفخ فيجلس ، وكان وجهه في صدره ولم يكن له رأس ولا عنق . وفي كلام غير واحد لم يكن له عظم سوى رأسه ، وفي لفظ : لم يكن له عظم ولا عصب إلا بالجمجمة والكفين ولم يتحرك منه إلا اللسان ، وكان لسطيح سرير إذا أريد نقله من مكان الى مكان يطوي من رجليه إلى ترقوته كما يطوى الثوب ويوضع على السرير فيذهب به إلى حيث يشاء وإذا أريد استخباره ليخبر عن المغيبات يحرك كما يحرك سقاء اللبن الذي يمخض ليخرج زبده ، فينتفخ ويمتلىء ويعلوه النفس فيخبر عما يسأل عنه وكانت جمجمته إذا لمست أثر اللمس فيها للينها ، فسلم عبد المسيح على سطيح وكلمه فلم يرد عليه سطيح جواباً ، فأنشأ يقول عبد المسيح الأبيات المشهورة التي أولها :

أصم أن يسمع غطريف اليمن

فلما سمع سطيح شعر عبد المسيح رفع رأسه وقال : عبد المسيح على جمل مشيح اي سريع جاء الى سطيح وقد وافى الضريح بعثك ملك ساسان لارتجاس الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان ، رأى إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً ، قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة وظهر صاحب الهراوة وغاضت بحيرة ساوة وخمدت نار فارس فليست بابل للفرس مقاماً ، ولا الشأم لسطيح شاماً يملك منهم ملوك وملكات ، على عدد الشرفات وكل ما هو آتٍ آتٍ ثم مات سطيح من ساعته .

وذكر الطبري أن ابرويز بن هرمز جاء له جاء في المنام فقيل له : سلم ما في يدك إلى صاحب الهراوة فلم يزل مذعوراً حتى كتب له النعمان بظهور النبيﷺ بتهامة ، وعند موت سطيح نهض عبد المسيح إلى رحله وهو يقول أبياتاً منها :

شمـر فانـك ماضي العـزم شمير ولا يفرنـك تفـريق وتغيير
والخـير والشر مقرونـان في قرن والخـير متبـع والشر محذور

فلما قدم عبد المسيح على كسرى وأخبره بما قال سطيح ، قال كسرى : الى أن يملك منا أربعة عشر ملكاً كانت أمور وأمور فملك منهم بعضهم في خلافة عمر ـ رضي الله عنه ـ وملك الباقون في خلافة عثمان ـ رضي الله عنه ـ وكان مدّة ملكهم ثلاثة آلاف سنة ومائة وأربعين وستين سنة ومن ملوك بني ساسان سابور ذو الأكتاف ، قيل له ذلك لأنه كان يخلع أكتاف من ظفر به من العرب ولما جاء لمنازل بني تميم فرّوا منه ومن جيشه ، وتركوا عمير بن تميم وهو ابن ثلثمائة سنة وكان معلقاً في قفة لعدم قدرته على الجلوس فأخذ وجيء به اليه واستنطقه ، فوجد عنده أدباً ومعرفة فقـال للملـك : أيهـا الملك ، لم تفعـل فعلك هذا بالعرب ؟ فقال : يزعمون أن ملكنا سيصير اليهم على يد نبي يبعث في آخر الزمان . فقال له عمير : فأين حلم الملوك وعقلهم ؟ إن يكن الأمر باطلاً فلن يضرك وإن يكن حقاً ألفوك ولم تتخذ عندهم يداً يكافئونك عليها ويعظمونك بها في دولتهم ، فانصرف سابور وترك تعرضه للعرب . وعن العباس ـ رضي الله عنه ـ عم النبيﷺ قال : يا رسول الله دعاني الى الدخول في دينك إشارة أي علامة لنبوّتك رأيتك في المهد تناغي القمر أي تحدثه فتشير إليه بإصبعك فحيث ما أشرت إليه مال . قال : كنت احدثه ويحدثني ويلهيني عن البكاء واسمع وجبته اي سقطته حين يسجد تحت العرش ، وكان مهـدهﷺ يتحـرك بتحـريك الملائكة وتقدم أن أمه رأت من يقول لها فسميه إذا ولدتيه محمداً .

وعن أبي جعفر محمد الباقر ـ رضي الله عنه ـ قال : أمرت أمه آمنة في المنام ، وهي حامل برسول اللهﷺ أن تسميه أحمد ولا مانع من رؤية الأمرين فأخبرت جده فسماه ، وقيل ألهم ذلك أيضاً ولا مانع منهما . ولما سماه بمحمد قيل له : ما حملك على أن تسميه بمحمد وليس من أسماء آبائك ولا قومك ؟ فقال : رجوت أن يحمد في السماء والأرض وقد حقق الله رجاءه .

فائدة : جرت العادة أن الناس إذا سمعوا ذكر وضعه ﷺ يقومون تعظيماً له ﷺ وهذا القيام مستحسن لما فيه من تعظيم النبي ﷺ ، وقد فعل ذكل كثير من علماء الأمة الذين يقتدى بهم . قال الحلبي في السيرة : فقد حكى بعضهم أن الإمام السبكي اجتمع عنده كثير من علماء عصره فأنشد منشد قول الصرصري في مدحه ﷺ .

قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب على ورق من خط أحسن من كتب
وأن تنهض الأشراف عند سماعه قياماً صفوفاً أو جيشاً على الركب

فعند ذلك قام الإمام السبكي وجميع من بالمجلس فحصل أنس كبير في ذلك المجلس ، وعمل المولد . واجتماع الناس له كذلك مستحسن ، قال الإمام أبو شامة ، شيخ النووي : ومن أحسن ما ابتدع في زماننا ما يفعل كل عام في اليوم الموافق ليوم مولده ﷺ من الصدقات والمعروف وإظهار الزينة والسرور ، فإن ذلك مع ما فيه من الإحسان للفقراء مشعر بمحبة النبي ﷺ وتعظيمه في قلب فاعل ذلك ، وشكراً لله تعالى على ما منّ به إيجاد رسول الله ﷺ الذي أرسله رحمة للعالمين . قال السخاوي : إن عمل المولد حدث بعد القرون الثلاثة ثم لا زال أهل الإسلام من سائر الأقطار والمدن الكبار يعملون المولد ويتصدّقون في لياليه بأنواع الصدقات ويعتنون بقراءة مولده، الكريم ، ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم .

قال ابن الجوزي : من خواصه أنه أمان في ذلك العام ، وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام ، وأوّل من أحدثه من الملوك الملك المظفر أبو سعيد صاحب إربل ، وألف له الحافظ ابن دحية تأليفاً سماه التنوير في مولد البشير النذير ، فأجازه الملك المظفر بألف دينار وصنع الملك المظفر المولد . وكان يعمله في ربيع الأوّل ويحتفل به احتفالاً هائلاً وكان شهماً شجاعاً بطلاً عاقلاً عادلاً وطالت مدّته في الملك إلى أن مات وهو محاصر الفرنج بمدينة عكا سنة ثلاثين وستمائة ، محمود السيرة والسريرة . قال سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان : حكى لي بعض من حضر سماط المظفر في بعض المواليد فذكر أنه عد فيه خمسة آلاف رأس غنم شواء وعشرة آلاف دجاجة ومائة ألف زبدية وثلاثين ألف صحن حلوى ، وكان يحضر عنده في المولد أعيان العلماء والصوفية فيخلع عليهم ويطلق لهم البخور ، وكان يصرف

على المولد ثلثمائة ألف، دينار ، واستنبط الحافظ ابن حجر تخريج عمل المولد على أصل ثابت في السنة وهو ما في الصحيحين ، أن النبيّ ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم ، فقالوا : هو يوم أغرق فيه فرعون ونجى موسى ونحن نصومه شكراً فقال : نحن أولى بموسى منكم . وقد جوزي أبو لهب بتخفيف العذاب عنه يوم الاثنين بسبب اعتاقه ثوبية لما بشرته بولادته ﷺ وأنه يخرج له ومن بين اصبعيه ماء يشربه كما أخبر بذلك العباس في منام رأى فيه أبا لهب.ورحم الله القائل وهو حافظ الشام شمس الدين محمد بن ناصر حيث قال :

اذا كان هذا كافر جاء دمه ... وتبت يداه في الجحيم مخلدا
أتى أنه في يوم الاثنين دائما ... يخفف عنه للسرور بأحمدا
فما الظنّ بالعبد الذي كان عمره ... بأحمد مسرورا ومات موحدا

بابٌ في ذِكر شيءٍ مِن الخوارق التي ظهرت في زمن رضاعه ﷺ

أوّل من ارضعه ﷺ أمه ثم ثوبية الأسلمية مولاة أبي لهب ، التي اعتقها حين بشرته بولادته ﷺ ، واختلفوا في انها ادركت البعثة وأسلمت أم لا . وكان من عادة العرب إذا ولد لهم مولود يلتمسون له مرضعة من غير قبيلتهم ليكون أنجب للولد وأفصح له ، فجاء نسوة من بني سعد إلى مكة يلتمسون الرضعاء ومعهم حليمة السعدية فكل امرأة أخذت رضيعاً إلا حليمة ، قالت حليمة : فما منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه إذا قيل لها يتيم فلما أجمعنا الانطلاق أي عزمنا عليه قلت لصاحبي تعني زوجها : والله اني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعاً والله لأذهبن الى ذلك فلآخذنه ، فقال : لا بأس عليك أن تفعلي ، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة ، فذهبت اليه فأخذته . وفي رواية قالت : فاستقبلني عبد المطلب فقال : من أنتِ ؟ فقلت : امرأة من بني سعد . فقال ما اسمك ؟ فقلت : حليمة فتبسم عبد المطلب وقال بخٍ بخٍ سعد وحلم خصلتان فيهما خير الدهر وعز الأبد ، يا حليمة ان عندي غلاماً يتيماً وقد عرضته على نساء بني سعد فأبين ان يقبلن وقلن ما عند اليتيم من الخير إنما نلتمس الكرامة من الآباء فهل لك أن ترضعيه فعسى أن تسعدي به ؟ فقلت : ألا تذرني حتى أشاور صاحبي ؟ قال : بلى . فانصرفت إلى صاحبي فأخبرته فكان الله قذف في قلبه فرحاً وسروراً فقال لي : يا حليمة خذيه . فرجعت إلى عبد المطلب فوجدته قاعداً ينتظرني فقلت : هلم الصبي فاستهلَّ وجهه فرحاً فأخذني وأدخلني بيت آمنة فقالت لي أهلاً وسهلاً وأدخلتني في البيت الذي فيه محمد ﷺ فإذا هو مدرج في ثوب صوف ابيض من اللبن ، وتحته حريرة خضراء راقد عليها على قفاه يغط تفوح منه رائحة المسك ، فاشفقت أي خفت إن أوقظه من نومه لحسنه وجماله ، فوضعت

يدي على صدره فتبسم ضاحكاً وفتح عينيه إلي فخرج منهما نور حتى دخل عنان السماء ، وأنا انظر فقبّلته بين عينيه وحملته وما حملني على أخذه أي في ابتداء الأمر إلا أني لم أجد غيره ، وإلا فما ذكره من أوصافه مقتض لأخذه . وفي شرح الزرقاني على المواهب أنها لما دخلت عليه ﷺ سمع جده هاتفاً يقول :

إنّ ابن آمنة الامين محمداً خير الأنام وخيرة الاخيار
ما ان له غير الحليمة مرضع نعم الامينة هي على الأبرار
مأمونة من كل عيب فاحش ونقية الاثواب والأوزار
لا تسلمنه إلى سواها انه أمر وحكم جاء من جبار

قالت حليمة : ثم أعطيته ثديي الأيمن فاقبل عليه بما شاء من لبن ثم حوّلته الى الأيسر فأبى ، وكانت تلك حاله بعد قال أهل العلم : ألهمه الله أنّ له شريكاً فعدل . وفي رواية : أنّ أحد ثديي حليمة كان لا يدر اللبن فوضعته في فم رسول الله ﷺ درّ اللبن منه ، قالت : وشرب أخوه معه حتى روي ثم نام وما كنا ننام معه قبل ذلك أي لعدم نومه من الجوع ، قالت : وقام زوجي الى شارفنا فإذا هي حافل اي ممتلئة الضرع من اللبن فحلب منها ما شرب وشربت حتى انتهينا رياً وشبعاً وبتنا بخير ليلة . يقول صاحبي حين أصبحنا : والله يا حليمة لقد أخذنا نسمة مباركة . فقلت : والله اني لأرجو ذلك ثم خرجنا . وركبت أتاني وحملته معي عليها فوالله انها قطعت بالركب ما يقدر على مرافقتها شيء من حمرهم حتى أنّ صواحبي يقلن لي : يا بنت أبي ذؤيب ويحك اربعي علينا أي اعطفي علينا بالرفق وعدم الشدة في السير أليست هذه أتانك التي كنت عليها تخفضك طوراً وترفعك طوراً آخر ؟ فأقول لهنّ بلى ، والله إنها لهي ، فيقلن : والله إن لها لشأناً قالت حليمة : وكنت اسمع أتاني تنطق والله ان لي لشأناً ثم شأناً شأني بعثني الله بعد موتي وردّ لي سمني بعد هزالي ويحكنّ يا نساء بني سعد انكن لفي غفلة وهل ترين من على ظهري ، على ظهري خير النبيين وسيد المرسلين ، وخير الأولّين والآخرين ، وحبيب رب العالمين .

ذكره في السيرة الحلبية وذكر انها لما أرادت فراق مكة ، رأت تلك الاتان سجدت أو خفضت رأسها نحو الكعبة ثلاث سجدات ورفعت رأسها إلى السماء ، ثم مشت قالت : قدمنا منازلنا بني سعد ولا أعلم أرضاً من أراضي الله أجدب منها ، فكانت غنمي تروح

عليّ حين قدمنا شباعاً لبناً أي غزيرات اللبن ،فنحلت ونشرب . وفي رواية :نحلب ما شاء الله وما يحلب انسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع ، حتى كان المقيم في المنازل من قومنا يقول لرعائهم : ويحكم أسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب يعنونني ، فتروح أغنامهم جياعاً ما تبض بقطرة لبن وتروح غنمي شباعاً لبناً ، فلم نزل نعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفطمته وكان يشب شباباً لا يشبه الغلمان ، فلم يقطع سنتيه حتى كان غلاماً جفر أي غليظاً شديداً . وعن حليمة ـ رضي الله عنها ـ قالت : كان رسول الله ﷺ لما بلغ شهرين يُحَبِّي الى كل جانب ، وفي ثلاثة أشهر كان يقوم على قدميه ، وفي أربعة كان يمسك الجدار ويمشي ، وفي خمسة حصلت له القدرة على المشي ، فلما بلغ ثمانية أشهر كان يتكلم بحيث يسمع كلامه ولما بلغ تسعة أشهر كان يتكلم بالكلام الفصيح ، ولما بلغ عشرة أشهر كان يرمي بالسهام مع الصبيان . وعن حليمة أيضاً ـ رضي الله عنها ـ قالت : انه لفي حجري إذ مرت بنا غنيمات فأقبلت واحدة منهنّ حتى سجدت له وقبلت رأسه ثم ذهبت الى صواحبها قالت ـ رضي الله عنها ـ وكان ينزل عليه كل يوم نور كنور الشمس ثم ينجلي عنه . وإلى قصة إرضاعه ﷺ يشير صاحب الهمزية حيث يقول :

وبدت في رضاعه معجزات ليس فيها عن العيون خفاء
إذ أبته ليتمه مرضعات قلن ما في اليتيم عنا غناء
فأتته من آل سعد فتاة قد أبتها لفقرها الرضعاء
ارضعته لبانها فسقتها وبنيها ألبانهن الشاء
اصبحت شولا عجافاً وأمست ما بها شائل ولا عجفاء
أخصب العيش عندها بعد محل إذا غدا للنبي منها غذاء
يا لها منة لقد ضوعف الأجر عليها من جنسها والجزاء
وإذا سخر الإله أناساً لسعيد فانهم سعداء

وعن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال : كان أوّل كلام تكلم به ﷺ حين فطم : الله اكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً ، وتكلم بهذا ايضاً عند خروجه من بطن أمه كما تقدم . وفي رواية ، أوّل كلام تكلم به في بعض الليالي وهو عند حليمة : لا إله إلا الله قدوساً قدّوساً ، نامت العيون والرحمن لا تأخذه سنة ولا نوم ، وكان لا يمس شيئاً إلا

قال بسم الله.وعن حليمة ـ رضي الله عنها ـ قالت : لما دخلت به إلى منزلي لم يبق منزل من منازل بني سعد إلا شممنا منه ريح المسك وألقيت محبته واعتقاد بركته في قلوب الناس ، حتى أن أحدهم كان إذا نزل به أذى في جسده أخذ كفهﷺ فيضعها على موضع الأذى فيبرأ بإذن الله تعالى سريعاً . وكذا إذا اعتلّ لهم بعيراً وشاه . قالت حليمة ـ رضي الله عنها ـ فقدمنا مكة على أمه أي بعد أن بلغ سنتين ونحن أحرص شيء على مكثه فينا لما نرى من بركته فكلمنا أمه وقلت لها : لو تركت ابني عندي حتى يغلظ. وفي رواية : قلنا نرجع به هذه السنة الأخرى فإني أخشى عليه وباء مكة أي مرضها ووخمها فلم نزل بها حتى ردّته معنا وقيل : أن أمه آمنة ـ رضي الله عنها ـ قالت لحليمة ـ رضي الله عنها ـ ارجعي بابني على الفور فإني أخاف عليه وباء مكة أي كما تخافين أنت أيضاً عليه ذلك . قالت حليمة : فرجعنا به فوالله انه بعد مقدمنا بشهرين أو ثلاثة مع اخيه تعني من الرضاع لقي بهم لنا خلف بيوتنا إذ أتى اخوه يشتدّ أي يعدو فقال لي ولأبيه ذاك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه فشقا بطنه فهما يسوطانه اي يدخلان يديهما في بطنه قالت : فخرجت أنا وأبوه نحوه فوجدناه قائماً مستنقعاً وجهه اي متغيراً لما ناله من رؤية الملائكة لا من الشق ، لانه بغير ألم قالت : فالتزمته والتزمه أبوه فقلنا مالك يا بني ؟ قال جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو؟ قال : نعم . فأقبلا يبتدراني فأخذاني فأضجعاني فشقا بطني فالتمسا شيئاً فوجداه وأخذاه وطرحاه ، ولا أدري ما هو . قالت حليمة : فرجعنا به الى خبائنا . وقال لي أبوه : يا حليمة ، لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب يعني بشيء من الجن فألحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به وأخرجي من أمانتك . وفي رواية قالت : قال زوجي أرى أن تردّيه على أمه لتعالجه والله ان أصابه ما أصابه إلا حسداً من آل فلان لما يرون من عظيم بركته . قالت : فحملناه وقدمنا به مكة على أمه ، قيل وهو ابن اربع وقيل خمس وقيل سنتين وأشهر . وعن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أن حليمة ـ رضي الله عنها ـ كانت تحدث أنهﷺ لما ترعرع كان يخرج فينظر إلى الصبيان يلعبون فيجتنبهم ، فقال لي : يا أماه ما لي لا أرى إخوتي بالنهار ؟ يعني إخوته من الرضاع وهم أخوه عبد الله وأختاه أنية والشيماء اولاد الحرث . قالت : فدتك نفسي انهم يرعون غنماً لنا فيروحون من ليل إلى ليل ، قال : ابعثيني معهم فكان يخرج مسروراً ويعود مسروراً . قالت : فلما كان يوم من ذلك خرجوا فلما انتصف النهار أتاني اخوه . وفي رواية ابني ضمرة : يعدو فزعاً وجبينه

يرشح عرقاً باكياً ينادي : يا أمه ويا أبت ، الحقا أخي محمداً فلما تلحقانه إلا ميتاً قلت : وما قضيته ؟ قال : بينا نحن قيام إذ أتاه رجل فاختطفه من وسطنا وعلا ذروة الجبل ونحن ننظر اليه حتى شق صدره إلى عانته ولا أدري ما فعل به قالت حليمة : فانفلت أنا وأبوه نسعى سعياً شديداً فإذا نحن به قاعداً على ذروة الجبل شاخصاً ببصره الى السماء يتبسم ويضحك . فأكببت عليه وقبّلته بين عينيه وقلت : فدتك نفسي ما الذي دهاك ؟ قال خير يا أماه . بينا أنا الساعة قائم إذ أتاني رهط ثلاثة بيد أحدهم إبريق فضة ، وفي يد الآخر طست من زمردة خضراء ، فأخذوني وانطلقوا بي الى ذروة الجبل فعمد أحدهم فاضجعني الى الارض ، ثم شق من صدري الى عانتي وأنا انظر اليه فلم أجد لذلك حساً ولا ألماً إلى آخر القصة . وفي رواية أنها لما قدمت به مكة لترده بعد هذه القصة أضلته في أعالي مكة فقالت : إني قدمت به مكة لتردّه بعد هذه القصة أضلته في أعالي مكة فقالت : إني قدمت بمحمد في هذه الليلة فلما كنت بأعالي مكة أضلّني فو الله ما أدري اين هو . فقام عبد المطلب يدعو الله أن يردّه عليه وانشد .

يا رب ردّ ولدي محمداً اردده ربي واصطنع عندي يدا

فسمع هاتفاً من السماء يقول : ايها الناس لا تضجوا إن لمحمد رباً لن يخذله ولن يضيعه ، فقال عبد المطلب : من لنا به ؟ فقال : انه بوادي تهامة عند الشجرة اليمنى . فركب عبد المطلب نحوه وتبعه ورقة بن نوفل فوجداه ﷺ تحت شجرة يجذب غصناً من أغصانها فقال له جده : من أنت يا غلام ؟ فقال : انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب . قال : وانا جدك فدتك نفسي ، واحتمله وعانقه وهو يبكي ثم رجع الى مكة وهو قدامه على قربوس فرسه ونحر الشاء والبقر وأطعم أهل مكة . وعلى هذه القصة حمل بعض المفسرين قوله تعالى : ﴿ ووجدك ضالاً فهدى ﴾ قيل ان هذه القصة تكررت وانه حصل له ضياع مرة أخرى فوجده أبو جهل فأركبه بين يديه على ناقته وجاء به الى جده وقال : ما تدري ما وقع من ابنك ، فسأله فقال : أنخت الناقة وأركبته الناقة وأركبته من خلفي فأبت أن تقوم فأركبته امامي فقامت . قالت حليمة ، فلما قدمت به قالت امه : ما اقدمك به ، ولقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك ؟ قلت قد بلغ الله وقضيت الذي عليّ وتخوّفت الأحداث فأديته عليك كما تحبين قالت : ما شأنك فأصدقني خبرك ؟ قالت : فلم تدعني حتى أخبرتها قالت : فتخوّفت عليه الشيطان . قلت : كلا ، والله ما للشيطات عليه

سبيل وان لابني هذا شأناً ألا أخبرك خبره ؟ قلت : بلى . قالت : رأيت حين حملت به أن خرج مني نور اضاء له قصور بصرى من أرض الشام ثم حملت به ، فوالله ما رأيت اي علمت من حمل قط كان أخف منه ولا أيسر ، ووقع حين ولدته وانه لواضع يده بالأرض رافع رأسه الى السماء دعيه عنك وانطلقي راشدة.وعن حليمة ـ رضي الله عنها ـ أنه مر بها جماعة من اليهود فقالت : ألا تحدثوني عن ابني هذا حملته امه كذا ، ووضعته كذا ، ورأت عند ولادته كذا ، وذكرت لهم كل ما سمعته من امه ، وكل ما رأته هي بعد أن أخذته وأسندت الجميع إلى نفسها ، كأنها هي التي حملته ووضعته . فقال أولئك اليهود بعضهم لبعض : اقتلوه . فقالوا : أويتيم هو؟ فقالت : لا هذا أبوه وأنا امه فقالوا : لو كان يتيماً قتلناه لأن ذلك عندهم من علامات نبوّته ﷺ.وعن حليمة أيضاً ـ رضي الله عنها ـ أنها نزلت به ﷺ بسوق عكاظ وكان سوقاً للجاهلية بين الطائف ونخلة المحل المعروف ، كانت العرب إذا قصدت الحج أقامت بهذا السوق شهر شوّال يتفاخرون ويتناشدون الأشعار ويبيعون ويشترون ؛ وإنما سمي عكاظ لأن المعاكظة المفاخرة ، يقال عكظ الرجل صاحبه إذا فاخره وغلبه في المفاخرة . قيل : كان سوق عكاظ لثقيف وقيس عيلان فلما وصلت حليمة به سوق عكاظ رآه كاهن من الكهان فقال : يا أهل عكاظ اقتلوا هذا الغلام فان له ملكاً فزاغت اي مالت به وحادت عن الطريق فأنجاه الله . وفي الوفاء للسيد السمهودي لما قامت سوق عكاظ انطلقت حليمة برسول الله ﷺ إلى عرّاف من هذيل يريه الناس صبيانهم ، فلما نظر إليه صاح : يا معشر هذيل ، يا معشر العرب ، فاجتمع الناس من أهل الموسم فقال : اقتلوا هذا الصبي ، فانسلّت به حليمة . فجعل الناس يقولون : أي صبي هذا ؟ فقال هذا الصبي ـ فلا يرون أحداً فيقال له : ما هو ؟ فيقول : رأيت غلاماً والآلهة ليقتلنّ أهل دينكم وليكسرن آلهتكم وليظهرن أمره عليكم فطلب فلم يوجد وعنها رضي الله تعالى عنها أنها لما رجعت به مرت بذي المجاز وهو سوق للجاهلية على فرسخ من عرفة أي وهذا السوق قبله سوق مجنة كانت العرب تنتقل اليه بعد انفضاضهم من سوق عكاظ فتقيم به عشرين يوماً من ذي القعدة ثم تنتقل الى هذا السوق ، الذي هو سوق ذي المجاز فتقيم به إلى أيام الحج وكان بهذا السوق عرّاف اي منجم يأتون اليه بالصبيان ينظر إليهم فلما نظر إلى رسول الله ﷺ أي نظر الى خاتم النبوّة والى الحمرة في عينيه صاح : يا معشر العرب ، ؛ اقتلوا هذا الصبي ، فليقتلنّ أهل دينكم ، وليكسرنّ أصنامكم ، وليظهرنّ امره عليكم ، ان هذا لينتظر أمراً من السماء . وجعل يغري بالنبي ﷺ فلم يلبث أن وله فذهب عقله حتى

مات وفي السيرة الشامية : ان نفر أنصاري من الحبشة رأوه مع امه السعدية حين رجعت به إلى أمه بعد فطامه فنظروا اليه وقبلوه ورأوا خاتم النبوّة بين كتفيه وحمرة في عينيه ، وقالوا لها : هل يشتكي عينيه ؟ قالت : لا ولكن هذه الحمرة لا تفارقه ثم قالوا لها لنأخذن هذا الغلام فلنذهبن به الى ملكنا وبلدنا فان هذا الغلام كائن له شأن نحن نعرف أمره . فأبت وأتت به إلى أمه . وقصة شق الصدر جاءت بروايات كثيرة ففي بعضها عنه ﷺ بعد أن ذكر القصة قال : بينا نحن كذلك إذ بالحيّ قد أقبلوا بحذافيرهم أي باجمعهم وإذا بظئري أي مرضعتي أمام الحي تهتف اي تصيح بأعلى صوتها وتقول : واضعيفاه فأكبوا عليّ يعني الملائكة وضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عينيّ ، وقالوا : حبذا أنت من ضعيف ثم قالت : ظئري واوحيداه ، فأكبوا علي ، فضموني إلى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني وقالوا : حبذا أنت من وحيد ، وما أنت بوحيد ، إن الله معك وملائكته والمؤمنين من أهل الأرض . ثم قالت : ظئري وايتيماه ، استضعفت من بين أصحابك فقتلت لضعفك فأكبوا عليّ وضموني الى صدورهم ، وقبّلوا رأسي وما بين عيني وقالوا : حبذا أنت من يتيم ما اكرمك على الله لو تعلم ما اريد بك من الخير اقرت عينك فوصلوا يعني الحي الى شفير الوادي فلما أبصرتني أمي وهي ظئري قالت : لا أراك إلا حياً بعد . فجاءت حتى أكبت علي وضمتني الى صدرها . فوالذي نفسي بيده اني لفي حجرها قد ضمتني اليها ويدي في ايديهم يعني الملائكة والقوم لا يعرفونهم اي لا يبصرونهم ، فأقبل بعض القوم يقول : إن هذا الغلام قد أصابه لمم أي طرف من الجنون أو طائف من الجن وهي اللمسة ، فانطلقوا به الى كاهن حتى ينظر إليه ويداويه فقلت : يا هؤلاء ما بي مما تذكرون شيء ، أن آرابي أي أعضائي سليمة وفؤادي صحيح ، وليس بي قلبة اي علة فقال أبي وهو زوج ظئري :ألا ترون كلامه صحيحاً ؟ إني لأرجو أن لا يكون بإبني بأس واتفقوا على أن يذهبوا بي الى الكاهن ، فلما انصرفوا بي اليه قصوا عليه قصتي فقال : اسكتوا حتى اسمع من الغلام ، فانه أعلم بأمره منكم . فسألني فقصصت عليه أمري من اوّله الى آخره فوثب إلي وضمني الى صدره ثم نادى بأعلى صوته : يا للعرب ، يا للعرب ، من شر قد اقترب ، واقتلوا هذا الغلام واقتلوني معه فواللات والعزى لئن تركتموه فأدرك مدرك الرجال ليبدلن دينكم وليسفهن عقولكم وعقول آبائكم ، وليخالفن امركم ، وليأتينكم بدين لم تسمعوا بمثله ، فعمدت ظئري فنزعتني من حجره وقالت : لانت أعته وأجنّ ولو علمت انّ هذا قولك ما اتيتك فاطلب لنفسك من يقتلك فانا غير قاتلي هذا

الغلام حتى احتملوني الى أهلهم ثم أصبحت فزعا بما فعلوا يعني الملائكة ، وأصبح أثر الشق ما بين صدري إلى منتهى عانتي ، ولعل الحكمة في بقاء أثر التئام الشق الدلالة على وجود الشق ، وقد اشار الى هذه القصة صاحب الهمزية بقوله :

وأتت جدّه وقد فصلته وبها من فصاله البرجاء
إذا أحاطت به ملائكة الله فظنت بأنهم قرناء
ورأى وجدها به ومن الوجد لهيب تصلى به الاحشاء
فارقته كرهاً وكان لديها ثاوياً لا يمل منه الثواء
شق عن قلبه وأخرج منه مضغة عند غسله سوداء
ختمته يمنى الامين وقد أو دع ما لم يدع له أنباء
صان أسراره الختام فلا الفض ض سلم به ولا الإفضاء

وقد تكرر شق الصدر هذه المرة الأولى لينشأ على أكمل الحالات وأتم الصفات . والمرة الثانية عند بلوغه عشر سنين أو عشرين سنة وفي الدر المنثور عن زوائد مسند الإمام أحمد عن أُبيّ بن كعب عن ابي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال : قلت : يا رسول الله ما أوّل ما رأيت من امر النبوّة ؟ فاستوى رسول الله ﷺ جالساً وقال : لقد سألت يا أبا هريرة إني لفي صحراء وأنا ابن عشرين سنة واشهر إذا بكلام فوق رأسي وإذا رجل يقول : أهو هو فاستقبلاني بوجوه لم أرها لخلق قط وثياب لم أرها على أحد قط فأقبلا إليّ يمشيان حتى أخذ كل منهما بعضدي لا أجد لأحدهما مساً فقال أحدهما لصاحبه أضجعه فاضجعني بلا قصر ولا هصر أي من غير اتعاب فقال أحدهما لصاحبه : افلق صدره ففلقه فيما أرى بلا دم ولا وجع فقال له : اخرج الغل والحسد فأخرج شيئاً كهيئة العلقة ، ثم نبذها فقال له : أدخل الرأفة والرحمة فإذا الذي أدخله يشبه الفضة ، ثم نقر إبهام رجلي اليمنى وقال : اغد واسلم فرجعت وعندي رأفة على الصغير ورحمة على الكبير ، قيل إنّ الصواب أن ذلك وعمره عشر سنين وإن ذكر العشرين غلط من بعض الرواة . والمرة الثالثة عند ابتداء الوحي والمرة الرابعة عند المعراج والحكمة في الشق الثاني الذي كان وعمره عشر سنين قال في السيرة الشامية : ان العشر قريب من سن التكليف فشق قلبه وقدس حتى لا يتلبس بشيء مما يعاب على الحال . والشق الثالث قال الحافظ ابن حجر : الحكمة فيه زيادة الكرامة ليلتقي ما يوحى اليه بقلب قوي في أكمل الأحوال من

التطهير . والحكمة في الرابع الزيادة في إكرامه ليتأهب للمناجاة وعن حليمة ـ رضي الله تعالى عنها ـ أنها كانت بعد رجوعها بهﷺ من مكة لا تدعه يذهب مكاناً بعيداً فغفلت عنه يوماً في الظهيرة فخرجت تطلبه فوجدته مع أخته من الرضاع وهي الشيماء ، وكانت تحضنه مع أمها ولذلك تدعى أم النبيﷺ أيضاً وكانت ترقصه وتقول :

هذا أخ لي لم تلـده أمي وليس من نسـل أبـي وعمي
فأنمه اللهم فيمن تنمي .

ومما كانت ترقصه به اخته الشيماء :

يا ربنـا ابـق لنـا محمدا حتـى أراه يافعـا وأمردا
ثم أراه مسيدا مسودّا واكبـت أعـاديه معـا والحسدا
وأعطه عزاً يدوم أبداً

قال الأزدي : ما أحسن ما أجاب الله به دعاءها فقالت حليمة : في هذا الحر أي ما ينبغي أن يكون الخروج والوقوف في هذا الحر . فقالت اخته : يا امه ما وجد أخي حراً رأيت غمامة تظل عليه إذا وقف وقفت وإذا سار سارت حتى إذا انتهى إلى هذا الموضع فجعلت تقول حقاً يا بنية قالت : إي والله فجعلت تقول : أعوذ بالله من شر ما نحذر على ابني . وفي كلام بعضهم ان حليمة ـ رضي الله عنها ـ في بعض الأوقات رأت الغمامة تظله إذا وقف وقفت وإذا سار سارت وو ـت عليه حليمة ـ رضي الله عنها ـ بعد تزوّجه بخديجة رضي الله عنها ـ تشكو إليه ضيق العيش فكلم لها خديجة ـ رضي الله عنهـا ـ فاعطتهـا عشرين رأساً من غنم وبكرات من الإبل . وفي رواية : أربعين شاة وبعيراً ووفدت عليه يوم حنين فبسط لها رداءه فجلست عليه . وفي رواية : قدمت مع زوجها وولدها فبسط لهم رداءه . وفي رواية : وأجلسهم على ثوبه وفي كلام القاضي عياض : ثم جاءت أبا بكر فبسط لها رداءه ثم جاءت عمر ففعل ذلك .

قال في السيرة الحلبية ، نقلا عن ابن الأثير : فتكون قد عمرت دهراً طويلاً وعن أبي الطفيل قال : رايت رسول اللهﷺ يقسم لحماً بالجعرانة بعد رجوعه من حنين والطائف وأنا غلام شاب فاقبلت امرأة فلما رآها رسول اللهﷺ بسط لها رداءه فقيل : من هذه ؟ فقيل : أمه التي أرضعته . وفي رواية : استأذنت امرأة على النبيﷺ قد كانت ترضعه فلما دخلت عليه قال : أمي أمي ، وعمد إلى ردائه فبسطه لها فقعدت عليه .

وقال ابن حجر في شرح الهمزية : من سعادة حليمة توفيقها للإسلام هي وزوجها وبنوها وغلط من أنكر إسلامها بل أسلمت وهاجرت وتوفيت بالمدينة وغلط من أنكر إسلامها بل أسلمت وهاجرت وتوفيت بالمدينة ودفنت بالبقيع وقبرها معروف يزار - رضي الله عنها - .

وفي السيرة الحلبية أن بنتها الشيماء وأخت النبي ﷺ من الرضاع ، كانت في السبي يوم حنين فلما أخذها المسلمون قالت : أنا أخت صاحبكم فلما قدموا على رسول الله ﷺ قالت : يا رسول الله أنا أختك . قال وما علامة ذلك ؟ قالت : عضة عضضتنيها في ظهري وأنا متوركتك . فعرف رسول الله ﷺ العلامة ، فقام لها قائماً وبسط لها رداءه ، وأجلسها عليه ، ودمعت عيناه . وكلام المواهب يقتضي انهما قضيتان في كل منهما قام وبسط رداءه واحدة عند مجيء أخته ، وواحدة عند مجيء أمه خلافاً لمن وهم في ذلك وأنكر مجيء الأم وقال : بل هي الأخت فقط .

قال ابن عبد البر في الاستيعاب : حليمة السعدية أم النبي ﷺ من الرضاع جاءت اليه يوم حنين فقام لها وبسط لها رداءه فجلست عليه . وروت عنه وروى عنها عبد الله بن جعفر ثم قال حذافة أخت النبي ﷺ من الرضاع يقال لها الشيماء أغارت خيل رسول الله ﷺ على هوازن فأخذوها فيمن أخذوا من السبي الحديث ، وقد ألف الحافظ مغلطاي تأليفاً في إسلام حليمة - رضي الله عنها - رداً على من أنكر .

بابُ وَفاةِ أمّه ﷺ

ولما بلغ رسول الله ﷺ أربع سنين وقيل خمساً وقيل ستاً وقيل أكثر من ذلك توفيت أمه . روى الزهري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : لما بلغ رسول الله ﷺ ست سنين خرجت به أمّه إلى أخوال جدّه وهم بنو عدي بن النجار بالمدينة تزورهم ومعه أم أيمن بركة الحبشية فأقامت به عندهم شهراً ، وكان ﷺ بعد الهجرة يذكر أموراً كانت في مقامه ذلك ونظر الى الدار فقال ، ههنا نزلت بي أمي وأحسنت العوم في بئر بني عدي بن النجار ، وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون إليّ قالت أم أيمن : فسمعت أحدهم يقول : هو نبي هذه الأمة وهذه دار هجرته ، ثم رجعت به أمه الى مكة . وفي رواية أبي نعيم قال ﷺ فنظر إليّ رجل من اليهود يختلف ينظر إليّ فقال : يا غلام ما اسمك ؟ قلت : أحمد ونظر إلى ظهري فسمعته يقول : هذا نبي هذه الأمة ، ثم راح إلى إخوانه فأخبرهم فأخبروا أمي فخافت علي فخرجنا من المدينة ، فلما كانت بالأبواء توفيت ودفنت فيها . وقيل بالحجون ، وقيل جمعاً بين الروايتين انها دفنت أولاً بالأبواء ثم نبشت ونقلت الى مكة ودفنت بالحجون ، والأبواء موضع من أعمال الفرع بين مكة والمدينة وكان عمرها حين توفيت في حدود العشرين سنة .

وروى ابو نعيم في دلائل النبوّة من طريق الزهري عن أسماء بنت رهم عن أمها قالت : شهدت آمنة أم النبي ﷺ في علتها التي ماتت بها ومحمد عليه الصلاة والسلام غلام يفع اي مرتفع له خمس سنين عند رأسها فنظرت أمه إلى وجهه ثم قالت :

بارك فيك الله من غلام ... يا ابن الذي من حومة الحمام
نجا بعون الملك العلاّم ... فودي غداة الضرب بالسهام

بماثـة من ابـل ـسوام ان صح ما أبصرت في المنام
فأنـت مبعـوث إلى الأنام تبعـث في الحـل وفي الحرام
تبعـث في التحقيق والإسلام دين أبيك البـر إبراهام
فالله أنهـاك عن الأصنام أن لا تواليهـا مع الأقوام

ثم قالت : كل حي ميت وكل جديد بال وكمل كبير يفنى وأنا ميتة وذكري باق وولدت طهراً قالت : فكنا نسمع نوح الجنّ عليها فحفظنا من ذلك :

تبـكي الفتـاة البـرة الأمينه ذات الجمال العفـة الرزينه
زوجـة عبـد الله والقرينه أم نبـي الله ذي السكينه
وصاحـب المنبـر بالمدينه صارت لدى حفرتهـا رهينه
لو فوديت لفـوديت ثمينه وللمنـايا شفـرة متينه
لا تبـق ظعانـاً ولا ظعينه إلا أتـت وقطعـت وتينه
أمـا دللـت أيهـا الحزينه عن الـذي ذو العـرش يعلي دينه
فكلنـا والهـة حزينه نبـكيك للعطلـة أو للزينه
أو للضعيفـات وللمسكنيه

قال الزرقاني في شرح المواهب نقلا عن الجلال السيوطي بعد ذكر أبياتها السابقة ، وهذا القول منها صريح في أنها موحدة ، إذ ذكرت دين إبراهيم وبعث ابنهاﷺ بالإسلام من عند الله ونهيه عن الأصنام وموالاتها وهل التوحيد شيء غير هذا فان التـوحيد هو الاعتراف بالله وإلهيته وانه لا شريك له ، والبراءة من عبادة الأصنام ونحوها ، وهذا القدر كاف في التبري من الكفر ، وثبوت صفة التوحيد في زمن الجاهلية قبل البعثة وإنما يشترط قدر زائد على هذه البعثة ولا يظنّ بكل من كان في الجاهلية أنه كان كافراً ، على العموم فقد تحنف فيها جماعة فلا بدع أن تكون أمهﷺ منهم كيف وأكثر من تحنف منهم إنما كان سبب تحنفه ما سمعه من أهل الكتاب والكهان قرب زمنهﷺ من أنه قرب بعث نبي من الحرم صفته كذا ، وأمهﷺ سمعت من ذلك أكثر مما سمعه غيرها من آياته الباهرة وما يحمل على التحنف ضرورة ورأت النور الذي خرج منها أضاءت له قصور الشام ، حتى رأتها ،

وقالت لحليمة حين جاءت به وقد شق صدره : أخشيتما عليه الشيطان كلا والله ما لك للشيطان عليه سبيل وإنه لكائن لابني هذا شأن في كلمات أخر من هذا النمط ، وقدمت به المدينة عام وفاتها وسمعت كلام اليهود فيه وشهادتهم له بالنبوة ، ورجعت به الى مكة فهذا كله مما يؤينا أنها تحنفت في حياتها . وأما أبوه ـ رضي الله عنه ـ فنقل عنه كلمات وأشعار تدل على توحيده أيضاً كقوله حين عرضت المرأة نفسها عليه :

أمـا الحـرام فالمات دونه والحـل لا حل فاستبينه
يحمـي الـكريم عرضـه ودينه فكيف بالأمـر الـذي تبغينه

مع ما كان عليه من العفة حتى افتتن به النساء ، ولم ينلن منه شيئاً وكان نور النبي ﷺ يضيء في وجهه كالكوكب وقد قال ﷺ : لم أزل أنقل من اصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات ، فالكافر لا يوصف بأنه طاهر ففيه دليل على طهارة آبائه وأمهاته من الكفر. قال في المواهب : وقد روي أن آمنة آمنت به ﷺ بعد موتها ، فروى الطبراني وابن شاهين عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ نزل بالحجون كئيباً حزيناً ، وفي رواية : وهو باكٍ فأقام به ما شاء الله ثم رجع مسروراً ، قال يخاطب عائشة ـ رضي الله عنها ـ سألت ربي فأحيا لي أمي فآمنت بي ثم ردّها أي الى ما كانت عليه من الموت . وروى السهيلي من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ أيضاً إحياء أبويه ﷺ حتى آمنا به ولفظه بسنده إلى عروة بن الزبير عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ سأل ربه ان يحيي أبويه فأحياهما له فآمنا به ثم أماتهما . قال السهيلي : والله قادر على كل شيء ، وليس تعجز رحمته وقدرته عن شيء ونبيه ﷺ أهل أن يخصه بما شاء من فضله وينعم عليه بما شاء من كرامته . ورواه الخطيب البغدادي وقد جزم بعض العلماء بان أبويه ﷺ ناجيان وليسا في النار بل في الجنة تمسكا بهذا الحديث ونحوه قال السيوطي : مال إلى أن الله أحياهما حتى آمنا به طائفة من الأئمة وحفاظ الحديث واستندوا الى هذا الحديث ، وادّعى بعضهم أنه موضوع وهذا مردود الحق أنه ضعيف لا موضوع وهذا مردود والحق أنه ضعيف لا موضوع والضعيف يعمل به في الفضائل ولقد أحسن الحافظ شمس الدين محمد بن ناصر الدمشقي حيث قال :

حبـا الله النبـي مزيد فضل على فضـل وكان به رؤوفاً

فأحيا أمـه وكذا أباه لإيمـان به فضـلاً منيفاً
فسلـم فالقـديم بذا قدير وإن كان الحـديث به ضعيفاً

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ منذ خرجت من صلب آدم ولم تزل تتنازعني الامم كابراً عن كابر حتى خرجت من أفضل حيين من العرب ، هاشم وزهرة . قال الزرقاني في شرح المواهب : بعد ذكر حديث إحيائهما وقد جعل هؤلاء الأئمة هذا الحديث ناسخاً للأحاديث الواردة بما يخالفه ونصوا على أنه متأخراً عنها فلا تعارض بينه وبينها . وقال الشهاب ابن حجر في مولده وفي شرح الهمزية : أن الحديث غير ضعيف بل صححه غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا للطعن فيه وعلى ذلك قول بعضهم :

أيقنـت أن أبـا النبـي وأمه أحياهما الـرب الكريم الباري
حتـى له شهـدا بصـدق رسالة سلـم فتلك كرامـة المختار
هذا الحـديث ومـن يقـول بضعفه فهـو الضـعيف عن الحقيقـة عار

قال الزرقاني : الذي يظهر لي أن المراد صححوا العمل به في الاعتقـاد وان كان ضعيفاً لكونه في مرتبته فيرجع لكلام السيوطي وقال التلمساني : روى إسلام أمه بسند صحيح وكذا روى إسلام أبيه وكلاهما بعـد الموت تشريفـاً له وسيذكر في ا لمواهـب في المعجزات ان الله أحيا على يده ﷺ خمسة منهم الأبوان . قال القرطبي في التـذكرة : إنّ فضائله ﷺ وخصائصه لم تزل تتوالى وتتابع إلى حين مماته فيكون إحياؤهما مما فضله الله به وأكرمه ولا يردّ ذلك إجماع ولا قرآن وليس إحياؤهما وإيمانهما بممتنع عقلاً ولا شرعاً فقد ورد في ا لكتاب العزيز إحياء قتيل بني إسرائيل وإخباره بقاتله ، كما قصّ الله ذلك في سورة البقرة . وكان عيسى عليه السلام يحيي الموتى وكذلك نبينا ﷺ أحيا الله على يده جماعة من الموتى .

قال الزرقاني : فأحيا ابنة الرجل الذي قال : لا أؤمن بك حتى تحيي لي ابنتي فجاء إلى قبرها وناداها فقالت : لبيك وسعديك . رواه البيهقي في الدلائل . وأباه وأمه وتوفي شاب من الأنصار فتوسلت أمه وهي عجوز عمياء بهجرتها لله ورسوله فأحياته الله ، رواه البيهقي وابن عدي وغيرهما ، ولما مات زيد بن حارثة الأنصاري من سراة الأنصار كشفوا

عنه فسمعوا على لسانه قائلاً يقول : محمد رسول الله ﷺ الحديث رواه ابن ابي الدنيا في كتاب « من عاش بعد الموت » . وأخرج ابن الضحاك أن انصارياً توفي فلما كفن وحمل قال : محمد رسول الله هذا ملخص ما ذكره المصنف يعني صاحب المواهب في المعجزات .
قال القرطبي بعد ذكر ما تقدم عنه وإذا ثبت هذا فما يمتنع ايمانهما بعد إحيائهما ويكون ذلك زيادة في كرامته وفضيلته وقد تمسك القائل بنجاتهما أيضاً بأنهما ماتا قبل البعثة في زمن الفترة التي عم الجهل فيها وفقد فيها من يبلغ الدعوة على وجهها خصوصاً وقد ماتا في حداثة السن ، فإن والده ﷺ عاش نحو ثمان عشر سنة ووالدته ماتت وهي في حدود العشرين تقريباً ومثل هذا العمر لا يسع الفحص عن المطلوب في ذلك الزمان ، وحكم من لم تبلغه الدعوة انه يموت ناجياً ولا يعذب ، ويدخل الجنة لقوله تعالى : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾ وقد أطبقت الأئمة الاشاعرة من أهل الأصول والشافعية من الفقهاء على أنّ من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجياً ويدخل الجنة . قال الجلال السيوطي : هذا مذهب لا خلاف فيه بين الشافعية في الفقه والاشاعرة في الأصول ونص على ذلك الشافعي في الأم والمختصر وتبعه سائر الأصحاب فلم يشر أحد منهم لخلاف ، واستدلوا على ذلك بعدّة آيات منها : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾ وهي مسئلة فقهية مقررة في كتب الفقه هي فرع من فروع قاعدة أصولية متفق عليها عند الأشاعرة ، وهي قاعدة شكر المنعم واجب بالسمع لا بالعقل ومرجعها الى قاعدة كلامية هي التحسين والتقبيح العقليان وإنكارهما متفق عليه بين الأشاعرة وترجع مسئلة من لم تبلغه الدعوة الى قاعدة ثانية أصولية وهي أن الغافل لا يكلف وهذا هو الصواب في الأصول لقوله تعالى ذلك : ﴿ إن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ﴾ .

ثم اختلفت عبارة الأصحاب فيمن لم تبلغ الدعوة فأحسنها من قال : انه ناج وإياها اختار السبكي ومنهم من قال كأهل الفترة . ومنهم من قال مسلم : قال الغزالي : والتحقيق أن يقال في معنى المسلم : وقد مشى على هذا في والدي رسول الله ﷺ قوم من العلماء فصرحوا بأنهما لم تبلغهما الدعوة ، قال السيوطي : وكان شيخنا شيخ الإسلام شرف الدين المناوي يقول به ويجيب به إذا سئل عنهما قال : وقد ورد في أهل الفترة أحاديث أنهم موقوفون الى أن يمتحنوا يوم القيامة ، فمن أطاع منهم دخل الجنة ومن عصى دخل النار ، وهي كثيرة ومعانيها متقاربة والمصحح منها ثلاثة :

الأول : حديث الأسود بن سربع وأبي هريرة معاً مرفوعاً أربعة يحتجون يوم القيامة رجل أصم لا يسمع شيئاً ، ورجل أحمق ورجل هرم ورجل مات في فترة الحديث ، أخرجه الامام أحمد وابن راهويه والبيهقي وصححه وفيه ، وأما الذي مات في الفترة فيقول : رب ما أتاني لك رسول فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه فيرسل اليهم أن ادخلوا النار فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ومن لم يدخلها سحب اليها .

والثاني : حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ موقوفاً وله حكم المرفوع لأن مثله لا يقال من قبل الرأي ، اخرجه عبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر ، في تفاسيرهم وإسناده صحيح على شرط الشيخين .

والثالث : حديث ثوبان مرفوعاً أخرجه البزار والحاكم في المستدرك . وقال : صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي . قال الحافظ ابن حجر . والظنّ بآبائه ﷺ كلهم الذين ماتوا في الفترة أن يطيعوا عند الامتحان لتقربهم عينه ﷺ . قال القاضي عياض في الأحاديث التي فيها : انه ﷺ جاء قبر أمه فبكى بكاء هائلاً بكاؤه ﷺ ليس لتعذيبها وانما يأسف على ما فاتها من إدراك أيامه والإيمان به . قال الزرقاني : وقد رحم الله بكاءه فأحياها له حتى آمنت به . ثم قال : وما ألطف هذه العبارة من القاضي عياض فانها صريحة في ان البكاء إنما هو لكونها لم تحز شرف الدخول في هذه الأمة لا لكونها على غير الحنيفية . وقال الفخر الرازي في تفسيره : أن أبويّ النبي ﷺ كانا على الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام كما كان زيد عمرو بن نفيل واضرابه بل أن آباء الأنبياء كلهم ما كانوا كفاراً تشريفاً لمقام النبوّة ، وكذلك أمهاتهم وإنّ آزر لم يكن أباً لابراهيم عليه السلام ، بل كان عمه ويدل لذلك قوله تعالى : ﴿ وتقلبك في الساجدين ﴾ مع قوله ﷺ : لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات . وقال تعالى : ﴿ إنما المشركون نجس ﴾ فوجب أن لا يكون أحد من أجداده مشركاً ، وقد ارتضى كلامه هذا أئمة محققون ، منهم العلامة المحقق السنوسي والتلمساني محشي الشفاء ، فقالا : لم يتقدّم لوالديه ﷺ شرك وكانا مسلمين لأنه عليه الصلاة والسلام انتقل من الأصلاب الكريمة الى الأرحام الطاهرة ، ولا يكون ذلك إلا مع الايمان بالله تعالى ، وما نقله المؤرخون قلة حياء وأدب ، وهذا لازم في جميع الآباء ، وقد أيد الجلال السيوطي كلام الفخر الرازي بأدلة كثيرة وألف في ذلك رسائل فجزاه الله خيراً وشكر سعيه ، فمن تلك الأدلة حديث البخاري : بعثت من خير قرون

بني آدم قرناً فقرناً حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه ، مع ما ثبت أن الأرض لم تخل من سبعة مسلمين فصاعداً يدفع الله بهم عن أهل الأرض .

وأخرج عبد الرزاق وابن المنذر بسند صحيح على شرط الشيخين عن عليّ - رضي الله عنه - قال : لم يزل على وجه الأرض سبعة مسلمون فصاعداً ولولا ذلك لهلكت الأرض ومن عليها . وأخرج الإمام أحمد في الزهد بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : ما خلت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الأرض وإذا قرنت بين هاتين المقدمتين أعني بعثت من خير قرون بني آدم الخ وأنّ الأرض لم تخل من سبعة مسلمين الخ أنتج ما قاله الإمام لأنه إن كان كل جد من أجداده من جملة السبعة المذكورين في زمانهم ففيه المدعي ، وإن كانوا غيرهم فإما أن يكونوا على الحنيفية دين إبراهيم - عليه السلام - فهو المدعي وإما أن يكونوا على الشكر فيلزم أحد أمرين إما أن يكون غيرهم خيراً منهم وهو باطل لمخالفته الحديث الصحيح ، وإما ان يكونوا خيراً وهم على الشرك وهو باطل بالإجماع . وقال تعالى : ﴿ ولعبد مؤمن خير من مشرك ﴾ فثبت أنهم على التوحيد ليكونوا خير أهل الأرض في زمانهم وساق نصوصاً وأدلة كثيرة في إيمان الآباء الطاهرين من آدم إلى إبراهيم - عليهما السلام - ثم قال : وقد صحت الأحاديث في البخاري وغيره وتظافرت نصوص العلماء بأنّ العرب من عهد إبراهيم على دينه لم يكفر منهم أحد إلى أن جاء عمرو بن عامر الخزاعي الذي يقال له عمر بن لحي ، فهو أول من عبد الأصنام وغير دين إبراهيم وكان قريباً من كنانة جد النبي ﷺ . ثم ساق أدلة تشهد بأن عدنان ومعداً وربيعة ومضر وخزيمة وأسداً والياس وكعباً على ملة ابراهيم . ثم قال فتلخص من مجموع ما سقناه أن أجداده من آدم الى كعب وولده مرة مصرح بإيمانهم إلا آزر فانه مختلف فيه فان كان والد إبراهيم فإنه يستثني وان كان عمه كما هو أحد القولين فهو خارج عن الأجداد ، وسلمت سلسلة النسب . قال الحافظ ابن ناصر رحمه الله :

تنقل أحمد نوراً عظيماً تلألأ في جباه الساجدينا
تنقل فيهم قرناً فقرناً إلى أن جاء خير المرسلينا

قال السهيلي : ان عبد المطلب لم تبلغ الدعوة وجاءت أدلة كثيرة تشهد بأن عبد المطلب

كان على الحنيفية والتوحيد . وذكر ابن سيد الناس ان الله احياه حتى آمن به ﷺ لكن هذا لم يرد به حديث صحيح ولا ضعيف فالأكثرون على انه لم تبلغه الدعوة أو انه كان على الحنيفية ، ويؤيده قوله ﷺ يبعث جدي عبد المطلب في زي الملوك وأبهة الأشراف ، ذكره في السيرة الحلبية عن ابن عباس - رضي الله عنهما - ويؤيده أيضاً ما اتضح له من المبشرات التي بشر بها على ألسنة الأحبار والكهان مع ما رآه من المنامات والإشارات حتى تبين له أن محمداً ﷺ هو النبي الموعود به آخر الزمن ، حتى ذكره بعضهم في الصحابة منهم الحافظ ابن حجر في الإصابة وابن السكن لما جاء عنه أنه ذكر أن النبي ﷺ سيبعث كما ذكروا بحيرا الراهب وأنظاره ممن مات قبل البعثة من الصحابة وإن كان الصحيح عند المحققين عدم ثبوت الصحبة لأنها متوقفة على الاجتماع بعد البعثة . وقد روي عن عبد المطلب أخبار كثيرة تقتضي أنه عرف بها نبوّة النبي ﷺ فمن ذلك أن قوماً من بني مدلج وهم القافة المعروفون بالآثار والعلامات قالوا له في حق النبي ﷺ احتفظ به فانا لم نر قدماً اشبه بالقدم الذي في المقام منه أي وهي قدم إبراهيم عليه السلام - وبينا عبد المطلب يوماً في الحجر وعنده أسقف نجران والأسقف رئيس النصارى في دينهم ، وذلك الأسقف يحدثه ويقول : إنا نجد صفة نبي تقي من ولد اسمعيل وهذا البلد مولده . ومن صفته كذا وكذا فأتى برسول الله ﷺ فنظر اليه وإلى عينيه وإلى ظهره وقدميه فقال : هو هو : ما هذا منك . قال : هذا إبني قال : ما نجد أباه حياً قال هو ابن ابني وقد مات ابوه وأمه حبلى به قال : صدقت قال عبد المطلب لبنيه تحفظوا بابن اخيكم ألا تسمعون ما يقال فيه ؟ وعن أم أيمن - رضي الله عنها - قالت : كنت احصن النبي ﷺ أي أقوم بتربيته وحفظه فغفلت عنه يوماً فلم أدر إلا بعبد المطلب قائماً على رأسي يقول : يا بركة قلت : لبيك . قال : أتدرين أين وجدت ابني ؟ قلت : لا أدري . قال : وجدته مع غلمان قريباً من السدرة لا تغفلي عن ابني فان أهل الكتاب يزعمون انه نبي هذه الأمة وأنا لا آمن عليه منهم ، وكان عبد المطلب لا يأكل طعاماً إلا يقول عليّ بابني أي احضروه ويجلسه بجنبه وربما أقعده على فخذه ويؤثره بأطيب طعامه ، وعن رقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم بن عبد مناف قيل أدركت الإسلام ولها صحبة قالت : تتابعت على قريش سنون أي أزمنة قحط وجدب وذهب بالأموال واشفين اي أشرفن على الأنفس فسمعت قائلاً يقول في المنام : يا معشر قريش إن هذا النبي المبعوث منكم هذا ابن أيان وقت خروجه به ويأتيكم الحيا والخصب فانظروا رجلا من أوساطكم أي أشرافكم نسباً طوالاً عظاماً أي طوالاً عظيماً أبيض مقرون الحاجبين أهدب

الأشفـار ، اي طويل شعـر الأجفـان اسيل الخـدين أي لا شعـر بهما رقيق العرنين اي الأنف ، فليخـرج هو وجميع ولـده وليخـرج منـكم من كل بطـن رجل فيتطهروا ويتطيبوا ثم استلموا الركن ، ثم ارقوا الى رأس أبي قبيس ، ثم يتقدم هذا الرجل فيستسقي وتؤمنون فانكم تسقون فأصبحت وقصت رؤياها عليهم فنظروا فوجدوا هذه الصفة صفة عبد المطلب فاجتمعوا عليه وأخرجوا من كل بطن رجلاً وفعلوا ما أمرتهم به ثم علوا على أبي قبيس ومعهم النبيﷺ وهو غلام ، فتقدم عبد المطلب فقال : لا هم هؤلاء عبيدك وإماؤك وبنو امائك وقد نزل بنا ما ترى وتتابعت علينا هذه السنون ، فذهبت بالظلف والخف والحافر أي البقر والإبل والخيل والبغال والحمير ، فأشفت على الأنفس أي اشرفت على ذهابها فأذهب عنا الجدب ، وائتنا بالحيا والخصب ، فما برحوا حتى سالت الأدوية قال : وسمعت شيخان قريش وهي تقول لعبد المطلب : هنيئاً لك يا أبا البطحاء بك عاش أهل البطحاء ، وفي هذه القصة تقول رقيقة :

بشيبة الحمد اسقى الله بلدتنا ... وقد عدمنا الحيا واجلوّذ المطر
فجاء بالماء جوّ نوله سبل ... دان فعاشت به الأنعام والشجر
منا من الله بالميمون طائره ... وخير من بشرت حقابه مضر
مبارك الاسم يستسقي الغمام به ... ما في الأنام له عدل ولا خطر

ولما سقوا لم يصل المطر إلى بلاد قيس ومضر فاجتمع عظماؤهم وقالوا قد أصبحنا في جهد وجدب ، وقد سقى الله الناس بعبد المطلب فاقصدوه ولعله يسأل الله فيكم ، فقدموا مكة ودخلوا على عبد المطلب فحيوه بالسلام ، فقال لهم : افلحت الوجوه وقام خطيبهم فقال : قد اصابتنا سنون مجدبات وقد بان لنا أثرك وصحح عندنا خبرك ، فاشفع لنا عند من شفعك وأجرى الغمام لك فقال عبد المطلب سمعاً وطاعة موعدكم غداً عرفات ثم أصبح غادياً اليها وخرج معه الناس وأولاه ومعه رسول اللهﷺ وهو صغير ، فنصب لعبد المطلب كرسي فجلس عليه وأخذ رسول الله ﷺ فوضعه في حجره ، ثم قام عبد المطلب ورفع يديه وقال : اللهم رب البرق الخاطف ، والرعد القاصف . رب الأرباب وملين الصعاب ، هذه قيس ومضر من خير البشر قد تشعثت رؤوسها وحدبت ظهورها تشكو اليك شدة الهزال ، وذهاب النفوس والأموال ، اللهم

فأتح لهم سحابا خوّارة وسماء خرّارة لتضحك أرضهم ، ويزول ضرهم فما استتم كلامه حتى نشأت سحابة وكفاء لها دويّ وقصدت نحو بلادهم . فقال عبد المطلب : يا معشر قيس ومضر ، انصرفوا فقد سقيتم فرجعوا وقد سقوا .

وذكر ابن الجوزي أنه ﷺ في سنة سبع من مولده أصابه رمد شديد فعولج بمكة فلم يفد فقيل لعبد المطلب ان في ناحية عكاظ راهبا يعالج الأعين فركب اليه فناداه وديره مغلق فلم يجبه فتزلزل ديره حتى خاف أن يسقط عليه فخرج مبادراً فقال : يا عبد المطلب إن هذا الغلام نبي هذه الأمة ، ولو لم أخرج اليك لخرب علي ديري فارجع به واحفظه لا يقتله بعض أهل الكتاب ، ثم عالجه وأعطاه ما يعالج به . وفي رواية : أن الراهب أخرج صحيفة وجعل ينظر اليها والى رسول الله ﷺ ثم قال : هو والله خاتم النبيين ، ثم قال : يا عبد المطلب هذا رمد ؟ قال : نعم . قال ان دواءه معه خذ من ريقه ﷺ وضعه على عينيه ﷺ فبرأ لوقته . ثم قال الراهب : يا عبد المطلب وتالله هذا الذي أقسم على الله فأبرىء المرضى وأشفي الأعين من الرمد وتقدم من مناقب عبد المطلب وفيها ما يدل على توحيده منها أمره لبنيه بمكارم الأخلاق ، وتحنثه بغار حراء وإطعامه المساكين حتى كان يرفع للطير والوحوش في رؤوس الجبال من مائدته ، وقطعه يد السارق ووفاؤه بالنذر ، وتحريمه الخمر على نفسه ، ومنعه من الزنا من نكاح المحارم ، وقتل الموءودة وأن لا يطوف بالبيت عريان ، ومن ذلك قوله : والله إن وراء هذه الدار داراً يجزى فيها المحسن بإحسانه ويعاقب فيها المسيء باساءته ومن ذلك قوله حين دعائه لأهل مكة عند مجيء اصحاب الفيل :

لا هم أن المرء يمنع رحله فامنع رحالك
وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

ومن ذلك قوله حين أراد ذبح ابنه عبد الله ، فكان يضرب القداح ويقول : يا رب أنت الملك المحمود وأنت ربي الملك المعبود ، من عندك الطارف والتليد فهل التوحيد شيء غير هذا ؟ كلا والله . وأما فروع الشريعة فانها متوقفة على البعثة بالاجماع فلا يكلف أحد بها قبل ذلك وتقدم أنه كان يوضع له فراش في ظل الكعبة لا يجلس عليه أحد غيره ويحدق به أشراف قريش فيجيء النبي ﷺ ويجلس معه ، فأراد بعض أعمامه ان يمنعه فقال عبد المطلب : ردّوا ابني الى مجلسي فانه محدثه نفسه بملك عظيم وسيكون له شأن وأرجو أن يبلغ

من الشرف ما لم يبلغه عربي قبله ولا بعده ولما مات كانﷺ يبكي خلف سريره .

وروى أبو نعيم في الحلية والبيهقي أن سيف بن ذي يزن الحميري لما ولّي على الحبشة وذلك بعد مولد رسول الله ﷺ بسنتين أتاه وفود العرب وأشرافها وشعراؤها لتهنئته بهلاك ملوك الحبشة وبولايته عليهم ، لأن ملك اليمن كان لحمير فانتزعته الحبشة منهم واستمر في يد الحبشة سبعين سنة ثم ان سيف بن ذي يزن الحميري استنقذ ملك اليمن من الحبشة واستقر فيه على ما كان عليه آباؤه فجاءت العرب تهنئه من كل جانب وكان من جملتهم وفد قريش ، وفيهم عبد المطلب وأمية بن عبد شمس وغالب رؤسائهم ، كعبد الله بن جدعان التميمي وأسد بن عبد العزى ووهب بن عبد مناف بن زهرة وقصي بن عبد الدار ، فأخبر بمكانهم وكان في قصره بصنعاء وهو مضمخ بالمسك وعليه بردان والتاج على رأسه وسيفه بين يديه وملوك حمير عن يمينه وشماله فأذن لهم فدخلوا عليه ودنا منه عبد المطلب .

وفي الوفاء للسيد السمهودي وجدوه جالساً على سرير من الذهب وحوله أشراف اليمن على كراسي من الذهب ، فوضعت لهم كراسي من الذهب فجلسوا عليها إلا عبد المطلب فإنه قام بين يديه واستأذنه في الكلام فقال : إن كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد أذنا لك فقال : إن الله أحلك أيها الملك محلاً رفيعاً شامخاً وانبتك نباتاً طالت أرومته ، وعظمت جرثومته ، وانت ملك العرب الذي له تنقاد ، وعمودها الذي عليه العماد ، وكهفها الذي يلجأ اليه العباد ، سلفك خير سلف ، وانت فيهم خير خلف ، فلن يهلك ذكر من أنت خلفه ولن يخمل ذكر من انت سلفه نحن أهل بيت حرم الله وسدنة بيته أشخصنا اليك الذي أبهجنا من كشف الكرب الذي أثقلنا فنحن وفد التهنئة لا وفد الترزئة اي التعزية . فعند ذلك قال له الملك : من أنت أيها المتكلم ؟ قال : عبد المطلب بن هاشم . قال : ابن اختنا لأن أم عبد المطلب من الخزرج وهم من اليمن . نعم . قال : ادْن ثم اقبل عليه وعلى القوم . وقال مرحباً وأهلاً وناقة ورحلاً ومستناخاً سهلاً وملكاً سجلاً : أي كثير العطاء قد سمع مقالتكم ، وعرف قرابتكم ، وقبل وسيلتكم فانكم أهل الليل والنهار ولكم الكرامة ما أقمتم والحباء اي العطاء إذا ظعنتم ، ثم أمرهم بالنهوض الى دار الضيافة والوفود وأجرى عليهم الأرزاق فأقاموا بذلك شهراً لا يصلون إليه ولا يؤذن لهم بالانصراف ثم انتبه انتباهة فأرسل إلى عبد المطلب فأدناه ثم قال يا عبد المطلب إني مفض إليك من سر علم لو غيرك يكون لم نبح له به ولكن رأيتك معدنه

فأطلعتك طلعه أي عليه فليكن عندك مخبأ حتى يأذن الله عز وجل فيه ، إني أجد في الكتاب المكنون والعلم المخزون ، الذي ادّخرناه لانفسنا ، وأحتجبناه دون غيرنا خيراً عظياً وخطراً جسياً ، فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاء للناس عامة ، ولرهطك كافة ولك خاصة .

فقال له عبد المطلب : مثلك أيها الملك سر وبر فما هو فداك أهل الوبر زمراً بعد زمر ، قال : إذا ولد غلام بتهامة ، بين كتفيه شامة ، كانت له الإمامة ولكم به الزعامة ، إلى يوم القيامة ، فقال له عبد المطلب : أيها الملك ابت بخير آب بمثله وافد قوم ولولا هيبة الملك وإعظامه لسألته من مساره إياي اي مسارته اياي بما أزداد به سروراً فقال له الملك : هذا حينه الذي يولد فيه أو قد ولد اسمه محمد ، يموت ابوه وأمه يكفله جده وعمه قد ولدناه مراراً والله باعثه جهاراً ، وجاعل له منا أنصاراً يعز بهم أولياءه ، ويذل بهم أعداءه ويضرب بهم الناس عن عرض أي جميعاً ويستفتح بهم كرائم الأرض بعبد الرحمن ويدحض الشيطان ، أي يزجره ويخمد النيران ، ويكسر الأوثان ، قوله فصل ، وحكمه عدل ، أي يأمر بالمعروف ويفعله ، وينهى عن المنكر ويبطله ، قال له عبد المطلب : جد جدك ، ودام ملكك ، وعلا كعبك فهل الملك ساري بإفصاح ، فقد وضح لي بعض الايضاح ، قال والبيت ذي الحجب ، والعلامات على النقب ، إنك لجده يا عبد المطلب غير كذب ، ثلج صدرك وعلا كعبك فهل أحسست بشيء مما ذكرت لك ؟ قال : نعم أيها الملك : إنه كان لي ابن وكنت به معجباً وعليه رفيقاً وإني زوّجته كريمة من كرائم قومي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة فجاء بغلام فسميته محمداً ، مات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه يعني أبا طالب .

فقال له الملك : إن الذي قلت لك كما قلت فاحتفظ من ابنك واحذر عليه اليهود فانهم له اعداء ، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلاً من باب الاحتياط والإعلام بقدره ، ثم قال له : واطو ما ذكرته لك عن هؤلاء الرهط الذين معك ، فإني لست آمن أن تداخلهم النفاسة في أن تكون لهم الرسالة ، فينصبون له الحبائل ويبغون له الغوائل ، وهم فاعلون ذلك وأبناؤهم من غير شك ، ولولا أعلم أن الموت مجتاحي أي مهلكي قبل مبعثه لسرب بخيلي ورجلي حتى أصير بيثرب دار ملكه فإني أجد في الكتاب الناطق والعلم السابق ، أن يثرب أحكام أمره وأهل نصرته وموضع قبره ولولا اني أفيه الآفات ، وأحذر عليه العاهات ، لأعلنت على حداثة سنة أمره ، وأعليت على أسنان العرب كعبه ، ولكن سأصرف ذلك اليك من غير تقصير بمن معك ، ثم دعا بالقوم وأمر لكل واحد منهم بعشرة

أعبد سود وعشرة إماء سود وحلتين من حلل البرود وعشرة أرطال ذهباً وعشرة أرطال فضة ومائة من الإبل وكرسياً مملوءاً عنبراً وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك . وقال : إذا جاء الحول فأتني بخبره وما يكون من أمره فمات الملك قبل أن يحول الحول وكان عبد المطلب كثيراً ما يقول لمن معه : لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك ، ولكن يغبطني بما يبقى لي ولعقبي ذكره وفخره ، فإذا قيل له ما هو قال سيعلم ما أقول ولو بعد حين . قال الزرقاني في شرح المواهب : وما ذكره الفخر الرازي من تفسير قوله تعالى : ﴿ وتقلبك في الساجدين ﴾ بتنقيله في أصلاب الطاهرين وأرحام الطاهرات هو وجه من وجوه في تفسير الآية وليس مراده الحصر في هذا الوجه ، ولكن هذا الوجه هو الأولى بالقبول . فقد أخرج ابن سعد والبزار والطبراني وأبو نعيم عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - في قوله تعالى : ﴿ وتقلبك في الساجدين ﴾ قال من نبي الى نبي ومن نبي الى نبي حتى اخرجتك نبيا ، ففسر تقلبه في الساجدين بتقلبه في أصلاب الأنبياء ولو مع الوسائط وحمل الآية على أعم منهم وهم المصلون ، الذين لم يزالوا في ذرية ابراهيم أوضح . وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله تعالى : ﴿ رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ﴾ قال فلن تزال من ذرية ابراهيم ناس على الفطرة يعبدون الله تعالى . وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - ومجاهد في قوله تعالى : ﴿ وجعلها كلمة باقية في عقبه ﴾ أنها لا إله إلا الله باقية في عقب إبراهيم عليه السلام ، وعن قتادة في الآية قال : هي شهادة أن لا إله إلا الله والتوحيد لا يزال في ذريته من يقولها من بعده .

قال الشهاب ابن حجر الهيتمي : ان أهل الكتابين والتاريخ أجمعوا على ان آزر لم يكن أباً لابراهيم حقيقة وإنما كان عمه ، والعرب تسمي العم أباً كما جزم به الفخر ، بل في القرآن ذلك . قال تعالى : ﴿ وإله آبائك ابراهيم واسمعيل ﴾ مع أنه عم يعقوب وقد سبق الرازي على ذلك جماعة من السلف ، فقد روي بالأسانيد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - ومجاهد وابن جريج والسدي قالوا : ليس آزر أبا ابراهيم انما هو ابراهيم بن تارخ ووقفت على أثر في تاريخ ابن المنذر صرّح فيه بانه عمه. قال الزرقاني : وبه يعلم عدم صحة ما تحامل به بعض المتأخرين جداً . فخطأ من قال انه عمه ، وزعم انه تبع الشيعة وأنه مخالف للكتاب والسنة وأهلها وغيرهم ، وزعم اتفاق المفسرين وغيرهم على ان والد ابراهيم كان كافراً وإنما الخلاف في اسمه ، وأطال في بيان ذلك بما لا طائل تحته وحاصله انه احتجاج فقيه بمحل النزاع وتخطئته هي الخطأ وحصره القول به للشيعة باطل ، كيف وقد قال

اولئك السلف أنه عمه . وحكاه الرازي ونقله حافظ السنة في عصره وأقرّه وايده بما لا محيص عنه ان في ذلك لعبرة لأولي الأبصار وقد وافق الرازي على الاستدلال بهذه الآية لهذا المعنى الماوردي من ائمة الشافعية وناهيك بهما وأما الأخبار الواردة في تعذيب بعض أهل الفترة المعارضة للقول بنجاتهم ، فقد أجاب العلماء عنها بأجوبة كثيرة منها ؛ أنها أخبار آحاد فلا تعارض القاطع كقوله تعالى : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾ مع ضعف اكثر تلك الاخبار وقبول صحيحها للتأويل أو أنها منسوخة بما ورد في الأبوين مما يخالفها .

فمن الأحاديث المعارضة ما رواه ابن ماجة عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال جاء أعرابي الى النبيﷺ فقال : إن أبي كان يصل الرحم وكان وكان فأين هو ؟ فقال : في النار فكأنه وجد من ذلك فقال : إين أبوك أنت ؟ فقال حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار ، فأسلم الأعرابي بعد فقال : لقد كلفني رسول اللهﷺ تعباً ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار ، وأجملﷺ الجواب بقوله ، حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار جرياً على عادته إذا سأله أعرابي وخاف من إفصاح الجواب له فتنة واضطراب قلب أجابه بجواب فيه تورية وإيهام فهنا لم يفصح له بحقيقة الحال ومخالفة أبيه لأبيه في المحل الذي هو فيه خشية إرتداده لما جبلت عليه النفوس من كراهة الاستئثار عليها ، ولما كانت عليه العرب من الجفاء وغلظ القلوب فأورد له جواباً موهماً تطييباً لقلبه ، فتعين الاعتماد على هذا اللفظ وتقديمه على غيره مما غيره الرواة ورووه بالمعنى ، كرواية مسلم ، أن رجلاً قال : يا رسول الله أين أبي ؟ قال في النار ؟ فلما قفا دعاه فقال : ان أبي وأباك في النار . فهذه الرواية منكرة وللعلماء فيها كلام كثير ، لخصه الزرقاني في شرح المواهب ، وأحسن ما يقال فيها أن الرواة تصرفوا فيها واختلفت رواياتهم وأن الصواب هو الرواية الأولى ، فهي في غاية الاتقان ، تبين بها أن اللفظ العام هو الصادر من النبيﷺ ، ورآه الاعرابي بعد إسلامه أمراً مقتضياً للامتثال فلم يسعه إلا امتثاله . ثم لو فرض اتفاق الرواة على رواية مسلم كان معارضاً بالأدلة القرآنية والأدلة الواردة في أهل الفترة ، والحديث الصحيح إذا عارضته أدلة أخرى وجب تأويله وتقديم تلك الأدلة عليه كما هو مقرّر في الأصول .

فإن قيل : حيث قررت أن اهل الفترة لا يقضي عليهم بشيء حتى يمتحنوا فكيف حكمﷺ على أبي السائل بأنه في النار ؟ أجاب السيوطي بجواز أنه يعصي عند الامتحان ، وأوحي اليهﷺ بذلك فحكم بأنه من أهل النار وبأن حديثه متقدم على أحاديث أهل الفترة فيكون منسوخاً بها وبجواز أنه عاش حتى أدرك البعثة وبلغته وأصرّ ومات في عهده وهذا لا

عذر له البتة . قال الزرقاني : وفي الثالث نظر لأنه لو كان كذلك لما كان لسؤاله عن الأب الكريم وجه إذ الفرق لائح لأن أباه بلغته البعثة والأب الشريف لم تبلغه ، اللهم إلا أن يجاب بأن الأعرابي توهم أنه لا يكفي بلوغ البعثة حتى يشاهد النبي ؛ ولا ينكر هذا منه لأنه لم يكن حينئذ تفقه في الدين ، بل لم يكن أسلك كما صرح به في حديث سعد وابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ وبعضهم روى هذه القصة بأن السؤال عن الأم وجمع بأنه سأله مرة عن أبيه ومرة عن أمه .

ومن الأحاديث المعارضة للنجاة

حديث مسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً : استأذنت ربي أن استغفر لأمي فلم يأذن لي واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكر الآخرة وأجيب كما في الزرقاني بأن حديث عدم الاذن في الاستغفار لا يلزم منه الكفر ، بدليل أنه ﷺ كان ممنوعاً في أوّل الإسلام من الصلاة على من عليه دين لم يترك له رفاء ومن الاستغفار مع أنه من المسلمين وعلل بأن استغفارة مجاب على الفور ، فمن استغفر له وصل ثواب دعائه الى منزله في الجنة والمديون محبوس عن مقامه الكريم حتى يقضي دينه ، فقد تكون أمه مع كونها متحنفة محبوسة في البرزخ عن الجنة لأمور أخر غير الكفر ، اقتضت أن لا يؤذن له في الاستغفار إلى أن أذن الله فيه ، بعد ذلك قال : وأما حديث أمي مع أمكما على ضعف اسناده فلا يلزم منه كونها في النار ، لجواز أنه أراد بالمعية كونها معها في دار البرزخ أو غير ذلك ، وعبر بذلك تورية وإيهاماً تطيباً لقلوبهما . قال : وأحسن منه أنه صدر ذلك منه قبل أن يوحى إليه أنها من أهل الجنة كما قال في تبع لا أدري تبعاً ألعيناً كان أم لا . أخرجه الحاكم وابن شاهين عن ابي هريرة ـ رضي الله عنه ـ وقال بعد أن أوحى اليه في شأنه : لا تسبوا تبعاً فانه كان قد أسلم ، أخرجه ابن شاهين في الناسخ والمنسوخ عن سهل وابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فكأنه أولاً لم يوح إليه في شأنها بشيء ، ولم يبلغ القول الذي قالته عند موتها ولا تذكره فأطلق القول بأنها مع أمهما جرياً على قاعدة أهل الجاهلية ثم أوحى اليها أمرها بعد . قال ويمكن الجواب بانها كانت موحدة غير أنها لم يبلغها شأن البعث والنشور ، وذلك أصل كبير فأحياها الله له حتى آمنت بالبعث ، وبجميع ما في شريعته ولذا تأخر احياؤها الى حجة الوداع حتى تمت الشريعة ونزل ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ فأحييت حتى آمنت بجميع ما أنزل عليه وهذا معنى نفيس بليغ وتقدم عن

القاضي عياض ان الأحاديث التي فيها البكاء عن قبر أمه ، تحمل على أن بكاءه ليس لتعذيبها وانما كان أسفاً على ما فاتها من إدراك أيامه اي بعثته ، والايمان به . وقد رحم الله بكاءه فأحياها حتى آمنت .

ومن الأحاديث المعارضة للنجاة ما رواه الحاكم عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ أومأ الى المقابر أي أشار إلى أنه يريد الذهاب إليها فاتبعناه فجاء حتى جلس الى قبر منها فناجاه طويلاً ثم بكى فبكينا لبكائه ، ثم قام فقام اليه عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فدعاه ثم دعانا فقال : ما أبكاكم ؟ فقلنا : بكينا لبكائك فقال : ان القبر الذي جلست عنده قبر آمنة واني استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي وإني استأذنته في الدعاء . وفي رواية : في الاستغفار لها فلم يأذن لي وأنزل علي : ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى ﴾ فأخذني ما يأخذ الولد للوالد اي من الرقة والشفقة والجواب عنه انه حديث ضعيف ، ضعفه ابن معين وغيره . قال الذهبي فيه ابو ايوب بن هانىء ضعيف . قال السيوطي : فهذه علة تقدح في صحته فلا عبرة بتصحيح الحاكم له مع أنه معارض بالأحاديث التي فيها أن الآية نزلت في أبي طالب وأما ما يذكره بعض المفسرين من أن قوله تعالى : ﴿ إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ولا تسئل عن أصحاب الجحيم ﴾ نزلت في الأبوين ، فذلك باطل لا أصل له . بل الآية نزلت في اليهود والنصارى . قال ابو حيان : في البحر وسابق الآيات ولواحقها تدل على ذلك وقيل إنها نزلت في أبي طالب وسيأتي الكلام عليه فان قلت قد صحت أحاديث بتعذيب بعض أهل الفترة كحديث البخاري ومسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً رأيت عمرو ابن لحي يجر قصبه في النار ، وكحديث مسلم رأيت صاحب المحجن في النار وهو الذي يسرق الحاج بمعجنه ، فإذا بصر به احد قال : إنما تعلق بمعجني وإن غفل عنه ذهب به وأجيب عن ذلك بأجوبة : أحدها بأنها أخبار آحاد تفيد الظنّ فلا تعارض القطع بأنهم غير معذبين المأخوذ من الآيات القرآنية فوجب تقديم الآيات عليها ، وإن صحت . الثاني : قصر التعذيب المذكور في هذه الأحاديث على هؤلاء اتباعاً للوارد ولا نقيس عليهم غيرهم فلا تنافي القاطع ، والله أعلم بالسبب الموقع لهم في العذاب ، وان كنا نحن لا نعلمه . الثالث : قصر التعذيب المذكور في هذه الأحاديث على من بدّل وغير من أهل الفترة كعمرو ابن لحي فانهم فعلوا من الضلال والإضلال ما لا يعذرون به كعبادة الأوثان وتغيير الشرائع . وقد قسم العلماء أهل الفترة ثلاثة أقسام :

القسم الأوّل

من أدرك التوحيد وعرف الله ببصيرته أي بعمله وخبرته فمنعه هذا التبصر عن عبادة غير الله ثم من هؤلاء من لم يدخل في شريعة كقس بن ساعدة الأيادي فانه آمن بالبعثة في زمن الجاهلية ، وعرف الله بعقله وكان يقول : سيعلم حق من هذا الوجه ويشير الى مكة . قالوا له : وما هذا الحق ؟ قال رجل من ولد لؤي بن غالب يدعوكم الى كلمة الإخلاص وعيش الأبد ونعيم لا ينفد فان دعاكم فأجيبوه ، ولو علمت اني أعيش الى مبعثه لكنت أول من يسعى اليه في كلام آخر. وروى اليعمري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - مرفوعاً رحم الله قساً اني أرجو أن يبعثه الله أمة وحده وسيأتي شيء من اخباره وكزيد بن عمرو بن نفيل والد سعيد بن زيد أحد العشرة المبشّرين بالجنة ، وعم عمر بن الخطاب فانه كان ممن طلب التوحيد وخلع الأوثان وجانب الشرك ومات قبل البعثة ، وكان يقول إني خالفت قومي واتبعت ملة ابراهيم واسمعيل وما كانا يعبدان وكانا يصليان إلى هذه القبلة وأنا انتظر نبياً من بني إسمعيل يبعث ولا أراني أدركه ، وأنا أؤمن به وأصدقه وأشهد انه نبي ، وقال لعامر بن ربيعة : إن طالت بك حياة فأقره مني السلام قال عامر : فلما أعلمت النبي ﷺ بخبره رد - عليه السلام - وترحم عليه وقال : رأيته في الجنة يسحب ذيولاً . ومن هذا القسم أبو بكر الصدّيق - رضي الله عنه - فانه ما كان يفعل ما يفعلون في الجاهلية وما سجد لصنم قط ، ولذا قال بعض المحققين : كل من أبي بكر وعلي - رضي الله عنهما - يلقب بالصدّيق وانه يقال فيه - كرم الله وجهه - لكن اشتهر الصديق في أبي بكر وكرم الله وجهه في علي - رضي الله عنهما - وكل منهما لم يسجد لصنم قط ، ومنهم من دخل في شريعة حق قائمة الرسم كتبع وقومه من حِمْيرَ وأهل نجران وورقة بن نوفل فانهم تنصّروا في الجاهلية قبل نسخ دين النصرانية ، قال الزرقاني : ولا بدع أن يكون الأبوان الشريفان كالقسم الأول ، أعني زيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة بل الأبوان أولى بذلك ، كما تقدم .

القسم الثاني

من أهل الفترة ممن غير وبدّل وأشرك ولم يوحد وشرع لنفسه وحلل وحرّم وهم الأكثر من العرب كعمرو بن لحي بن قمعة بن الياس بن مضر أوّل من سنّ للعرب عبادة الأصنام ، وغير دين ابراهيم وجدّه قمعة بن خندف أبو خزاعة ، وخندف زوج الياس بن

مضر ؛ وقد ذكر ابن إسحٰق في سبب تغيير عمرو بن لحي وتبديله وإشراكه انه خرج الى الشام ، وبها يومئذ العماليق وهم يعبدون الأصنام فاستوهبهم واحداً منها وجاء به إلى مكة فنصبه إلى الكعبة ، وهو هبل وقيل : كان له تابع من الجن يقال له : ابو ثمامة : جاءه ليلة فقال : اجب ابا ثمامة فقال : لبيك من تهامة أدخل بلا ملامة . فقال : ائت سيف جدّه تجد آلهة معده ، فخذها ولا تهب وادع الى عبادتها تجب ؛ قال : فتوجه الى جدّه فوجد الأصنام التي كانت تعبد زمن نوح ، فحملها الى مكة ، ودعا الى عبادتها ، فانتشرت بسبب ذلك عبادة الأصنام في العرب ، وكانت التلبية من زمن ابراهيم عليه السلام : لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك ، حتى كان عمرو بن لحي فبينا هو يلبي تمثل له الشيطان في صورة شيخ يلبي معه فقال عمرو : لبيك لا شريك لك فقال الشيخ إلا شريكاً هو لك فأنكر ذلك عمرو فقال : ما هذا ، فقال : قل تملكه وما ملك فانه لا بأس به فقالها عمرو ، فدانت بها العرب وشرع لهم الأحكام فبحر البحيرة وسيب السوائب ووصل الوصيلة وحمى الحامي فكانوا إذا انتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر ، بحروا أذنها اي شقوها وخلوا سبيلها ، فلا تركب ولا تحلب ولا تطرد من ماء ولا مرعى وسموها البحيرة وكان الرجل منهم يقول : ان شفيت من مرضي او قدمت من سفري فناقتي سائبة ويجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها ، وإذا ولدت الشاة أنثى فهي لهم أو ذكراً فهو لآلهتهم . وإن ولدتهما وصلت الأنثى أخاها فلا يذبح الذكر لآلهتهم وإذا انتجت من صلب الفحل عشرة أبطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى ، وقالوا قد حمى ظهره وكل هذه الأقسام يجعلونها لطواغيتهم ، وتبعته العرب في غير ذلك ايضاً مما يطول ذكره كعبادة الجنّ والملائكة وخرق البنين والبنات واتخذوا بيوتاً لها سدنة وحجاب يضاهون بها الكعبة كاللات والعزى ومناة .

القسم الثالث

وهم من لم يشرك ولم يوحد ولا دخل في شريعة نبي ولا ابتكر لنفسه شريعة ولا اخترع ديناً بل بقي مدة عمره على حين غفلة عن هذا كله . وفي الجاهلية من كان على ذلك وإذا انقسم أهل الفترة إلى الثلاثة الأقسام فيحمل من صح تعذيبه على القسم الثاني لأجل كفرهم بما تعدّوا به من الخبائث ، وقد سمى الله هذا القسم كفاراً ومشركين فإنا نجد القرآن كلما حكى حال أحد منهم سجل عليهم بالكفر والشرك كقوله تعالى في مقام الردّ والإنكار لما ابتدعوه : ﴿ ما جعل الله من بحيرةٍ ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا

يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون ﴾ وانما قيل لهم لا يعقلون لأنهم قلدوا فيه الآباء وهذا شأن اكثرهم بخلاف القليل منهم . فانه تباعد عن ذلك ووحد الله وهم أهل القسم الأول .

وأما القسم الثالث فهم أهل الفترة حقيقة وهم غير معذبين اتفاقاً إذا علمت ذلك تعلم أن والدي النبي ﷺ إما أن يكونا من أهل القسم الأول كما دلت على ذلك أشعارهم وأقوالهم المنقولة عنهم ، فيما تقدم ، وإما أن يكونا من القسم الثالث لم تبلغهما دعوة لتأخر زمنهما وبعد ما بينهما وبين الأنبياء السابقين وكونهما في زمن جاهلية عم الجهل فيها شرقاً وغرباً وفقد فيها من يعرف الشرائع ويبلّغ الدعوة على وجهها إلا نفراً يسيراً من أحبار أهل الكتاب ، مفرّقين في أقطار الأرض كالشأم وغيرها ، وما عهد لهما تقلب في الأسفار سوى المدينة ولا أعطيا عمراً طويلاً يسع الفحص عن المطلوب ، مع زيادة أن امه ﷺ مخدّرة مصونة محجبة في البيت عن الاجتماع بالرجال ، لا تجد من يخبرها ، وإذا كان النساء اليوم مع فشوّ الإسلام شرقاً وغرباً لا يدرين غالب أحكام الشريعة لعدم مخالطتهن الفقهاء فما ظنك بزمان الجاهلية والفترة الذي رجاله لا يعرفون ذلك فضلاً عن نسائه ؟ ولهذا لما بعث ﷺ تعجب أهل مكة وقالوا : ﴿ أبعث الله بشراً رسولاً وقالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة ﴾ فلو كان عندهم علم من بعثة الرسل ما أنكروا ذلك ، وربما كانوا يظنون أن ابراهيم ـ عليه السلام ـ بعث بما هم عليه فإنهم لم يجدوا من يبلغهم شريعته على وجهها لدثورها وفقد من يعرفها إذ كان بينهم وبينها أزيد من ثلاثة آلاف سنة ، وأما أهل القسم الأوّل كقس بن ساعده وزيد بن عمرو فقد قال عليه الصلاة السلام ، في كل منهما ، انه يبعث أمة وحده واستغفر لهما وترحم عليهما وأخبر بأنهما كانا على دين ابراهيم واسمعيل ـ عليهما السلام ـ وذلك بهداية وتوفيق من الله تعالى : وإذا صح ذلك لمثل هذين فلا مانع من حصول مثله لأبائه الكرام وأمهاته الفخام .

واختلفوا في ثبوت الصحبة لقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل والأكثرون على عدم ثبوت الصحبة لأن اجتماعهم بالنبي ﷺ كان قبل بعثته وإرساله إلى الخلق فهم مؤمنون به بالغيب قبل ظهوره ، ولذا جاء عنه عليه الصلاة والسلام أنهم يبعثون بينه وبين عيسى عليه السلام وأما عثمان بن الحويرث وتبع وقومه وأهل نجران فحكمهم حكم أهل الذي دخلوا فيه ما لم يلحق أحدهم الإسلام الناسخ لكل دين ، لكن تبع لم

يدرك الإسلام قطعاً وقال فيه ﷺ قبل أن يوحى اليه فيه لا أدري تبعاً ألعيناً كان ام لآثم لما أوحى الله فيه . قال : لا تسبوا تبعاً فانه كان قد أسلم أي وحد الله وصدق النبي ﷺ قبل ظهوره . وأخرج أبو نعيم عن عبد الله بن سلام ـ رضي الله عنه ـ قال : لم يمت تبع حتى صدق بالنبي ﷺ لما كانت يهود يثرب يخبرونه . قال الإمام جلال الدين السيوطي : إني لم ادّع أن مسئلة الأبوين إجماعية بل هي مسئلة اختلافية فحكمها حكم سائر المسائل المختلف فيها ، غير أني اخترت اقوال القائلين بالنجاة لأنه الأنسب بهذا المقام والحذر الحذر من ذكرهما بما فيه نقص ، فإن ذلك قد يؤذي النبي ﷺ لأن العرف جار بأنه إذا ذكر أبو الشخص بما ينقصه أو وصف بوصف قائم به ، وذلك الوصف فيه نقص تأذى ولده بذكر ذلك عند المخاطبة ، كيف وقد روى ابن منده وغيره عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : جاءت سبيعة بنت أبي لهب الى النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله إن الناس يقولون : أنت بنت حطب النار فقام رسول الله ﷺ وهو مغضب فقال : ما بال أقوام يؤذونني في قرابتي من آذاني فقد آذى الله .

وروى الطبراني والإمام احمد والترمذي عن المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ : لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء ولا ريب إن أذاه ﷺ كفر يقتل فاعله إن لم يتب وعند المالكية يقتل وإن تاب فإذا سئل العبد عن الأبوين الشريفين فليقل هما ناجيان في الجنة . إما لأنهما أحييا حتى آمنا به كما جزم الحافظ السهيلي والقرطبي وناصر الدين بن المنير وغيرهم من المحققين وإما لأنهما ماتا في الفترة قبل البعثة ولا تعذيب قبلها ، كما جزم به الأبي في شرح مسلم ، وإما لانهما كانا على الحنيفية والتوحيد لم يتقدم لهما شرك ، كما قطع به الإمام السنوسي والتلمساني محشي الشفاء ، فهذه خلاصة أقوال المحققين ولا تلتفت الى قول من خالف شيئاً من ذلك . وقد نقل العلامة الطحطاوي من علماء الحنفية المتأخرين في حواشيه على الدر المختار في كتاب النكاح جملة من أقوال المحققين وذكر أن المحققين من الحنفية على هذا الاعتقاد ، ولا عبرة بمخالفة من خالف في ذلك . قال العلامة الزرقاني في شرح المواهب ، وسئل القاضي أبو بكر بن العربي ، أحد أئمة المالكية ، عن رجل قال : إن أبا النبي ﷺ في النار فأجاب بأنه ملعون لقوله تعالى : ﴿ إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعدّ لهم عذاباً مهيناً ﴾ ولا أذى أعظم من أن يقال ابوه في النار ، وأخرج ابن عساكر وأبو نعيم أن رجلاً من كتاب الشام استعمل على كورة من كوره رجلاً كان أبوه يزن بالمنانية فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ فقال له : ما

حملك على أن تستعمل على كورة من كور المسلمين رجلاً كان أبوه يزن بالمنانية ؟ فقال : أصلح الله أمير المؤمنين وما على من كان أبوه كان أبو النبي ﷺ مشركاً؟ فقال عمر: آه ثم سكت ، ثم رفع رأسه ثم قال : أأقطع لسانه ؟ أأقطع يده ورجله ؟ أأضرب عنقه ؟ ثم قال: لا تقل لي شيئاً ما بقيت وعزله عن الدواوين ولقد أطنب الجلال السيوطي ـ رضي الله عنه ـ في الاستدلال لإيمانهما فالله يثيبه على قصده الجميل ، وجملة مؤلفاته في ذلك ستة منها تأليف سماه مسالك الحنا في نجاة آباء المصطفى ﷺ . قال في مسالك الحنفا : وقد سئلت أن أنظم في هذه المسئلة ابياتاً اختم بها هذا التأليف فقلت :

إن الـذي بعـث النبـي محمداً ... أنجـى بـه الثقلـين مما يجحف
ولأمـه وأبيه حكم شائع ... أبـداه أهـل العلـم فيما صنفوا
فجماعـة أجـروهما مجرى الذي ... آبائـه خـير الدعـاة المسعف
والحـكم فيمـن لم يجئـه دعوة ... ان لا عذاب عليه حكم مؤلف
فبـذاك قال الشـافعية كلهم ... والأشعـرية ما بهـم متوقف
وبسـورة الإسراء فيه حجة ... وبنحـو ذا في الـذكر آي تعرف
ولبعض أهـل الفقـه في تعليله ... معنـى أرقّ من النسيم وألطف
ونحـا الإمـام الفخـر رزايّ الورى ... منحـى به للسامعـين تشنف
إذ هم على الفطـر الـذي ولـدوا ولم ... يظهـر عنـاد منهـم وتخلف
قال الألى ولـدوا النبـي المصطفى ... كل على التـوحيد إذ يتحنف
من آدم لأبيه عبـداً لله ما ... فيهـم أخـو شرك ولا يستنكف
فالمشركون كما بسـورة التوبة ... نجس وكلهـم بطهـر يوصف
وبسـورة الشعـراء فيه تقلب ... في الساجـدين فكلهـم متحنف
هذا كلام الشيخ فخـر الـدين في ... أسراره هبطـت عليه الذرف
فجـزاه رب العـرش خـير جزائه ... وحبـاه جنـات النعيم تزخرف
فلقـد تدين في زمـان الجاهليـ ... ـة فرقة دين الهـدى وتحنفوا
زيد بن عمرو وابن نوفل هكذا الصـ ... ـديق ما شرك عليه يعكف
قد فسّر السبـكي بذاك مقالة ... للأشعـري ومـا سواه مزيف
إذ لم تزل عين الرضـا منـه على الصـ ... ـديق وهو بطـول عمـر أحنف

عادت عليه صحبـة الهـادي فما	في الجـاهلية للضلالـة يعرف
فلأمـه وأبـوه أحـرى سيما	ورأت من الآيات ما لا يوصف
وجماعـة ذهبـوا إلى إحيائه	أبـويه حتـى آمنـا لا تحرفوا
وروى ابـن شاهـين حديثـاً مسنداً	في ذاك لكنّ الحـديث مضعف
هذي مسـالك لو تفـرد بعضها	لكفـى فكيف بهـا إذا تتألف
وبحسـب من لا يرتضيهـا صمته	أدبـاً ولـكن اين من هو منصف
صلى الإلّـه على النبـي محمد	ما جددّ الـدين الحنيف محنف
وعلى صحابتـه الـكرام وآله	وفي رضـاه يدوم ولا يتوقف

بابٌ في وفاة جدّه عَبد المطلب
ووَصيّته لأبي طَالب

كان جده عبد المطلب هو الكافل لهﷺ بعد وفاة أبيه وأمه وكان يرق عليه رقة لا يرقها على ولده وكان يدنيه ويقربه ويدخله عنده إذا خلا كما تقدم الكلام على ذلك مستوفى ، وكانت وفاة جده وعمر النبيﷺ ثمان سنين وقيل أكثر وقيل أقل وكان عمر عبد المطلب حين توفي مائة وأربعين سنة ، وقيل مائة وعشرة ، وقيل أقل ودفن بالحجون عند قبر جده قصيّ. ولما حضرته الوفاة أوصى به إلى عمه شقيق أبيه أبي طالب وكان أبو طالب ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية كأبيه عبد المطلب واسمه على الصحيح عبد مناف ، وزعمت الروافض ان اسمه عمران وأنه المراد من قوله تعالى : ﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ﴾ قال الحافظ ابن كثير : وقد أخطئوا في ذلك خطأً كثيراً ولم يتأملوا القرآن قبل أن يقولوا هذا البهتان ، فقد ذكر بعد هذه قوله تعالى : ﴿ رب إني نذرت لكل ما في بطني محرراً ﴾ وحين أوصى به جده لأبي طالب أحبه حباً شديداً لا يحبه أحداً من ولده ، فكان لا ينام إلا إلى جنبه ، وكان يخصه بأحسن الطعام ، وقيل اقترع ابو طالب هو والزبير شقيقه فيمن يكفله منهما ، فخرجت القرعة لأبي طالب ، وقيل بل هو ﷺ اختار أبا طالب لما كان يراه من شفقته عليه وموالاته له ، وقيل إنه كان مشاركاً لعبد المطلب في كفالته ، وقيل كفله الزبير حتى مات عبد المطلب ، ثم كفله أبو طالب يوم موت الزبير ، وهو مردود عند المحققين وكفالة جده وعمه لهﷺ بعد موت أبيه وأمه مذكورة في الكتب القديمة ، فهي من علامات نبوّته . ففي خبر سيف ذي يز ن يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه ولما مات عبد المطلب بكى الناس عليه بكاء كثيراً قال بعضهم : لم يبك علي أحد بعد موته ما بكى على عبد المطلب ، وكانﷺ يسعى خلف سريره ويبكي وهو ابن ثمان

ولم يقم لموته سوق بمكة أياماً كثيرة ، ومما رثته به ابنته أميمة قولها :

أعيني جوداً بدمع درر على ما جد الخير والمقتصر
على ما جد الجد وأرى الزناد جميل المحيا عظيم الخطر
على شيبة الحمد ذي المكرمات وذي المجد والعز والمفتخر
وذي الحلم والفضل في النائبات كثير المفاخر جم الفخر

وكان أبو طالب مقلاً من المال فكان عياله إذا أكلوا وحدهم جميعاً أو فرادى لم يشبعوا ، وإذا أكل معهم النبيﷺ شبعوا ، فكان أبو طالب إذا أراد أن يغديهم أو يعشيهم يقول لهم كما أنتم حتى يأتي ابني ، فيأتي رسول اللهﷺ فيأكل معهم فيشبعون فيفضلون من طعامهم ، وإذا كان لبناً شرب رسول الله ﷺ أوّلهم ثم تناول العيال القعب أي القدح من الخشب ، فيشربون منه فيروون من عند آخرهم أي جميعهم من القعب الواحد وإن كان أحدهم وحده يشرب قعباً واحداً ، فيقول أبو طالب : إنك لمبارك ، وكان ابو طالب يقرب إلى الصبيان أول بكرة النهار شيئاً يأكلونه فيجلسون وينتهبون، فيكف رسول الله ﷺ يده ولا ينتهب معهم تكرماً منه واستحياء ونزاهة نفس وقناعة قلب ، فلما رأى ذلك أبو طالب عزل له طعاماً على حدتّه ولا ينافي ما قبله لأنه يجوز أن يكون ذلك خاصاً بما يحضر في البكرة الذي يقال له الفطور دون الغداء والعشاء ، فانه كان يأكل معهم وهو المتقدم والله أعلم . وكان الصبيان يصبحون شعثا رمصاً مصفرة ألوانهم ويصبح رسول اللهﷺ دهيناً كحيلاً صقيلاً كأنه في أنعم عيش لطفاً من الله به . قالت أم أيمن : ما رأيت رسول الله يشكو جوعاً قط ولا عطشاً لا في صغره ولا في كبره ، وكان يغدو إذا أصبح فيشرب من ماء زمزم شربة ، فربما عرضنا عليه الغداء فيقول أنا شبعان وهذا في بعض الأوقات فلا ينافي ما سبق ، وكان يوضع لأبي طالق وسادة يجلس عليها فجاء النبيﷺ فجلس عليها فقال : إن ابن أخي ليحسر بنعيم ، أي بشرف عظيم . وكان أبو طالب يحبه حباً شديداً لا يحب أولاده كذلك ، ولذا لا ينام إلا إلى جنبه ، ويخرج به متى خرج .

وقد أخرج ابن عساكر عن جلهمة بن عرفطة قال : قدمت مكة وهم في قحطوشدة من احتباس المطر عنهم ، فقائل منهم يقول : اعمدوا اللات والعزى . وقائل منهم يقول: اعمدوا مناة الثالثة الأخرى. فقال شيخ وسيم حسن الوجه جيد الرأي : أنى

تؤفكون وفيكم باقية ابراهيم وسلالة اسمعيل ؟ قالوا : كأنك عنيت أبا طالب فقال : إيهاً فقاموا بأجمعهم فقمت معهم فدققنا الباب عليه فخرج الينا فثاروا اليه فقالوا : يا أبا طالب أقحط الوادي وأجدب العيال فهلم فاستسق فخرج أبو طالب ومعه غلام وهو النبي ﷺ كأنه شمس دجن تجلت عنها سحابة قتماء وحوله أغيلمة ، فأخذه أبو طالب فألصق ظهر الغلام بالكعبة ولاذ الغلام أي أشار باصبعه الى السماء كالمتضرع الملتجىء ، وما في السماء قزعة ، فأقبل السحاب من ههنا وههنا وأغدودق الوادي اي امطر وكثر قطره وأخصب النادي والبادي . وفي هذا يقول أبو طالب يذكر قريشاً حين تمالئوا على أذيته ﷺ بعد البعثة يذكرهم يده وبركته عليهم من صغره :

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل

فهذا الاستسقاء شاهده أبو طالب ، فقال البيت بعد مشاهدته وقد شاهده مرة اخرى قبل هذا ، فروى الخطابي حديثاً فيه أن قريشاً تتابعت عليهم سنو جدب في حياة عبد المطلب فارتقى هو ومن حضره من قريش أبا قبيس ، فقام عبد المطلب واعتضده ﷺ فرفعه على عاتقه ، وهو يومئذ غلام قد أيفع أو قرب . ثم دعا فسقوا في الحال ، فقد شاهد أبو طالب ما دله على ما قال أعني قوله : وأبيض يستسقي البيت وهو من أبيات من قصيدة طويلة نحو ثمانين بيتاً لأبي طالب على الصواب خلافاً لمن قال أنها لعبد المطلب ، فقد أخرج البيهقي عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : جاء أعرابي الى رسول الله ﷺ وشكا الجدب والقحط وأنشد أبياتاً ، فقام رسول الله ﷺ يجر رداءه ، حتى صعد المنبر فرفع يديه الى السماء ودعا فما ردّ يديه حتى التقت السماء بإبراقها ثم بعد ذلك جاؤوا يضجون من المطر خوف الغرق ، فضحك رسول الله حتى بدت نواجذه ، ثم قال : لله در أبي طالب ، لو كان حياً لقرّت عيناه من ينشدنا قوله فقال علي ـ رضي الله عنه ـ كأنك تريد قوله : وأبيض يستسقي وذكر أبياتاً فقال ﷺ :أجل فهذا نص صريح من الصادق ﷺ بأن ابا طالب منشيء البيت وأوّل القصيدة :

ولما رأيت القوم لأودّ عنهم وقد قطعوا كل العرا والوسائل

وقد جاهرونا بالعداوة والأذى ... وقد طاوعوا أمر العدوّ المزايل
وقد حالفوا قوماً علينا أظنة ... يعضون غيظاً خلفنا بالأنامل
صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة ... وابيض عضب من تراث المقاول
اعبد مناف أنتم خير قومكم ... فلا تشركوا في امركم كل واغل
فقد خفت ان لم يصلح الله أمركم ... تكونوا كما كانت احاديث وائل
أعوذ برب الناس من كل طاعن ... علينا بسوء او ملح بباطل
ومن كاشح يسعى بعيبة ... ومن ملحق في الدين ما لم يحاول
وثور ومن أرسى ثبيراً مكانه ... وراق لبر في حراء ونازل
وبالبيت حق البيت في بطن مكة ... وبالله ان الله ليس بغافل
كذبتم وبيت الله نبزي محمداً ... ولما نطاعن عن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل

قال الزرقاني : وما أحلى قوله في ختامها عن ابن اسحق :

لعمري لقد كلفت وجداً بأحمد ... وأحببته دأب المحب المواصل
فمن مثله في الناس أي مؤمل ... إذا قاسه الحكام عند التفاضل
حليم رشيد عاقل غير طائش ... يوالي إلهاً ليس عنه بغافل
فوالله لولا أن أجيء بسبة ... تجرّ على أشياخنا في المحافل
لكنا اتبعناه على كل حالة ... من الدهر جداً غير قول التهازل
لقد علموا أن ابننا لا مكذب ... لدينا ولا يعني بقول الأباطل
فأصبح فينا أحمد في أرومة ... تقصر عنها سورة المتطاول
حديث بنفسي دونه وحميته ... ودافعت عنه بالذرا والكلاكل

قال الإمام عبد الواحد السفاقسي في شرح البخاري : إن في شعر أبي طالب هذا دليلاً على أنه كان يعرف نبوّة النبيﷺ قبل أن يبعث لما أخبره به بحيرا الراهب وغيره من شأنه مع ما شاهده من احواله ، ومنها الاستسقاء به في صغره ومعرفة أبي طالب بنبوّتهﷺ جاء في كثير من الأخبار زيادة على أخذها من شعره ، وتمسك بها الشعية في أنه كان مسلماً ، وألف علي بن حمزة البصري الرافضي جزا جمع فيه شعر أبي طالب ، وقال : إنه

كان مسلماً وأنه مات على الإسلام ، وان الحشوية تزعم أنه مات كافراً وأنهم بذلك يستجيزون لعنه ، ثم بالغ في سبهم والرّد عليهم . قال الحافظ ابن حجر : قد أكثر في هذا الجزء من الأحاديث الواهية الدالة على إسلام أبي طالب ولا يثبت شيء من ذلك ، واستدل لدعواه بما لا دلالة فيه ، والحاصل أن مذهب أهل السنة من المذاهب الأربعة عدم إسلامه وانقياده على حسب ما نطق به القرآن ، وجاءت به السنة ، وإن كان عنده تصديق قلبي بنبوّته ، فان ذلك غير نافع بدون انقياد ظاهري .

وروى البخاري أنه ﷺ كان يقول له عند موته وقبل الغرغرة : يا عم قل لا إلّه إلا الله كلمة أستحل لك بها الشفاعة . وفي رواية أحاج . وفي رواية ، اشهد لك بها عند الله . وفي رواية . يوم القيامة فلما رأى أبو طالب حرص رسول الله ﷺ على إيمانه قال له : يا ابن أخي لولا مخافة قول قريش أني إنما قلتها جزعاً من الموت لقلتها ولو قلتها لا أقولها إلا لأسرّك بها . وجاء في بعض الروايات عند غير البخاري : فلما تقارب من أبي طالب الموت نظر اليه العباس فرآه يحرك شفتيه فأصغى اليه بإذنه فقال : يا ابن أخي والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته بها ولم يصرح العباس بلفظ لا إله إلا الله لكونه لم يكن أسلم حينئذ ، فقال رسول الله ﷺ : لم أسمع : وفي رواية قال العباس : إنه أسلم عند الموت ، وبهذا احتج الرافضة ومن تبعهم على إسلامه ، لكن أجاب عنه القائلون بعدم إسلامه بان شهادة العباس لأبي طالب بالإسلام مردودة ، لكون العباس شهد بها في حال كفره قبل أن يسلم ، مع أن الأحاديث الصحيحة الثابتة في البخاري وغيره قد اثبتت لأبي طالب الوفاة على الكفر .

فقد روى البخاري من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه : أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي فقال : اي عم قل لا إلّه إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله . فقال ابو جهل وعبد الله : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبدالمطلب ؟ فلم يزالا يردّانه حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم به : هو على ملة عبد المطلب وأبى ان يقول لا إلّه إلا الله ، فقال رسول الله ﷺ : والله لا [illegible]رنّ لك ما لم أنْهَ عنك . فأنزل الله تعالى : ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى ﴾ وقوله : هو على ملة عبد المطلب لا ينافي ما تقدم ، أن المحققين على نجاة عبد المطلب لأنه أراد حكاية ظاهر الحال لهم ، مع أن عبد

المطلب له عذر وهو عدم إدراكه البعثة وقد تقدم الكلام عليه مستوفى وأنزل الله أيضا في أبي طالب خطاباً لرسول الله ﷺ ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكنّ الله يهدي من يشاء ﴾ وفي صحيح البخاري ومسلم عن العباس ـ رضي الله عنه ـ أنه قال لرسول الله ﷺ : إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك ويغضب لك فهل ينفعه ذلك ؟ قال : نعم وجدته في غمرات من النار فأخرجته الى ضحضاح وهو مارق من الماء على وجه الأرض الى نحو الكعبين فاستعير للنار . وفي رواية : لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار . قال الزرقاني : لو كانت تلك الشهادة عند العباس لم يسأل عنه لعلمه بحاله ففيه دليل على ضعف تلك الرواية . وقال الحافظ ابن حجر : لو كانت طريقه يعني حديث العباس السابق صحيحة لعارضه هذا الحديث الذي هو اصح منه ، فضلاً عن أنه لا يصح .

وروى ابو داود النسائي وابن الجارود وابن خزيمة عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال : لما مات أبو طالب أخبرت النبي ﷺ بموته فبكى ، وقال : أذهب فاغسله وكفنه وواره غفر الله له ورحمه ، وهذا قبل نزول ﴿ ما كان للنبي ﴾ الآية . وفي رواية : لما مات أبو طالب قلت : يا رسول الله إن عمك الشيخ الضال قد مات ، قال : اذهب فواره . قلت : انه مات مشركاً . قال : اذهب فواره فلما واريته رجعت الى النبي ﷺ فقال : اغتسل . وروى مسلم عنه ﷺ أن أهون أهل النار عذاباً أبو طالب . وروى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أنه ﷺ ذكر عنده عمه أبو طالب فقال : لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه . زاد في رواية : حتى يسيل على قدميه . قال البيهقي : إن هذا الحديث يخصص قوله تعالى : ﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾ فمن خصائصه ﷺ هذه الشفاعة لعمه أبي طالب . ويؤخذ من الحديث ، أنه يجوز أن الله يضع عن بعض الكافرين بعض جزاء معاصيهم تطييباً لقلب الشافع . قال السهيلي : إن أبا طالب كان مع النبي ﷺ بجملته متحيزاً ناصراً له ، إلا أنه كان مثبتاً لقدميه على ملة قريش ، حتى قال عند الموت : انه على ذلك ، فسلط العذاب على قدميه خاصة لتثبيته إياهما على تلك الملة فيكون من مشاكله الجزاء للعم ثبتنا الله على الصراط المستقيم . قال القرافي في قوله السابق :

لقد علموا أن ابننا لا مكذب   لدينا ولا يعني بقول الأباطل

تصريح باللسان واعتقاد بالجنان غير أنه لم يذعن وكان يقول : إني لاعلم أن ما يقوله ابن أخي حق ولولا أخاف أن يعيرني نساء قريش لاتبعته . وفي شعره من هذا النحو كثير ، كقوله حين اجتمعت قريش وجاؤوه بعمارة بن الوليد وقالوا له : خذه بدل محمد ويكون كالابن لك وأعطنا محمداً نقتله . فقال : ما أنصفتموني يا معشر قريش آخذ ابنكم أربيه وأعطيكم ابني تقتلونه ، ثم قال :

والله ان يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة وأبشر بذاك وقر منك عيونا
ودعوتني وعلمت أنك ناصحي ولقد دعوت وكنت ثم أمينا
لولا المسبة او حذار ملامة لوجدتني سمحاً بذاك مبينا

وروى أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة جمع اليه وجوه قريش . وفي رواية عن ابن عباس - رضي الله عنهما - لما اشتكى ابو طالب وبلغ قريشاً ثقله . قال بعضها لبعض : إن حمزة وعمر قد أسلما وفشا أمر محمد فانطلقوا بنا إلى أبي طالب يأخذ لنا على ابن أخيه ويعطه منا فإنا نخاف أن يموت هذا الشيخ فيكون منا شيء يعنون القتل للنبي ﷺ ، فتعيرنا العرب يقولون تركوه حتى إذا مات عمه تناولوه فمشى إليه عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وابو جهل ، وأمية بن خلف ، وابو سفيان بن حرب ، في رجال من أشرافهم فأخبروه بما جاؤوا له . فبعث أبو طالب اليه ﷺ فجاءه فأخبره بمرادهم وقال : يا ابن أخي هؤلاء أشراف قومك وقد اجتمعوا لك ليعطوك وليأخذوا منك ، أعط سادات قومك ما سألوك فقد أنصفوك أن تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك وإلهك . فقال رسول الله ﷺ : أرأيتكم إن أعطيتكم ما سألتم هل تعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم ؟ فقال ابو جهل : لنعطيكها وعشراً معها فما هي ؟ قال : تقولوا لا إله إلا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه فصفقوا بأيديهم وقالوا : يا محمد أتريد أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟ إن امرك لعجيب . فأنزل الله : ﴿ صٓ والقرآن ذي الذكر ﴾ الآيات .

وفي رواية ، قالوا: يسع لحاجتنا جميعا إله واحد ، سلنا غير هذه الكلمة . وقال أبو طالب : يا أبن أخي هل من كلمة غير هذه الكلمة فان قومك قد كرهوها ؟ قال : يا عم ما

أنا بالذي يقول غيرها ، ثم قال : لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها ، فقال بعضهم لبعض : والله ما هذا الرجل يعطيكم شيئاً مما تريدون ، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه ، ثم قالوا عند قيامهم : والله لنشتمك وإلهك الذي يأمرك بهذا. وفي رواية : لتكفنّ عن سب آلهتنا أو لنسبن الذي يأمرك بهذا . وقال ابو طالب عند ذلك : والله يا ابن أخي ما رأيتك سألتهم شحطاً أي امراً بعيداً ، فلما قال ذلك طمع رسول الله ﷺ فيه : فجعل يقول : أي عم فأنت قلها أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة ، فلما رأى حرص رسول الله ﷺ قال له : والله يا ابن اخي لولا مخافة السب عليك وعلى بني أبيك من بعدي وأن يظنّ قريش إني انما قلتها جزعاً من الموت لأقررت بها عينك لما رأى من شدة وجدك ، لكني أموت على ملة الأشياخ ، فأنزل الله تعالى : ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ الآية . وفي رواية :أن اباطالب قال عند موته : يا معشر بني هاشم ، أطيعوا محمداً وصدّقوه تفلحوا وترشدوا . فقال النبي ﷺ : يا عم تأمرهم بالنصيحة لأنفسهم وتدعها لنفسك ؟ قال : فما تريدنا ابن اخي ؟ قال : أريد أن تقول لا إله إلا الله أشهد لك بها عند الله فقال : يا ابن اخي قد علمت أنك صادق لكن اكره أن يقال الخ الحديث ، واجتمعوا مرة اخرى عند أبي طالب فأوصاهم أبو طالب فقال : يا معشر العرب انتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب فيكم السيد المطاع وفيكم المقدّم الشجاع والواسع الباع ، واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيباً إلا أحرزتموه ولا شرفاً إلا ادركتموه ، فلكم بذلك على الناس الفضيلة ، ولهم به اليكم الوسيلة ، والناس لكم حرب وعلى حربكم الب ، وإني أوصيكم بتعظيم هذه البنية يعني الكعبة ـ فان فيها مرضاة للرب وقواماً للمعاش وثباتاً للوطأة ، صلوا أرحامكم فان في صلة الرحم منسأة اي فسحة في الأجل وزيادة في العدد ، واتركوا البغي والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم ، أجيبوا الداعي وأعطوا السائل فان فيهما شرف الحياة والمات ،وعليكم بصدق الحديث وأداء الأمانة فان فيهما محبة في الخاص ومكرمة في العام ، وأوصيكم بمحمد خيراً فإنه الأمين في قريش والصديق في العرب ، وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به ، وقد جاءنا بأمر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنآن ، وأيم الله كأني انظر الى صعاليك العرب ، وأهل الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته ، وصدقوا كلمته ، وعظموا أمره ، فخاض بهم غمرات الموت ، فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناباً ودورها خراباً ، وضعفاؤها أرباباً وإذا أعظمهم عليه احوجهم اليه ، وأبعدهم منه احظاهم عنده قد محضته العرب

ودادها، وأعطته قيادها ، يا معشر قريش كونوا له ولاة ولحزبه حماة . وفي رواية : دونكم ابن أبيكم كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك احد سبيله إلا رشد ، ولا يأخذ أحد بهديه إلا سعد ، ولو كان لنفسي مدة ولأجلي تأخير لكففت عنه الهزاهز ولدفعت عنه الدواهي ، ثم هلك على كفره . وقال لهم مرة : لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وما تبعتم امره فأطيعوه ترشدوا .

قال الزرقاني فانظر واعتبر كيف وقع جميع ما قاله من باب الفراسة الصادقة وكيف هذه المعرفة التامة بالحق ، ومع ذلك سبق فيه قدر القهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار . ولهذا الحب الطبيعي كان أهون أهل النار عذاباً كما في صحيح مسلم . والحاصل ان ظاهر النصوص الشرعية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية كلها تدل على انه مات على كفره ، وأنه كان عنده تصديق بالنبي ﷺ ، ولكن عنده عدم انقياد واستسلام فلم ينفعه تصديقه ، وأما حديث العباس ـ رضي الله عنه ـ الذي فيه : أنه نطق بالشهادتين عند وفاته فانه حديث ضعيف لا يعارض تلك النصوص . وقالت الشيعة بإسلامه تمسكاً بذلك الحديث وبكثير من أشعاره ، لكن مذهب أهل السنة على خلافه . ونقل الشيخ السحيمي في شرحه على شرح جوهرة التوحيد عن الإمام الشعراني والسبكي وجماعة أن ذلك الحديث أعني حديث العباس ثبت عند بعض أهل الكشف ، وصح عندهم إسلامه وأن الله تعالى أبهم أمره بحسب ظاهر الشريعة تطييباً لقلوب الصحابة الذين كان آباؤهم كفاراً ، لأنه لو صرح لهم بنجاته مع كفر آبائهم وتعذيبهم لنفرت قلوبهم وتوغرت صدورهم ، كما تقدم نظيره في حديث الذي قال أين أبي ؟ وأيضاً لو ظهر لهم إسلامه لعادوه وقاتلوه مع النبي ﷺ ولما تمكن من حمايته والدفع عنه ، فجعل الله ظاهر حاله كحال آبائهم وأنجاه في باطن الأمر لكثرة نصرته للنبي ﷺ وحمايته له ومدافعته ، ولكن هذا القول ، أعني القول بإسلامه عند بعض أهل الحقيقة مخالف لظاهر الشريعة فلا ينبغي التكلم به بين العوام بل لا ينبغي كثرة الخوض في شأنه وإنما يفوض الأمر فيه الى الله تعالى ، فإنه اسلم للعبد . قال في السيرة الحلبية نقلاً عن الهدي النبوي لابن القيم ، وكان من حكمة أحكم الحاكمين بقاؤه على دين قومه لما في ذلك من المصالح التي تبدو لمن تأملها وكذلك أقرباؤه وبنو عمه الذين تأخر إسلام من أسلم منهم ، ولو أسلم ابو طالب وبادر أقرباؤه وبنو عمه إلى الاسلام به لقيل قوم أرادوا الفخر برجل منهم وتعصبوا له ، فلما بادر اليه الأباعد وقاتلوا على حبه من كان منهم حتى أن الشخص منهم يقتل أباه وأخاه علم ان ذلك إنما هو على بصيرة صادقة ، ويقين ثابت . ولما

مات ابو طالب نالت قريش من النبيﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع فيه في حياة ابي طالب حتى ان بعض سفهاء قريش نثر على رأس النبيﷺ التراب ، فدخلﷺ بيته والتراب على رأسه فقامت اليه بعض بناته وجعلت تزيله عن رأسه وتبكي ، ورسول الله ﷺ يقول لها : لا تبكي يا بنية فان الله مانع أباك . وكانﷺ يقول : ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب ، ولما رأت قريشاً تهجموا على أذيته قال : يا عم ما أسرع ما وجدت فقدك . ولما بلغ ابا لهب ذلك قام بنصرته أياماً وقال له : يا محمد امض لما أردت وما كنت صانعاً إذ كان ابو طالب حياً فاصنعه لا واللات والعزى لا يصلون إليك حتى أموت . واتفق ان ابن العيطلة سب النبيﷺ فأقبل عليه ابو لهب ، ونال منه فولى وهو يصيح : يا معشر قريش صبا ابو عتبة يعني ابا لهب فأقبلت قريش على ابي لهب وقالوا له : فارقت دين عبد المطلب فقال : ما فارقته وفي لفظ قالوا له : أصبوت ؟ قال : ما فارقت دين عبد المطلب ولكن أمنع ابن أخي ان يضام حتى يمضي لما يريد ، قالوا : قد أحسنت وأجملت ووصلت الرحم ، فمكثﷺ أياماً لا يتعرض له أحد من قريش وهابوا ابا لهب ، إلى أن جاء أبو جهل وعقبة بن أبي معيط إلى أبي لهب فقالا له : أخبرك ابن أخيك أين مدخل ابيك يزعم أنه في النار . فقال أبو لهب : يا محمد أين مدخل عبد المطلب ؟ قال : مع قومه فخرج ابو لهب إلى أبي جهل وعقبة فقال : قد سألته فقال مع قومه فقالا : يزعم انه في النار . فقال : يحمد أيدخل عبد المطلب النار ؟ فقال رسول الله ﷺ : نعم . وفي رواية : من مات على عبادة غير الله فهو في النار . فترك ابو لهب نصرة النبيﷺ وحمايته ، وتقدم الكلام على عبد المطلب مستوفى ، وانه مات في الفترة أو انه كان موحداً ، وإنما أجمل عليه الصلاة والسلام لهم الجواب مجاراة لهم ، لأنهم كانوا يعتقدون أنهم على ما كان عليه عبد المطلب ؛ ولو أراد أن يبين لهم الفرق بين أهل الفترة وغيرهم لربما كان سبباً لزيادة كفرهم وعنادهم وبقائهم على عبادة أصنامهم وهوﷺ يريد تنفيرهم عن عبادة الأصنام ، فاللائق بالمقام أن يجعل الكلام عاماً وان يكون التعذيب لكل من عبد غير الله على العموم، من غير أن يفصل لهم ، ويظهر الفرق بين أهل الفترة وغيرهم لأن ذلك أبلغ في تنفيرهم ومن تأمل إجماله الجواب لهم يعلم سر ذلك فانه قال لهم نعم . وفي رواية : من مات على عبادة غير الله فهو في النار . وجاء في رواية : من مات على مثل ما مات عليه عبد المطلب فهذه يحتمل أنها من تصرف الرواة ، ويحتمل انها مجارة لهم ولم يقل لهم صراحة عبد المطلب في النار . وهكذا كان عادتهﷺ في إجابة الجاهلين يجيب كل إنسان على حسب حاله

اللائق به وبفهمه وعقله ، ويأتي بالكلام مهملاً تحرياً للصدق ، ومن تأمل الحديث السابق في سؤال الرجل الذي قال له أين أبي يعلم سر ذلك ولا يشكل عليه شيء من أمثاله ، فالنبي ﷺ كان أعقل العالمين واعلمهم ، فيخاطب كل واحد على حسب حاله . وكانت وفاة ابي طالب سنة عشرة من النبوّة وإنما قدمنا الكلام عليه لمناسبة الكلام له وانجراره من نجاة آبائه إلى ذكر الكلام على أبي طالب ، والاختلاف فيه فله مناسبة تامة بمن نحن فيه والله اعلم .

ومن الإرهاصات التي ظهرت على يديه ﷺ وهو صغير إنه كان مع عمه ابي طالب بذي المجاز ، وهو موضع على فرسخ من عرفة ، كان سوقاً للجاهلية فعطش عمه ابو طالب فشكا الى النبي ﷺ وقال : يا ابن اخي قد عطشت ، فأهوى بعقبه الى الأرض . وفي رواية : الى صخرة فركضها برجله وقال شيئاً . قال ابو طالب : فإذا أنا بالماء لم أر مثله ، فقال : اشرب فشربت حتى رويت ، فركضها فعادت كما كانت . وسافر ﷺ الى اليمن وعمره بضع عشرة سنة وكان معه في ذلك السفر عمه الزبير فمروا بوادٍ فيه فحل من الإبل يمنع من يجتاز فلما رآه الفحل برك وحك الأرض بصدره فنزل ﷺ عن بعيره وركب ذلك الفحل حتى جاوز الوادي ، ثم خلى عنه فلما رجعوا من سفرهم مروا بوادٍ مملوء ماء يتدفق فقال رسول الله ﷺ : اتبعوني ثم اقتحمه فاتبعوه فأيبس الله الماء فلما وصلوا الى مكة تحدثوا بذلك فقال الناس : ان لهذا الغلام شأنا .

وفي السيرة الهشامية : أن رجلاً من لهب كان قائفاً وكان إذا قدم مكة أتاه رجال قريش بغلمانهم ينظر اليهم ويقتاف لهم فيهم فأتى ابو طالب بالنبي ﷺ وهو غلام مع من يأتيه فنظر اليه ثم شغل عنه ، فلما فرغ قال : عليّ بالغلام وجعل يقول : ويلكم ردّوا علي الغلام الذي رأيت آنفاً فوالله ليكونن له شأن ، فلما رأى ابو طالب حرصه عليه غيبه عنه وانطلق به ولما بلغ ﷺ اثنتي عشرة سنة وقيل تسع سنين سافر عمه أبو طالب الى الشام فصب به النبي ﷺ من الصبابة وكثرة الشوق . وفي رواية فضبث بالضاد والباء والثاء أي لزمه وقبض عليه . وفي رواية : مسك بزمام ناقة أبي طالب وقال : يا عم الى من تكلني لا أب لي ولا أم ؟ فأخذه معه وأردفه خلفه فنزلوا على صاحب دير فقال صاحب الدير : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابني . قال : ما هو بابنك وما ينبغي ان يكون له اب حي لأن من كانت هذه الصفة صفته فهو نبي اي النبي المنتظر بدليل قوله : ومن علامة ذلك النبي في الكتب القديمة

أن يموت أبوه وأمه حامل به وان تموت أمه وهو صغير . قال ابو طالب لصاحب الدير : وما النبي ؟ قال الذي يأتيه الخبر من السماء فينبىء أهل الأرض . قال أبو طالب : الله أجل مما تقول . قال : فاتق عليه اليهود ثم خرج حتى نزل براهب أيضاً صاحب دير فقال : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابني . قال : ما هو بابنك وما ينبغي ان يكون له أب حي قال : ولم ؟ قال : لأن وجهه وجه نبي وعينه عين نبي أي النبي الذي يبعث لهذه الأمة الأخيرة لأن ما ذكر علامته في الكتب القديمة .

قال ابو طالب : سبحان الله الله أجل مما تقول . ثم قال ابو طالب للنبيﷺ : يا ابن أخي ألا تسمع ما يقول ؟ قال : اي عم لا تنكر لله قدرة فلما نزل الركب بصرى وبها راهب يقال له بحيرا واسمه جرجيس أو سرجيس في صومعة له ، وكان قد انتهى اليه علم النصرانية يتوارثونها كابراً عن كابر، عن أوصياء عيسى ـ عليه السلام ـ وقيل كان بحيراً من أحبار اليهود وكان قد سمعه منادياً قبل وجودهﷺ ينادي ويقول : ألا إن خير أهل الأرض ثلاثة : رباب بن البراء وبحيرا وآخر لم يأت بعد . وفي رواية : والثالث المنتظر يعني النبيﷺ . وكانت قريش كثيراً ما تمر على بحيرا فلا يكلمهم حتى كان ذلك العام صنع لهم طعاماً كثيراً وقد كان رأى وهو بصومعته رسول اللهﷺ في الركب حين أقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ، ثم لما نزلوا في ظل شجرة نظر الغمامة قد أظلت الشجرة ومالت أغصان الشجرة على رسول اللهﷺ ، وقد كان وجدهم سبقوهﷺ الى فيء الشجرة ، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه ثم أرسل اليهم إني قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش وأحب ان تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وعبدكم وحركم . فقال له رجل منهم : يا بحيرا إن لك اليوم لشأنا ما كنت تصنع هذا بنا وكنا نمر عليك كثيراً فما شأنك اليوم ؟

فقال له بحيرا : صدقت قد كان ما تقول ولكنكم ضيف وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً فتأكلون منه كلكم ، فاجتمعوا اليه وتخلف رسول اللهﷺ من بين القوم لحداثة سنه في رحال القوم أي تحت الشجرة ، فلما نظر بحيرا في القوم ولم ير في أحد منهم الصفة التي هي علامة النبي المبعوث آخر الزمان التي يجدها عنده ، ولم ير الغمامة على أحد من القوم ورآها متخلفة على رأس رسول اللهﷺ فقال : يا معشر قريش لا يتخلف أحد منكم عن طعامي فقالوا : يا حبيرا ما تخلف أحد عن طعامك ينبغي له أن يأتيك إلا غلام وهو أحدث القوم سناً . قال : لا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الغلام معكم ، فما أقبح ان

تحضروا ويتخلف رجل واحد مع أني أراه من أنفسكم ، فقال القوم : هو الله اوسطنا نسباً وهو ابن أخي هذا الرجل يعنون ابا طالب ، وهو من ولد عبد المطلب ، وما تخلف عن طعام من بيننا ، ثم قام اليه عمه الحرث بن عبد المطلب فاحتضنه وجاء به وأجلسه مع القوم .

وقيل الذي قام اليه وجاء به أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ لأنه كان مع القوم لكن هذا مشكل من حيث أنه أصغر من النبي ﷺ فالظاهر الأول ، ولما سار به من احتضنه لم تزل الغمامة تسير على رأسه ، فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظاً شديداً أو ينظر إلى أشياء من جسده ، كان يجدها عنده من صفته ﷺ ، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام اليه بحيرا فقال له : اسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه ، وانما قال له بحيرا بحق اللات والعزى لأنه سمع قومه يحلفون بهما ، وقال في الشفاء انه اختبره بذلك فقال له رسول الله ﷺ : لا تسلني باللات والعزى شيئاً ، فوالله ما أبغض شيئاً قط بغضبهما . فقال بحيرا : فبالله الا ما اخبرتني عما أسألك عنه فقال له : سلني عما بدا لك . فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيئته وأموره فيخبره رسول الله فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفة النبي المبعوث آخر الزمن التي عنده ، ثم كشف عن ظهره فرأى خاتم النبوة على الصفة التي عنده ، فقبَّل موضع الخاتم فقالت قريش : ان لمحمد عند هذا الراهب لقدراً ، فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب فقال له : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابني . قال : ما هو ابنك وما ينبغي لهذا الغلام ان يكون ابوه حياً ؟ قال : فانه ابن اخي . قال : فما فعل ابوه ؟ قال : مات وامه حبلى به . قال : صدقت . ثم قال : فما فعلت امه ؟ قال توفيت قريباً . قال : صدقت . فارجع بابن أخيك الى بلاده واحذر عليه يهود لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت لتبغينه شراً ، فانه كائن لابن اخيك هذا شأن عظيم نجده في كتبنا ورويناه عن آبائنا واعلم أني قد أدّيت اليك النصيحة فأسرع به الى بلده .

وفي رواية : لما قال له ابن أخي . قال له بحيرا : أشفيق عليه أنت ؟ قلت : نعم . قال : فوالله لئن قدمت به الشام أي جاوزت هذا المحل ووصلت الى داخل الشأم ، الذي هو محل اليهود لتقتلنه اليهود ، فرجع به الى مكة . ويقال : انه قال لذلك الراهب : ان كان الأمر كما وصفت فهو في حصن من الله ، ثم تخوف عليه عمه على ما جرت به العادة

من طلب التوقي فبعثه عمه مع بعض غلمانه. وفي رواية : فخرج به عمه أبو طالب حتى أقدمه مكة. وفي رواية أن بحيرا قال: هذا سيد العالمين ، هذا رسول رب العالمين ، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين ، فقالا تل أشياخ من قريش : ما أعلمك ؟ فقـال : انكم حين أشرفتم على العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا خرَّ ساجداً ولا يسجد الا لنبي ، وإن الغمامة صارت تظله دونهم وإني لأعرفه بخاتم النبوة اسفل من غضروف كتفه. وفي رواية أن سبعة من الروم عرفوه ﷺ وأرادوا قتله فردّهم بحيرا وقال لهم : أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس ردّه ؟ قالوا : لا . فبايعوه بحيراً على مسالمة النبي ﷺ وعدم أخذه وأذيته . وجاء في بعض الروايات : أن النبي ﷺ رجع الى مكة ومعه أبو بكر وبلال فقيل إن هذه الزيادة خطأ وقيل إنها صحيحة ، وإن بلالاً كان مع أمية بن خلف في تلك العير ، وكذا كان في العير أبو بكر - رضي الله عنه - مع بعض أقاربه فرجعوا مع النبي ﷺ لمقاربتهما له في السن . وجاء في بعض الروايات : حتى إذا نزلوا منزلاً وهو سوق بصرى من أرض الشأم، وفي ذلك المحل سدرة فقعد رسول الله ﷺ في ظلها ومضى أبو بكر إلى راهب يقال له بحيرا يسأله عن شيء فقال : من الذي في ظل السدر ؟ فقال له : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب . فقال له : والله هذا نبي هذه الأمة ما استظل تحتها بعد عيسى بن مريم إلا محمد أي وقد قال عيسى لا يستظل تحتها بعدي إلا النبي الهاشمي .

قال الحافظ ابن حجر: يحتمل أن يكون سفر أبي بكر - رضي الله عنه - معه ﷺ في سفرة أخرى وهي سفرته مع ميسرة غلام خديجة ، وإن ذلك الراهب ليس هو بحيرا بل نسطوراً، فاشتبه الأمر على بعض الرواة .

واختلف العلماء في بحيرا ونسطوراً ونحوهما ممن صدق بنبوّته ﷺ هل يعدون في الصحابة والتحقيق أن من لم يدرك الرسالة لا يعدّ من الصحابة وبحيرا هذا غير بحيرا الذي قدم من الحبشة مع جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه - فان ذلك صحابي روى عن النبي ﷺ حديثاً في التحذير من شرب الخمر ، وقد حفظ الله النبي ﷺ مما كان عليه الجاهلية من أقذارهم ومعايبهم بحسب ما آل اليه شرعه لما يريد الله تعالى به من كرامته حتى صار أحسنهم خلقا وأعظمهم من الفحش والاخلاق التي تدنس الرجال تنزهاً وأفضل قومه مروءةً وأكرمهم مخالطة ، وخيرهم جواراً وأكثرهم حلماً وأحفظهم أمانة وأصدقهم حديثاً فسموه الأمين لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة الحميدة والفعـال السـديدة من الحلـم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة .

فمن ذلك ما ذكره في السيرة الحلبية عن ابن اسحق ان رسول الله ﷺ قال : لقد رأيتني اي رأيت نفسي في غلمان من قريش ننقل الحجارة لبعض ما يلعب به الغلمان وكلنا قد تعرى وأخذ ازاره وحبله على رقبته يحمل عليها الحجارة فإني لا قبل معهم كذلك وأدبر إذ لكمني لاكم اي من الملائكة ما أراها لكمة وجيعة وفي لفظ لكمني لكمة شديدة لم تكن وجيعة ، ثم قال شدّ عليك إزارك فأخذته فشددته عليّ ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتي وازاري عليّ من بين أصحابي . ووقع له مثل ذلك عند إصلاح أبي طالب بئر زمزم وكان النبي ﷺ ينقل الحجارة وهو غلام فأخذ إزاره واتقى به الحجارة فغشي عليه فلما أفاق سأله أبو طالب فقال : أتاني آت عليه ثياب بيض فقال لي : استتر فما رؤيت عورته من يومئذ ووقع له مثل ذلك عند بنيان قريش الكعبة .

ومن ذلك ما جاء عن عليّ رضي الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما هممت بقبيح مما هم به أهل الجاهلية حتى أكرمني الله بالنبوة ، إلا مرتين من الدهر كلتاهما عصمني الله عز وجل من فعلهما ، قلت لفتى كان معي من قريش بأعلى مكة في غنم لأهله يرعاها . وفي رواية : قلت لبعض فتيان مكة ونحن في رعاية غنم أهلنا أبصر لي غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة ، كما يسمر الفتيان قال : نعم . وأصل السمر الحديث ليلاً فخرجت فلما جئت أدنى دار من دور مكة ، سمعت غناء وصوت دفوف ومزامير فقلت : من هذا ؟ قالوا : فلان تزوّج فلانة فلهوت بذلك الصوت حتى غلبتني عيناي فنمت فما أيقظني إلا مسّ الشمس فرجعت الى صاحبي فقال : ما فعلت ؟ فأخبرته ثم فعلت الليلة الأخرى مثل ذلك .

من ذلك ما جاء عن أم أيمن قالت : كانوا في الجاهلية يجعلون لهم عيداً عند بوانة وهو صنم تعبده قريش وتعظمه وتنسك أي تذبح له وتحلف عنده ، وتعكف عليه يوماً الى الليل في كل سنة فكان أبو طالب يحضر مع قومه ويكلم رسول الله ﷺ أن يحضر ذلك العيد معه فيأبى ذلك ، قالت : حتى رأيت أبا طالب غضب عليه أشد الغضب ، وجعلن يقلن إنا نخاف عليك مما تصنع من اجتناب آلهتنا . وما تريد يا محمد أن تحضر لقومك عيداً ولا تكثر لهم جمعاً ؟ فلم يزالوا به حتى ذهب معهم ثم رجع فزعاً مرعوباً فقلن ما دهاك ؟ فقال : إني أخشى ان يكون بي لمم أي لمة وهي المسّ من الشيطان فقلن ما كان الله عز وجل ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك ، فما الذي رأيت ؟ قال : إني كلما دنوت

من صنم منها أي من تلك الأصنام التي عند ذلك الصنم الكبير الذي هو بوانة تمثل لي رجل أبيض طويل يصيح بي وراءك يا محمد لا تمسه ، قالت : فما عاد إلى عيدهم حتى تنبأ ﷺ .

ومن ذلك ما روته عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يعيب كلما ذبح لغير الله فكان يقول لقريش الشاة خلقها الله وأنزل لها الماء من السماء وأنبت لها من الأرض الكلأ ، ثم تذبحونها على غير اسم الله . قالت : فما ذقت شيئاً ذبح على النصب أي الأصنام حتى أكرمني الله تعالى برسالته أي فكان ما سمعه من زيد سبباً لتركه ما ذبح على الأصنام أي مؤكداً لما عنده ، فلا ينافي ان السبب الأصلي حفظ الله له مما كانت عليه الجاهلية ، وزيد بن عمرو هذا كان قبل النبوة زمن الفترة على دين ابراهيم ـ عليه السلام ـ فانه لم يدخل في يهودية ولا نصرانية واعتزل الأوثان والذبائح التي تذبح للأوثان، ونهى عن الوأد وكان يحييها أي إذا أراد أحد ذلك أخذا الموءودة من أبيها وكفلها وكان إذا دخل الكعبة يقول : لبيك حقاً تعبداً ورقاً عذت بما عاذ به ابراهيم ، ويسجد مستقبلاً للكعبة . قال ولده سعيد ـ رضي الله عنه ـ للنبي ﷺ يوماً : يا رسول الله إن زيداً كان كما قد رأيت وبلغك فاستغفر له . قال : نعم . واستغفر له ، وقال : انه يبعث يوم القيامة أمة وحده اي يقوم مقام جماعة . وزيد بن عمرو بن نفيل رابع أربعة تركوا الأوثان والميتة وما يذبح للأوثان ، حتى أن قريشاً كانوا يوماً في عيد لصنم من أصنامهم ينحرون عنده ويعكفون عليه ويطوفون به في ذلك اليوم ، فقال بعض هؤلاء الأربعة لبعض: تعلمون والله ما قومكم على شيء لقد أخطأوا دين أبيهم ابراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ فما حجر يطوف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ثم تفرقوا في البلاد يلتمسون الحنيفية دين ابراهيم ـ عليه السلام ـ وهؤلاء الأربعة هم : زيد بن عمرو ابن نفيل وورقة بن نوفل وعبيد الله بن جحش ابن عمته ﷺ أميمة وعثمان بن الحويرث فأما زيد بن عمرو بن نفيل فهو ابن أخي الخطاب والد سيدنا عمر ـ رضي الله عنه ـ ولم يدرك البعثة . وكذا ورقة بن نوفل على الصحيح ، وأما عثمان بن الحويرث فلم يدرك البعثة أيضاً ، وقدم على قيصر ملك الروم وتنصر عنده وأما عبيد الله بن جحش فأدرك البعثة وأسلم وهاجر الى الحبشة مع من هاجر من المسلمين ، ثم تنصر هناك ومات على نصرانيته ، وهو الذي كان متزوّجا بأم حبيبة بنت أبي سفيان قبل النبي ﷺ وكان زيد بن عمرو بن نفيل يقول لقريش : والذي نفس زيد بن عمرو بيده ما أصبح منكم أحد على دين ابراهيم

غيري حتى ان عمه الخطاب أخرجه من مكة وأسكنه بحراء ، ووكل به من يمنعه من دخول مكة كراهة أن يفسد عليهم دينهم ثم خرج يطلب الحنيفية دين ابراهيم ويسأل الأخبار والرهبان عن ذلك حتى وصل الموصل ، ثم اقبل الى الشام فجاء الى راهب به كان انتهى اليه علم النصرانية فسأله عن ذلك فقال : انك لتطلب دينا ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم ولكن قد أظلك زمان نبي يخرج من بلادك التي خرجت منها يبعث بدين ابراهيم الحنيفية فالحق به فانه مبعوث الآن هذا زمانه . فخرج سريعاً يريد مكة حتى إذا توسط بلاد لخم عدوا عليه وقتلوه ودفن بأصل جبل حراء. يروى انه قال لعامر بن ربيعة : أنا أنتظر نبياً من ولد اسمعيل ولا أرى أني أدركه وأنا أدين به وأصدقه وأشهد أنه نبي، وان طالت بك حياة فرأيته فسلم مني عليه . قال عامر : فلما أسلمت بلغته ﷺ عن زيد فرد السلام عليه وترحم عليه . وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : قال رسول الله ﷺ دخلت الجنة فوجدت لزيد بن عمرو دوحتين اي شجرتين عظيمتين .

ومن ذلك ما روي عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال : قيل للنبي ﷺ هل عبدت وثناً قط؟ قال : لا . قالوا : هل شربت خمراً ؟ قال : لا . وما زلت أعرف ان الذي هم عليه كفر وما كنت أدري ما الكتاب ولا الايمان أي كيفية الدعوة اليهما . وعنه ﷺ قال : لما نشأت بغضت إلي الأصنام وبغض إلي الشعر .

باب رعايته ﷺ

لزيادة الرحمة في قلبه عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم.قال له أصحابه : وأنت يا رسول الله ؟ قال : وأنا رعيتها لأهل مكة بالقراريط اي وهي من أجزاء الدراهم والدنانير يشتري بها الحوائج الحقيرة ، وقيل القراريط هنا اسم موضع بمكة . في رواية بالقراريط بأجياد فالأوّل لبيان الأجرة، والثاني لبيان المكان . ومن حكمة الله ان الرجل اذا استرعى الغنم التي هي أصعب البهائم سكن قلبه للرأفة واللطف ، فإذا انتقل من ذلك الى رعاية الخلق كان قد هذب أولاً من الحدة الطبيعية والظلم الغريزي فيكون في أعدل الأحوال ، ووقع الافتخار بين أصحاب الإبل وأصحاب الغنم عند النبيﷺ فاستطال أصحاب الإبل فقال رسول اللهﷺ : بعث موسى وهو راعي غنم ، وبعث داود وهو راعي غنم ، وبعثت أنا وأنا راعي غنم ؛ أهلي بأجياد وهو موضع بأسفل مكة من شعابها . وقالﷺ : الغنم بركة والإبل عز لأهلها . وقال في الغنم: منها معاشنا وصوفها رياشنا ودفؤها كساؤنا . وفي رواية : سمنها معاش وصوفها رياش . وفي الحديث : الفخر والخيلاء في أصحاب الإبل والسكينة والوقار في أهل الغنم .

وعن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال : كنا مع رسول الله ﷺ نجني الكمباث وهو النضيج من ثمر الأراك فقالﷺ : عليكم بالأسود منْ ثمر الأراك فانه أطيبه ، فإني كنت أجتنبه إذ كنت أرعى الغنم ، قلنا : وكنت ترعى الغنم يا رسول الله ؟ قال : نعم . وما من نبي إلا وقد رعاها ولا ينبغي لأحد عُير برعاية الغنم أن يقول كان رسول اللهﷺ يرعى الغنم ، فان قال ذلك أدب ، لأن ذلك كمال في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام دون غيرهم فلا ينبغي الاحتجاج به ، ويجري ذلك في كل ما يكون كمالاً في حق النبيﷺ دون

غيره كالأمية فمن قيل له أنت أمي فقال : كان النبي ﷺ أمياً ادب .

وحضر النبي ﷺ حرب الفجار ، وكان له من العمر أربع عشرة سنة وكان يقول : حضرته مع عمومتي ورميت فيه بأسهم وما أحب أني لم أكن فعلت وقيل لم يرم ، وإنما كان يناول عمومته السهام وسببه ان بدر بن معشر الغفاري كان له مجلس يجلس فيه بسوق عكاظ ويفتخر على الناس ، فبسطوا يوماً رجله وقال : أنا أعز العرب فمن زعم أنه أعز مني فليضربها بالسيف ، فوثب عليه رجل فضربه بالسيف على ركبته فأسقطها ، وقيل جرحه فقط ، فاقتتلوا أربعة أيام وكان أبو طالب يحضر ومعه رسول الله ﷺ وهو غلام ، فإذا جاء هزمت هوازن وإذا لم يجيء هزمت كنانة فقالوا : لا أبالك ، لا تغب عنا ففعل ذلك ، ويروى أنه ﷺ طعن في تلك الحروب أبا براء ملاعب الأسنة وكان رئيس بني قيس وحامل رايتهم ، والطعن يحتمل أن يكون برمح أو بسهم . وسميت حرب الفجار لأن العرب فجرت فيه لأنه وقع في الشهر الحرام ويسمي الفجار الأوّل ، ولهم حروب تسمى حرب الفجار غيره وكلها أربعة . وفي اليوم الثالث من حرب الفجار قيد أمية وحرب ابنا أمية بن عبد شمس وأبو سفيان بن حرب أنفسهم كيلا يفروا فسموا العقابس أي الأسود ، وحرب والد أبي سفيان وأمية أخوه ماتا على الكفر ، وأبو سفيان أسلم كما سيأتي ، ثم تواعدوا للعام المقبل بعكاظ فلما كان العام المقبل جاؤوا للوعد وكان أمر قريش وكنانة إلى عبد الله بن جدعان التميمي ، وقيل كان إلى حرب بن أمية والد أبي سفيان لأنـه كان رئيس قريش وكنانة يومئذ وكان عتبة بن ربيعة بن عبد شمس يتيماً في حجره ، وهو ابن عمه فضنَّ أي بخل به حرب وأشفق أي خاف من خروجه معه ، فخرج عتبة بغير أذنه ، فلم يشعر إلا وهـو على بعـير بـين الصفـين ينـادي : يا معشر مُضَر علام تفانـون ؟ فقالـت له هوازن : ما تدعو اليه ؟ قال : الصلـح على ان ندفـع لكم دية قتـلاكم ، ونعفـو عن دمائنا ، فان قريشاً وكنانة كان لهم الظفر على هوازن يقتلونهم قتلاً ذريعاً . قالوا وكيف ؟ قال : ندفع لكم رهناً منا الى أن نوفي لكم ذلك ، قالوا : ومن لنا بهذا ؟ قال أنا . قالوا: ومن أنت ؟ قال : عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، فرضيت به هوازن وكنانة وقريش ، ودفعوا الى هوازان أربعين رجلاً فيهم حكم بن حزام وهو ابن أخي خديجة بنت خويلد زوج النبي ﷺ ، فلما رأت هوازن الرهن في أيديهم عفوا عن الدماء وأطلقوهم . وانقضت حرب الفجار ، وقيل ودت قريش قتلى هوزان ووضعت الحرب أوزارها وعتبة بن ربيعة قتل يوم بدر كافراً وهو والد هند أم معاوية زوج ابـي سفيان ـ رضي الله عنهـم ـ وكان

يقال : لم يسد مملق اي فقير الا عتبة بن ربيعة وأبو طالب ، فانهما سادا بغير مال ، وفي كلام بعضهم :ساد عتبة بن ربيعة وأبو طالب وكانا أفلس من أبي المزلق ، وهو رجل من بني عبد شمس لم يكن يجد مؤنة ليلته وكذا ابوه وجدّه وجد جده كلهم يعرفون بالافلاس .

وحضر ﷺ حلف الفضول وهو أشرف حلف في العرب ، والحلف اليمين والعهد وكان عند منصرف قريش من حرب الفجار ، وأوّل من دعا اليه الزبير بن عبد المطلب ، عم رسول الله ﷺ ، فاجتمع اليه بنو هاشم وزهرة وبنو أسد بن عبد العزى ، وذلك في دار عبد الله بن جدعان التميمي ، كان بنو تيم في حايته كأهل بيت واحد بقوتهم وكان يذبح في داره كل يوم جزور أو ينادي مناديه : من أراد الشحم واللحم فعليه بدار ابن جدعان ، وكان يطبخ عنده الفالوذج ويطعمه قريشاً ، وكان قبل ذلك يطعم التمر والسويق ويسقي اللبن ، فاتفق أن امية بن أبي الصلت مر على بني عبد المدان فرأى طعامهم لباب البر والشهد ، فقال أمية :

ولقد رأيت الفاعلين وفعلهم فرأيت أكرمهم بني المدان
البر يلبك بالشهاد طعامهم لا يعلنن به بنو جدعان

فبلغ شعره عبد الله بن جدعان فأرسل الى بصرى الشام يحمل البر والشهد والسمن وجعل ينادي مناديه : ألا هلموا الى جفنة عبد الله بن جدعان ، ومن مدح أمية بن أبي الصلت في ابن جدعان قوله :

أأذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك أن شيمتك الثناء
كريم لا يغيره صباح عن الخلق الجميل ولا مساء
يباري الريح مكرمة وجودا اذا ما الضب أحجره الشتاء

وكان عبد الله ذا شرف وسن وهو من جملة من حرم الخمر على نفسه في الجاهلية ، بعد أن كان مغرماً بها ، وسبب ذلك انه سكر ليلة فصار يمد يده ويقبض على ضوء القمر ليمسكه فضحك منه جلساؤه ، ثم أخبروه بذلك حين صحا ، فحلف لا يشربها أبداً .

وممن حرمها على نفسه في الجاهلية عثمان بن مظعون الجمحي . وقال : لا أشرب شيئاً يذهب عقلي ويضحك بي من هو أدنى مني ويحملني على أن أُنكح كرمتي من لا أريد ، فلما أرادوا حلف الفضول صنع لهم عبد الله بن جدعان طعاماً وتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكونن مع المظلوم حتى يؤدّى اليه حقه ما بل بحر صوفة . وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت لرسول الله ﷺ : ان ابن جدعان كان يطعم الطعام ويقري الضيف ويفعل المعروف ، فهل ينفعه ذلك يوم القيامة ؟ فقال : لا ، لأنه لم يقل يوماً ما ربّ اغفر لي خطيئتي يوم الدين . رواه مسلم اي لم يكن مسلماً لأن القول المذكور لا يصدر إلا من مسلم . وكان يكنى أبا زهير ، وقال ﷺ في اسرى بدر : لو كان ابو زهير حياً فاستوهبهم لوهبتهم له وقد ذكر أن جفنة بن جدعان كان يأكل منها الراكب على البعير ، وازدحم النبي ﷺ مرة هو وأبو جهل وهما غلامان على مائدة لابن جدعان ، فدفع النبي ﷺ أبا جهل فوقع على ركبته فجرحه جرحاً أثر فيها وقد جاء أنه ﷺ قال : كنت أستظل بجفنة عبد الله بن جدعان في صكة عمي أي في الهاجرة ، وسميت الهاجرة بذلك لأن عمى تصغير أعمى على الترخيم ، رجل من العماليق ، أوقع بالعدّو القتل في مثل ذلك الوقت ، وكان عبد الله بن جدعان في ابتداء أمره صعلوكاً وكان مع ذلك شريراً فتاكاً لا يزال يجني ، فيعقل عنه ابوه حتى أبغضته عشيرته وطرده أبوه وحلف لا يؤويه أبداً ، فخرج هائماً في شعاب مكة يتمنى الموت فرأى شقاً في جبل فدخل ، فإذا بثعبان عظيم له عينان تتقدان كالسراج ، فلما قرب منه حمل عليه الثعبان فلما تأخر انساب أي رجع عنه فلا زال كذلك حتى غلب على ظنه ان هذا مصنوع فقرب منه ومسكه بيده فاذا هو من ذهب وعيناه ياقوتتان فكسره ثم دخل المحل الذي كان هذا الثعبان على بابه فوجد فيه رجالاً من الملوك موتى .

ووجد في ذلك المحل أموالاً كثيرة من الذهب والفضة وجواهر من الياقوت واللؤلؤ والزبرجد فأخذ منه ما أخذ ثم علم ذلك الشق بعلامة ، وصار ينقل منه شيئاً فشيئاً ووجد في ذلك الكنز لوحاً من رخام مكتوباً عليه : أنا نفيلة بن جرهم بن قحطان بن هود نبي الله ، عشت خمسمائة عام ، وقطعت غور الأرض ظاهرها وباطنها في طلب الثروة والمجد والملك فلم يكن ذلك ينجي من الموت ، ثم بعث عبد الله بن جدعان إلى أبيه بالمال الذي دفعه في جناياته ووصل عشيرته كلهم ، وجعل ينفق من ذلك الكنز ويطعم الناس ويفعل المعروف . وفي رواية : تحالفوا على أن يردّوا الفضول على أهلها ولا يعز ظالم على مظلوم وحينئذ فالمراد بالفضول ما يؤخذ ظلماً زاد بعضهم ، ما بل بحر صوفة وما رسا حراً أو ثبير

مكانيهما والمراد الأبد ، وكان معهم في ذلك الحلف رسول الله ﷺ ، وكان يقول : ما أحب أن لي بحلف حضرته في دار ابن جدعان حمر النعم أي الإبل وإني اغدر بالغين المعجمة والدال المهملة أي لا أحب الغدر به وإن أعطيت حمر الإبل في ذلك . وفي رواية : لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب ان لي حمر النعم أي بفواته ولو دعي في الإسلام لأجبت ، أي لو قال قائل من المظلومين : يا آل حلف الفضول لأجبت لأنّ الإسلام إنما جاء بإقامة الحق ونصرة المظلوم .

ووقع في بعض الروايات أنه حضر حلف المطيبين وذلك خطأ لأن حلف المطيبين كان قبل وجوده ﷺ لأنه وقع بين بني عبد مناف بن قصي وهم هاشم وإخوته عبد شمس والمطلب ونوفل وبني زهرة وبني أسد بن عبد العزى وبني تيم وبني الحرث بن فهر وهم المطيبون مع بني عمهم عبد الدار بن قصيّ وأحلافهم بني مخزوم وبني سهم وبني جمح وبني عدي ، ويقال لهم الأحلاف . وأجيب بان الذين تعاقدوا في حلف الفضول جل المطيبين وهم أهل العقد الأوّل فأطلق عليه انه هو السبب في هذا الحلف أعني حلف الفضول الواقع في دار عبد الله بن جدعان والحامل عليه ان رجلاً من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاصي بن وائل السهمي ، وكان من أهل الشرف والقدر بمكة فحبس عنه حقه ، فاستدعى عليه الزبيدي الأحلاف بني عبد الدار ومخزوم وجمح وسهم وعدي بن كعب فأبوا أن يعينوا على العاصي وانتهروه أي أظهروا له الشر . فرقى على أبي قبيس عند طلوع الشمس وقريش في انديتهم حول الكعبة فقال بأعلى صوته :

يا آل فهر لمظلوم بضاعته ... ببطن مكة نائي الدار والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته ... يا للرجال وبين الحجر والحجر
إن الحرام لمن تمت مكارمه ... ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب وعبد الله بن جدعان ومن معهم وقيل قام فيه العباس وابو سفيان وتعاقدوا وتعاهدوا ليكونن يداً واحدة مع المظلوم على الظالم ، حتى يردّوا إليه حقه شريفاً أو وضيعاً ثم مشوا إلى العاصي بن وائل فانتزعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها اليه .

وذكر السهيلي ان رجلاً من خثعم قدم مكة معتمراً أو حاجاً ومعه بنت له من أضوأ نساء العالمين ، فاغتصبها منه نبيه بن الحجاج فقيل عليك بحلف الفضول ، فوقف عند الكعبة ونادى بالحلف الفضول فإذا هم يُعْنِقون اليه من كل جانب ، وقد جردوا أسيافهم يقولون جاءك الغوث فما لك؟ فقال : ان نبيها ظلمني في بنتي فنزعها مني قسراً فساروا اليه فقالوا ردّها فقال : أفعل ولكن متعوني بها الليلة . فقالوا : والله ولا شخب لقيحة اي مقدار زمن ذلك فأخرجها اليهم .

وفي سيرة الحافظ الدمياطي قال : كان بين الحسين بن عليّ بن ابي طالب ـ رضي الله عنهما ـ وبين الوليد بن عتبة بن أبي سفيان منازعة في مال يتعلق بالحسين ، فقال الحسين للوليد : احلف بالله لتنصفني من حقي أو لآخذنّ سيفي ثم لأقومن في مسجد رسول الله ﷺ ثم لأدعوك لحلف الفضول أي لحلف كحلف الفضول ، وهو نصرة المظلوم على من ظلمه ، ووافقه على ذلك جماعة منهم : عبد الله بن الزبير لأنه كان إذ ذاك بالمدينة فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة انصف الحسين من حقه حتى رضي والله أعلم .

بابُ سَفره ﷺ

إلى الشام ثانياً مع ميسرة غلام خديجة ـ رضي الله عنها ـ وذلك لما بلغ ﷺ خمساً وعشرين سنة وسبب ذلك ان عمه أبا طالب قال له : يا ابن أخي أنا رجل لا مال لي وقد اشتدّ علينا الزمان ، وألحت علينا سنون منكرة ، وليس لنا مادة ولا تجارة وهذه عير قومك قد حضر خروجها إلى الشام وخديجة تبعث رجالاً من قومك يتجرون في مالها ويصيبون منافع فلو جئتها لفضلتك على غيرك لما يبلغها عنك من طهارتك ، وإن كنت أكره أن تأتي الشام ، وأخاف عليك من يهود ، ولكن لا نجد من ذلك بداً فقال ﷺ : لعلها ترسل إليّ في ذلك . فقال أبو طالب : إني أخاف أن تولّي غيرك فتطلب أمراً مدبراً فافترقا فبلغ خديجة ما كان من محاورة عمه له ، وقد علمت قبل ذلك صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه .
فقالت : ما علمت أنه يريد هذا وأرسلت إليه وقالت دعاني الى البعثة اليك ما بلغني من صدق حديثك وعظم أمانتك وكرم أخلاقك ، وأنا أعطيك ضعف ما أعطي رجلاً من قومك فذكر ذلك ﷺ لعمه ، فقال : ان هذا الرزق ساقه الله اليك فخرج ومعه ميسرة غلام خديجة ـ رضي الله عنها ـ في تجارة لها وقالت لميسرة لا تعص له أمراً ولا تخالف له رأياً وجعل عمومته يوصون به أهل العير ، ومن حين مسيره ﷺ ظللته الغمامة ، وكانت خديجة تاجرة ذات شرف ومال كثير وتجارة تبعث بها الى الشام فتكون عيرها كعامة قريش ، وكانت تستأجر الرجال وتدفع اليهم المال مضاربة ، وكانت قريش قوماً تجاراً ومن لم يكن منهم تاجراً فليس عندهم بشيء ، فسار ﷺ حتى بلغ سوق بصرى ، فنزل تحت ظل شجرة قريبة من صومعة نسطوراً الراهب ، فاطلع نسطورا الى ميسرة وكان يعرفه فقال : يا ميسرة من هذا الذي تحت هذه الشجرة ؟ فقال : رجل من قريش من أهل الحرم ، فقال لهم الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة بعد عيسى ـ عليه السلام ـ الا نبي .

وفي رواية ان الراهب دنا اليه ﷺ بعد أن عرف العلامات الدالة على نبوّته المذكورة في الكتب القديمة كحمرة عينيه وقبّل رأسه وقدميه ، وقال : آمنت بك وأنا أشهد انك الذي ذكر الله في التوراة فلما رأى الخاتم قبله. وفي رواية قال : يا محمد قد عرفت فيك العلامات كلها الدالة على نبوّتك المذكورة في الكتب القديمة خلا خصلة واحدة فأوضح لي عن كتفك ، فأوضح له فاذا هو بخاتم النبوّة يتلألأ ، فأقبل عليه يقبله ويقول أشهد أنك رسول الله النبي الأمي الذي بشر بك عيسى فانه قال : لا ينزل بعدي تحت هذه الشجرة إلا النبي الأمي الهاشمي العربي المكي ، صاحب الحوض والشفاعة ولواء الحمد لا بعد في بقاء الشجرة من زمن عيسى الى زمنه ﷺ لاحتمال ان بقاءها معجزة أو أنها كانت شجرة زيتون لأن شجر الزيتون يعمر ثلاثة آلاف سنة ولا مانع أيضاً ان الله صرف الخلق عن النزول تحتها ، حتى نزل ﷺ أو المراد ينزل تحتها فيميل ظلها اليه فهذا لم يكن لغيره . وفي رواية قال لميسرة : أفي عينيه حمرة ؟ قال ميسرة : نعم . لا تفارقه أبداً قال : هو هو وهو آخر الأنبياء ويا ليتني أدركه حين يؤمر بالخروج . فوعى ذلك ميسرة ثم حضر ﷺ سوق بصرى فباع سلعته التي خرج بها وكان بينه وبين رجل اختلاف في سلعة ، فقال الرجل : احلف باللات والعزى فقال ما حلفت بهما قط فقال الرجل القول قولك . ثم قال الرجل لميسرة وخلابه : هذا نبيّ ، والذي نفسي بيده انه الذي تجده احبارنا منعوتاً في كتبهم ، فوعى ذلك ميسرة ثم انصرف أهل العير جميعاً وكان ميسرة يرى في الهاجرة ملكين يظلانه في الشمس ولما رجعوا الى مكة في ساعة الظهيرة وخديجة في علية أي غرفة عالية لها رأت رسول الله ﷺ وهو على بعير وملكان يظلانه ،رواه أبو نعيم وزاد غيره فأرته نساءها فعجبن لذلك ، ودخل عليها ﷺ فأخبرها بما ربحوا فسرت ، فلما دخل عليها ميسرة أخبرته بما رأت فقال : قد رأيت هذا منذ خرجنا وأخبرها بقول نسطورا وقول الآخر الذي خالفه في البيع وقدم ﷺ بتجارتها فربحت ضعف ما كانت تربح واضعفت له ما كانت سمته له . وفي رواية : باعوا متاعهم وربحوا ربحاً ما ربحوا مثله قط ، حتى قال ميسرة : يا محمد اتجرنا لخديجة أربعين سفرة ما رأينا ربحاً قط أكثر من هذا الربح على وجهك ، وقبل ان يصلوا الى بصرى عيى بعيران لخديجة وتخلف معهما ميسرة ، وكان رسول الله ﷺ في أوّل الركب ، فخاف ميسرة على نفسه وخاف على البعيرين ، فانطلق يسعى الى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك فأقبل رسول الله ﷺ الى البعيرين ، ووضع يده على اخفافهما وعوذهما فانطلقا في أوّل الركب ولهما رغاء ، وألقى الله محبة النبي ﷺ في قلب ميسرة حتى كأنه عبده ، ولما بلغوا مر الظهران

أمره النبيﷺ بالتقدم قبله ليخبرها بربح تلك التجارة ويعجل البشرى لها . وفي رؤية ميسرة للملائكة الذين يظلونه عليه الصلاة والسلام دليل على جواز رؤية الملك . ووقع رؤية جبريل - عليه السلام - لجمع من الصحابة - رضي الله عنهم - قال الغزالي في كتابه المسمى المنقذ : من الضلالة ان الصوفية يشاهدون الملائكة في يقظتهم لحصول طهارة نفوسهم وتزكية قلوبهم وقطعهم العلائق وحسمهم مواد أسباب الدنيا من الجاه والمال ، وإقبالهم على الله بالكلية علماً دائماً وعملاً مستمراً ، نقله الحلبي في السيرة وذكر فيها أن خديجة - رضي الله عنها - استأجرت النبي أيضاً سفرتين الى جرش بضم الجيم وفتح الراء وبالشين وهو موضع باليمن وهو المراد بقول بعضهم سوق حباشة ، وذلك يفيد أنهﷺ سافر لها سفرات .

وتزوّجﷺ خديجة بعد ذلك بشهرين وعشرين يوماً وكانت تدعى في الجاهلية والإسلام بالطاهرة ، لشدة عفتها وصيانتها وتسمى أيضاً سيدة نساء قريش وكانت تحت النباش ويكنى بأبي هالة بن زرارة التميمي ، ومات في الجاهلية وكانت ولدت هند بن أبي هالة ، وهو من الصحابة - رضي الله عنه - كان يروي عنه الحسن بن علي - رضي الله عنه - ويقول : حدثني خالي لأنه أخو فاطمة - رضي الله عنها - لأمها وقتل - رضي الله عنه - مع علي يوم الجمل وولدت له أيضاً ذكراً آخر يسمى هالة فهند وهالة . ذكر ان ثم بعد موت أبي هالة تزوّجها عتيق بن عابد بالباء المخزومي فولدت له بنتاً اسمها هند أسلمت ، وصحبت النبيﷺ ولم ترو شيئاً . وقيل ان عتيقاً تزوّجها قبل النباش وكان لها حين تزوّجها بالنبيﷺ من العمر أربعون سنة أخرى ، وكانت عرضت نفسها عليه فقالت : يا ابن عم إني قد رغبت فيك لقرابتك ووساطتك في قومك ، وامانتك وحسن خلقك وصدق حديثك .

وعن نفيسة بنت منية قالت : كانت خديجة امرأة حازمة جلدة شريفة مع ما أراد الله بها من الكرامة والخيرة ، وهي يومئذ أوسط قريش نسباً وأعظمهم شرفاً وأكثرهم مالاً ، وكل قومها كان حريصاً على نكاحها لو قدر على ذلك قد طلبوها وبذلوا لها الأموال ، فأرسلتني دسيساً الى محمدﷺ بعد أن رجع في عيرها من الشام فقلت : يا محمد ما يمنعك ان تتزوّج ؟ فقال : ما بيدي ما أتزوّج به . قلت : فان كفيت ذلك ودعيت الى المال والجمال والشرف والكفاءة ألا تجيب ؟ قال : فمن هي ؟ قلت : خديجة . قال : وكيف لي بذلك ؟ فذهبت

فأخبرتها فأرسلت اليه ان ائت لساعة كذا، وأرسلت الى عمها عمرو بن اسد ليزوّجها ، فذكر ﷺ ذلك لأعمامه وسبب عرضها نفسها ما حدثها به غلامها ميسرة مع ما رأته من الآيات وما حدثها به ميسرة لابن عمها ورقة بن نوفل ، وكان قد تدين بشريعة عيسى - عليه السلام - قبل نسخها فقال لها : إن كان هذا حقاً يا خديجة فان محمداً نبي هذه الأمة ، وقد عرفت انه كائن لهذه الأمة، نبي منتظر وهذا زمانه . وذكر ابن اسحق انه كان لنساء قريش عيد يجتمعن فيه فاجتمعن يوماً فيه فجاءهن يهودي فقال : يا معشر نساء قريش انه يوشك فيكن نبي فأيتكن استطاعت أن تكون فراشاً له فلتفعل ، فحصبنه بالحجارة ، وقبحنه وأغلظن له ، واغضت خديجة على قوله ولم تعرض فيما عرض فيه النساء ووقر ذلك في نفسها .

فلما أخبرها ميسرة بما رأى من الآيات مع ما رأته هي قالت : ان كان ما قال اليهودي حقاً ما ذاك إلا هذا ، فلما أخبر أعمامه بذلك فرحوا وخرج معه ابو طالب وحمزة حتى دخلا على خويلد أبيها ، وقيل على عمها عمرو بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب ، فخطبها ابو طالب من خويلد وعمرو للنبي ﷺ ، فرضي واصدقها عشرين بكرة، وقيل اثنتي عشرة أوقية ونشا والنش نصف أوقية ، وقيل على أربعمائة دينار ، وخطب أبو طالب وحضر رؤساء مضر وحضر أبو بكر - رضي الله عنه - ذلك العقد، فقال ابو طالب : الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم ، وزرع اسمعيل وضئضيء معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل إلا رجح به شرفاً ونبلاً وفضلاً وعقلاً ، فان كان في المال قل فان المال ظل زائل وأمر حائل ، ومحمد من قد عرفتم قرابته . وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها ما آجله وعاجله كذا، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل جسيم .

فلما أتم أبو طالب الخطبة تكلم ورقة بن نوفل فقال : الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت وفضلنا على ما عددت ، فنحن سادة العرب وقادتها وأنتم أهل ذلك كله لا تنكر العشيرة فضلكم ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم ، وقد رغبنا في الاتصال بحبلكم وشرفكم ، فاشهدوا عليّ معاشر قريش بأني قد زوّجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله على كذا ، ثم سكت ، فقال أبو طالب : قد أحببت ان يشركك عمها فقال

عمها : اشهدوا عليّ يا معشر قريش اني قد أنكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد ، فقبل النبيﷺ النكاح وشهد على ذلك صناديد قريش والمحققون على أن الذي أنكحها عمها عمرو بن أسد وان أباها خويلدا مات قبل حرب الفجار ، وقيل لما تزوّجها ﷺ ذهب ليخرج فقالت له : إلى أين يا محمد ؟ اذهبوانحر جزوراً أو جزورين وأطعم الناس ففعل ، وهي أوّل وليمة أولمهاﷺ . وفي رواية : فأمرت خديجة جواريها أن يرقصن ويضربن بالدفوف وقالت : مُر عمك ينحر بكراً من بكراتك وأطعم الناس ، وهلم فقل مع أهلك فأطعم الناس ودخلﷺ فقال معها فأقر الله عينه وفرح ابو طالب فرحاً شديداً وقال : الحمد لله الذي اذهب عنا الكرب ، ودفع عنا الهموم .

يروى ان النبيﷺ جاء يوماً عند خديجة قبل أن تتزوّج به فأخذت بيده وضمته الى صدرها ثم قالت : بأبي أنت وأمي ما أفعل هذا لشيء ولكن أرجو أن تكون أنت النبي الذي سيبعث فان تكن هو فاعرف حقي ومنزلتي وداع الإله الذي سيبعثك لي . فقال لها : والله لئن كنت أنا هو لقد اصطنعت عندي ما لا اضيعه أبداً وان يكن غيري فان الإله الذي تصنعين هذا لأجله لا يضيعك أبداً ، وقد أشار صاحب الهمزية لبعض ما تقدّم بقوله :

ورأتـه خديجـة والتقـى والـز هد فيه سجية والحياء
وأتاهـا ان الغمامـة والسر ح أظلتـه منهما أفياء
وأحـاديث ان وعـد رسـول الله بالبعـث حـان منـه الوفاء
فدعتـه إلى الـزواج ومـا احـ ـسـن ما يبلـغ المنـى الأذكياء

قال بعضهم : وتظليل الغمام لهﷺ . كان قبل النبوّة تأسيساً لها وانقطع ذلك بعد النبوة .

وحضرﷺ بنيان قريش الكعبة وكان عمره خمساً وثلاثين سنة وذلك أنه جاء سيل ودخل الكعبة وصدع جدرانها بعد توهينها من حريق أصابها بسبب أن امرأة بخرتها فطارت شرارة في باب الكعبة فاحترقت جدرانها ، فلما ارادوا أن يضعوا الحجر الأسود اختصموا فيه فقالوا : نحكم بيننا اوّل من يخرج من هذه السكة فكانﷺ أول من خرج فحكم بينهم أن يجعلوه في ثوب ثم يرفعه من كل قبيلة رجل. وفي رواية: أنهم قالوا: نحكم أول من

يدخل من باب بني شيبة فكانﷺ أوّل من دخل منه ، فأخبروه فأمر بثوب فوضع الحجر في وسطه وأمر كل فخذ من قبائل قريش أن يأخذ بطائفة من الثوب ، فرفعوه ثم أخذه فوضعه بيده . وذكر ابن اسحق ان الذي أشار عليهم أن يحكموا أوّل داخل أبو أمية المخزومي أخو الوليد بن المغيرة واسم أبي أمية حذيفة وكان أسن قريش ، وهو والد أم سلمة وعبد الله بن أبي أمية وكان أحد رجال قريش المشهورين بالكرم وكان يعرف بزاد الراكب لأنه إذا سافر لا يتزود معه أحد بل يكفي كل من سافر معه الزاد ثم انه مات على دين قومه ولم يدرك الإسلام ، ولما مات أبو أمية رثاه أبو طالب وغيره ورثاه أبو أحيحة بقوله :

ألا هلك الماجد الرافد وكل قريش له حاسد
ومن هو عصمة أيتامنا وغيث إذا فقد الراعد

وذكر السهيلي أن إبليس كان معهم في صورة شيخ نجدي فصاح بأعلى صوته : يا معشر قريش أقد رضيتم أن يضع هذا الركن وهو شرفكم غلام يتيم دون ذوي اسنانكم ؟ فكاد يثير شراً بينهم ثم سكتوا ، وحضرﷺ معهم بناءها وكان ينقل معهم الحجار من أجياد وكان يضعون إزرهم على عواتقهم ويحملون الحجارة فقال العباس للنبيﷺ : اجعل إزارك على رقبتك يقيك من الحجارة ، ففعل فخرّ إلى الأرض وطمحت عيناه الى السماء ونودي : يا محمد ، غط عورتك فلم ير عرياناً بعد ذلك ، وبقي بنيان قريش هذا إلى أن هدمها عبد الله بن الزبير ـ رضي الله عنهما ـ وبناها على قواعد ابراهيم . ثم لما قتله الحجاج ردّها على بناء قريش وهو على الهيئة الموجودة الآن .

فائدة :

لما حوصر عبد الله بن الزبير ـ رضي الله عنه ـ قاتل قتالاً شديداً وثبت معه أناس ثم اشتد الأمر عليهم ، فانصرفوا وأخذوا لأنفسهم ذمة من الحجاج ولم يبق أحد معه إلا عبد الله بن صفوان بن أمية ، فقاتل معه أشدّ القتال ، فأذن له عبد الله في الانصراف وأن يأخذ لنفسه عهداً وذمة من الحجاج ، فأبى وقال : إني أقاتل على ديني . فلم يزل يقاتل حتى قتل وهو متمسك بالكعبة ووقع لعبد الله بن الزبير مثله ـ رضي الله عنهما ـ فقتل وهو متعلق بالكعبة بعد ان أصيب بنيف وتسعين ما بين ضربة سيف وطعنة رمح ـ رضي الله عنه ـ .

بابُ مَاجَاء مِنْ أمرِرسُول الله ﷺ

عن أحبار اليهود وعن الرهبان من النصارى وعن الكهان من العرب على ألسنة الجان وعلى غير ألسنتهم وما سمع من الهواتف ومن بعض الوحوش ومن بعض الأشجار ، ومن طرد الشياطين من استراق السمع عند مبعثه بكثرة تساقط النجوم وما وجد من ذكره ، وصفته في الكتب القديمة ، وما وجد فيه اسمه مكتوباً من النبات والأحجار وغيرهما . قال ابن إسحق : كانت الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى والكهان من العرب قد تحدثوا بأمر رسول الله ﷺ قبل مبعثه لما تقارب زمنه .

أما الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى فلما وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه ، وأما الكهان من العرب فجاءتهم به الشياطين فيما تسترق من السمع إذ كانت لا تحجب عن ذلك كما حجبت عند الولادة والبعث وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكر بعض أموره ولا تلقى العرب لذلك بالاً حتى بعثه الله تعالى، ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرونها فعرفوها .

وفي هذا تصريح بأن الملائكة كانت تذكره ﷺ في السماء قبل وجوده ، فأما أخبار الأحبار من اليهود فمنها ما تقدم ذكره ومنها ما جاء عن سلمة بن سلامة ـ رضي الله عنه ـ وكان من أصحاب بدر قال : كان لنا جار من يهود بني عبد الأشهل فذكر عند قوم أصحاب أوثان القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار . فقالوا له : ويحك يا فلان أو ترى هذا كائناً أن الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيها جنة ونار ، ويجزون فيها بأعمالهم ؟ قال: نعم. والذي يحلف به ويودّ الشخص أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور يحمونه ثم يدخلونه اياه فيطبقون عليه أي وينجو من تلك النار غداً . فقالوا له : ويحك وما آية

ذلك ؟ قال : نبي يبعث من نحو هذه البلاد ، وأشار بيده الى مكة واليمن . قالوا : ومن يراه ؟ فنظر إليّ وأنا من أحدثهم سناً فقال : ان يستكمل هذا الغلام عمره يدركه قال سلمة : والله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث محمداً ﷺ وهو أي ذلك اليهودي بين أظهرنا فآمنا به وكفر بغياً وحسداً . فقلنا له : ويحك يا فلان ألست الذي قلت لنا ما قلت ؟ قال : بلى ولكن ليس به .

ومن ذلك ما جاء عن عمرو بن عنبسة السلمي ـ رضي الله عنه ـ قال : رغبت عن آلهة قومي في الجاهلية اي تركت عبادتها قال : فلقيت رجلاً من أهل الكتاب من أهل تيماء وهي قرية بين المدينة والشام ، فقلت : إني امرؤ ممن يعبد الحجارة فترى الرجل منهم ليس معه إله فيخرج فيأتي بأربعة أحجار فيعين ثلاثة لقذره أي يستنجي بها ويجعل أحسنها إلهاً يعبده ، ثم لعله يجد ما هو أحسن منه شكلاً قبل أن يرتحل فيتركه ويأخذ غيره ، وإذا نزل منزلاً سواه ، ورأى ما هو أحسن منه تركه وأخذ ذلك الأحسن فرأيت انه إله باطل لا ينفع ولا يضر فدلني على خير من هذا فقال : يخرج من مكة رجل يرغب عن آلهة قومه ويدعو الى غيره فاذا رأيت ذلك فاتبعه فانه يأتي بأفضل الدين ، فلم يكن لي همة منذ قال لي ذلك إلا مكة ، آتي فأسأل : هل حدث حدث ؟ فيقال : لا . ثم قدمت مرة فسألت فقيل لي حدث رجل يرغب عن آلهة قومه ويدعو الى غيرها ، فشددت راحلتي برحلها ثم قدمت منزلي الذي كنت أنزله بمكة فسألت عنه فوجدته مستخفياً ووجدت قريشاً عليه أشداء ، فتلطفت له حتى دخلت عليه فسألته اي شيء أنت ؟ قال : نبي قلت : من نبأك؟ قال : الله قلت : وبم أرسلك ؟ قال : بعبادته وحده لا شريك له وبحقن الدماء وكسر الأوثان وصلة الرحم وأمان السبيل . فقلت : نعم . ما أرسلت به قد آمنت بك وصدقتك أتأمرني ان أمكث معك أو أنصرف ؟ فقال : ألا ترى كراهة الناس ، ما جئت به فلا تستطيع ان تمكث معي كن في أهلك فاذا سمعت بي قد خرجت مخرجاً فاتبعني ، فكنت في أهلي حتى خرج الى المدينة ، فسرت اليه وقلت : يا نبي الله أتعرفني ؟ قال : نعم . أنت السلمي الذي أتيتني بمكة .

ومن ذلك ما حدث به عاصم بن عمرو بن قتادة عن رجال من قومه قالوا إنما دعانا الى الإسلام مع رحمة الله او هداه ما نسمع من أحبار يهود كنا أهل شرك أصحاب أوثان ، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور فاذا نلنا منهم

بعض ما يكرهون ، قالوا لنا قد تقارب زمان نبي يبعث يقتلكم قتل عاد وإرم أي يستأصلكم بالقتل ، فكان كثيراً ما نسمع ذلك منهم . فلما بعث رسول الله ﷺ أجبناه حين دعانا الى الله عزوجل وعرفنا ما كانوا يتواعدونا به ، فبادرناهم اليه فآمنا به وكفروا . ففي ذلك نزلت هذه الآية : ﴿ فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ﴾ .

ومن ذلك ما حدث به شيخ من بني قريظة ان رجلاً من يهود من أهل الشام يقال له ابن الهيبان قدم علينا قبل الإسلام بسنين فحلّ بين أظهرنا فوالله ما رأينا رجلاً قط لا يصلي الخمس أفضل منه أي لا نظن أحداً من غير المسلمين أفضل منه لأن المسلمين يصلون الخمس فلا نافية لا زائدة ، فأقام عندنا فكنا إذا قحط المطر أي حبس ، قلنا يا ابن الهيبان فاستسق لنا فيقول فيقول :لا والله حتى تقدموا بين يدي نجواكم صدقة فنقول له : كم ؟ فيقول صاعاً من تمر ومدين من شعير فيخرجها ثم يخرج الى ظاهر حرتنا فيستسقي لنا ، فوالله ما يبرح من محله حتى يمر السحاب ونسقي ، قد فعل ذلك غير مرة اي لا مرة ولا مرتين ولا ثلاثاً بل أكثر من ذلك ثم حضرته الوفاة عندنا فلما عرف انه ميت قال : يا معشر يهود ما ترونه أخرجني من أهل الخمر بالتحريك الشجر الملتف الى أرض البؤس والجوع؟ فقلنا: أنت أعلم . قال : انما قدمت هذه الأرض أتوكف أي أتوقع خروج نبي قد اظل زمانه اي أقبل ، وقرب كأنه لقربه أظلهم اي ألقى عليهم ظله ، وهذه البلاد مهاجرة وكنت أرجو ان يبعث فأتبعه وقد أظلكم زمانه ، فلا تسبقن اليه يا معشر يهود ، فانه يبعث بسفك الدماء وسبي الذراري والنساء ممن خالفه فلا يمنعكم ذلك منه ، فلما بعث الله رسوله محمداً ﷺ وحاصر بني قريظة قال لهم : نفر من هذل إخوة بني قريظة وهم ثعلبة بن سعيد ويقال أسيد بالتصغير واسد بن عبيد وكانوا شباناً أحداثاً يا بني قريظة ، والله انه لهو بصفته فنزلوا وأسلموا فأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم .

ومن ذلك خبر العباس ـ رضي الله عنه ـ قال : خرجت في تجارة الى اليمن في ركب فيه ابو سفيان بن حرب فورد كتاب حنظلة بن ابي سفيان أن محمداً قائم في ابطح يقول : انا رسول الله ادعوكم الى الله ، ففشا ذلك في مجالس أهل اليمن ، فجاءنا حبر من اليهود فقال : بلغني ان فيكم عم هذا الرجل الذي قال ما قال . قال العباس ، فقلت : نعم . قال : نشدتك الله هل كان لابن أخيك صبوة ؟ قلت : لا ، والله ولا كذب ولا خان ، وما كان اسمه عند قريش إلا الأمين . قال : هل كتب بيده فأردت ان أقول نعم ، فخشيت

من ابي سفيان أن يكذبني ويرد عليّ فقلت : لا يكتب فوثب الحبر وترك رداءه وقال : ذبحت اليهود ، وقتلت اليهود . قال العباس : فلما رجعنا الى منزلنا قال ابو سفيان يا أبا الفضل ان يهود تفزع من أبن أخيك فقلت : قد رأيت لعلك تؤمن به قال : لا أؤمن به حتى أرى الخيل في كداء أي بالفتح والمدّ قلت ما تقول قال : كلمة جاءت على فمي إلا أني أعلم ان الله لا يترك خيلاً تطلع على كذا ، قال العباس : فلما فتح رسول الله ﷺ مكة ونظر ابو سفيان الى الخيل قد طلعت من كداء قلت : يا ابا سفيان ، تذكر تلك الكلمة ؟ قال : اي والله إني لأذكرها .

ومن ذلك ما جاء عن أمية بن أبي الصلت الثقفي قال لأبي سفيان : اني لأجد في الكتب صفة نبي يبعث في بلادنا فكنت أظنّ أني هو وكنت أتحدّث بذلك ثم ظهر لي انه من بني عبد مناف فنظرت فلم أجد من هو متصف بأخلاقه إلا عتبة بن ربيعة إلا أنه قد جاوز الأربعين ولم يوح اليه فعرفت انه غيره . قال ابو سفيان فلما بعث محمد ﷺ قلت لأمية فقال أمية : أما أنه حق فاتبعه فقلت له فما منعك ؟ قال : الحياء من نساء ثقيف إني كنت أخبرهّن اني هو فكيف الآن أتبع فتى من بني عبد مناف ؟ .

وأما اخبار الرهبان من النصارى فمنها ما تقدّم ذكره ومنها خبر طلحة بن عبيد الله ـ رضي الله عنه ـ قال : حضرت سوق بصرى فاذا راهب في صومعته يقول : سلوا هل فيكم أحد من أهل الحرم ؟ فقلت : نعم . انا قال : هل ظهر احمد ؟ قلت : ومن أحمد ؟ قال : ابن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذي يخرج فيه اي يبعث فيه وهو آخر الأنبياء مخرجه من الحرم ومهاجره الى نخلة وحرّة وسباخ فإياك أن تسبق اليه . قال طلحة : فوقع في قلبي ما قال الراهب : فلما قدمت مكة حدثت أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ فخرج أبو بكر حتى دخل على رسول الله ﷺ فأخبره فسر بذلك ، وأسلم طلحة فأخذ نوفل بن العدوية أبا بكر وطلحة فشدّهما في حبل فلذلك سميا القرينين .

ومنها ما حدّث به سعيد بن العاص بن سعيد قال : لما قتل ابي العاص يوم بدر كنت في حجر عمي أبان بن سعيد وكان يكثر السب لرسول الله ﷺ ، فخرج الى الشام فمكث سنة ثم قدم فأوّل شيء سأل عنه ان قال : ما فعل محمد ؟ قال له : عمي عبد الله بن سعيد وهو والله أعز ما كان وأعلاه فسكت ، ولم يسبه كما كان يسبه ثم صنع طعاماً وأرسل إلى سراة بني أمية أي أشرافهم فقال لهم : إني كنت بقرية فرأيت بها راهباً يقال له بكا لم ينزل

إلى الأرض منذ أربعين سنة أي من صومعته فنزل يوماً فاجتمعوا ينظرون إليه فجئت فقلت ان لي حاجة فقال : ممن الرجل ؟ فقلت : إني من قريش وإن رجلاً هناك يزعم أن الله أرسله قال ما اسمه فقلت : محمد ؟ قال منذ كم خرج ؟ فقلت : عشرين سنة . فقال : ألا أصفه لك ؟ قلت : بلى . فوصفه فما أخطأ في صفته شيئاً ثم قال لي هو والله نبي هذه الأمة والله ليظهرن ثم دخل صومعته وقال : اقرأ لي عليه السلام وكان ذلك في زمن الحديبية لأنها كانت سنة ست من الهجرة فالعشرون تقريب .

ومنها ما حدث به حكيم بن حزام ـ رضي الله عنه ـ قال : دخلنا الشام لتجارة قبل أن أسلم ورسول الله ﷺ بمكة فأرسل الينا ملك الروم فجئناه فقال : من أي العرب أنتم ؟ من هذا الذي يزعم أنه نبي . قال : فقلت يجمعني واياه الجد الخامس . فقال : هل أنتم صادقي فيما سألتكم عنه ؟ فقلنا : نعم . فقال : هل أنتم ممن اتبعه أم ممن ردّ عليه ؟ فقلنا : ممن ردّ عليه وعاداه فسألناه عن أشياء مما جاء بها رسول الله ﷺ فأخبرناه ، ثم نهض واستنهضنا معه فأتى محلاً في قصره وأمر بفتحه وجاء الى ستر فأمر بكشفه فإذا صورة رجل قال : أتعرفون من هذه صورته ؟ قلنا : لا . قال : هذه صورة آدم ثم تتبع أبواباً يفتحها ويكشف عن صور الأنبياء ويقول : هذا صاحبكم ؟ فنقول : لا فيقول هذه صورة فلان حتى فتح باباً وكشف عن صورة فقال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : نعم . هذه صورة محمد بن عبد الله صاحبنا . قال : أتدرون متى صوّرت هذه الصورة ؟ قلنا : لا . قال : منذ ألف سنة وان صاحبكم لنبي مرسل فاتبعوه ولوددت أني عنده فأشرب غُسالة قدميه .

ووقع نظير ذلك لجبير بن مطعم وانه رأى صورة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ آخذة بعقب تلك الصورة وكذا صورة عمر آخذة بعقب أبي بكر فقال : هل تعرفون الذي أخذ بعقبه ؟ قلنا : هو ابو بكر فقال : هل تعرفون الذي أخذ بعقبة ؟ قلنا : هو عمر بن الخطاب . قال : أشهد أن هذا رسول الله ﷺ وأن هذا هو الخليفة من بعد هذا .

ومنها ما حدث به سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ قال : كنت رجلاً فارسياً من أهل أصبهان من قرية يقال لها جي بفتح الجيم وشد الياء وفي لفظ من قرية من قرى الأهواز يقال لها رامهرمز ، وفي لفظ ولدت برامهرمز وبها انشأت وأما أبي فمن أصبهان وكان أبي دهقان قريته أي كبير أهل قريته ، وكنت أحب خلق الله الى أبي لم يزل حبه إياي حتى حبسني في بيت كما تحبس الجارية واجهدت في المجوسية حتى كنت قطن النار أي قاطنها بمعنى

خادمها ، الذي يوقدها لا يتركها تخبو أي تطفأ ساعة وكانت لأبي ضيعة عظيمة فشغل عنها في بنيان له يوماً فقال لي : يا بني اني قد شغلت في بنياني هذا اليوم فاذهب الى الضيعة ، وأمرني فيها ببعض ما يريد . ثم قال لي : ولا تحتبس عني فان احتبست عني كنت اهم اليّ من ضيعتي وشغلتني عن كل شيء من أمري فخرجت أريد ضيعته التي أمرني بها وبعثني اليها فمررت بكنيسة من كنائس النصارى فسمعت أصواتهم فيها وهمن يصلون وكنت لا أدري ما أمر الناس لحبس ابي إياي في بيته ، فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم انظر ماذا يصنعون ، فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم ورغبت في أمرهم وقلت والله هذا خير من الذي نحن فيه فوالله ما برحت عنهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة ابي فلم آتها . ثم قلت لهم أين أهل هذا الدين ؟ قالوا : بالشام . فرجعت الى أبي وقد بعث في طلبي وشغلته عن عمله كله ، فلما جئته قال: اي بنيّ اين كنت ألم أكن عهدت إليك ما عهدت ؟ قلت : يا أبتِ مررت بأناس يصلون في كنيسة لهم فأعجبني ما رأيته من دينهم ، فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس. قال: أي بنيّ ليس في ذلك الدين خير دينك ودين آبائك خير منه . فقلت له : كلا والله انه لخير من ديننا ، فخاف مني أن أهرب فجعل في رجلي قيداً ثم حبسني في بيته . وبعثت الى النصارى قلت لهم : إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبروني بهم ، فقدم عليهم تجار من النصارى فأخبروني فقلت لهم : إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة فأخبروني بهم فأخبروني ، فألقيت الحديد من رجلي ثم قدمت معهم إلى الشام ، فلما قدمتها قلت : من أجل هذا الدين علماً ؟ قالوا : الاسقف في الكنيسة والأسقف بتخفيف الفاء وتشديدها هو عالم النصارى ورئيسهم في الدين ـ فجئته فقلت له : إني قد رغبت في هذا الدين وأحببت أن أكون معك فأخدمك في كنيستك وأتعلم منك وأصلي معك . قال : ادخل فدخلت معه فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فإذا جمعوا اليه شيئاً منها اكتنزها لنفسه ولم يعطها المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق فابغضته بغضاً شديداً لما رأيت منه ، ثم مات . فاجتمعت النصارى ليدفنوه فقلت لهم : ان هذا رجل سوء يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها فاذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئاً فقالوا لي : وما أعلمك بذلك ؟ فقلت: أنا أدلكم على كنزه فأريتهم موضعه فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهباً وورقاً: وفي رواية : وجدوا ثلاثة قماقم فيها نصف أردب فضة فلما رأوها قالوا : والله لا ندفنه أبداً فصلبوه ورموه بالحجارة ولم يصلوا عليه صلاتهم ، مع أن هذا الراهب كان يصوم الدهر

وكان نقياً من الشهوات ، ومن ثم قال في الفتوحات المكية : أجمع أهل كل ملة على ان الزهد في الدنيا مطلوب وقالوا : ان الفراغ من الدنيا أحب لكل عاقل خوفاً عليه من الدنيا التي حذرنا الله منها بقوله : ﴿ انما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله : ومن قواعد الرهبان أنهم لا يدخرون قوتاً لغد ، ولا يكنزون ذهباً ولا فضة . وقال : رأيت شخصاً قال لراهب : انظر لي هذا الدينار هو من ضرب اي الملوك ، فلم يرض وقال النظر الى الدينار منهي عنه عندنا قال : ورأيت الرهبان مرة وهم يسحبون شخصاً ويخرجونه من الكنيسة ويقولون له : أتلفت علينا الرهبان فسألت عن ذلك فقالوا : رأوا نصفاً مربوطاً على عاتقه فقلت : ربط الدرهم مذموم فقالوا : نعم عندنا وعندكم وعند نبيكم ﷺ .

قال سلمان وعند ذلك جاؤوا برجل آخر وجعلوه مكانه فما رأيت رجلاً لا يصلي الخمس أرى أنه أفضل منه أي لا أظن احداً من غير المسلمين أفضل منه ولا أزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ولا أدأب ليلاً ونهاراً فأحببته حباً شديداً لم أحبه شيئاً قبله ، فأقمت معه زماناً حتى حضرته الوفاة فقلت له : يا فلان إني كنت معك وأحببتك حباً لم أحبه شيئاً قبلك ، وقد حضرك من أمر الله ما ترى فإلى من توصي بي ؟ قال : أي بنيّ والله ما أعلم أحداً على ما كنت عليه ، ولقد هلك الناس وبدلوا وتركوا اكثر ما كانوا عليه ، إلا رجلاً بالموصل ، وهو فلان فهو على ما كنت عليه . فلما مات ودفن لحقت بصاحب الموصل فاخبرته خبري وما أمرني به صاحبي فقال : أقم عندي فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبه فأقمت عند خير رجل فلما احتضر قلت : يا فلان ان فلاناً أوصى بي اليك وأمرني باللحوق بك وقد حضرك من أمر الله ما ترى فإلى من توصي بي وبم تأمرني ؟ قال : يا بنيّ والله ما أعلم رجلاً على ما كنت عليه إلا رجلاً بنصيبين وهو فلان فالحق به ، فلما مات وغيب ، لحقت بصاحب نصيبين فأخبرته خبري وما أمرني به صاحبي فقال : أقم عندي فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبيه فأقمت مع خير رجل فوالله ما لبثت أن نزل به الموت فلما احتضر قلت له : يا فلان إن فلاناً أوصى بي إلى فلان ثم إن فلاناً أوصى بي إليك فالى من توصي بي وإلى من تأمرني ؟ فقال : يا بنيّ ما اعلم بقي أحد على أمرنا ان تأتيه إلا رجلاً بعمورية من أرض الروم فانه على مثل ما نحن عليه فإن أحببت فأته ، فلما مات ودفن لحقت بصاحب عمورية ، وأخبرته خبري فقال : أقم عندي ، فأقمت عند خير رجل على هدى أصحابه وأمرهم فاكتسبت حتى كان لي بقرات وغنيمة ثم نزل به أمر الله تعالى فلما احتضر ، قلت له : يا فلان إني كنت مع

فلان فأوصى بي الى فلان ، ثم أوصى فلان الى فلان ، ثم أوصى بي فلان إليك ، فإلى من توصي بي وبم تأمرني ؟ فقال : اي بنيّ والله ما أعلم أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه ولكنه قد أظل أي أقبل وقرب زمان نبيّ مبعوث بدين ابراهيم يخرج بأرض العرب مهاجره الى أرض بين حرّتين بينهما نخل له علامات يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوّة فان استطعت ان تلحق بتلك البلاد فافعل ثم مات ودفن .

وهذا السياق يدل على ان الذين اجتمع بهم من النصارى على دين عيسى - عليه السلام - أربعة . وفي كلام السهيلي انهم ثلاثون وقيل : أربعة وعشرون . قال سلمان : ثم مرّ بي نفر من كلب تجار فقلت لهم : احملوني الى ارض العرب واعطيكم بقراتي هذه وغنمي هذه فقالوا : نعم فأعطيتهموها فحملوني حتى اذا بلغوا بي وادي القرى وهو محل من أعمال المدينة المنوّرة ظلموني فباعوني من رجل يهودي فمكثت عنده فرأيت النخل فرجوت ان يكون البلد الذي وصف لي صاحبي ، ولم اتحقق ذلك فبينا انا عنده إذ قدم عليه ابن عم له من بني قريظة من المدينة فابتاعني منه فحملني الى المدينة ، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها اي تحققتها بصفة صاحبي ، فأقمت بها وبعث رسول الله ﷺ وأقام بمكة ما أقام ، لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق ثم هاجر الى المدينة فوالله إني لفي عذق أي نخل لسيدي ، أعمل فيه بعض العمل وسيدي جالس تحتي إذا أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال : يا فلان قاتل الله بني قيلة أي وهم الأوس والخزرج لأن قيلة امهم والله انهم الآن مجتمعون بقباء على رجل قدم من مكة اليوم يزعمون انه نبيّ . قال سلمان : فلما سمعتها أخذتني العرواء وهي الحمى النافض ، حتى ظننت أني ساقط على سيدي ، فنزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ذلك ما تقول فغضب سيدي ولكمني لكمة شديدة ، ثم قال : ما لك ولهذا ؟ أقبل على عملك . فقلت : لا شيء إنما أردت أن استثبته فيما قال . قال سلمان : وقد كان عندي شيء جمعته وهو محتمل لأن يكون تمراً ولأن يكون رطباً فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به الى رسول الله ﷺ وهو بقباء فدخلت عليه فقلت له إني قد بلغني أنك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذو وجاجة وهذا شيء كان عندي للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم فقربته اليه فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : كلوا وأمسك يده فلم يأكل فقلت في نفسي : هذه واحدة أي من العلامات أعني كونه لا يأكل الصدقة . قال سلمان : ثم انصرفت عنه فجمعت شيئاً وتحوّل رسول الله ﷺ للمدينة فجئته

فقلت : اني رأيتك لا تأكل الصدقة ، وهذه هدية أكرمتك بها ، فأكل رسول الله ﷺ وأمر أصحابه فأكلوا معه فقلت في نفسي : هاتان ثنتان . ثم جئت رسول الله ﷺ وهو ببقيع الغرقد وقد تبع جنازة رجل من أصحابه وهو كلثوم بن الهدم الذي نزل عليه النبي ﷺ بقباء لما قدم المدينة . قال سلمان : وكان عليه ﷺ شملتان فجلس مع اصحابه فسلمت عليه ثم ابتدرت انظر الى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصف لي فألقى رداءه عن ظهره فنظرت الى الخاتم فعرفته فأكببت عليه أقبله وأبكي فقال لي رسول الله ﷺ : تحوّل فتحولّت بين يديه فقصصت عليه حديثي ، قال ابن عباس - رضي الله عنهما - فأعجب رسول الله ﷺ .

وفي شواهد النبوة لما جاء سلمان الى النبي ﷺ لم يفهم النبي ﷺ كلامه فطلب ترجماناً فأتى بتاجر من اليهود كان يعرف الفارسية والعربية ، فمدح سلمان النبي ﷺ وذم اليهود بالفارسية فغضب اليهودي وحرّف الترجمة ، فقال النبي ﷺ هذا الفارسي جاء ليلوذ بنا فنزل جبريل وترجم كلام سلمان ، فقال النبي ﷺ لليهودي : ذلك أي الذي ترجمه جبريل لليهودي فقال اليهودي : يا محمد ان كنت تعرف الفارسية فما حاجتك إليّ ؟ فقال ﷺ : ما كنت أعلمها قبل ، والآن علمني جبريل أو كما قال : فقال اليهودي : يا محمد قد كنت قبل هذا أتهمك والآن تحقق عندي أنك رسول الله ﷺ ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله ﷺ . ثم قال ﷺ لجبريل عليه السلام : علم سلمان العربية . فقال : قل له ليغمض عينيه ويفتح فاه ففعل سلمان فتفل جبريل في فيه فشرع سلمان يتكلم بالعربي الفصيح ، وهذا الذي قدّمه سلمان للنبي ﷺ صرح في بعض الروايات بأنه سأل سيده أن يهب له شيئاً فوهبه له ، فجاء به للنبي ﷺ فلا يشكل ذلك بأنه مملوك لا ملك له ، ثم أسلم سلمان وصحب النبي ﷺ . ثم قال له ﷺ : كاتب يا سلمان صاحبك . قال : فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة نخلة ودية وهي الصغيرة أحييها له بالتفقير بالفاء ثم القاف أي الحفر أي احفر لها وأغرسها بتلك الحفر وتصير حية ، وأتعهدها إلى أن تثمر وعلى أربعين أوقية من ذهب . فقال رسول الله ﷺ : أعينوا أخاكم فأعانوني بالنخل الرجل بستين والرجل بعشرين ودية فقال لي رسول الله ﷺ : تفقر أي احفر لها فإذا افرغت فأتني أكن أنا اضعها بيدي . قال : ففقرت لها وأعانني أصحابي حتى إذا فرغت جئته ﷺ فخرج معي اليها فجعلنا نقرب اليه الوديّ فيضعها رسول الله ﷺ بيده فما مات منها ودية واحدة . وفي رواية : فغرس رسول الله ﷺ النخل كله إلا نخلة غرسها عمر - رضي الله عنه - فأطعم النخل كله إلا تلك النخلة التي غرسها عمر فقال رسول الله ﷺ : من غرسها ؟ قالوا :

عمر ،فقلعها وغرسها رسول الله ﷺ بيده فأطعمت من عامها .وقيل إلا نخلة غرسها سلمان بيده . قال الحلبي : يحتمل أن كلاً من عمر وسلمان غرس هذه النخلة أحدهما قبل الآخر أو اشتركا في غرسها . قال سلمان : فأدّيت النخل وبقي عليّ المال فأتى رسول الله ﷺ بمثل البيضة أي بيضة الدجاج أو الحمام من الذهب ، فقال : ما فعل الفارسي ؟ فدعيت له فقال : خذ هذه فأدّها عما عليك يا سلمان ، قلت : واين تقع هذه يا رسول الله مما علي ؟ فقلبها على لسانه ﷺ ثم قال : خذها فان الله سيؤدّي بها عنك فأخذتها فوزنت لهم منها ، والذي نفس سلمان بيده أربعين أوقية فأوفيتهم حقهم وبقي عندي مثل ما أعطيتهم ، والى هذه القصة أشار صاحب الهمزية بقوله :

ووفى قدر بيضة من نضار دين سلمان حين حان الوفاء
كان يدعى قناً فأعتق لما أينعت من نخيله الاقناء
أفلا تعذرون سلمان لما ان عرته من ذكره العرواء

قال سلمان :وشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق ثم لم يفتني معه مشهد وقيل شهد بدراً وأحدا قبل ان يعتق أي وهو مكاتب فيكون أوّل مشاهده الخندق بعد عتقه وقيل : شغل عما قبله بالرق . ووقع في بعض الروايات في قصة سلمان زيادة ونقص ، والذي تقدم هو أصح الروايات . قال الحلبي في السيرة : ونقل بعضهم الإجماع على ان سلمان عاش مائتين وخمسين سنة وكان حبراً عالماً فاضلاً زاهداً متقشفاً ، وكان يأخذ من بيت المال في كل سنة خمسة آلاف وكان يتصدق بها ولا يأكل إلا من عمل يده وكان له عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها .قال بعضهم : دخلت عليه وهو أمير على المدائن وهو يعمل الخوص فقلت له : تعمل الخوص وأنت أمير وهو يجري عليك رزقك ؟ فقال : اني أحب أن آكل من عمل يدي وربما اشترى اللحم وطبخه ودعا المجذومين فأكلوا معه .

وأما أخبار الكهان لا على ألسنة الجان فكثيرة منها ما تقدم في ليلة ولادته وفي أيام رضاعه ومنها أيضاً خبر عمرو بن معد يكرب ـ رضي الله عنه ـ قال : والله لقد عملت أن محمداً رسول الله قبل أن يبعث فقيل : وكيف ذاك ؟ قال : فزعنا إلى كاهن لنا في أمر نزل بنا فقال الكاهن : أقسم بالسماء ذات الأبراج ، والأرض ذات الادراج ، والريح ذات العجاج ، أن هذا الأمر آج ولقاح ، ذات نتاج ، قالوا وما نتاجه ؟ قال : ظهر نبيّ صادق بكتاب ناطق وحسام فالق . قالوا : ومن أين يظهر؟ وإلى ماذا يدعو؟ قال : يظهر

بصلاح ، ويدعو الى فلاح . ويعطل القداح ، وينهي عن الراح والسفاح وعن الأمور القباح ، قالوا : ممن هو ؟ قال : من ولد الشيخ الأكرم حافز زمزم وعزه سرمد وخصمه مكمد .

ومنها خبر قس بن ساعدة الأيادي وهو أوّل من قال البينة على المدّعي واليمين على من أنكر وأول من اتكأ على عصا أو قوس أو سيف عند الخطبة ، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ فقال : أيكم يعرف قس بن ساعدة الأيادي ؟ قالوا : كلنا يا رسول الله نعرفه ، قال : فما فعل ؟ قالوا هلك . قال : ما أنساه بعكاظ على جمل أحمر وهو يقول أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت . ان في السماء لخبراً وإن في الأرض لعبراً ، مهاد موضوع ،وسقف مرفوع ، ونجوم تمور ، وبحار لا تغور ، أقسم قس قسماً حاتماً لئن كان الأمر رضاً ليكونن سخطاً ان لله ديناً هو أحب اليه من دينكم الذي أنتم عليه ، مالي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون أرضوا بالمقام فقاموا ، أم تركوا هناك فناموا ؟ ثم قال ﷺ : أيكم يروي قوله ؟ فأنشدوه :

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارداً للموت ليس بها مصادر
ورأيت قومي نحوها تسعى الأصاغر والأكابر
لا يرجع الماضي الى ولا من الباقين غابر
أيقنت أني لا محا لة حيث صار القوم صائر

وفي رواية أخرى عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : قدم الجارود بن عبد الله وكان سيد قومه على رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله والذي بعثك بالحق لقد وجدت صفتك في الإنجيل ، وبشر بك ابن البتول ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وانك رسول الله فآمن هو وكل سيد من قومه ، فسر بذلك رسول الله ﷺ ثم قال له النبي ﷺ : يا جارود هل في جماعة وفد عبد القيس من يعرف لنا قسا ؟ قال : كلنا نعرفه يا رسول الله وأنا كنت بين يدي القوم اقفوا أثره كان من أسباط العرب عمّر سبعمائة سنة وقيل تسعمائة وهو أوّل من ترك عبادة الأصنام من العرب ، وأوّل من قال : أما بعد ، وأوّل من كتب من فلان الى

فلان . قال الجارود :كأني انظر اليه يقسم بالرب الذي هو له ، ليبلغن الكتاب أجله ، وليوفين كل عامل عمله ، ثم أنشأ يقول :

هاج للقلب من هواه ادّكار وليال خلا لهن نهار
وجبال شوامخ راسيات وعيون مياههن غزار
ونجوم تلوح في ظلم الليل تراها في كل يوم تدار
والذي قد ذكرت دل على الله نفوساً لها هدى واعتبار

فقال النبي ﷺ : على رسلك يا جارود فسلت أنساه بسوق عكاظ على جمل أورق وهو يتكلم بكلام له حلاوة ولا أحفظه فقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ فإني أحفظه يا رسول الله ، كنت حاضراً ذلك اليوم بسوق عكاظ فقال في خطبته : يا أيها الناس اسمعوا وعوا ، وإذا وعيتم فانتفعوا ، من عاش مات ، وما مات فات ، وكل ما هو آتٍ آت ، مطر ونبات ، وأرزاق وأقوات ، وآباء وأمهات ، وأحياء وأموات ، وجمع وأشتات ، وآيات بعد آيات ، ان في السماء لخبراً ، وفي الأرض لعبراً ، ليل داج ، وسماء ذات ابراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ، مالي أرى الناس يذهبون ، فلا يرجعون ، أرضوا بالمقام ، فقاموا ، أم تركوا هناك فناموا ، أقسم قس قسماً حاتماً لا حانثاً فيه ولا آثماً ، أن لله ديناً هو أحب اليه ، من دينكم الذي أنتم عليه ، ونبياً قد حان حينه وأظلكم زمانه ، فطوبى لمن آمن به فهداه ، وويل لمن خالفه فعصاه ، ثم قال تباً لأرباب الغفلة من الأمم الخالية ، والقرون الماضية ، يا معشر أياد ، أين الآباء والأجداد ، وأين المريض والعوّاد ، وأين الفراعنة الشداد ، أين من بنى وشيد ، وزخرف ونجد ، وغره المال والولد ، أين من طغى وتمرّد وبغى ، وجمع فأوعى ، وقال أنا ربكم الاعلى ، ألم يكون أكثر منكم أموالاً ، وأطول منكم آجالاً ، وأبعد منكم آمالاً ، طحنهم التراب بكلكله ، ومزقهم بتطاوله ، فتلك عظامهم بالية ، وبيوتهم خاوية ، عمرتها الذئاب العاوية ، كلا بل هو الله الواحد المعبود ، ليس بوالد ولا مولود .

ثم أنشأ يقول الأبيات المتقدمة .

وفي رواية زيادة ان الصعب ذا القرنين ، ملك الخافقين ، وأذل الثقلين ، وعمر ألفين ، ثم كان كلمحة عين ،وفي رواية : قال في خطبته سيأتيكم حق من هذا الوجه وأشار بيده الى نحو مكة . قالوا له :وما هذا ؟ قال : رجل أبلج أحور من ولد لؤي بن غالب يدعوكم إلى كلمة الإخلاص وعيش ونعيم لا ينفدان ،فإذا دعاكم فأجيبوه ،ولو علمت أني أعيش الى مبعثه لكنت أوّل من يسعى اليه . وقد رويت هذه القصة من طرق متعدّدة يقوي بعضها بعضاً كما قال الحافظ ابن كثير والحافظ ابن حجر ولا التفات لقول ابن الجوزي ببطلان هذا الحديث ثم ابن بعض طرقه يدل على أن النبيﷺ كان حافظاً لكلامه وبعضها على انه نسي فيحتمل أنه كان ناسياً ثم لما ذكره أبو بكر رضي الله عنه ـ أو غيره تذكره فرواه بعد ذلك ، واختلاف روايات الوفد تدل على تعدد مجيء وفد عبد القيس ، ففي كل مرة ذكر شيئاً . وقد جاء في الحديث « رحم الله قساً انه كان على دين اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام » وقيل إنه أدرك الحواريين وكان على دين عيسى ـ عليه السلام ـ ومن شعره :

الحمد لله الذي لم يخلق الخلق عبث
أرسل فينا أحمدا خير نبيّ قد بعث
صلى عليه الله ما حج له ركب وحث

والجارود المتقدم ذكره كان متصلباً في الإسلام ، أدرك زمن الردة ولما ارتد قومه دعاهم الى الحق وقال : أشهد ان لا إلّه إلا الله وأن محمداً رسول الله وكفر من لم يشهد . وله أشعار كثيرة منها قوله :

شهدت بأن الله حق وسامحت بنات فؤادي بالشهادة والنهض
فأبلغ رسول الله عني رسالة بأني حنيف حيث كنت من الأرض

وسكن البصرة وقتل بنهاوند سنة إحدى وعشرين من الهجرة .

ومن ذلك خبر نافع الجرشي نسبة الى جرش بضم الجيم وفتح الراء وبالشين المعجمة قبيلة من حمْيَرَ وتسمى به بلدهم أن بطناً من اليمن كان لهم كاهن في الجاهلية فلما ذكر أمر

رسول الله ﷺ وانتشر في العرب جاؤوا الى كاهنهم واجتمعوا اليه في أسفل جبل فنزل إليهم حين طلعت الشمس ، فوقف لهم قائماً متكئاً على قوس ، فرفع طرفه الى السماء طويلاً ثم قال : أيها الناس إن الله أكرم محمداً واصطفاه وطهر قلبه وحشاه ومكنه فيكم . أيها الناس قليل .

وألحق بعضهم بهذا الباب ما نقل عن تبع من ذكره للنبي ﷺ في أشعاره يروى أن الأنصار شكوا إلى تبع ما يلقون من اليهود من الأذى فأراد تخريب المدينة واستئصال اليهود فجاء حتى نزل بهم فقال له رجل معمر من علماء اليهود : الملك أجل من أن يطرقه فرق أو يستخفه غضب واصره أعظم من أن يضيق حلمه ،أو ينخرم صفحه ، وهذه البلدة مهاجر نبي يبعث بدين ابراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ فآمن تبع النبي ﷺ ورجع وكسا الكعبة ومن شعر تبع قوله :

شهدت على أحمد أنه نبي من الله باري النسيم
فلو مدّ عمري الى عمره لكنت وزيراً له وابن عم
وجاهدت بالسيف أعداءه وفرجت عن صدره كل غم
له أمة سميت في الزبور وأمته هي خير الأمم

ومن ذلك قوله أيضاً :

ويأتي بعدهم رجل عظيم نبي لا يرخص في الحرام
يسمى أحمداً يا ليت أني أعمر بعد مبعثه بعام

وهذا الذي منع تبعاً من تخريب المدينة اسمه شامول وكان عالماً من علماء اليهود ، وقال لتبع في رواية : أيها الملك ان هذه البلدة مهاجر نبي من بني اسمعيل مولده مكة واسمه أحمد وهذه هجرته وان منزلك الذي أنت به سيكون فيه من القتلى من أصحابه وأعدائه أمر عظيم فقال تبع : ومن يقاتله وهو نبي ؟ قال له قومه : قال : وأين قبره ؟ قال : بهذه البلدة قال : وإذا قوتل لمن تكون النصرة ؟ قال له مرة وعليه أخرى ثم تكون العاقبة له فيظهر حتى لا ينازعه أحد ثم سأله عن صفته فأخبره بها ولما قال له شامول ما ذكر ، وقص القصة كان معه أحبار قالوا لن نبرح ههنا لعلنا ندركه أو أبناؤنا فأعطى كل

واحد منهم مالاً وجار به فمكثوا بالمدينة وأعد داراً للنبي ﷺ قيل هي دار أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - التي نزل بهاﷺ حين هجرته فما نزل إلا في داره ، وكتب كتاباً أبقاه عندهم للنبيﷺ فصاروا يتوارثونه ويستحفظون عليه حتى بعثﷺ وهاجر فأخرجوه اليه والقصة مبسوطة في الوفاء تاريخ المدينة للسيد السمهودي رحمه الله - وسيأتي التعرض لها مع زيادة على ما هنا عند ذكر نزولهﷺ بعد الهجرة في دار أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه -

وألحق بذلك بعضهم اخبار كعب بن لؤي جد النبيﷺ فانه كان يخطب الناس يوم العروبة أعني يوم الجمعة ويذكر في خطبته النبيﷺ وبشر به ، فمن ذلك قوله · أما بعد ، فاسمعوا وتعلموا وافهموا واعلموا ليل داج ، ونهار وهاج ، والأرض مهاد ، والسماء بناء ، والجبال أوتاد ، والنجوم اعلام الى أن قال : حرمكم زينوه وعظموه ، فسيأتي له نبأ عظيم وسيخرج منه نبي كريم ، وأنشد :

نهار وليل كل يوم بحادث سواء علينا ليلها ونهارها
منونان بالأحداث حين تناوبا وبالنعم الضافي علينا سرورها
على غفلة يأتي النبي محمد فيخبر أخباراً صدوق خبيرها

ومن ذلك خبر سفيان بن مجاشع التميمي جد الفرزدق كان قد احتمل عن قومه ديات فخرج لحي من تميم فاذا هم مجتمعون عند كاهنة فأتاهم وجلس عندهم فسمع الكاهنة تقول : العزيز من والاه والذليل من لاحاه ، والموفور من والاه ، والموتور من عاداه ، فقال سفيان : من تذكرين لله أبوك ؟ فقالت : صاحب هدى وعلم وبطش وحلم وحرب وسلم ورأس رؤوس ورابض شموس وماحق رؤوس وماهد رغوس وناعس ومنعوس . فقال سفيان : لله أبوك من هو قالت نبي مؤيد قد أتى حين يوجد ، ودنا أوان يولد ، يبعث الى الاحمر والأسود بكتاب لا يفند اسمه محمد . قال سفيان : لله أبوك أعربي أم عجمي ؟ فقالت : أما والسماء ذات العنان ، والشجر ذات الأفنان ، انه لمن معد بن عدنان ، فأمسك عن سؤالها ، ثم ان سفيان ولد له ولد فسماه محمداً رجاء أن يكون هو النبي المذكور وهو احد من تسمى باسم النبيﷺ قبل مبعثه . وتقدمت قصة سيف بن ذي يزن أحد ملوك اليمن وتكلمه مع عبد المطلب وبشارته بالنبيﷺ وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - انه قال لعبد المطلب أيضاً : أشهد أن في إحدى يديك ملكاً وفي الأخرى

نبوة ، فكانت النبوة والخلافة العباسية .

ومن ذلك خبر زيد بن عمرو بن نفيل انه لقي راهباً بالجزيرة فسأله عن دين إبراهيم فقال له : ان كل من رأيته من الأحبار والرهبان في ضلال وأنك لتسأل عن دين الله وقد خرج في أرضك أو هو خارج ، نبي يدعو إليه فارجع اليه فصدقه ، فلقيه النبيﷺ قبل بعثته فقال : يا عم ما لي أرى قومك قد أبغضوك ؟ فقال : اما والله إن ذلك لغير ثائرة مني اليهم ولكني أراهم على ضلالة فخرجت ابتغي هذا الدين ثم أخبره بما عرفه به الراهب من أمرهﷺ وإن كان لا يعلم انه هو النبي الموعود به .

ومن ذلك ما أخرجه ابن عساكر عن عبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله عنه ـ قال : سافرت الى اليمن قبل مبعثهﷺ فنزلت على عسكلان الحميري وكان شيخاً كبيراً وكنت أنزل عليه إذا جئت اليمن فسألني مرة عن مكة والكعبة وزمزم وقال : هل ظهر منكم احد خالف دينكم ؟ فقلت : لا ثم قدمت عليه بعد مبعثهﷺ وقد ضعف وثقل سمعه فنزلت عليه واجتمع عليه ولده وولد ولده وأخبروه بمكاني فشد عليه عصابة واستند وقعد وقال لي : انتسب يا أخا قريش ؟ فقلت : أنا عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحرث بن زهرة . قال : حسبك يا أخا زهرة الا أبشرك ببشارة هي خير لك من التجارة ؟ قلت : بلى . قال : انبئك وأبشرك أن الله قد بعث في الشهر الأوّل من قومك نبياً ، وارتضاه صفياً ، وأنزل عليه كتاباً ، وجعل له ثواباً ، ينهى عن الأصنام ، ويدعو الى الإسلام ، ويأمر بالحق ويفعله ، وينهى عن الباطل ويبطله . فقلت : ممن هو ؟ قال : لا من الأزد ولا ثمالة ، ولا من السرف ولا تبالة ، هو من بني هاشم وانتم أخواله يا عبد الرحمن ، أخف الوقعة وعجل الرجعة ، ثم امض ووازره واحمل اليه هذه الأبيات :

أشهد بالله ذي المعالي وفالق الليل والصباح
انك ذو السرّ من قريش يا ابن الفديّ من الذباح
أرسلت تدعو الى يقين يرشد للحق والفلاح
أشهد بالله رب موسى إنك ارسلت بالبطاح
فكن شفيعي الى مليك يدعو البرايا الى الفلاح

قال عبد الرحمن : فحفظت الأبيات وانصرفت فلما قدمت مكة لقيت أبا بكر ـ رضي

الله عنه ـ وأخبرته الخبر فقال : هذا محمد قد بعثه الله ، فأته فلما أتيت بيت خديجة ـ رضي الله عنها ـ رآني رسول الله ﷺ فضحك وقال لي :أرى وجهاً خليقاً أن أرجو له خيراً ، فما وراءك ؟ فقلت : وديعة . فقال : أرسلك مرسل برسالة هاتها ، فأخبرته وأسلمت فقال : أخو حِمْيَرَ مؤمن مصدق بي وما شاهدني أولئكَ من اخواني حقاً .

ومن ذلك خبر مخيريق اليهودي ، كان عالماً حبراً بالمدينة كثير المال وكان يعرف رسول الله ﷺ بصفته إلا أنه غلبه ألف دينه فلما كانت غزوة أحد وكانت يوم السبت قال يا معشر يهود أنكم تعلمون ان نصر محمد حق عليكم فقالوا : اليوم يوم السبت . فقال : إنكم لا سبت لكم ثم أخذ سلاحه وخرج حتى أتى رسول الله ﷺ وأصحابه بأحد وعهد الى قومه إن مت هذا اليوم فأموا الى محمد يصنع بها ما رآه ، ثم أسلم على يد النبي ﷺ ، وقاتل حتى قتل فجعل النبي ﷺ ماله و صدقة بالمدينة ، وكان ﷺ يقول : مخيريق خير يهود .

ومن ذلك ما رواه كعب الأحبار في صفاته ﷺ فانه كان من أحبار اليهود فأسلم في خلافة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وتوفي في خلافة عثمان ـ رضي الله عنه ـ سنة ثنتين وثلاثين من الهجرة وكان يذكر أخباراً كثيرة في صفات النبي ﷺ ، حفظها من الكتب القديمة المنزلة وسأله عمر ـ رضي الله عنه ـ مرة عن صفته ﷺ في التوراة فقال : ان فيها أن سيد الناس والصفوة من ولد آدم وخاتم النبيين يخرج من جبال فاران ومنبت القرظ من الوادي المقدس فيظهر التوحيد والحق ثم ينتقل الى طيبة فتكون حروبه وآياته بها ، ثم يقبض ويدفن بها .

ومن ذلك خبر ضغاطر وهو أسقف من كبار الروم أسلم على يد دحية الكلبي لما أرسله رسول الله ﷺ إلى قيصر ملك الروم . قال دحية :لما خرج عظماء الروم من عند هرقل ادخلني عليه وأرسل الى أسقف كان صاحب أمرهم فسأله عن أمر النبي ﷺ فقال له : هذا الذي كنا ننتظره وبشرنا به عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ أما أنا فمصدقه ومتبعه فقال قيصر له : إن فعلت ذهب ملكي . قال دحية ، فقال لي الأسقف : خذ هذا الكتاب واذهب به الى صاحبك واقرأ عليه السلام وأخبره أني أشهد ان لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإني قد آمنت به وصدقته ثم ألقى ثيابه ولبس ثياباً بيضاء وخرج ودعا الروم الى الإسلام وشهد شهادة الحق فقتلوه ، فلما رجع دحية الى هرقل قال له : أما قلت لك أنا نخافهم على أنفسنا فضغاطر كان اعظم عندهم مني ، واخبار الأحبار والكهان وتصريحهم بصفاته ﷺ وتصديقه لا يمكن حصره واستقصاؤه وما أنكر ذلك منهم من أنكره إلا حسداً

وبغياً والله الهادي الى سواء السبيل .

وأما أخبار الكهان على ألسنة الجان فكثيرة منها خبر سواد بن قارب ـ رضي الله عنه ـ وكان من دوس قوم ابي هريرة ـ رضي الله عنه ـ كان يتكهن في الجاهلية وكان شاعراً ثم أسلم فعن محمد بن كعب القرظي قال : بينا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ذات يوم جالس إذ مر به رجل فقيل له : يا أمير المؤمنين أتعرف هذا المار ؟ قال : ومن هذا : قال : سواد بن قارب الذي أتاه رئيه اي تابعه من الجن الذي يتراءى له أتاه بظهور النبي ﷺ وكان هذا القول لعمر ـ رضي الله عنه ـ بعد أن قال وهو على المنبر ، أي منبر النبي ﷺ : أيها الناس فيكم سواد بن قارب فلم يجبه أحد فلما كانت السنة المقبلة زمن مجيء الناس للزيارة من الآفاق قال : أيها الناس فيكم سواد بن قارب كان بدء إسلامه شيئاً عجيباً ؟ قال البراء : فبينا نحن كذلك إذ طلع سواد بن قارب فقالوا لعمر ـ رضي الله عنه ـ هذا سواد فأرسل اليه عمر ـ رضي الله عنه ـ فجاء فقال له : أنت سواد بن قارب ؟ قال:نعم. قال : أنت أتاك رئيك بظهور النبي ﷺ ؟ قال : نعم . قال : فأنت على ما كنت عليه من كهانتك ؟ فغضب سواد بن قارب وقال : ما استقبلني بهذا أحد منذ أسلمت يا أمير المؤمنين فقال عمر : سبحان الله ما كنا عليه من الشرك أعظم أي ما كنا عليه من عبادة الأصنام أعظم مما كنت عليه من كهانتك . وفي رواية : ان عمر ـ رضي الله عنه ـ قال : اللهم غفراً قد كنا في الجاهلية على شر من هذا نعبد الأصنام والأوثان حتى أكرمنا الله برسوله ﷺ وبالإسلام . وفي كلام السهيلي ان عمر ـ رضي الله عنه ـ مازح سواداً ـ رضي الله عنه ـ فقال ما فعلت كهانتك يا سواد ؟ فغضب وقال له سواد : قد كنت انا وانت على شر من هذا من عبادة الأصنام وأكل الميتات أفتعيرني بأمر قد تبت عنه ؟ فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ اللهم غفراً ثم قال : يا سواد حدثنا ببدء اسلامك كيف كان ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، بينا أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان إذ أتاني رئي وضربني برجله ، وقال : قم يا سواد بن قارب واسمع مقالتي وأعقل إن كنت تعقل . انه قد بعث رسول من لؤي بن غالب ، يدعو الى دين الله عز وجل والى عبادته ، ثم أنشأ يقول :

عجبت للجن وتطلابها وشدها العبس باقتابها
تهوى الى مكة تبغي الهدى ما صادق الجن ككذابها
فارحل الى الصفوة من هاشم ليس قد أماها كأذنابها

فقلت : دعني أنام فإني أمسيت ناعساً فلما كانت الليلة الثانية أتاني فضربني برجله وقال : قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو الى الله عز وجل وإلى عبادته ثم أنشأ يقول :

عجبت للجن وتخبارها وشدّها العيس بأكوارها
تهوى الى مكة تبغى الهدى ما مؤمن الجن ككفارها
فارحل الى الصفوة من هاشم بين روابيها وأحجارها

فقلت دعني أنام فاني أمسيت ناعساً فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فضربني برجله وقال : قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل إن كنت تعقل انه بعث رسول من لؤي ابن غالب يدعو الى الله عز وجل وإلى عبادته ثم أنشأ يقول :

عجبت للجن وتحساسها وشدها العيس بأحلاسها
تهوى الى مكة تبغي الهدى ما خير الجن كأنحاسها
فارحل الى الصفوة من هاشم وأوم بعينيك إلى رأسها

فقمت فقلت قد امتحن الله قلبي فرحلت ناقتي حتى أتيت مكة .وفي رواية المدينة قال البيهقي : والرواية الأولى اصح فإذا رسول الله ﷺ وأصحابه حوله فلما رآني قال: مرحباً يا سواد بن قارب : قد علمنا ما جاء بك قلت : يا رسول الله قد قلت شعراً فاسمع مقالتي فقال : هات فأنشأت أقول :

أتاني رئي بعد ليل وهجعة ولم يك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قول كل ليلة أتاك رسول من لؤي بن غالب
فشمرت عن ساقي الازرار ووسطت بي الذعلب الوجناء بين السباسب
فاشهد أن الله لا رب غيره وإنك مأمون على كل غائب
وإنك أدنى المرسلين وسيلة إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب
فمرنا بما يأتيك يا خير مرسل وإن كان فيما جاء شيب الذوائب

وكن لي شفيعـاً يوم لاذ وشفاعة سواك بمغـن عن سواد بن قارب

ففرح النبي ﷺ وأصحابه بمقالتي فرحاً شديداً حتى رؤي الفرح في وجوههم ، وضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ، وقال : أفلحت يا سواد . قال البراء : فرأيت عمر ـ رضي الله عنه ـ التزمه وقال : لقد كنت أشتهي أن أسمع هذا الحديث منك فهل يأتيك رئيك اليوم ؟ فقال : منذ قرأت القرآن فلا ونعم العوض كتاب الله تعالى من الجن ، وهذا السياق يدل على ان سيدنا عمر ـ رضي الله عنه ـ لم يكن حاضراً عند النبي ﷺ لما أخبره سواد ، ولما توفي النبي ﷺ وخشي سواد على قومه الردة قام فيهن خطيباً وقال : يا معشر دوس من سعادة القوم أن يتعظوا بغيرهم ، ومن شقاوتهم أن لا يتعظوا إلا بأنفسهم وأن من لا تنفعه التجارب ضرته ومن لم يسعه الحق لم يسعه الباطل وإنما تسلمون اليوم بما أسلمتهم به أمس ولا ينبغي لأهل البلاء إلا أن يكونوا أذكر من أهل العافية للعافية ، ولست أدري لعله يكون للناس جولة فان لم تكن فالسلامة منها الأناة والله يحبها فأحبوها فأجابه القوم بالسمع والطاعة .

ومن ذلك ان امرأة كانت كاهنة بالمدينة يقال لها حطيمة ، كان لها تابع من الجن فجاءها يوما فوقف على جدارها فقالت له : مالك لا تدخل تحدثنا ونحدثك ؟ فقال : انه قد بعث نبي بمكة يحرم الزنا فحدثت بذلك فكان أوّل خبر تحدث به بالمدينة عن رسول الله ﷺ .

وأما ما سمع من جوف الأصنام فكثير أيضاً فمنها خبرعباس بن مرداس ـ رضي الله عنه ـ قال : كان لأبيه مرداس السلمي وثن يعبده يقال له ضمار بكسر الضاد المعجمة وبالميم المخففة بعدها ألف ثم راء مهملة ، فلما حضرت مرداساً الوفاة قال للعباس ولده :أي بني اعبد ضماراً فانه ينفعك ولا يضرك ، فبينا عباس يوماً عند ضمار إذ سمع من جوف ضمار منادياً يقول :

من للقبائل من سليم كلها أودى ضمار وعاش أهل المسجد
ان الذي ورث النبوّة والهدى بعد ابن مريم من قريش مهتدي
أودى ضمار وكان يعبد مرة قبل الكتاب الى النبي محمد

فحرّق عباس ضماراً ولحق بالنبي ﷺ ، وفي لفظ أن عباس بن مرداس إذ طلع عليه راكب على نعامة بيضاء وعليه ثياب بيض ، فقال : يا عباس ألم تر إلى السماء قد تعب حراسها ، وان الحرب قد حرقت أنفاسها ، وأن الذي نزل عليه البرّ والتقوى صاحب الناقة القصواء قال العباس : فراعني ذلك فجئت وثناً لنا يقال له الضمار فكنست حوله ثم تمسحت به ، فإذا صائح يصيح من جوفه :

قل للقبائل من قريش كلها ... هلك الضمار وفاز أهل المسجد
هلك الضمار وكان يعبد مرة ... قبل الصلاة على النبي محمد
إن الذي ورث النبوّة والهدى ... بعد ابن مريم من قريش مهتدي

قال عباس : فخرجت مع قومي بني حارثة إلى رسول الله ﷺ فدخلت المسجد فلما رآني ﷺ تبسم وقال : يا عباس ، كيف إسلامك ؟ فقصصت عليه القصة ، فقال : صدقت وأسلمت انا وقومي .

ومن ذلك خبر مازن بن القصوية قال : كنت أسدن أي أخدم صنماً بقرب عمان يدعى سمائل ، وسمال يقال له بادر . وفي لفظ باحر بالحاء المهملة فعترنا عنده ذات يوم عتيرة وهي الذبيحة مطلقاً ، وقيل في رجب خاصة فسمعنا صوتاً من جوف الصنم يقول :

يا مازن اسمع نسر ظهر خير وبطن شر
بعث نبيّ من مضر بدين الله الأعز الاكبر
فدع نجيا من حجر تسلم من حر نار سقر

قال مازن : ففزعت لذلك الصنم فسمعت صوتاً منه يقول :

أقبل لي اقبل تسمع ما لا تجهل
هذا نبي مرسل جاء يحق منزل
آمن به كي تعدل عن حر نار تشعل

وقودها بالجندل

فقلت : ان هذا لعجب وانه لخير يراد بي . قال مازن : فبينا نحن كذلك إذ قدم رجل من أهل الحجاز فقلنا له : ما الخبر وراءك ؟ قال : قد ظهر رجل يقال له أحمد يقول لمن أتاه أجيبوا داعي الله ، فقلت هذا نبأ سمعته فنزلت الى الصنم فكسرته جذاذاً ، وركبت راحلتي وأتيت رسول الله ﷺ فشرح لي الإسلام فأسلمت وقلت :

كسرت بادر أجذاذاً وكان لنا ... رباً نطيف به ملأ بتضلال
بالهاشمي هدانا من ضلالتنا ... ولم يكن دينه شيئاً على بال
يا راكبا بلغا عمراً وإخوتها ... اني لما قال ربي بادر تالي

قال مازن : فقلت يا رسول الله اني مولع بالطرب أي مغرم به وبشرب الخمر وبالهلوك الفاجرة من النساء التي تتمايل وتتثني عند جماعها ،وألحت اي دامت علينا السنون أي اعوام القحط والجدب فذهبن بالأموال وهزلن الدراري والعيال وليس لي ولد فادع الله أن يذهب عني ما اجد ، ويأتيني بالحيا ويهب لي ولداً فقال النبي ﷺ : اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن ، وبالحرام الحلال ، وبالخمر رياء لا إثم فيه ، وبالعهر أي الزنا العفة وأته بالحيا ، وهب له ولداً ، قال مازن : فأذهب الله عني ما كنت اجده وتعلمت شطر القرآن ، وحججت حججاً ، وأخصب عمان يعني قريته وما حولها من قرى عمان ، وتزوّجت أربع حرائر ، ووهب الله لي حبان يعني ولده ، وانشأت اقول :

إليك رسول الله حنت مطيتي ... تجوب الفيافي من عمان الى العرج
لتشفع لي يا خير من وطىء الحصى ... فيغفر لي ذنبي وارجع بالفلج
الى معشر خالفت في الله دينهم ... ولا رأيهم رأيي ولا نهجهم نهجي
وكنت امرأ بالعهر والخمر مولعاً ... شبابي حتى أذن الجسم بالنهج
فبدّلني بالخمر خوفاً وخشية ... وبالعهر إحصاناً فحصن لي فرجي
فأصبحت همي في الجهاد ونيتي ... فللّه ما صومي ولله ما حجي

قال مازن : فلما رجعت الى قومي أنبئوني أي عنفوني ، وشتموني ، ولاموني ،

وأمروا شاعرهم فهجاني : فقلت : إن هجوتهم فانما أهجو نفسي ، فتنحيت عنهم وبنيت مسجداً أتعبد فيه فكان لا يأتي هذا المسجد أحد مظلوم فيتعبد فيه ثلاثاً ويدعو على من ظلمه إلا استجيب له ولا دعا ذو عاهة من برص او غيره إلا عوفي ، ثم ان القوم قدموا وطلبوا مني الرجوع إليهم ، فأسلموا كلهم ذكره الحلبي في السيرة .

وأما ما سمع من أجواف الذبائح فمنه ما جاء عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال : كنا يوماً في حي من قريش يقال لهم آل ذريح بالحاء المهملة ، وقد ذبحوا عجلاً لهم والجزار يعالجه فسمعنا صوتاً من جوف العجل ولا نرى شيئاً يقول : يا آل ذريح أمر نجيح صائح يصيح ، بلسان فصيح ، يشهد ان لا إله الله الله والمراد بالذريح العجل الذي ذبح لانه ملطخ بالدم الأحمر يقال أحمر ذريجي اي شديد الحمرة ، والذي في البخاري يقول : يا جليح ، أمر نجيح ، ورجل فصيح . يقول لا إله إلا الله . والمراد بالجليح العجل المذبوح أيضاً لأنه قد جلح جلده أي كشف عنه جلده .

وأما ما سمع من الهواتف ولم يجيء على ألسنة الكهان ولا سمع من جوف الأصنام ولا من جوف الذبائح فكثير من ذلك ما حدث به بعضهم وذكره للنبيﷺ قال : يا رسول ا الله لقد رأيت من قس عجباً خرجت أطلب بعيراً إلي حتى إذا عسعس الليل أي أدبر وكاد الصبح ان يتنفس هتف بي هاتف يقول :

يا أيها الراقد في الليل الأحم   قد بعث الله نبياً بالحرم
من هاشم أهل الوفاء والكرم   يجلو دجنات الليالي والبهم

فأدرت طرفي فما رأيت شخصاً فأنشأت اقول :

يا أيها الهاتف في داجي الظلم   أهلا وسهلاً بك من طيف ألم
بين هداك الله في لحن الكلم   من ذا الذي تدعو اليه يغتنم

فاذا بنحنحة وقائل يقول: ظهر النور وبطل الزور وبعث الله محمداًﷺ بالحبور ، صاحب النجيب الأحمر ، والتاج الأقمر ، والطرف الأحور ، صاحب قول شهادة ان لا إله

إلا الله ، فذاك محمد المبعوث الى الأسود والأحمر ، أهل المدر والوبر ، ثم أنشأ يقول :

الحمد لله الذي لم يخلق الخلق عبث
أرسل فينا أحمداً خير نبي قد بعث
عليه صلى الله ما حج له ركب وحث

والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله :

وتغنت بمدحه الجن حتى أطرب الإنس منه ذاك الغناء

قال : فلاح الصباح وإذا بالفتيق اي الفحل الكريم من الإبل يشقشق أي يهدر الى النوق فأمسكت خطامه وعلوت سنامه حتى لغب اي تعب فنزلت في روضة خضراء ، فإذا أنا بقس بن ساعدة في ظل شجرة وبيده قضيب من أراك ينكث به في الأرض وهو يقول :

يا ناعي الموت والملحود في جدث عليهم من بقايا بزهم خرق
دعهم فان لهم يوماً يصاح بهم فهم إذا انتبهوا من نومهم فرقوا
حتى يعودوا لحال غير حالهم خلقا جديدا كما من قبله خلقوا
منهم عراة ومنهم في ثيابهم منها الجديد ومنها المنهج الخلق

قال فدنوت منه فسلمت عليه فرد علي السلام فإذا بعين خرارة ومسجد بين قبرين واسدين عظيمين يلوذان به وإذ بأحدهما قد سبق الآخر الى الماء فتبعه الآخر يطلب الماء فضربه بالقضيب الذي بيده وقال : ارجع ثكلتك امك حتى يشرب الذي قبلك ، فرجع ثم ورد بعده فقلت : ما هذان القبران ؟ قال هذان قبران لأخوين لي كانا يعبدان الله عز وجل في هذا المكان لا يشركان بالله شيئاً اسم أحدهما سمعون والآخر سمعان ، فأدركهما الموت فقبرتهما وها أنا بين قبريهما حتى ألحق بهما ، ثم نظر اليهما ، وأنشدا أبياتا فقال رسول الله ﷺ رحم الله قساً إني أرجو ان يبعثه الله أمة وحده اي يقوم مقام جماعة . ولما مات قس قبر عندهما وتلك القبور الثلاثة بقرية يقال لها أم روحين من أعمال حلب ، وعليها

بناء والناس يزورونهم وعليهم وقف ولهم خدام .

ومن ذلك ما ذكره الواقدي باسناد له قال : كان ابو هريرة ـ رضي الله عنه ـ يحدث ان قوماً من خثعم كانوا عند صنم لهم جلوساً وكانوا يتحاكمون إلى أصنامهم فبينا هم عند صنمهم إذ سمعوا هاتفاً يقول :

يا أيها الناس ذوو الأحكام	ومسندو الحكم الى الأصنام
أما ترون ما أرى أمامي	من ساطع يجلو دجى الظلام
ذاك نبي سيد الأنام	من هاشم في ذورة السنام
مستعلن بالبلد الحرام	جاء بهدم الكفر بالإسلام

قال أبو هريرة : فأمسكوا ساعة حتى حفظوا ذلك ثم تفرقوا فلم يمض بهم ثالثهم حتى فجأهم خبر رسول الله ﷺ انه قد ظهر بمكة أي جاءهم ذلك بغتة .

وأما خبر زميل بن عمرو العذري فهو أنه قال : كان لبني عذرة وهي قبيلة من اليمن صنم يقال له حمام وكانوا يعظمونه ، وكان في بني هند بن حرام وكان سادنه رجلاً يقال له طارق وكانوا يعترون أي يذبحون الذبائح عنده ، فلما ظهر النبي ﷺ سمعنا صوتاً يقول : يا بني هند بن حرام ظهر الحق وأودى حمام أي هلك ورفع منا الشرك الإسلام . قال زميل ففزعنا لذلك فمكثنا أياماً ثم سمعنا صوتاً يقول : يا طارق يا طارق بعث النبي الصادق ، بوحي ناطق ، صدع صدعه بأرض تهامه ، لناصريه السلامه ، ولخاذليه الندامه ، هذا الوداع مني الى يوم القيامه ، فوقع الصنم لوجهه ، فان كان ذلك الصوت من جوف الصنم ويرشد اليه قوله هذا الوداع مني الى يوم القيامة فهو من غير هذا النوع ، وان لم يكن فهو من هذا النوع ، وان لم يكن فهو من هذا النوع . قال زميل : فاشتريت راحلة ورحلت حتى أتيت النبي ﷺ مع نفر من قومي وأنشدته :

اليك رسول الله أعملت نصها	أكلفها حزناً وفوزاً من الرمل
لأنصر خير الناس نصراً مؤزراً	واعقد حبلاً من حبالك في حبلي
وأشهد ان الله لا شيء غيره	أدين له ما أثقلت قدمي نعلي

ومن هذا النوع خبر تميم الداري الآتي ، ويكنى أبا رقية اسم ابنة له لم يولد له غيرها ، وقد روى لهﷺ قصة الجساسة مع الدجال فقال: حدثني تميم الداري الخ القصة المذكورة في غير هذا الكتاب وهذا أولى ما يخرجه المحدثون في رواية الكبار عن الصغار .
ومن رواية الكبار عن الصغار أيضاً ما ذكر أن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ مر يوماً على ابنته عائشة ـ رضي الله عنها ـ فقال : هل سمعت من رسول اللهﷺ دعاء كان يعلمناه ، وذكر ان عيسى ابن مريم ـ عليهما السلام ـ كان يعلمه أصحابه ويقول : لو كان على أحدكم جبل دين قضاء الله عنه قالت : نعم يقول : اللهم فارج الهم ، كاشف الغم ، مجيب دعوة المضطرين ، رحمن الدنيا والآخرة ، ورحيمهما أنت ترحمني فارحمني ، برحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك . قال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ فكان علي دين وكنت له كارهاً فقلته فلم ألبث إلا يسيراً حتى قضيته .

رجعنا الى خبر تميم الداري ، قال ـ رضي الله عنه ـ كنت بالشام حين بعث رسول اللهﷺ ، فخرجت الى بعض حاجاتي فأدركني الليل فقلت : أنا في جوار عظيم هذا الوادي ، فلما أخذت مضجعي إذ منادٍ ينادي : عذ بالله فان الجن لا تجير أحداً على الله ، قال ، فقلت : أيما أي أي شيء تقول ؟ فقال ، قد خرج رسول اللهﷺ وصلينا خلفه بالحجون وأسلمنا واتبعناه وذهب كيد الجن ، ورميت بالشهب ، فانطلق الى محمد وأسلم فلما أصبحت ذهبت الى دير أيوب فسألت راهبة وأخبرته فقال : صدقوك تجده يخرج من الحرم اي مكة ومهاجره الحرم اي المدينة ، وهو خير الأنبياء فلا تسبق اليه . قال تميم : فطلبت الشخوص حتى جئت رسول اللهﷺ . وفي رواية : فسرت الى مكة فلقيت النبيﷺ وكان مستخفياً فآمنت به . وقيل ان ما ذكر غلط وان مسيره إنما كان الى المدينة بعد الهجرة لأن اسلامه كان سنة تسع من الهجرة والله أعلم .

ومن ذلك ما حدث به سعيد بن جبير ـ رضي الله عنه ـ ان رجلاً من بني تميم حدث عن بدء إسلامه قال : إني لأسير برمل عاج ذات ليلة إذ غلبني النوم فنزلت عن راحلتي وأنختها ونمت وتعوذت قبل نومي فقلت : أعوذ بعظيم هذا الوادي من الجن فرأيت في منامي رجلاً بيده حربة يريد أن يضعها في نحر ناقتي فانتبهت فزعاً فنظرت يميناً وشمالاً فلم أر شيئاً فقلت : هذا حلم ثم غفوت فرأيت مثل ذلك ، فانتبهت واذا بناقتي ترعد ثم غفوت فرأيت مثل ذلك ، فانتبهت فرأيت ناقتي تضطرب فالتفت فإذا برجل شاب كالذي رأيته في

منامي وبيده حربة ، ورجل شيخ يمسك بيده ويرده عن ناقتي وبينهما نزاع ، فبينا هما يتنازعان إذ طلعت ثلاثة أثوار من الوحش فقال الشيخ للفتى ، قم فخذ أيها شئت فداء لناقة جاري الانسي ، فقام الفتى فأخذ منها ثوراً وانصرف ، ثم التفت الي الشيخ وقال : يا فتى إذا نزلت وادياً من الأودية فخفت هوله فقل : أعوذ بالله رب محمد من هول هذا الوادي ، ولا تعذ بأحد من الجن فقد بطل أمرها . فقلت له : وما محمد ؟ قال : نبي عربي لا شرقي ولا غربي . قلت : أين مسكنه ؟ قال : يثرب ذات النخل فركبت ناقتي وحثثت السير حتى أتيت المدينة فرأيت رسول الله ﷺ فحدثني قبل أن اذكر له شيئاً بما وقع لي ودعاني الى الإسلام فأسلمت .

ونظير هذا ما حدث به بعض الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ قال : خرجت في طلب إبل لي فأدركتها ، ثم أردت النوم وكنا إذا نزلنا بواد قلنا نعوذ بعزيز هذا الوادي فتوسدت ناقتي وقلت : أعوذ بعزيز هذا الوادي فاذا هاتف يقول :

ويحك عذ بالله من ذي الجلال ومنزّل الحرام والحلال
ووحد الله ولا تبالي ما كيد ذي الجن من الأهوال
إذ تذكر الله على الأحوال وفي سهول الأرض والجبال
وقد صار كيد الجن في سفال إلا النبي وصالح الأعمال

فقلت له :

يا أيها القائل ما تقول أرشد عندك أم تضليل

فقال :

جاء رسول الله ذو الخيرات جاء بيتين وحاميات
وسور بعد مفصلات يأمر بالصلاة والزكاة
ويزجر الأقوام عن مناة قد كنّ في الإسلام منكرات

فقلت : أما انه لو كان لي من يؤدّي إبلي هذه الى أهلي لأتيته حتى أسلم . فقال : أنا

أؤدّيها . فركبت بعيراً منها ثم قدمت فاذا النبيﷺ على المنبر . وفي رواية : فوافيت الناس في صلاة الجمعة فبينا أنا أنيخ راحلتي إذ خرج اليّ أبو ذرّ فقال لي : يقول لك رسول اللهﷺ ادخل فدخلت ، فلما رآني قال : فما فعل الرجل ؟ وفي رواية : ما فعل الشيخ الذي ضمن لك أن يؤدّي إبلك ؟ أما أنه قد أدّاها سالمة ، وقد قص الله على نبيه ما كان عليه الناس قبل بعثته من أن الإنسان إذا نزل منزلاً مخوفاً قال : أعوذ بسيد هذا الوادي من شرّ سفهائه بقوله تعالى : ﴿ وانه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن ﴾ أي حين ينزلون في أسفارهم بمكان مخوف يقول كل رجل : أعوذ بسيد هذا المكان من شر سفهائه فزادوهم رهقاً أي زادوا الجن باستعاذتهم بهم طغياناً فيقولون سدنا الإنس والجن .

ومن ذلك ما حكاه وائل بن حجر الحضرمي ويكنى أبا هنيدة ، كان أبوه من الملوك قال : وفدت على رسول الله ﷺ وقد بشر أصحابه بقدومي فقال : يأتيكم وائل بن حجر من أرض بعيدة من حضرموت راغباً في الله عز وجل وفي رسولهﷺ وهو بقية أبناء الملوك . قال وائل : فما لقيني أحد من الصحابة إلا قال بشرنا بك رسول الله ﷺ قبل قدومك بثلاث ، فلما دخلت على رسول الله ﷺ رحب بي وأدناني من نفسه وقرب مجلسي وبسط لي رداءه فأجلسني عليه ، وقال : اللهم بارك في وائل بن حجر وولده وولد ولده . ثم قال : أيها الناس هذا وائل بن حجر أتاكم من أرض بعيدة من حضرموت راغباً في الإسلام فقلت : يا رسول الله بلغني ظهورك وأنا في ملك عظيم فمنّ الله عليّ أن رفضت ذلك كله وآثرت دين الله ، قال : صدقت ، اللهم بارك في وائل بن حجر وولده وولد ولده . قال : وسبب وفودي على رسول الله انه كان لي صنم من العقيق فبينا أنا نائم في الظهيرة إذ سمعت صوتاً منكراً من المخدع الذي به الصنم فأتيت الصنم وسجدت بين يديه وإذا قائل يقول :

واعجباً لوائل بن حجر يخال يدري وهو ليس يدري
ماذا يرجى من نحيت صخر ليس بذي نفع ولا ذي ضر
لو كان ذا حجر أطاع أمري

قال فقلت : أسمعت أيها الهاتف الناصح فماذا تأمرني ؟ قال :

إرحل إلى يثرب ذات النخل تدين دين الصائم المصلي

ثم خر الصنم لوجهه فاندقت عنقه فقمت اليه فجعلته رفاتاً ثم سرت مسرعاً حتى أتيت المدينة ، فدخلت المسجد الحديث .

وأما ما سمع من بعض الوحوش فمنه ما حدث به أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : بينا راع يرعى بالجزيرة اذ عرض الذئب لشاة من شياهه فحال الراعي بين الذئب وبين الشاة ، فأقعى الذئب على ذنبه وقال : ألا تتقي الله تحول بيني وبين رزق ساقه الله إليّ ؟ فقال الراعي : واعجباً من ذئب يكلمني بكلام الإنس . فقال الذئب : ألا أخبرك بأعجب مني رسول الله ﷺ بين الحرتين . وفي ر اية : بيثرب يحدث الناس بأنباء ما قد سبق . وفي رواية : يخبركم بمامضى وما هو كائن بعدكم ، فساق الراعي شياهه فأتى المدينة فغدا الى رسول الله ﷺ ، فحدثه بما قال الذئب ، فقال رسول الله ﷺ : صدق الراعي ان من اشراط الساعة كلام السباع للإنس والذي نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم الرجل شراك نعله أي وهو أحد سيورها الذي يكون على وجهها وعذبة سوطه أي طرفه ويخبره بما فعل أهله . وفي لفظ فأمر رسول الله ﷺ فنودي بالصلاة جامعة ثم خرج فقال للاعرابي : أخبرهم فأخبرهم . وفي رواية : أن راعي الغنم كان يهودياً . وفي رواية ان الذئب قال له : أنت أعجب مني واقف على غنمك وتركت نبياً لم يبعث الله قط أعظم قدراً منه ، وقد فتحت له أبواب الجنة وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم ما بينك وبينه إلا هذا الشعب ، فتصير من جنود الله تعالى فقال له الراعي : من لي بغنمي ؟ فقال الذئب : أنا أرعاها حتى ترجع فسلم اليه غنمه ، ومضى اليه ﷺ وأسلم وقال له رسول الله ﷺ : عد إلى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذئب منها شاة .

وأما ما سمع من بعض الأشجار فكثير من ذلك ما روي عن أبي بكر - رضي الله عنه - انه قيل له هل رأيت قبل الإسلام شيئاً من دلائل نبوّة محمد ﷺ ؟ قال : نعم بينا أنا قاعد في ظل شجرة في الجاهلية ، اذ تدلى عليّ غصن من أغصانها ، حتى صار على رأسي فجعلت أنظر اليه وأقول ما هذا فسمعت صوتاً من الشجرة يقول : هذا النبي يخرج من وقت كذا ، وكذا فكن أنت اسعد الناس به .

وأما أخبار تساقط النجوم وطرد الجن بها عن استراق السمع ، وما جاء عن العرب فيه

فكثير فمن ذلك خبر ابن إسحق قال : لما تقارب أمر رسول الله ﷺ وحضر مبعثه حجبت الشياطين عن السمع وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد فيها ، فرموا بالنجوم فعرف الجن ان ذلك الأمر حدث من الله في العباد . قال الله تعالى لنبيه ﷺ : حين بعثه يقصّ عليه خبرهم : اذ حجبوا وانا لمسنا السماء اي طلبنا استراق السمع منها فوجدناها ملئت حرساً شديداً اي ملائكة أقوياء يمنعون عنها وشهباً وإنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع اي صالحة للسمع لخلوها عن الحرس والشهب ، فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً أي أرصد له ليرمي به ومن يخطف الخطفة منهم بخفة حركته تبعه شهاب ثاقب يقتله أي أو يحرق وجهه أو يخبله قبل ان يلقيها للكاهن ، وذلك لئلا يلتبس أمر الوحي بشيء من خبر الشياطين مدة نزوله وبعد انقضائه بموته ﷺ لئلا تدخل الشبهة على ضعفاء العقول ، فربما توهموا عود الكهانة التي سببها استراق السمع وان أمر رسالته ﷺ تم فاقتضت الحكمة حراسة السماء في حياته ﷺ وبعد موته ومن ثم قال : لا كهانة بعد اليوم وقد حدّث بعضهم أن أوّل العرب فزعاً من الرمي بالنجوم حين رمى بها ثقيف وانهم جاؤوا إلى رجل يقال له عمر بن أمية ، وكان أدهى العرب وأنكرها رأياً أي أدهاها رأياً وكان ضريراً ، وكان يخبرهم بالحوادث فقالوا : يا عمروا ألم ترأي تعلم ما حدث في ا لسماء من الرمي بهذه النجوم ؟ قال : بلى فانظروا فان كانت معالم النجوم هي التي يرمي بها فهو والله طي هذه الدنيا وهلاك هذا الخلق الذي فيها ، وان كانت نجوماً غيرها وهي ثابتة على حالها فهو لأمر أراده الله لهذا الخلق ونبيّ يبعث في العرب فقد تحدث بذلك . وقوله معالم النجوم اي النجوم المشهورة التي يهتدى بها في البرّ والبحر وتعرف بها الأنواء من الشتاء والصيف .

لا يقال قد رجمت الشياطين بالنجوم قبل ذلك عند مولده ﷺ لأنا نقول : رجمت عند مبعثه بأكثر مما كان قبل ذلك وصارت تصيب ولا تخطىء ومن ثم حدث بعضهم ، قال : لما بعث ﷺ اي قرب زمن بعثه رجمت الشياطين بنجوم لم تكن ترجم بها قبل فأتوا عبد يا ليل ابن عمرو الثقفي وكان أعمى فقالوا إن الناس قد فزعوا وقد أعتقوا رقيقهم وسيبوا أنعامهم ، فقال لهم : لا تعجلوا وانظروا فان كانت النجوم التي تعرف وهي التي يهتدى بها في البرّ والبحر ويعرف بها الانواء فهو فناء الناس وإن كانت لا تعرف فهي من حدث فنظروا فإذا نجوم لا تعرف فقالوا : هذا من حدث فلم يلبثوا حتى سمعوا بالنبي ﷺ . وفي لفظ فما مكثوا إلا يسيراً حتى قدم الطائف ابو سفيان بن حرب فقال : ظهر محمد بن عبد الله يدعي أنه نبي مرسل وقوله فيما تقدم انظروا فان كانت النجوم التي تعرف الخ يؤيد هذا ما

جاء في الحديث مما رواه مسلم انهﷺ قال : النجوم أمنة السماء فاذا ذهبت النجوم أتي أهل السماء ما يوعدون وأنا أمنة لأصحابي ، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمنة لأمّتي ، فاذا هب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون ولا منافاة في سؤال ثقيف ، فلا مانع من تكرّر سؤالهم مرّة لعمرو بن أمية ومرّة لعبد يا ليل وإن كلاً منهما كان أعمى ، ويحتمل اتحاد الواقعة ووقع الاختلاف في اسم الذي سألوه فسماه بعضهم : عمرو بن أمية . وسماه بعضهم عبد يا ليل بن عمرو ، وعن ابن عمر رضي الله عنهما ـ قال : لما كان اليوم اي الوقت الذي تنبأ فيه رسول اللهﷺ منعت الشياطين من خبر السماء بالشهب .

ومن ذلك خبر أبي لهب او لهيب بن مالك وكان من بني لهب قال : حضرت مع رسول الله ﷺ فذكرت عنده الكهانة فقلت : بأبي أنت وأمي نحن أوّل من عرف حراسة السماء ومنع الجن من استراق السمع وذلك انا اجتمعنا الى كاهن يقال له خطر بالخاء المعجمة والطاء المهملة ابن مالك وكان شيخاً كبيراً قد أتت عليه مائتا سنة وثمانون سنة وكان من أعلم كهاننا فقلنا له : يا خطر هل عندك علم بهذه النجوم التي يرمي بها فانا قد فزعنا لها وخفنا سوء عاقبتها . فقال : ائتوني بسحر اي قبل الفجر أخبركم الخبر لخير أم ضرر أولا من أو حذر . قال : فانصرفنا عنه يومنا فلما كان من غد في وقت السحر أتيناه فاذا هو قائم على قدميه شاخص الى السماء بعينيه ، فناديناه يا خطر يا خطر فأومأ الينا أن أمسكوا فانقضّ نجم عظيم من السماء فصرخ خطر رافعاً صوته يقوله أصابه اصابه وخامره عقابه ، عاجله عذابه ، أحرقه شهابه ، زايله جوابه ، يا ويله ماحاله ، بلبله بلباله ، عاوده خباله ، تقطعت حباله ، وغيرت أحواله ، ثم أمسك طويلاً ثم قال : يا معشر بني قحطان أخبركم بالحق والبيان ، أقسم بالكعبة والأركان ، والبلد المؤتمن السدان ، قد منع السمع عتاة الجان بثاقب من ذي سلطان ، لأجل مبعوث عظيم الشان ، يبعث بالتنزيل والفرقان ، وبالهدى وفاصل القرآن ، تبطل به عبادة الأوثان ، فقلنا له : ويلك يا خطر انك لتذكر أمراً عظيماً فما ترى لقومك ؟ قال : أرى لقومي ما أرى لنفسي ، أن يتبعوا خير الإنس ، برهانه مثل شعاع الشمس ، يبعث بمكة دار الحمس ، بمحكم التنزيل غير اللبس ، قلنا له : يا خطر ومن هو ؟ قال : والحياة والعيش ، انه لمن قريش ، ما في حكمه طيش ، ولا في خلقه هيش ، فقلنا : بين لنا من اي قريش ؟ فقال : والبيت ذي الدعائم ، والركن ذي الاحائم ، انه لمن نسل هاشم ، من معشر أكارم ، يبعث بالملاحم ،وقتيل كل ظالم . ثم

قال : هذا هو البيان ، أخبرني به رئيس الجان ، ثم قال : الله أكبر ، جاء الحق فظهر ، وانقطع عن الجن الخبر ، ثم سكت وأغمي عليه فما أفاق إلا بعد ثلاثة أيام ، فقال : لا إله إلا الله ، فلما سمع ذلك رسول الله ﷺ قال : سبحان الله لقد نطق عن مثل نبوّة أي وحي وانه ليبعث يوم القيامة أمّة وحده أي يقوم مقام جماعة ، كما تقدم نظيره . وقوله : الحس بضم الحاء المهملة واسكان الميم بالسين هم قريش من الحماسة وهي الشدة سموا بذلك لتشددهم في دينهم ولذلك تركوا الغزو لما فيه من استحلال الأموال والفروج ومالوا للتجارة .

ومن ذلك ما رواه مسلم عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن نفر من الأنصار قال : بينا نحن جلوس مع رسول الله ﷺ إذ رمي بنجم فظهر نوره فقال لهم رسول الله ﷺ : ما كنتم تقولون في هذا النجم الذي يرمى به في الجاهلية أي قبل المبعث ؟ قالوا : يا رسول الله كنا نقول حين نراه يرمى به : مات ملك ولد مولود . فقال رسول الله ﷺ : ليس ذلك كذلك ولكن الله سبحانه كان إذا قضى في خلقه أمراً سمعته حملة العرش فسبحوا فسبح من تحتهم لتسبيحهم ، فيسبح من تحت ذلك فلا يزال التسبيح يهبط حتى ينتهي الى السماء الدنيا فيسبحوا ثم يقول بعضهم لبعض : لم سبحتم ؟ فيقولون : قضى الله في خلقه كذا وكذا للأمر الذي يكون في الأرض فيهبط به من سماء إلى سماء أي يقول أهل كل سماء لمن يليهم حتى ينتهي الى السماء الدنيا ، فتسترقه الشياطين بالسمع على توم واختلاس ، ثم يأتون به الى الكهان فيخطئون بعضاً ويصيبون بعضاً .

وفي البخاري إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله ، كالسلسلة على صفوان فإذا نزع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الذي قال الحق وهو العلي الكبير فتسمعها مسترقو السمع فربما أدرك الشهاب المستمع قبل ان يرمى بها الى صاحبه فيحرقه الحديث : وقوله ﷺ يرمي بها في الجاهلية صريح في انه كان يرمى بالنجوم للحراسة في زمن الفترة بينه ﷺ وبين عيسى ـ عليه السلام ـ قبل مولده ﷺ وربما يعارضه ما روى عنه لم ير بالنجوم بعد رفع عيسى ـ عليه السلام ـ حتى تنبأ رسول الله ﷺ فرمى بها ، فلما رأت قريش أمراً لم تكن تراه فزعوا لعبد ياليل الحديث ، وكذا حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال : لما كان اليوم الذي تنبأ فيه رسول الله ﷺ منعت الشياطين من خبر السماء ورموا بالشهب فذكرت الشياطين ذلك لإبليس فقال : لعله بعث نبي عليكم بالأرض المقدسة أي لأنها محل الأنبياء فذهبوا ثم رجعوا فقالوا : ليس بها أحد

فخرج إبليس لطلبه بمكة فإذا رسول الله ﷺ بحراء منحدراً ومعه جبريل . وفي رواية : ان إبليس قال لما أخبروه : بأنهم منعوا من خبر السماء . قال : ان هذا الحدث حدث في الأرض فأتوني من تربة كل أرض ، فأتوه بذلك فجعل يشمها فلما شم تربة مكة قال : من ههنا الحدث فمضوا ، فإذا رسول الله ﷺ قد بعث وأجيب بأن الرمي قبل الولادة والمبعث كان قليلاً جداً وعند الولادة كثر ارهاصاً وتخويفاً ، وعند المبعث ازدادت كثرته وكان من كل جانب فلما كان مخالفاً للرمي به قبل فزعوا من ذلك فهذا هو الذي أراده أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ وابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ فانه لم يكن معهوداً من قبل وهو الذي أراده سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ فمنْ يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً ﴾ وصار الرمي بعد المبعث لا يخطىء أبداً فمنهم من يقتله ، ومنهم من يحرق وجهه ، ومنهم من يخبله اي يصيره غولاً يضل الناس في البراري ، فكان ذلك سبباً لفزع العرب ، لأنه قبل ذلك لم يكن من كل جانب ولم يكثر وكان يخطىء ، فيعود الشيطان الى محله ومكانه فيسترق السمع ويلقي ما يسترقه الى كاهنه ، فلم تنقطع الكهانة قبل مبعثه بالمرة بل كانت موجودة الى زمن مبعثه ، وعند مبعثه انقطعت بالمرّة ومن ثم قال ﷺ : لا كهانة اليوم وكانت قبل المبعث يرمى بها من جانب واحد ، وبعد المبعث من كل جانب ، وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى : ﴿ ويقذفون من كل جانب دحوراً ﴾ فهذا سبب الفزع .

ولما انقطعت الكهانة بعدم اخبار الجن قالت العرب : هلك من في السماء فجعل صاحب الإبل ينحر كل يوم بعيراً ، وصاحب البقر يذبح كل يوم بقرة ، وصاحب الغنم كل يوم شاة ، حتى أسرعوا في إتلاف أموالهم فقالت ثقيف بعد ـ سؤال كاهنهم ـ كما تقدم : أيها الناس أمسكوا عن أموالكم فانه لم يمت من في السماء ألستم ترون معالمكم من النجوم كما هي والشمس والقمر كذلك والمحققون على أن الذي يرمي به شعلة نار تنقض من الكوكب والكوكب كما هو ، وقد أشار صاحب الهمزية الى هذه الآيات بقوله :

بعث الله عند مبعثه الشهب حراساً وضاق عنها الفضاء
تطرد الجن عن مقاعد للسمع كما تطرد الذئاب الرعاء
فمحت آية الكهانة آيات من الوحي ما لهن انمحاء

فائدة : وقع في سنة تسع وتسعين من القرن السادس أن النجوم تساقطت وماجت

وتطايرت تطاير الجراد ، ودام ذلك الى الفجر وفزع الخلق فلجئوا الى الله بالدعاء ، ولم يعهد ذلك إلا عند ظهور رسول الله ﷺ : قال الحلبي في السيرة : أقول وقد وقع نظير ذلك في سنة احدى وأربعين من القرن الثالث ماجت النجوم في السماء وتناثرت الكواكب كالجراد أكثر الليل ، فكان أمراً عجيباً لم ير مثله ، ووقع في سنة ثلثمائة تناثر للنجوم تناثراً عجيباً الى ناحية المشرق والله أعلم .

وأما ما جاء من ذكره ﷺ أي ذكر اسمه وصفته وصفة أمّته في الكتب القديمة كالتوارة المنزلة على موسى ، والإنجيل المنزل على عيسى ـ عليهما الصلاة والسلام ـ وغيرهما قال تعالى : ﴿ وإنه لفي زُبُرِ الأوّلين ﴾ وقال الإمام السبكي في تائيته :

وفي كل كتب الله نعتك قد أتى يقص علينا ملة بعد ملة

وقال آخر :

من قبل مبعثه جاءت مبشرة به زبور وتوراة وانجيل

فمن ذلك أنه قد جاء ان اسمه في التوراة أحمد ، يحمده أهل السماء والأرض ، وقد قيل في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا مَنْ سفه نفسه ﴾ أن عبد الله بن سلام ـ رضي الله عنه ـ دعا ابني أخيه سلمة ومهاجراً الى الإسلام فقال لهما : قد علمتما أن الله تعالى قال في التوراة : إني باعث من ولد اسمعيل نبياً اسمه أحمد من آمن به فقد اهتدى ورشد ، ومن لم يؤمن به فهو ملعون ، فأسلم سلمة وأبي مهاجر ، فأنزل الله الآية واسمه في التوراة أيضاً « حياطاً » أي يحمي الحرم من الحرام «وقدوميا» أي الأول السابق « واحيد » وقيل أريد اي يمنع نار جهنم عن أمته وطاب طاب أي طيب . وفيها أيضاً محمد حبيب الرحمن ووصفه فيها بالضحوك اي طيب النفس وفيها أيضاً محمد بن عبد الله مولده بمكة ومهاجره إلى طابة وملكه بالشام والتوراة كلمة عبرية مأخوذة من التورية ، وهي كتمان السر بالتعريض لأن أكثرها تعاريض من غير تصريح ، واسمه في الانجيل «المنحمنا» ومعناه بالسريانية محمد .

وعن سهيل مولى خثمة قال : كنت يتيماً في حجر عمي فأخذت الإنجيل فقرأته حتى

مرت بي ورقة ملصقة بغراء ، ففتقتها فوجدت فيها وصف محمدﷺ فجاء عمي فلما رأى الورقة ضربني وقال : ما لك ؟ وفتح هذه الورقة وقرأتها فقلت : فيها وصف النبي أحمد ، فقال : انه لم يأت بعد الى الآن .

وفي الإنجيل أيضاً اسمه « خبط » أي يفرق بين الحق والباطل ووصفه بأنه صاحب المدرعة ويركب الحمار والبعير ، وفي الإنجيل إن أجبتموني فاحفظوا وصيتي وأنا أطلب ربي فيعطيكم بارقليط ، والبارقليط لا يجيئكم ما لم أذهب فإذا جاء وبخ العالم على الخطيئة ولا يقول من تلقاء نفسه ولكنه ما يسمع يكلمهم به ويأتيهم بالحق ويخبرهم بالحوادث والغيوب اي وما جاء بذلك واخبر بالحوادث والغيوب إلا محمدﷺ .

ومن ذلك ما جاء عن عطاء بن يسار قال : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - فقلت أخبرني عن صفة رسول اللهﷺ في التوراة ، قال : أجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن : ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ﴾ وحرزاً للاميين ، أنت عبدي ورسولي سميتك بالمتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق ولا يدفع بالسيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا : لا إله إلا الله يفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً . قال عطاء : ثم لقيت كعب الأحبار فسألته فما أخطأ في حرف . وفي رواية عن كعب : وأعطى المفاتيح ليبصرن به أعيناً عوراً ويسمعن به آذاناً صماً ، ويقيم به سنة معوجة يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً .

وعن بعض أحبار اليهود أنه قال : وقفت على جميع ما وصف به في التوراة إلا هذين الوصفين وكنت اشتهي الوقوف عليهما ، فجاءهﷺ شخص يطلب منه ما يستعين به ، فذكر له انهﷺ لم يكن عنده ما يعينه به فقلت : هذه دنانير تدفعها له وتكون على كذا من التمر ليوم كذا ، ففعل فجئت قبل الأجل بيومين أو ثلاث فأخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت اليه بوجه غليظ وقلت : ألا تقضيني يا محمد حقي ؟ انكم يا بني عبد المطلب أهل مطل . فقال لي عمر : أي عدوّ الله تقول لرسول اللهﷺ ما أسمع وهم بي فنظر اليه رسول اللهﷺ في سكون وتؤدّة وتبسم وقال : أنا وهو أحوج إلى غير هذا منك يا عمر ان تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن الطلب ، اذهب وفه حقه وزده عشرين صاعاً مكان ما روّعته ، فأسلم اليهودي وذكر القصة .

وفي التوراة : لا يزال الملك في يهود إلى أن يجيء الذي إياه تنظره الأمم ، اي لا يزال أمرهم ظاهراً الى أن يجيء الذي تنظره الأمم اي المرسل اليهم وهو محمدﷺ . وفي التوراة أيضاً : سوف اقيم نبياً مثلك من اخوتهم واجعل كلمتي في فيه وأيما انسان لم يطع كلامه انتقم منه . وفي قوله من إخوتهم ردّ على النصارى الزاعمين أن الرسول المذكور في التوراة هو المسيح ـ عليه السلام ـ ووجه الردّ أن المسيح ليس من إخوتهم بل منهم لأنه من نسل داود وبمثل هذا يردّ على بعض اليهود الزاعمين أن النبي المذكور في التوراة هو يوشع بن نون ـ عليه السلام ـ وقد قيل في تفسير قوله تعالى : ﴿ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل ﴾ انهم يجدون نعته يأمرهم بالمعروف وهو مكارم الاخلاق وصلة الأرحام وينهاهم عن المنكر ، وهو الشرك . ويحل لهم الطيبات وهي الشحوم التي حرمت على بني اسرائيل والبحيرة والسائبة والوصيلة والحامي التي حرمتها الجاهلية . ويحرّم عليهم الخبائث التي كانت تستحلها الجاهلية من الميتة والدم ولحم الخنزير ويضع عنهم إصرهم من تحريم العمل يوم السبت ، وعدم قبول دية المقتول ، وأن يقطعوا ما أصابه البول .

ومن ذلك ما جاء عن النعمان السبائي ـ رضي الله عنه ـ كان من أحبار يهود اليمن قال : لما سمعت بذكر النبيﷺ قدمت عليه وسألته عن أشياء ثم قلت له : إن أبي كان يختم على سفر ويقول : لا تقرأه على يهود حتى تسمع بنبي قد خرج بيثرب ، فإذا سمعت به فافتحه ، قال النعمان : فلما سمعت بك فتحت السفر فاذا فيه صفتك كما أراك الساعة وإذا فيه ما تحل وما تحرم ، وإذا فيه أنت خير الانبياء وأمّتك خير الأمم واسمك أحمدﷺ وأمتك الحامدون ، يحمدون الله في السراء والضراء قربانهم دماؤهم أي يتقرّبون الى الله سبحانه وتعالى بإراقة دمائهم في الجهاد ، وأناجيلهم في صدورهم أي يحفظون كتابهم لا يحضرون قتالاً إلا وجبريل معهم يتحنن الله اليهم كتحنن الطير على فراخه ، ثم قال لي يعني أباه : فاذا سمعت به فاخرج اليه وآمن وصدقه ، فكان النبيﷺ يحب ان يسمع أصحابه حديثه فأتاه يوماً فقال له النبيﷺ : يا نعمان حدثنا فابتدأ النعمان الحديث من أوله فرأى رسول اللهﷺ يتبسم فقال : اشهد اني رسول الله ثم ان النعمان قتله الأسود العنسي الذي ادعى النبوّة وقطعه عضواً عضواً وهو يقول : إن محمداً رسول الله وانك كذاب مفترٍ على الله . ثم أحرقه بالنار فلم يحترق كما وقع للخليل ، وقيل الذي أحرقه الأسود العنسي بالنار ولم يحترق ذؤيب بن كليب او ابن وهب ، ولما بلغهﷺ ذلك أخبر أصحابه فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ الحمد لله الذي جعل من أمتنا مثل ابراهيم الخليل .

وفي التوراة في صفة امته ﷺ دويهم في مساجدهم كدوي النحـل . وفي رواية : أصواتهم بالليل في جوّ السماء كأصوات النحل ورهبان بالليل ليوث بالنهـار ، وإذا هم أحدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة ، فان عملها كتبت له عشراً . وإذا هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنـة ، وإن عملهـا كتبـت عليه سيئـة واحـدة ، يأمـرون بالمعروف وينهون عن المنـكر ويؤمنـون بالكتـاب الأول ، أي بجنس الكتب السابقـة والكتاب الآخر وهو القرآن .

وروى الإمام أحمد وغيره باسناد صحيح : ان الله تعالى قال لعيسى ـ عليه السلام ـ يا عيسى إني باعث بعدك أمة إن أصابهم ما يحبون حمـدوا وشـكروا ، وإن أصابهـم ما يكرهون صبروا واحتسبوا ولا حلم ولا علم . قال : كيف يكون لهم هذا ولا حلم ولا علم ؟ قال : أعطيهم من حلمي وعلمي وحينئذ يكون المراد ولا حلم ولا علم لهم كامل ، وان الله تعالى يكمل عملهم وحلمهم من علمه وحلمه ، ويدل لذلك ما ذكره بعضهم : أن هذه الأمة آخر الأمم فكان الحلم والعلم الذي قسم بين الأمم كما شهد به حديث ان الله قسم بينكم أخلاقكم قل ودق جداً نصيب هذه الأمة منه فلم ندرك الا اليسير من ذلك مع قصر أعمارهم ، فأعطاهم الله من حلمه وعلمه ، وجاء انهم يسمون في التـوراة صفـوة الرحمـن ، وفي الإنجيل حلماء وعلماء أبـراراً أتقياء ، كأنهـم من الفقـه أنبياء . وروى الدارقطني ان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال لكعب الاحبار : كيف تجدني يعني في التوراة ؟ قال : خليفة قرن من حديد ، أمير شديد ، لا تخاف في الله لومـه لائـم ، ثم الخليفة من بعدك تقتله أمة ظالمون له ، ثم يقع البلاء بعد .

وفي صحف شعيا : اسمه ﷺ ركن المتواضعين وفيها أني باعث نبياً أمياً أفتح به آذاناً صماً وقلوباً غلفاً وأعيناً عمياً ، مولده بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشام ، رحيماً بالمؤمنين يبكي للبهيمة المثقلة ويبكي لليتيم في حجر الأرملة ، لو يمر الى جانب السراج لم يطفئه من سكينه ولو يمشي على القضيب الرعراع يعني اليابس لم يسمع من تحت قدميه . وشعيا عليه السلام ـ كان بعد داود وسليمان ـ عليهما السلام ـ وقبل زكريا ويحيى ـ عليهما السلام ـ ولما نهى بني اسرائيل عن ظلمهم وعتيهم طلبوه ليقتلوه فهرب منهم ، فمر بشجرة فانفلقت له ودخل فيها ، فأدركه الشيطان فأخذ بهدبة ثوبه ، فأبرزها فلما رأوا ذلك جاؤوا بالمنشار فوضعوه على الشجرة فنشروها ، ونشروه معها وكان من جملة الرسل الذين عناهم الله

بقوله : ﴿ وقفينا من بعده بالرسل ﴾ وهم سبعة وهو ثالث تلك الرسل السبعة وهو المبشر بعيسى وبمحمدﷺ فقال يخاطب بيت المقدس : لما شكا له الخراب وإلقاء الجيف فيه أبشر يأتيك راكب الحمار يعني عيسى وبعده راكب الجمل يعني محمداًﷺ ، ولعل ذلك باعتبار الأغلب في حقهﷺ من ركوبه للجمـل فلا ينـافي ذلك وصفـه أيضـاً بأنـه يركب الحمار والجمل . واسمهﷺ في الزبور « حاط حاط » والفلاح الذي يمحق الله به الباطل والفارق أي يفرق بين الحق والباطل وهو معنى فارقليط او بارقليط ، وقيل معناه الذي يعلم الأشياء الخفية وذكر صاحب الدّر المنظم بأسناده أن النبيﷺ قال لعمر ـ رضي الله عنه ـ يا عمر ، أتدري من أنا ؟ أنا الذي بعثني الله في التوراة لموسى وفي الإنجيل لعيسى . وفي الزبور لداود ولا فخر أي لا أقول ذلك على سبيل الافتخار ، بل على سبيل التحدث بالنعمة يا عمر أتدري من أنا ؟ أنا اسمي في التوراة أحيد ، وفي الانجيل البارقليط .

وفي الزبور حناط ، وفي صحف إبراهيم طالب طاب ولا فخر وجاء في الزبور : أني أنا الله لا إله إلا أنا ومحمد رسولي ، ووصف بأنه يقوي الضعيف الذي لا ناصر له ، ويرحم المسكين ويبارك عليه في كل وقت ، ويدوم ذكره الى الأبد ، ووصف بالجبار . ففي الزبور : تقلد أيها الجبار سيفك فان قيل قال الله تعالى : ﴿ وما أنت عليهم بجبار ﴾ أجيب بأن الأول هو الذي يجبب الخلق الى الحق ، والثاني هو المتكبر . وفي الزبور أيضاً : يا داود سيأتي من بعدك نبي اسمه أحمد ومحمد ، لا أغضب عليه أبداً ولا يعصيني أبداً ، وقد غفرت له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وامته مرحومة يأتون يوم القيامة ، ونورهم مثل نور الأنبياء وقوله ، وقد غفرت له الخ ، أي على فرض وقوع ذنب منـه أو المراد بالذنـب ، خلاف الأولى من باب حسنات الأبرار سيئات المقرّبين اي ما يعد حسنة بالنسبة لمقام الأبرار قد يعد سيئة بالنسبة لمقام المقربين لعلو مقامهم وارتفاع شأنهم .

وفي بعض ما جاء عن داود ـ عليه السلام ـ أن الله أظهر من صهيون إكليلاً محموداً ، وصهيون اسم مكة والإكليل الإمام الرئيس وهو محمـدﷺ وفي صحف شيث أخـو ناخ ومعناه صحيح الإسلام . وفي بعض الكتب المنزلة : أني باعث رسولاً من الأميين أشدده بكل جميل ، وأهب له كل خلق كريم ، واجعـل الحكمـة منطقـه ، والصـدق والوفـاء طبيعته ، والعفو والمعروف خلقه ، والحق شريعته والعدل سيرته ، والإسلام ملته أرفع به من الوضيعة وأهدى به من الضلالة ، وأؤلف به بين قلوب متفرقة وأهواء مختلفة واجعل

امته خير الأمم .

وأما ما جاء مما يدل على وجود اسمه الشريف اعني لفظ محمد مكتوباً على الأحجار والنبات والحيوان وغير ذلك بقلم القدرة فكثير ، ومن ذلك ما جاء عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : كان نقش خاتم سليمان بن داود - عليهما السلام - لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وعن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أن فص خاتم سليمان بن داود - عليهما السلام - كان سماوياً أي من السماء ألقي اليه فوضعه في خاتمه ، وكان به انتظام ملكه وكان نقشه انا الله لا إله إلا أنا ، محمد عبدي ورسولي . فعلى هذا يكون ما تقدم عن جابر - رضي الله عنه - رواه بالمعنى وكان سليمان - عليه السلام - ينزعه إذا دخل الخلاء وإذا جامع وكان عند نزعه يتنكر عليه أمر الناس ولم يجد من نفسه ما كان يجده قبل نزعه ، ووجد على بعض الحجارة القديمة مكتوباً : محمد تقي مصلح وسيد أمين . وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - انه قال لكعب الأحبار : أخبرنا عن فضائل رسول الله ﷺ قبل مولده . قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قرأت ان ابراهيم الخليل - عليه السلام - وجد حجراً مكتوباً عليه اربعة أسطر ، الأول : أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدوني . والثاني : أنا الله لا إله إلا أنا محمد رسول الله طوبى لمن آمن به واتبعه . والثالث : أنا الله لا إله إلا أنا ، الحرم لي والكعبة بيتي من دخل بيتي أمن من عذابي . قال الحلبي : ولينظر الرابع ، ثم نقل عن بعضهم ان في سنة أربعة وخمسين وأربعمائة عصفت ريح شديدة بخراسان ، كريح عاد انقلبت منها الجبال وفرّت منها الوحوش ، فظن الناس ان القيامة قد قامت وابتهلوا الى الله تعالى فنظروا وإذا نور عظيم قد نزل من السماء على جبل من تلك الجبال ، ثم تأملوا الوحوش فاذا هي منصرفة الى ذلك الجبل الذي سقط فيه ذلك النور ، فساروا معها اليه فوجدوا فيه صخرة طولها ذراع في عرض ثلاثة أصابع ، وفيها ثلاثة أسطر ، سطر فيه : لا إله إلا الله فاعبدون ، وسطر فيه : محمد رسول الله القرشي ، وسطر ثالث فيه : احذروا وقعة المغرب انها تكون من سبعة او تسعة . والقيامة قد أزفت اي قربت .

وجاء ان آدم عليه السلام قال : طفت السموات فلم أر في السموات موضعاً إلا رأيت اسم محمد ﷺ مكتوباً عليه ، ولم أر في الجنة قصراً ولا غرفة إلا واسم محمد ﷺ مكتوباً عليه ولقد رأيت اسمه ﷺ على نحور الحور العين وورق آجام الجنة ، وشجرة طوبى وسدرة المنتهى ، والحجب وبين أعين الملائكة قيل : ان أوّل شيء كتبه القلم في

اللوح المحفوظ : بسم الله الرحمن الرحيم ، إني أنا الله لا إله إلا أنا ، محمد رسولي ، من استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر على نعمائي ورضي بحكمي ، كتبته صديقاً وبعثته يوم القيامة من الصدّيقين . وفي رواية : مكتوب في صدر اللوح المحفوظ : لا إله إلا الله دينه الإسلام ، محمد عبده ورسوله ، فمن آمن بهذا أدخله الله الجنة . وفي رواية : لما أمر الله القلم ان يكتب ما كان وما يكون كتب على سرادق العرش : لا إله إلا الله محمد رسول الله . قال الجلال السيوطي في الخصائص الكبرى : ومن خصائصه ﷺ كتابة اسمه الشريف مع اسم الله تعالى على العرش . وفيها أيضاً قال الله تعالى : ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فسكن ، ومكتوب اسمه ﷺ على سائر الملكوت اي من السماء والجنان ، وما فيها وسائر ما في الملكوت وعن علي - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ عن الله عز وجل انه قال : يا محمد وعزتي وجلالي لولاك ما خلقت ارضاً ولا سماء ولا رفعت هذه الخضراء ولا بسطت هذه الغبراء . وفي رواية عنه : ولا خلقت سماء ولا أرضاً ولا طولاً ولا عرضاً ولله در القائل :

لولاه ما كان فلك ولا فلك كلا ولا بان تحريم وتحليل

ومن ذلك ما حدث به بعضهم قال : غزونا الهند فوقفت في غيضة فاذا فيها شجر عليه ورق احمر مكتوب عليه بالبياض لا إله إلا الله محمد رسول الله . وعن بعضهم قال : رأيت في جزيرة شجرة عظيمة لها ورق كبير طيب الرائحة مكتوب عليه بالحمرة والبياض في الخضرة كتابة بينة واضحة ابتدعها الله بقدرته ثلاثة أسطر ، الأول : لا إله الا الله . والثاني : محمد رسول الله . والثالث : إن الدين عند الله الاسلام . وعن بعضهم أيضاً قال : دخلت بلاد الهند فرأيت في بعض قراها شجر ورد أسود ينفتح عن وردة كبيرة سوداء طيبة الرائحة مكتوب عليها بخط أبيض لا إله إلا الله محمد رسول الله ، أبو بكر الصديق عمر الفاروق ، فشككت في ذلك وقلت : انه معمول ، فعمدت الى وردة أخرى لم تفتح بعد فرأيت فيها كما رأيت في سائر الورد وفي البلد شيء كثير وأهل تلك البلد يعبدون الحجارة .

ونقل ابن مرزوق في شرح البردة عن بعضهم قال : عصفت بنا ريح ونحن في لجج بحر الهند ، فأرسينا في جزيرة فرأينا ورد أحمر زكي الرائحة مكتوباً عليه بالاصفر : براءة من

الرحمن الرحيم ، إلى جنات النعيم ، لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ومن ذلك ما حكاه بعضهم قال : رأيت في بلاد الهند شجرة تحمل ثمراً يشبه اللوز له قشران فاذا كسر خرج منه ورقة خضراء مطوية مكتوب عليها بالحمرة : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، كتابة جلية وهم يتبركون بتلك الشجرة ويستسقون بها إذا منعوا الغيث ، وحكى الحافظ السلفي عن بعضهم : أن شجرة ببلاد الهند لها أوراق خضر ، وعلى كل ورقة مكتوب بخط أشد خضرة من لون الورقة لا إله إلا الله محمد رسول الله وكان أهل تلك البلد أهل أوثان وكانوا يقطعونها ويعفون آثارها فترجع الى ما كانت عليه في أقرب زمن ، فإذا أبوا الرصاص وجعلوه في أصلها فخرج من حول الرصاص اربع فروع كل فرع مكتوب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فصاروا يتبركون بها ويستشفون بها من المرض إذا اشتد ويخلقونها بالزعفران وأحسن الطيب .

ومن ذلك انه وجد في سنة سبع أو تسع وثمانمائة حبة عنب مكتوب عليها بخط بارع بلون أسود محمد ، ومنه ما ذكره بعضهم انه اصطاد سمكة مكتوباً على جنبها الايمن لا إله إلا الله ، قال : فلما رأيتها ألقيتها في النهر احتراماً لها . وعن بعضهم قال : ركبت بحر المغرب ومعنا غلام معه سنارة فأدلاها في البحر فاصطاد سمكة قدر شبر بيضاء فإذا مكتوب بالأسود على إحدى أذنيها : لا إله إلا الله وعلى الأخرى محمد رسول الله ، فقذفناها في البحر . وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ كنا عند رسول الله ﷺ وإذا بطائر في فمه لؤلؤة خضراء فألقاها فأخذها النبي ﷺ فوجد فيها دودة خضراء مكتوباً عليها بالأصفر لا إله إلا الله محمد رسول الله ذكره الحلبي في السيرة . ومنه أيضاً ما حكاه انه كان بطبرستان قوم يقولون لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا يقرون لسيدنا محمد ﷺ بالرسالة ، وحصل منهم افتتان ففي يوم شديد الحرّ ظهرت سحابة شديدة البياض فلم تزل تنشأ حتى أخذت ما بين الخافقين ، وأحالت بين السماء والبلد . فلما كان وقت الزوال ظهر بخط واضح لا إله إلا الله محمد رسول الله فلم تزل كذلك الى وقت العصر فتاب كل من كان افتتن وأسلم أكثر من كان في البلد من اليهود والنصارى .

ومن ذلك ما جاء عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال : بلغني في قوله تعالى : ﴿ وكان تحته كنز لهما ﴾ قال : كان لوح من ذهب وقيل : لوح من رخام مكتوب فيه عجباً لمن أيقن بالموت أي بانه يموت كيف يفرح ؟ عجباً لمن أيقن بالحساب أي بأنه

يحاسب كيف يغفل ؟ عجباً لمن أيقن بالقضاء والقدر كيف يحزن ؟ عجباً لمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها ؟ لا إله إلا الله محمد رسول الله . وروى البيهقي وغيره عن علي ـ رضي الله عنه ـ أن الكنز الذي ذكره الله في كتابه لوح من ذهب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن أيقن بالقدر كيف ينصب أي يتعب ، عجبت لمن تذكر النار ثم يضحك ، عجبت لمن ذكر الحساب كيف يغفل ، لا إله إلا الله محمد رسول الله . وفي لفظ لا إله إلا أنا محمد عبدي ورسولي .

قال الحلبي : أقول قد يقال يجوز أن يكون ما ذكر أولاً في أحد وجهي ذلك اللوح وما ذكر ثانياً في الوجه الثاني وان بعض الرواة زاد وبعضهم نقص وبعضهم روى بالمعنى وحفظ ذلك الكنز لأجل صلاح أبيهما ، وكان تاسع أب لهما وقد قال محمد بن المنكدر : ان الله يحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده وبقعته التي هو فيها والدوائر حوله فلا يزالون في حفظ الله وستره . ويذكر أن هرون الرشيد هم بقتل بعض العلوية فلما دخل عليه أكرمه وخلى سبيله فقيل له بماذا دعوت حتى نجاك الله منه ؟ قال قلت يا من حفظ الكنز على الصبيين لصلاح أبيهما احفظني منه لصلاح آبائي ـ رضي الله عنهم ـ .

ومن ذلك ما جاء عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال مكتوب بين كتفي آدم ـ عليه السلام ـ محمد رسول الله خاتم النبيين وقد ذكر بعضهم انه شاهد في بعض بلاد خراسان مولوداً على أحد جنبيه مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ومنه ما حكاه بعضهم قال : ولد عندي في عام أربعة وسبعين وتسعمائة جدي أسود ، غرّته بيضاء شكل الدائرة ، ومكتوب فيها محمد بخط في غاية الحسن والبيان وما حكاه بعضهم أيضاً : قال شاهدت في بلدة من بلاد افريقية بالمغرب رجلاً مكتوباً في بياض عينه اليمنى الأسفل بعرق أحمر كتابة مليحة محمد رسول الله . وذكر الشيخ الشعراني نفعنا الله ببركاته في كتاب لواقح الأنوار القدسية في قواعد السادة الصوفية قال : وفي يوم كتابتي لهذا الموضع رأيت علماً من أعلام النبوّة وذلك ان شخصاً أتاني برأس خروف شواها وأكلها وأراني مكتوباً فيها بخط إلهي على الجبين لا إله إلا الله محمد رسوله أرسله بالهدى ودين الحق يهدي به من يشاء من يشاء . قال الشيخ عبد الوهاب : وتكرير ذلك لحكمة فان الله لا يسهو وقد يقال : لعل الحكمة التأكيد لعلو مقام الهداية ، كيف وهو المجانب للضلالة والغواية .

وعن الزهري قال : شخصت إلى هشام بن عبد الملك فلما كنت بالبلقاء رأيت

مكتوباً على حجر بالعبراني فأرشدت الى شيخ يقرؤه فلما قرأه ضحك وقال : أمر عجيب مكتوب عليه : باسمك اللهم جاء الحق من ربك بلسان عربي مبين لا إلّه إلا الله محمد رسول الله وكتبه موسى بن عمران .

بابُ سَلام الشجَر وَالحجر عَليْه ﷺ قبْل البعثة

عن سمرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث واني لأعرفه الآن قيل انه الحجر الأسود ، وقيل انه الذي في زقاق بمكة يعرف بزقاق الحجر ، روي ان رسول الله ﷺ حين أراد الله كرامته بالنبوة كان إذا خرج لحاجته أبعد حتى يفضي الى الشعاب ، وبطون الأودية ، فلا يمر بحجر ولا شجر ، إلا قال الصلاة والسلام عليك يا رسول الله ، كان يلتفت عن يمينه وشماله فلا يرى أحداً ولله درّ القائل . :

لم يبـق من حجـر صلـب ولا شجر ... إلا وسلـم بل هنـاه ما وهبا

وقال في الهمزية :

والجمادات أفصحـت بالـذي أخر ... س عنـه لأحمـد الفصحاء

وعن علي ـ رضي الله عنه ـ قال : كنت مع النبي ﷺ بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول : السلام عليك يا رسول الله . وإلى ذلك أشار السبكي في تائيته يقول :

ومـا جزت بالأحجـار إلا وسلمت ... عليك بنطـق شاهـد قبـل بعثة

وفي كلام السبكي يحتمل أن يكون نطق الحجر كلاماً مقروناً بحياة وعلم ويحتمل أن يكون صوتاً مجرداً غير مقرون بحياة وعلى كل هو علم من أعلام النبوة . وفي كلام الشيخ محيي الدين بن العربي - رضي الله عنه - أكثر العقلاء بل كلهم يقولون عن الجمادات انها لا تعقل فوافقوا عند بصرهم ، والأمر عندنا ليس كذلك بل سر من الحياة سار في جميع العالم وقد ورد أن كل شيء سمع صوت المؤذن من رطب ويابس يشهد له ولا يشهد إلا من علم ، وأطال في بيان ذلك وقال : وقد أخذ الله بأبصار الإنس والجن عن إدراك حياة الجماد إلا من شاء الله كنحن وأضرابنا ، فإنا لا نحتاج الى دليل في ذلك ، لكون الحق تعالى كشف لنا عن حياتها أعياناً وأسمعنا تسبيحها ونطقها ، وكذلك اندكاك الجبل لما وقع التجلي إنما كان ذلك لمعرفته بعظمة الله عز وجل ولولا ما عنده من العظمة ما تدكدك والله سبحانه وتعالى أعلم .

باب بيان خبر المبعث
وعموم بعثته ﷺ

قال ابن اسحق : لما بلغ ﷺ أربعين سنة بعثه الله رحمة للعالمين وكافة للناس أجمعين ، وكان الله قد أخذ له الميثاق على كل نبي بعثه الله قبله بالايمان به والتصديق لله والنصر على من خالفه وأن يؤدوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدقهم ، فهم وأممهم من جملة أمته ﷺ ، وأول ما بدىء به ﷺ من النبوة حين أراد الله تعالى إكرامه ورحمة العباد به الرؤيا الصالحة ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح اي كضيائه وإنارته فلا يشك فيها أحد كما لا يشك أحد في وضوح ضياءالصبح ونوره . وفي لفظ : فكان لا يرى شيئاً في المنام إلا كان أي وجده في اليقظة كما رأى ، فالمراد بالصالحة الصادقة وإنما بدىء رسول الله ﷺ بالرؤيا لئلا يفجأه الملك الذي هو جبريل بالنبوة اي الرسالة ، فلا تتحملها القوى البشرية لأن القوى البشرية لا تحمل رؤيا الملك ، وإن لم يكن على صورته التي خلقه الله عليها ، ولا على سماع صوته ولا على ما يجيء به لا سيما الرسالة ، فكانت الرؤيا تأنيساً له ، والمراد بالملك جبريل ـ عليه السلام ـ ومن لطف الله بنا عدم رؤيتنا للملائكة على الصورة التي خلقوا عليها لأنهم خلقوا على أحسن صورة ، فلو كنا نراهم لطارت أعيننا وأرواحنا لحسن صورتهم . وعن علقمة بن قيس قال : أوّل ما يؤتى به الأنبياء في المنام اي ما يكون في المنام حتى تهدأ قلوبهم ثم ينزل الوحي في اليقظة لأن رؤيا الانبياء وحي ، وصدق وحق لا اضغاث أحلام ، ولا تخييل من الشيطان إذ لا سبيل له عليهم لأن قلوبهم نورانية فما يرونه في المنام له حكم اليقظة . فجيمع ما ينطبع في عالم مثالهم لا يكون إلا حقاً ، ومن ثم جاء نحن معاشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا وكانت مدة الرؤيا ستة اشهر ثم أوحي اليه في اليقظة . وفي البخاري : الرؤيا الحسنة أي الصادقة من الرجل الصالح جزء من ستة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأربعين جزءاً من النبوّة . قال بعضهم : معناه ان النبيﷺ حين بعث أقام بمكة ثلاث عشرة سنة ، وبالمدينة عشر سنين يوحى اليه ، فمدة الوحي إليه في اليقظة ثلاث وعشرون سنة ، ومدة الوحي اليه في المنام التي هي الرؤيا ستة أشهر ، فمدّة الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءاً ، وحينئذ يكون المعنى ، ورؤيتي جزء من ستة وأربعين جزءاً من نبوّتي ، ولكن المراد مطلق الرؤيا ومطلق النبوة ، لا خصوص رؤياه . ونبوتهﷺ وإنما هي أصل جعل غيرها مقيساً عليها وشبيهاً بها . والحديث فيه روايات كثيرة أصحها رواية ستة وأربعين جزءاً . وحملوا الروايات الأخر اعتبار الأشخاص لتفواتهم في مراتب الرؤيا ففي بعضها جزء من خمسين وفي بعضها تسعة وأربعين أو ستة وسبعين وغير ذلك .

وجاء عن عمرو بن شرحبيل ـ رضي الله عنه ـ أن رسول اللهﷺ ، قال لخديجة : إذا خلوت سمعت نداء يا محمد يا محمد . وفي رواية أرى نوراً أي يقظة لا مناماً وأسمع صوتاً ، وقد خشيت ان يكون والله لهذا أمر . وفي رواية : والله ما أبغضت بغضي هذه الأصنام شيئاً قطولا الكهان وإني لأخشى أن أكون كاهناً أي فيكون الذي يناديني تابعاً من الجن ، لأن الأصنام كانت الجن تدخل فيها وتخاطب سدنتها ، والكاهن يأتيه الجني بخبر السماء . وفي رواية : وأخشى ان يكون بي جنون أي لمة من الجن . فقالت : كلا يا ابن عم ما كان الله ليفعل ذلك بك ، فوالله إنك لتؤدي الأمانة ، وتصل الرحم ، وتصدق الحديث . وفي رواية : إن خلقك الكريم فلا يكون للشيطان عليك سبيل ، استدلت ـ رضي الله عنها ـ بما فيه من الصفات العلية والأخلاق السنية ، على انه لا يفعل به إلا خيراً لأن من كان كذلك لا يجزى إلا خيراً . ونقل الماوردي عن الشعبي ان الله تعالى قرن إسرافيل بنبيهﷺ ثلاث سنين يسمع حسه ولا يرى شخصه ، فعلمه الشيء بعد الشيء ولا يذكر له القرآن ، فكان في هذه المدة بشرى بالنبوة وأمهل هذه المدة ليتأهل لوحيه . وفي رواية : إنه مكث خمس عشرة سنة يسمع الصوت أحياناً فلا يرى شخصه ، وسبع سنين يرى نوراً ولم ير شيئاً غير ذلك ، وان المدة التي بشر فيها بالنبوة كانت ستة اشهر من تلك المدة التي هي اثنتان وعشرون سنة .

وبعد ذلك حبب الله اليهﷺ الخلوة . قال الأبوصيري رحمه الله في الهمزية :

الف النسك والعبادة والخلو ة طفلاً وهكذا النجباء

وإذا حلت الهداية قلبا نشطت في العبادة الاعضاء

وقوله : طفلاً أي حين كان عند حليمة ـ رضي الله عنها ـ فقد قالت لما ترعرعﷺ : كان يخرج الى الصبيان وهم يلعبون فيتجنبهم ، ولما قرب الزمن الذي أراد الله أن يرسله فيه ازداد محبة في الخلوة ، لأن الخلوة يكون بها فراغ القلب والانقطاع عن الخلق ، فهي تفرغ القلب عن أشغال الدنيا لدوام ذكر الله تعالى ، فيصفو وتشرق عليه أنوار المعرفة فلم يكن شيء أحب اليه من ان يخلو وحده ،وكان يخلو بغار حراء بالمد والقصر ،فكانﷺ يتحنث فيه أي يتعبد الليالي ذوات العدد أي مع أيامها ، وغلب الليالي لأنها أنسب بالخلوة وأبهم العدد لاختلافه بالنسبة للمدد فتارة كان ثلاث ليال ، وتارة سبع ليال ، وتارة تسع ليال ، وتارة شهراً رمضان أو غيره ، فالليالي ذوات العدد محمولة على القدر الذي يتزود له ، فإذا فرغ زاده رجع الى مكة وتزود الى غيرها .

وكانت خديجة ـ رضي الله عنها ـ تزوده الكعك والزيت لأنه من شجرة مباركة ولبقاء الكعك بخلاف غيره لأن اللبن واللحم سريع الفساد . وكان أول من تحنث بحراء من قريش جده عبد المطلب كان إذا دخل شهر رمضان صعد حراء وأطعم المساكين . ثم تبعه على ذلك من كان يتعبد كورقة بن نوفل وأبي أمية بن المغيرة . قال السراج البلقيني في شرح البخاري : لم يجيء في الأحاديث التي وقفنا عليها كيفية تعبدهﷺ ، وقال بعضهم :كان يطعم من جاءه من المساكين لأنه كان من نسك قريش في ذلك المحل أن يطعم الرجل من جاءه من المساكين ، مع الانقطاع عن الناس وقيل : كان تعبدهﷺ التفكر مع الانقطاع عن الناس ، لا سيما إن كانوا على باطل ، لأن في الخلوة يخشع القلب وينسى المألوف من مخالطة ابناء الجنس المؤثرة في البنية البشرية . ومن ثم قيل : الخلوة صفوة الصفوة والتفكر لا يختص بذلك المحل . إلا أنه أتم فيه من التفكر في غيره ، لعدم وجود شاغل . وقيل : كان تعبدهﷺ بالذكر ، وصححه بعضهم وقيل : كان يتعبد قبل النبوة بشرع إبراهيم ـ عليه السلام ـ وقيل : بشرع موسى ـ عليه السلام ـ وفي كلام الشيخ محيي الدين بن العربي ـ رضي الله عنه ـ تعبدﷺ قبل نبوته بشريعة إبراهيم ـ عليه السلام ـ حتى فجأه الوحي وجاءته الرسالة .

فالولي الكامل يجب عليه متابعة العمل بالشريعة المطهرة حتى يفتح له في قلبه عين

الفهم عنه ، فيلهم معاني القرآن ويكون من المحدَّثين ـ بفتح الدال ـ ثم يصير إلى إرشاد الخلق . وكان ﷺ إذا قضى جواره من شهره ذلك أوّل ما يبدأ به قبل أن يدخل بيته الكعبة فيطوف بها سبعاً او ما شاء الله ، ثم يرجع الى بيته ، حتى إذا جاء الشهر الذي أراد الله به ما أراد من كرامته ، وذلك الشهر رمضان وقيل ربيع الأول ، خرج رسول الله ﷺ الى حراء كما كان يخرج لجواره ، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد بها ، وتلك الليلة ليلة سبع عشرة من ذلك الشهر أعني شهر رمضان وقيل : ثامن ربيع ، وقيل : السابع والعشرين من رجب أتاه جبريل مناماً ليلة السبت او ليلة الأحد ، ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين فقال : اقرأ . قال ﷺ فقلت : ما أنا بقارىء أي أنا أمي لا أحسن القراءة وكنت نائماً بنمط وهو نوع من البسط فغطني به أي غمني بذلك النمط ، بأن جعله على فمه وأنفه ، قالت حتى ظننت انه الموت ، ثم أرسلني فقال : اقرأ فقلت : ماذا أقرأ؟ وفي رواية ، فقلت ، والله ما قرأت شيئاً وما أدري شيئاً أقرؤه قال : اقرأ باسم ربك وفي رواية : أنه فعل ذلك به ثلاثاً قال : اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علَّم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ، فقرأتها وانصرف عني ، وقد استقر ذلك في قلبي . وفي رواية : فكأنما كتب في قلبي كتاباً أي حفظته ، فرجع الى خديجة فأخبرها وقال : لقد خشيت على نفسي فقالت : كلا فوالله لا يخزيك الله أبداً . قال الحافظ الشامي : ومن اللطائف ان هذه الكلمة أي كلمة كلا التي ابتدأت خديجة النطق بها عقب ما ذكر لها عن القصة هي التي وقعت عقب الآيات المذكورة من هذه السورة فجرت على لسانها اتفاقاً ، لأنها لم تنزل الا بعد في قصة أبي جهل على المشهور . وفي بعض الروايات ، انه قبل نزول اقرأ عليه سمع صوت جبريل ـ عليه السلام ـ في الأفق ورآه وهو يقول له : يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل فأخبر خديجة ـ رضي الله عنها ـ فجمعت عليها ثيابها التي تتجمل بها عند الخروج ، ثم انطلقت الى ورقة بن نوفل فأخبرته بما أخبرها به رسول الله ﷺ ، فقال ورقة : قدوس قدوس والذي نفسي بيده لئن كنت صدقت يا خديجة لقد جاء الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى يعني جبريل ، وإنه لنبي هذه الأمة فقولي له يثبت . وفي رواية . قال : وما لجبريل يذكر في هذه الأرض التي تعبد فيها الأوثان ، جبريل أمين الله بينه وبين رسله لئن كنت صدقت يا خديجة الخ . فرجعت خديجة الى رسول ﷺ فأخبرته بقول ورقة . وفي رواية : إن ورقة بعد أن أخبرته خديجة بذلك لقي النبي ﷺ ، وهو يطوف بالبيت فقال له : يا ابن أخي أخبرني بما رأيت وسمعت

فأخبره رسول الله ﷺ فقال له ورقة : والذي نفسي بيده انك لنبي هذه الأمة ، ولقد جاء الناموس الأكبر الذي جاء موسى ـ عليه السلام ـ ولتكذبنه ، ولتؤذينه ولتقاتلنه ، ولتخرجنه ، ولئن أدركت ذلك اليوم لأنصرنّ الله نصراً يعلمه . ثم أدنى ورقة رأسه ﷺ وقبّل يافوخه اي وسط رأسه ثم انصرف ﷺ الى منزله .

وقد جاء أن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ دخل على خديجة ـ رضي الله عنها ـ وليس عندها رسول الله ﷺ فقالت له يا عتيق اذهب بمحمد الى ورقة أي بعد ان أخبرته بما أخبرها به رسول الله ﷺ فلما دخل رسول الله ﷺ أخذ أبو بكر بيده فقال : انطلق بنا الى ورقة بن نوفل ، وذهب به الى ورقة فقال رسول الله ﷺ لورقة : إذا خلوت وحدي سمعت نداء يا محمد فأنطلق هارباً فقال له : لا تفعل ، إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول ، ثم ائتني اي وهذا كان قبل ان يرى جبريل ويجتمع به ويجيء اليه بالقرآن وحينئذ يكون تكرّر سؤال ورقة فلا تنافي بين الروايات فيحمل سؤال ورقة الذي على يد أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ على انه كان قبل ان يرى جبريل والذي وقع في المطاف كان حين سمع صوت جبريل ورآه ولم يجتمع به ، والمرة الثالثة بعد مجيء جبريل له يقظة بالقرآن . فذهبت اليه خديجة ثم أخذت النبي ﷺ وذهبت به اليه فكل راوٍ اقتصر على شيء ، وقد اشتملت آية اقرأ عليه براعة الاستهلال وهي أن يشتمل أوّل الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه ويشير الى ما سبق الكلام لأجله ، فانها اشتملت على الأمر بالقراءة ، والقراءة فيها باسم الله إلى غير ذلك مما ذكره الجلال السيوطي في الاتقان قال فيه : ومن ثم قيل انها جديرة أن تسمى عنوان القرآن لأن عنوان الكتاب ما يجمع مقاصده بعبارة موجزة في أوله وكرر جبريل الغط ثلاثاً للمبالغة ، وأخذ منه القاضي شريح أن المعلم لا يضرب الصبي على تعليم القرآن أكثر من ثلاث ضربات . وذكر السهيلي : أن في ذلك الغط إشارة إلى أنه ﷺ يحصل له شدائد ثلاث ثم يحصل له الفرج بعد ذلك ، فكانت الأولى إدخال قريش الشعب والتضييق عليه . والثانية اتفاقهم على الاجتماع على قتله . والثالثة خروجه من أحب البلاد اليه وجاءه ﷺ جبريل وميكائيل قبل قول جبريل له اقرأ فشق جبريل بطنه وقلبه الى آخر ما تقدم في الكلام على الرضاع . ولما قرأ ﷺ تلك الآية رجع بها ترجف بوادره جمع بادرة وهي اللحمة التي بين المنكب والعنق تتحرك عند الفزع . وفي رواية :يرجف بها فؤاده اي قلبه ولا مانع من الأمرين حتى دخل ﷺ على خديجة فقال : زملوني ، زملوني ، اي غطوني بالثياب

فزملوه حتى ذهب عنه الروع ثم أخبرها الخبر وقال : لقد خشيت على نفسي . وفي رواية على عقلي .

فقالت له خديجة : كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً أي لا يفضحك ، إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث ، وتحمل الكل أي الشيء الذي يحصل منه التعب والأعياء لغيرك وتكسب المعدوم بضم التاء والمعدوم الذي لا مال له لأن من لا مال له كالمعدوم أي توصل اليه الخير الذي لا يجده عند غيرك وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق أي على حوادثه ، فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل فقالت له :اسمع من ابن أخيك قال ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ بما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذي أنزل على موسى أي هذا صاحب الوحي وهو جبريل ـ عليه السلام ـ يا ليتني فيها جذعاً ، اي يا ليتني أكون في زمن الدعوة الى الله أي اظهارها شاباً حتى أبالغ في نصرتها ، يا ليتني اكون حياً حين يخرجك قومك ، قال ﷺ أو مخرجيّ هم ؟ قال ورقة نعم. لم يأت رجل بما جئت به إلا عودي أي فتكون المعاداة سبباً لإخراجه. وقد جاء ان كل نبي إذا كذبه قومه خرج من بين أظهرهم الى مكة يعبد الله عز وجل حتى يموت . وفي رواية ، قال ورقة : وان أدركت يومك أنصرك نصراً مؤزراً أي شديداً قوياً من الأزر وهو الشدة . وفي رواية ، قال لخديجة ، ان ابن عمك لصادق وان هذا البدء نبوة وقوله ﷺ لخديجة لقد خشيت على نفسي ليس معناه الشك فيما آتاه الله تعالى من النبوة ، ولكنه لعله خشي ان لا تتحمل قوته مقاومة الملك وأعباء الوحي بناء على انه قال ذلك بعد لقاء الملك وإرساله اليه بالنبوة . فان للنبوة أثقالاً لا يستطيع حملها ، إلا أولوا العزم من الرسل .

وفي كلام الحافظ ابن حجر : اختلف العلماء في هذه الخشية على اثني عشر قولاً وأولاها بالصواب ، وأسلمها من الارتياب ، ان المراد بها الموت أو المرض أو دوام المرض . وقال الحافظ الإسماعيلي : ان هذه الخشية كانت قبل ان يحمل له العلم الضروري بأن الذي جاءه ملك من عند الله . وأما بعد حصوله فلا . وجاء في بعض الروايات : ان خديجة ـ رضي الله ـ عنها قبل ان تذهب به الى ورقة ذهبت به الى عدّاس ، وكان نصرانياً من أهل نينوى ، قرية سيدنا يونس ـ عليه السلام ـ فقالت له : يا عداس اذكرك الله إلا ما اخبرتني هل عندك علم من جبريل ؛ أي فان هذا الاسم لم يكن معروفاً بمكة ولا بغيرها من أرض العرب ؟ فقال عداس : قدوس قدوس ما شأن جبريل يذكر بهذه الأرض التي

أهلها أهل أوثان ؟ فقالت : اخبرني بعلمك فيه . قال : هو أمين الله تعالى بينه وبين النبيين وهو صاحب موسى وعيسى - عليهما السلام - وعداس هذا كان راهباً وكان شيخاً كبير السن ، وقد وقع حاجباه على عينيه من الكبر ، وهو غير عداس غلام عتبة بن ربيعة الذي اجتمع بالنبي ﷺ في الطائف وأسلم على يديه . يروى ان خديجة - رضي الله عنها - حين جاءت عداساً قالت له : أنعم صباحاً يا عداس ، فقال : كان هذا الكلام كلام خديجة سيدة نساء قريش قالت أجل قال أدني مني فقد ثقل مسمعي ! فدنت منه ثم قالت له ما تقدم :

يروى انه قال لها حين اخبرته بالخبر يا خديجة ان الشيطان ربما عرض للعبد فأراه أموراً ، فخذي كتابي هذا وانطلقي به الى صاحبك فان كان مجنوناً فانه سيذهب عنه ، وان كان من الله فلن يضره فانطلقت بالكتاب معها فلما دخلت منزلها إذ هي برسول الله ﷺ مع جبريل يقرئه هذه الآيات : ﴿ نٓ والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وإنك لعلى خُلُقٍ عظيم فستُبْصر ويبصرون بأيكم المفتون ﴾ فلما سمعت خديجة قراءته اهتزت فرحاً ثم قالت للنبي ﷺ : فداك ابي وامي امضِ معي الى عداس ، فلما رآه عداس كشف عن ظهره ، فإذا خاتم النبوة يلوح بين كتفيه . فلما نظر عداس اليه خرَّ ساجداً بقوله : قدوس قدوس أنت والله النبي الذي بشَّر بك موسى وعيسى . قال بعضهم : الصواب ان هذه القصة بعد ذهابها به الى ورقة لأن اقرأ سابقة في النزول على نون والحاصل ان خديجة - رضي الله عنها - كانت في بدء الوحي تتردد بين ورقة وعداس وغيرهما ممن له علم بالكتاب لتتثبت في الأمر لشدة اعتنائها به ﷺ وتثبيتها في أمره ﷺ ، ولتقوي في قلبه وتعينه على الحق ، فنعم الوزير كانت له ﷺ ورضي الله عنها . وذكر ابن دحية انه ﷺ لما اخبرها بجبريل ولم تكن سمعت به قط كتبت الي بحيرا الراهب وقيل : سافرت بنفسها اليه فسألته عن جبريل فقال لها قدوس قدوس يا سيدة نساء قريش أنَّى لك بهذا الاسم ؟ فقالت : بعلي وابن عمي أخبرني بأنه يأتيه فقال لها : انه السفير بين الله وبين أنبيائه ، وان الشيطان لا يجترىء أن يتمثل به ولا أن يتسمى باسمه .

وفي أسباب النزول للواحدي عن عليّ - رضي الله عنه - وكرم وجهه قال : لما سمع النداء ﷺ يا محمد قال لبيك قال : قل اشهد أن لا إلّه الا الله وأشهد ان محمداً رسول الله ﷺ ، ثم قال ، قل : الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين حتى فرغ من

السورة فلما بلغ ولا الضالين فقال : قل آمين ، كما هو رواية وكيع وابن أبي شيبة فأتى ﷺ ورقة فذكر له ذلك فقال له ورقة : ابشر فاني اشهد انك الذي بشر بك عيسى ابن مريم ـ عليهما السلام ـ فانك على مثل ناموس ـ موسى عليه السلام ـ وإنك نبي مرسل . وإنك ستؤمر بالجهاد بعد يومك ولئن ادركني ذلك لأجاهدن معك ، وهذا يدل على أن الفاتحة أول ما نزل . قال في الكشاف : وعليه اكثر المفسرين واستبعده بعضهم . فيحتمل أن المعنى أنها من أول ما نزل لا أنها اول على الإطلاق ، وأما ما روي من أنها نزلت بالمدينة فحتمل تكرّر نزولها مبالغة في شرفها ، لا ان ذلك أول نزولها ، إذ كثير من الآيات تكرر نزوله بحسب الوقائع وأيضاً فان الصلاة فرضت بمكة وما نقل ولا عرف أن النبي ﷺ وأصحابه صلوا صلاة بغير الفاتحة . قال الجلال السيوطي : لم يحفظ أنه كانت صلاة في الإسلام بغير الفاتحة فالحق أنها من أول القرآن نزولاً وان الأول على الإطلاق : اقرأ باسم ربك ، فيندفع التدافع الحاصل بين ظواهر الأحاديث . وفي الحديث لو أن فاتحة الكتاب جعلت في كفة الميزان والقرآن في الكفة الأخرى لفضلت فاتحة الكتاب القرآن سبع مرات . وفي حديث آخر فاتحة الكتاب شفاء من كل داء . وفي لفظ فاتحة الكتاب تعدل ثلثي القرآن .

ثم لم يلبث أن توفي ورقة . قال سبط ابن الجوزي وهو آخر من مات في الفترة وقد أدرك النبوة وصدق بنبوته ولم يدرك الرسالة بناء على تأخرها ، والراجح عند المحققين انه لم يعد من الصحابة لعدم إدراكه الرسالة . ولما توفي قال رسول الله ﷺ : لقد رأيت القس يعني ورقة في الجنة وعليه ثياب الحرير ، والقس بفتح القاف وكسرها رئيس النصارى . وفي رواية :أبصرته في بطنان الجنة وعليه ثياب السندس . وفي رواية : لا تسبوا ورقة فإني رأيت له جنة أو جنتين لأنه آمن بي وصدّقني وجزم ابن كثير بإسلامه . قال بعضهم وهو الراجح عند جهابذة الأئمة : بناء على أنه ادرك الدعوة الى الله تعالى التي هي الرسالة فقد روي انه مات في السنة الرابعة من المبعث ، ويؤيده قوله ﷺ لأنه آمن بي وصدّقني . وفي فتح الباري : ان في سيرة ابن إسحق ان ورقة كان يمرّ ببلال وهو يعذب ، وذلك يقتضي أنه تأخر الى زمن الدعوة والى أن دخل بعض الناس في الإسلام ، يروى أن ورقة قال لخديجة في أول ابتداء الوحي قبل نزول شيء من القرآن وقيل بعد نزول اقرأ : اذهبي الى المكان الذي رأى فيه ما رأى فإذا رآه فتحسري فان يكن من عند الله لا يراه، فتراءى له جبريل يوماً وهو في بيت خديجة وكانت قد

قالت للنبي ﷺ : أتستطيع ان تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك اذا جاءك ؟ قال : نعم فلما رأى جبريل قال لها رسول الله ﷺ : يا خديجة هذا جبريل قد جاءني اي قد رأيته ، قالت : قم يا ابن عم فاجلس على فخذي فقام رسول الله ﷺ فجلس على فخذها ، قالت : هل تراه ؟ قال : نعم قالت : فتحول فاجلس في حجري فتحول رسول الله ﷺ فجلس في حجرها . قالت : هل تراه ؟ قال : نعم . فألقت خمارها ورسول الله ﷺ جالس في حجرها ، ثم قالت : هل تراه ؟ قال : لا . قالت : يا ابن عم اثبت وأبشر فوالله انه لملك ما هذا شيطان . وإلى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله :

وأتاه في بيتها جبرئيل ولذي اللب في الأمور ارتياء
فأماطت عنها الخمار لتدري اهو الوحي ام هو الإغماء
فاختفى عند كشفها الرأس جبر يل فما عاد أو أعيد الغطاء
فاستبانت خديجة أنه الكنـ ـز الذي حاولته والكيمياء

وفي السيرة الحلبية : روى ابن اسحق عن شيوخه أنه ﷺ كان يرقى من العين وهو بمكة قبل أن ينزل عليه القرآن ، فلما نزل عليه القرآن أصابه ما كان يصيبه قبل ذلك ، فقالت له خديجة : أوجه اليك من يرقيك ؟ قال : اما الآن فلا وهذا يدل على انه كان يصيبه قبل نزول القرآن ما يشبه الإغماء بعد حصول الرعدة وتغميض عينيه وتربد وجهه ويغط كغطيط البكر ، ولعل ذلك كان تألفاً ليتحمل أعباء الوحي حين نزوله عليه وإنما كانت خديجة ـ رضي الله عنها ـ تفعل هذه الأشياء لتتثبت في الأمر ويصير عندها ضرورياً . وأما هو ﷺ فكان الأمر ملتبساً عليه قبل ظهور الملك ، وأما بعد ظهوره له فانه صار عنده علم ضروري بأنه جبريل وأن الله أرسله اليه ، وأنه هو رسول الله ﷺ .

ثم بعد نزول اقرأ : أي نزول اول السورة كما تقدم فتر الوحي ليذهب عنه ﷺ ما كان يجده من الرعب ، وليحصل له الشوق الى العود فحزن حزناً شديداً حتى غدا مراراً كي يتردّى من رؤوس شواهق الجبال ، فكلما وافى ذروة جبل كي يلقي نفسه منها تبدى له جبريل ـ عليه السلام ـ فقال يا محمد انك رسول الله حقاً فيسكن لذلك جأشه أي قلبه وتقر نفسه ويرجع ، فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك ، فإذا وافى لذورة جبل تبدى له مثل ذلك . وفي فتح الباري: جزم بأن مدّة فترة الوحي كانت ثلاث سنين وجزم السهيلي بأنها كانت سنتين ونصفاً ، وقيل خمسة عشر يوماً وقيل غير ذلك ، وكان ﷺ في مدة فترة الوحي

يتردد على غار حراء ويجاور فيه كما كان يصنع قبل رجاء لقاء الملك ونزول الوحي وعن يحيى بن بكير قال : سألت جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - عن ابتداء الوحي اي بعد فترته فقال : لا أحدثك إلا ما حدثنا به رسول الله ﷺ قال : جاورت بحراء فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً فنظرت عن شمالي فلم أرَ شيئاً ، فنظرت من خلفي فلم أر شيئاً ، فرفعت رأسي فرأيت شيئاً بين السماء والأرض . وفي رواية : فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي فرعبت منه ، فأتيت خديجة فقلت دثروني دثروني ، وفي رواية : زملوني زملوني وصبوا علي ماء بارداً ، فنزلت هذه الآية ﴿ يـأيها المـدثر ﴾ أي المتلفف بثيابه ﴿ قم فأنذر وربك فكبر ﴾ولم يقل بعد قوله فأنذر ، وبشر مع أنه كما بعث بالنذارة بعث بالبشارة لأن البشارة انما تكون لمن آمن ولم يكن احد آمن من قبل ، وهذا يدل على تقدم نبوته على رسالته وان نبوته كانت بنزول اقرأ ورسالته بيأيها المدثر . وقيل انهما مقترنان والمتأخر انما هو اظهار الدعوة يعني انه حصلت له النبوة والرسالة بنزول اقرأ ، ولكنه ما أمر باظهار الدعوة الا يأيها المـدثر ، فيها حصل الجهر بالدعوة الى الله . ذكـر الشيـخ محيـي الديـن بن العربي في قوله تعالى : ﴿ يـأيها المدثر ﴾ اعلم أن التدثير إنما يكـون من البرودة التي يحصل عقب الوحي ، وذلك أن الملك اذا ورد على النبي ﷺ بعلم او حكـم تلقى ذلك الروح الانساني ، وعند ذلك تشتعل الحرارة الغريزية فيتغير الوجه لذلك وتنتقل الرطوبات إلى سطح البدن لاستيلاء الحرارة فيكون من ذلك العرق ، فإذا سرّى عنه ذلك سكن المزاج وقبل الجسم الهواء من خارج فيبرد المزاج فتأخذه القشعريرة فترد عليه الثياب ليسخن . وذكر السهيلي أن من عادة العرب إذا قصدت الملاطفة أن تسمي المخاطب باسم مشتق من الحالة التي هو عليها فلاطفة الحق بقوله : ﴿ يأيها المدثر قم فأنذر ﴾ فبذلك علم رضاه الذي هو غاية مطلوبة ، وبه كان يهون عليه تحمل الشدائد ، ومن هذه الملاطفة قوله ﷺ لعلي بن ابي طالب - رضي الله عنه - وقد نام وقد ترب جبينه : قم أبا تراب ، وقوله ﷺ لحذيفة وقد نام إلى الاسفار : قم يا نومان .

بابٌ في مَراتب الوَحي وَأقسَامه

قد كمل الله تعالى لنبينا ﷺ مراتب الوحي وأنواعه ، فإحدى تلك المراتب الرؤيا الصادقة ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح . روى ابن إسحق أن جبريل ـ عليه السلام ـ أتى النبيﷺ ليلة النبوّة وغطه ثلاثاً وقرأ عليه أول سورة اقرأ مناماً ، ثم أتاه وفعل ذلك معه يقظة ، بل روي أنهﷺ ما كان يأتيه شيء يقظة إلا وقد أريه قبل ذلك في منامه . وفي كلام الشيخ محيي الدين ما يدل على انهﷺ وجميع ما يأتيه الوحي من الأنبياء ، كان إذا جاءه الوحي يستلقي على ظهره حيث قال : سبب اضطجاع الأنبياء على ظهورهم عند نزول الوحي اليهم ان الوارد الإلهي الذي هو صفة القيومية إذا جاءهم شغل الروح الانساني عن تدبيره ، فلم يبق للجسم من يحفظ عليه قيامه وقعوده فرجع الى أصله وهو لصوقه بالأرض .

الثانية : ما كان يلقيه الملك في قلبه من غير أن يراه ويخلق الله فيه علما ضرورياً يعلم به أنه وحي لا مجرد إلهام .

الثالثة : خطاب الملك له حين كان يتمثل له رجلاً فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول فقد ثبت انه كان يأتيه في صورة دحية بن خليفة الكلبي ، وكان جميلاً وسيماً أي حسن الوجه إذا قدم لتجارة خرجت النساء لتراه . قال السراج البلقيني : يجوز ان الآتي جبريل بشكله الأول إلا انه انضم فصار على قدر هيئة الرجل ، ومثل ذلك القطن اذا جمع بعد نفشه وهذا على سبيل التقريب . قال في فتح الباري : والحق ان تمثل الملك رجلاً ليس معناه ان ذاته انقلبت رجلاً ، بل معناه انه ظهر بتلك الصورة تأنيساً لمن يخاطبه والظاهر ان القدر الزائد لا يزول ولا يفنى بل يخفى على الرائي فقط . وقال العلامة القونوي : يجوز ان الله خصه بقوة ملكية يتصرف فيها بحيث تكون روحه في جسده الأصلي مدبرة له ويتصل أثرها

بجسم آخر يصير حياً بما اتصل به من ذلك الأثر اي ان جسم الملك الأصلي باق بحاله لم يتغير وقد اقام ذلك الملك شبحاً آخر من عالم المثال ، وروحه متصرفة فيهما جميعاً في وقت واحد ، وقد قيل : انما سمي الابدال أبدالاً لأنهم قد يرحلون الى مكان ويقيمون في مكانهم شبحاً آخر شبيهاً بشبحهم الأصلي بدلاً عنه وأثبت الصوفية عالماً متوسطاً بين عالم الأجساد والأرواح سموه عالم المثال . وقالوا : انه ألطف من عالم الأجساد واكثف من عالم الأرواح ، وبنوا على ذلك بتجسد الأرواح وظهورها في صور مختلفة . وقد يستأنس لذلك بقوله تعالى : ﴿ فتمثل لها بشراً سوياً ﴾ والجواب بانه كان يندمج الى أن يصغر حجمه بقدر دحية ثم يعود كهيئته الأولى تكلف وما ذكره الصوفية احسن .

الرابعة : كان يأتيه مخاطباً له بصوت في مثل صلصلة الجرس ، والجرس مثال يشبه الجلجل الذي يعلقه الجهال في رؤوس الدواب والصلصلة المذكورة قيل صوت الملك بالوحي وقيل صوت أجنحة الملك . والحكمة في تقدمه أن يقرع سمعه الوحي وليس فيه مكان لغيره . وكان هذا النوع اشده عليه لأنه يرد فيه من الطباع البشرية الى الأوضاع الملكية فيوحى اليه كما يوحى الى الملائكة ، ولأن الفهم من كلام مثل الصلصلة اثقل من كلام الرجل بالتخاطب والوحي كله شديد ، وهذا أشد . وفائدة هذه الشدة ما يترتب على المشقة من زيادة الزلفى ورفع الدرجات ، ولأن الكلام العظيم له مقدمات تؤذن بتعظيمه للاهتمام به . وفي حديث لابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ كان ﷺ يعالج من التنزيل شدة . قال بعضهم : وإنما كان شديداً عليه ليستجمع قلبه فيكون أوعى لما سمع لا يقال ان صوت الجرس مذموم منهي عنه فكيف يشبه الوحي به ، لانا نقول ان للصوت جهتين جهة قوة وبها وقع التشبيه وجهة طنين ومنها وقع التنفير ولا يلزم من التشبيه تساوي المشبه والمشبه به في الصفات كلها ، بل يكفي اشتراكهما في صفة ما . ولما كان الوحي من المسائل العويصة التي لا يماط نقاب التغور عن وجهها لكل أحد ضرب لها مثل في الشاهد ، فمثلت بالصوت الذي يسمع ولا يفهم منه شيء تنبيهاً على ان الوحي يرد على القلب في هيئة الجلال وأبهة الكبرياء ، فتأخذ هيبة الخطاب حين ورودها بمجامع القلب وتلاقي من ثقل القول ما لا علم له به ، مع وجود ذلك . فإذا سري عنه وجد القول المقول بيناً ملقى في الروع واقعاً موقع المسموع . وهذا الضرب من الوحي شبيه بما يوحى الى الملائكة ، على ما رواه أبو هريرة مرفوعاً إذا قضى الله في السماء أمراً ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنها سلسلة على صفوان ، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا : ﴿ ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي

الكبير ﴾ .

وقد روى الإمام أحمد والحاكم وصححه، والترمذي والنسائي عن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال : كانﷺ إذا نزل عليه الوحي يسمع عنده دوي كدوي النحل فأفهم قوله عنده ان ذلك بالنسبة للصحابة ، ولذا قال الحافظ انه لا يعارض صلصلة الجرس لان سماع الدوي بالنسبة للحاضرين كما شبهه به عمر ـ رضي الله عنه ـ والصلصلة بالنسبة اليه كما شبهه بهﷺ بالنسبة الى مقامه ، وجزم بعضهم بأن سماعه كدوي النحل حين يتمثل له رجلاً وبه تعلم الصفة التي كان عليها ، حين خطابه بذلك الصوت . وجاء في بعض الروايات وصف هذا القسم الرابع بأن جبينهﷺ يتفصّد عرقاً أي يسيل عرقاً مبالغة في كثرة معاناة التعب والكرب عند نزوله ، لطروّه على طبع البشر وذلك ليبلو صبره فيرتاض لما كلفه من أعباء النبوة ، ويحصل ذلك له في اليوم الشديد البرد ، فضلاً عن غيره . وان راحلته إذا أوحي عليه وهو عليها لتبرك به في الأرض ، ولقد جاءه الوحي مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ فنقلت عليه حتى كادت ترضها . وفي مسلم عن ابي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة . وفي رواية : كرب لذلك وتربد وجهه وغمض عينيه ، وربما غط كغطيط البكر . وعن زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ كان إذا نزل على رسول اللهﷺ السورة الشديدة أخذه من الكرب والشدة على قدر شدة السورة وإذا نزل عليه السورة اللينة أصابه من ذلك على قدر لينها .

الخامسة : أن يرى جبريل في صورته التي خلقها الله عليها له ستمائة جناح كل جناح منها يسدّ أفق السماء حتى ما يرى في السماء شيء ، فيوحي اليه ما شاء الله أن يوحيه اليه ، وهذا وقع له مرتين إحداهما في الأرض حين سأله ان يريه نفسه في الأفق ، وكانت هذه في أوائل البعثة بعد فترة الوحي . والثانية عند سدرة المنتهى ليلة المعراج .

السادسة : ما أوحاه الله إليه وهو فوق السموات من فرض الصلوات وغيرها بسماع الكلام الأزلي الذي ليس بحرف ولا صوت ، من غير واسطة مع الرؤية للذات المقدسة .

السابعة : ما أوحاه اليه بلا واسطة أيضاً بل بسماع الكلام الأزلي لكن بلا رؤية ، كما وقع لموسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وزاد بعضهم ثامنة فقال : وكل به إسرافيل ـ عليه السلام ـ قبل تتابع مجيء جبريل ـ عليه السلام ـ فكان يتراءى له ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة

والشيء ، ثم وكل به جبريل فجاءه بالقرآن، وبعضهم نازع في هذه الصورة وزاد بعضهم تاسعة وهي العلم الذي يلقيه الله تعالى في قلبه وعلى لسانه عند الاجتهاد في الأحكام ، لا بواسطة ملك . وبذلك فارق النفث في الروع وزاد بعضهم عاشرة وهي مجيء جبريل في صورة رجل غير دحية كما في الحديث الذي فيه بيان الإسلام والايمان والإحسان ، والحق ان هذه داخلة في المرتبة الثالثة لأن القصد منها التمثل في صورة رجل وإن كان الغالب أن يكون بصورة دحية وهذا لا ينافي إنه قد يأتي بصورة غيره كما في الحديث المذكور . فانه ذكر فيه انه جاءهم في صورة رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منهم أحد ، ودحية كان معروفاً عندهم . وبالغ بعضهم في تعديد انواع الوحي حتى أوصلها إلى ستة وأربعين نوعاً . والتحقيق انها تعود الى ما ذكر وقد روي ان جبريل ظهر له ﷺ في أوّل ما أوحى اليه في أحسن صورة وأطيب رائحة وهو بأعلى مكة .

وفي رواية : بجبل حراء فقال : يا محمد إن الله يقرئك السلام ويقول لك : أنت رسولي إلى الجن والإنس فادعهم الى قول لا إله إلا الله أي ومحمد رسول الله ، ثم ضرب برجله الأرض فنبعت عين ماء فتوضأ منها جبريل ورسول الله ﷺ ينظر اليه ليريه كيفية الطهور للصلاة ، ثم أمره أن يتوضأ كما رآه يتوضأ ، ثم قام جبريل يصلي مستقبلاً نحو الكعبة وأمره أن يصلي معه ، فصلى ركعتين ثم عرج الى السماء ، ورجع ﷺ إلى أهله ، فكان لا يمرّ بحجر ولا مدر ولا شجر إلا وهو يقول : السلام عليك يا رسول الله ، فسار ﷺ حتى أتى خديجة - رضي الله عنها - فأخبرها فغشي عليها من الفرح ، ثم أخذ بيدها وأتى بها الى العين فتوضأ ليريها الوضوء ، ثم أمرها فتوضأت وصلى بها كما صلى به جبريل - عليه السلام - فكانت أوّل من صلى .وفي رواية: أنها قالت حين شاهدت ذلك : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . ثم توضأت وصلت فكان ذلك أوّل فرض الصلاة من حيث هي ركعتان بالغداة وركعتان بالعشي ، وإليها الاشارة بقوله تعالى : ﴿ وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار ﴾ ثم نسخت بالصلوات الخمس ولا يرد على هذا أن آية الوضوء مدنية لاحتمال ان النبي ﷺ تعلم الوضوء قبل نزول الآية بتعليم جبريل وعلمه لأصحابه ، ثم نزلت الآية ببيان . وقال بعضهم : ان الوضوء فرض مع الصلوات الخمس قبل الهجرة بسنة وانه قبل ذلك كان مطلوباً على وجه السنة والندب ، ونزلت الآية ببيانه بالمدينة وبهذا يحصل الجمع بين الأقوال .

ذكر أوّل مَن آمَن بالله تعالى وَرسُوله ﷺ

قال في المواهب اللدنية : أول من آمن بالله وصدق برسوله ﷺ صدّيقة النساء خديجة ـ رضي الله عنها ـ فقامت بأعباء الصديقية وكانت تقول للنبي ﷺ : أبشر ، فوالله لا يخزيك الله أبداً واستدلت على ذلك بما فيه من الصفات الحميدة كقري الضيف وحمل الكلّ ، وعرفت أن من كان كذلك لا يخزى أبداً وهو من بديع علمها ـ رضي الله عنها ـ قال ابن اسحق : وآزرته ﷺ على أمره فخفف الله بذلك عنه فكان لا يسمع شيئاً يكرهه من ردّ وتكذيب إلا فرج الله عنه بها ، إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه وتصدقه وتهوّن عليه أمر الناس ، ولهذا السبق وحسن المعروف جزاها الله سبحانه فبعث جبريل الى النبي ﷺ وهو بغار حراء وقال له : اقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في ا لجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب فقالت : هو السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام وعليك يا رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته . وهذا من ونور فقهها ـ رضي الله عنها ـ حيث جعلت مكان ردّ السلام على الله الثناء عليه ، ثم غايرت بين ما يليق به وما يليق بغيره . قال ابن هشام : والقصب هنا اللؤلؤ المجوف . وأبدى السهيلي لنفي النصب لطيفة ، هي انه ﷺ لما دعاها الى الايمان أجابت طوعاً ولم تحوجه لرفع صوت ولا منازعة ولا نصب ، بل أزالت عنه كل تعب وآنسته من كل وحشة ، وهوّنت عليه كل عسير ، فناسب أن تكون منزلتها التي بشرها بها ربها بالصفة المقابلة لفعلها وصورة حالها ـ رضي الله عنها ـ وإقراء السلام من ربها خصوصية لم تكن لسواها ، وتميزت أيضاً بانها لم تسؤه ﷺ ولم تغاضبه قط ، وقد جازاها فلم يتزوّج عليها مدّة حياتها وبلغت منه ما لم تبلغه امرأة قط من زوجاته ، وولدت له ﷺ من الذكور : القاسم وعبد الله ويلقب بالطاهر والطيب ، ومن

الإناث : زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة ـ رضي الله عنها ـ وعنهن .

وأول ذكر آمن بعدها صديق الأمة وأسبقها الى الإسلام أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ

وكان ـ رضي الله عنه ـ صدّيقاً لرسول الله ﷺ قبل البعثة وكان يكثر غشيانه في منزله ومحادثته . وروى عنه ﷺ أنه قال : كنت أنا وأبو بكر على هذا الأمر كفرسي رهان ، فسبقته فتبعني ولو سبقني لتبعته ففيه إشارة إلى أن كلاً منهما مجبول على التوحيد ، ولهذا لما بعث ﷺ كان أشد الناس تصديقاً له أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ روى الطبراني برجال ثقات أن علياً ـ رضي الله عنه ـ كان يحلف بالله أن الله أنزل اسم أبي بكر من السماء الصديق وكان اسمه قبل الإسلام عبد الكعبة فغيره النبي ﷺ الى عبد الله وقيل : كان اسمه عبد الله وغلب عليه عتيق وقيل ان أمه استقبلت به البيت وقالت : اللهم هذا عتيقك من الموت لأنه كان لا يعيش لها ولد وقيل : وسمي عتيقاً لأن النبي ﷺ بشّره بأن الله أعتقه من النار ، وقيل : لأنه ليس في نسبه ما يعاب به . وقيل : لقدمه في الخير وسبقه الى الاسلام ، وكنى بأبي بكر لابتكاره الخصال الحميدة . قال الزرقاني : ولم أقف على من كناه به هل هو المصطفى ﷺ أو غيره ، فلما أسلم آزر النبي ﷺ في نصر دين الله تعالى بنفسه وماله . وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن أبا بكر رضي الله عنه ـ أول الناس إسلاماً واستشهد بقول حسان ـ رضي الله عنه :

إذا تذكرت شجواً من أخي ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها ... بعد النبي وأوفاها بما حملا
والثاني التالي المحمود مشهده ... وأوّل الناس قدماً صدق الرسلا

وقوله : والثاني التالي أي الثاني للنبي ﷺ في الغار ، ففيه تلميح الى قوله تعالى : ﴿ ثاني اثنين إذ هما في الغار ﴾ وقوله التالي اي التابع له ﷺ باذلاً نفسه مفارقاً أهله ورياسته في طاعة الله ورسوله ﷺ وملازمته ، ومعادياً للناس فيه جاعلاً نفسه وقاية عنه وغير ذلك من سيره الحميدة التي لا تحصى ، بحيث قال ﷺ ان من أمنّ الناس علي في صحبته وماله أبا بكر . وقال : ما أحد أعظم عندي يداً من أبي بكر ، واساني بنفسه وماله . وقال : إن أعظم الناس علينا مناً أبو بكر ، زوجتي ابنته ، وواساني بماله ،

قال الشعبي : عاتب الله أهل الأرض جميعاً في هذه الآيــة أي آيــة ﴿ ألا تنصروه ﴾ غير أبي بكر وقد جوزي بصحبة الغار الصحبة على الحوض ، كما في حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال النبي ﷺ لأبي بكر : أنت صاحبي على الحوض وصاحبي في الغار فيا نعم الجزاء . وقوله المحمود مشهده أي الممدوح مكان حضوره من الناس لأنه كان رجلاً مؤلفاً لقومه محبباً سهلاً ، وكان أنسب قريش لقريش وأعلمهم بها ، وبما كان فيها من خير وشرّ وكان تاجراً . وفي السيرة الحلبية . كان أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ صدراً معظماً في قريش على سعة من المال وكرم الاخلاق وكان من رؤساء قريش ومحطمشورتهم ، وكان من أعف الناس رئيساً مكرّماً سخياً ، يبذل المال محبباً في قومه حسن المجالسة ، وكان أعلم الناس بتعبير الرؤيا وبعلم الانساب ، وكذا عقيل بن أبي طالب ، إلا أن أبا بكر كان يعلم خيرهم وشرّهم ولا يعد مساويهم ، فلذا كان محبباً اليهم بخلاف عقيل ، فانه كان يعد مساويهم وكان أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ ذا خلق حسن ومعروف ، وكان رجال من قومه يأتونه ويألفونه لعلمه وتجارته وحسن مجالسته ، فلما أسلم وتبع النبي ﷺ وآزره وشد عضده فجعل يدعو الى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاء ويجلس اليه ، فأسلم بدعائه فضلاء الصحابة ـ رضي الله عنه وعنهم ـ وسيأتي ذكر بعض من أسلم بدعائه .

وكان ـ رضي الله عنه ـ يتوقع ظهور نبوّة النبي ﷺ لما سمعه من ورقة ومن غيره من الأحبار والرهبان والكهان ، حتى انه أوّل من بادر الى التصديق به ﷺ . يروى أن أبا بكمر ـ رضي الله عنه ـ كان يوماً عند حكيم بن خزام إذ جاءت مولاة لحكيم فقالت : ان عمتك خديجة تزعم في هذا اليوم أن زوجها نبي مرسل مثل موسى ـ عليه السلام ـ فانسل أبو بكر حتى أتى النبي ﷺ فسأله عن خبره فقصّ عليه قصته المتضمنة لمجيء الوحي له ، وأخبره بأن الله أرسله فقال : صدقت بأبي وأمي أنت ، وأهل الصدق أنت ، أنا اشهد ان لا إلّه الا الله وانك رسول الله ، فسماه يومئذ الصديق بوحي من الله . ولما سمعت خديجة ـ رضي الله عنه ـ مقالة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ خرجت وعليها خماراً حمر فقالت : الحمد الله الذي هداك يا ابن أبي قحافة وقد جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ والذي جاء بالصدق وصدق به ﴾ أن الذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ ، والذي صدق به أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ قال ابن اسحق : بلغني أن النبي ﷺ قال : ما دعوت أحداً الى الإسلام إلا كانت عنده كبوة ونظر وتردد ، إلا ما كان من أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ ما علم عنه حين ذكرته له أي انه بادر به . وقال السهيلي : وكان من أسباب توفيق الله له وانه رأى

القمر نزل مكة ثم تفرّق على جميع منازلها وبيوتها ، فدخل في كل بيت منه شعبة ثم كان جميعه في حجره فقصها على بعض الكتابيين فعبراها له بأن النبي المنتظر الذي قد أظل زمنه تتبعه تكون أسعد الناس به ، فلما دعاهﷺ الى الإسلام لم يتوقف .

وذكر ابن الأثير في أسد الغابة عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أن أبا بكر رضي الله عنه ـ خرج الى اليمن قبل بعثة النبيﷺ قال : فنزلت على شيخ قد قرأ الكتب وعلم من علم الناس كثيراً فقال : احسبك حرمياً . قلت : نعم قال : واحسبك نبياً . قلت : نعم قال : بقيت لي فيك واحدة قلت : وما هي ؟ قال : تكشف لي عن بطنك ؟ قلت لا أفعل او تخبرني لم ذاك ؟ قال أجد في العلم الصحيح الصادق أن نبياً يبعث في الحرم يعاونه على أمره فتى وكهل ، وأما الفتى فخواص غمرات ودفاع معضلات ، وأما الكهل فأبيض نحيف على بطنه شامه ، وعلى فخذه الأيسر علامه ، وما عليك أن تريني ما سألتك فقد تكاملت لي فيك الصفة الا ما خفي عليّ . قال : فكشفت له بطني فرأى شامة سوداء فوق سرتي فقال : أنت هو ورب الكعبة وإني اوصيك بما هو في أمره . قلت : وما هو ؟ قال : إياك والميل عن الهدى وتمسك بالطريق الوسطى ، وخف الله فيما خولك وأعطاك ، فقضيت باليمن أربي ثم أتيت الشيخ لاودّعه فقال : أحامل أنت مني ابياتاً إلى ذلك النبي ؟ قلت : نعم فذكر أبياتاً فقدمت مكة وقد بعثﷺ فجاءني صناديد قريش فقلت : نابكم أو ظهر فيكم أمر؟ قالوا : أعظم الخطب يتيم أبي طالب يزعم أنه نبي ولولا أنت ما انتظرنا به والكفاية فيك فصرفتهم على أحسن شيء وذهبت الى النبيﷺ فقرعت عليه الباب فخرج الي فقلت : يا محمد قدحت منازل أهلك ، وتركت دين آبائك فقال : اني رسول الله اليك والى الناس كلهم فآمن بالله قلت : وما دليلك ؟ قال : قال : الشيخ الذي لقيته باليمن . قلت : وكم لقيت من شيخ باليمن ؟ قال : الذي أفادك الأبيات قلت : ومن أخبرك بهذا يا حبيبي ؟ قال : الملك المعظم الذي يأتي الأنبياء قبلي . قلت : مد يدك فانا أشهد أن لا إلّه إلا الله وأنك رسول الله صلى الله عليك وسلم فانصرفت . وقد سرّ رسول اللهﷺ باسلامي . وفي رواية فانصرفت وما بين لابيتها أشد سروراً مني باسلامي ولا أشد سروراً باسلامي من رسول اللهﷺ .

قال الزرقاني : يمكن الجمع بينه وبين ما تقدم من أنه بلغه أمر النبيﷺ عند اجتماعه بحكيم بن حزام بأن سفره لليمن قبل البعثة كما صرح به ، ورجوعه بعد إسلام خديجة

وتحقق الأمر عندها فلقي صناديد قريش عند وصوله ، ثم اجتمع بحكيم بن حزام وسمع الخبر عنده من الجارية ، فأتى النبي ﷺ وأظهر اسلامه بين يديه ، ولما أسلم أظهر إسلامه للناس ، ودعا الى الله ورسوله . وفي السيرة الحلبية : ان أبا بكر - رضي الله عنه - لم يسجد لصنم قط وكان نقش خاتمه - رضي الله عنه - نعم القادر الله ، وخاتم عمر كفى بالموت واعظاً يا عمر ، وخاتم عثمان آمنت بالله مخلصاً ، وخاتم علي الملك لله ، وخاتم أبي عبيدة الحمد لله . وفي المواهب وشرحها روي عن الحسن أن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - جاءه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، كيف سبق المهاجرون والأنصار الى بيعة أبي بكر - رضي الله عنه - وأنت أسبق سابقة الى الاسلام وأورى منه منقبة ؟ فقال له علي - رضي الله عنه - ويلك ان ابا بكر رضي الله عنه سبقني الى أربع لم أوتهن ولم اعتض منهن بشيء : سبقني الى إفشاء الإسلام وقدم الهجرة ومصاحبته في الغار وأقام الصلاة وأنا يومئذ بالشعب يظهر إسلامه وأخفيه تستحقر لي قريش وتستوفيه ، والله لو أن أبا بكر زال عن مزيته ما بلغ الدين العبرين اي الجانبين ، ولكان الناس كرعة ككرعة طالوت ، ويلك ان الله ذم الناس ومدح أبا بكر فقال : ﴿ الا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه ﴾ وقوله : سبقني الى إفشاء الإسلام ، يدل على أسبقية إسلام علي رضي الله عنه . وان أبا بكر رضي الله عنه إنما سبقه الى الإفشاء والتحقيق ان كلاً من أبي بكر وعلي - رضي الله عنهما - بادر بالتصديق والاسلام ، وعلي - رضي الله عنه - كان عند النبي ﷺ وفي بيته فيحتمل انه أسلم مع إسلام خديجة - رضي الله عنه - ، ويحتمل انه قارن إسلامه إسلام ابي بكر - رضي الله عنه - ومثل ذلك زيد بن حارثة - رضي الله عنه - فانه كان مولى النبي ﷺ وكان من السابقين في الإسلام . وكذا بلال - رضي الله عنه - كان من السابقين في الإسلام .

ففي بعض الأحاديث : أن اول الناس إسلاماً خديجة - رضي الله عنها - وفي بعضها أبو بكر - رضي الله عنه - وفي بعضها : - علي رضي الله عنه . وفي بعضها : زيد بن حارثة - رضي الله عنه - وفي بعضها : بلال - رضي الله عنه - قال الحافظ ابن الصلاح : والأروع أن لا يطلق القول في تعيين أول المسلمين ، بل يقال أول من أسلم من الرجال البالغين الأحرار أبو بكر . ومن الصبيان علي ومن النساء خديجة ، ومن الموالي زيد بن حارثة ، ومن العبيد بلال . وقال المحب الطبري : الأولى التوفيق بين الروايات كلها وتصديقها ، فيقال : أول من أسلم مطلقاً خديجة لم يتقدمها رجل ولا امرأة باجماع

المسلمين ، وأول ذكر أسلم علي بن ابي طالب وهو صبي لم يبلغ الحلم ، كان مستخفياً باسلامه ، وأول رجل عربي بالغ أسلم وأظهر اسلامه أبو بكر ، وأول من أسلم من الموالي زيد بن حارثة الكلبي . وروى ابن منده عن ابن عباس - رضي الله عنهما - ان ابا بكر - رضي الله عنه - صحب النبي ﷺ وهو ابن ثماني عشرة سنة ، وهم يريدون الشام في تجارة ، فسمع أبو بكر - رضي الله عنه - كلام بحيرا الراهب وسؤاله حين قال : من هذا الذي تحت الشجرة ؟ فأجابوه بأنه محمد بن عبدالله . فقال : هذا نبي الخ ما تقدم . فوقع في قلب ابي بكر اليقين حينئذ . وفي رواية : لقد آمن أبو بكر بالنبي ﷺ زمن بحيرا ، فالمراد بهذا الإيمان اللغوي وهو اليقين بصدقه وهو ما وقر وثبت في قلبه ، فلهذا كان يتوقع بعثة النبي ﷺ فلا ينافي انه أوّل المسلمين او ثانيهم او ثالثهم بعد النبوّة كما تقدم . قال الحلبي في السيرة : وبنات النبي ﷺ كنّ موجودات عند البعثة فيبعد تأخر إيمانهن فهن من أوّل الناس إيماناً بل هن ممن لم يتقدم لهن إشراك فلم يذكرن مع أوّل من آمن اكتفاء بذلك ولإيمان أمهن ، ولذلك قال الحافظ ابن كثير : إن اهل بيته ﷺ آمنوا به قبل كل أحد خديجة وبناتها وزيد وزوجته وعلي - رضي الله عنهم - .

وأما فاطمة - رضي الله عنها - فما ولدت إلا بعد البعثة فلا يحتاج إلى التنبيه عليها . وقد روى ابن إسحق عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : لما أكرم الله نبيه ﷺ بالنبوة أسلمت وبناته ﷺ وكان ابو العاص زوج زينب عظيماً في قريش ، فكلمته قريش في فراقها على أن يتزوّج من أحب نسائهم فأبى ، ولا يشكل تزويجه بزينب ولا تزويج رقية وأم كلثوم بولدي أبي لهب مع صيانة النبي ﷺ من قبل البعثة عن الجاهلية ، لأن تحريم المسلمة على الكافر لم يكن حينئذ حتى نزل قوله تعالى : ﴿ ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فلا ترجعوهن الى الكفار ﴾ بعد صلح الحديبية . وقد كفاه الله ولدي أبي لهب فطلقاهما قبل الدخول ثم تزوّجتا بعثمان - رضي الله عنه - واحدة بعد واحدة وأما ابو العاص فأسلم وهاجر وبقيت زينب - رضي الله عنها - عنده وعن النبي ﷺ ما كلمت أحداً إلا راجعني في الكلام وألب علي إلا ابن ابي قحافة ، فإني لم أكلمه في شيء إلا قبله واستقام عليه . ومن ثم كان أسد الصحابة رأياً واكملهم عقلاً لخبر أتاني جبريل فقال : ان الله أمرك أن تستشير ابا بكر ونزل فيه وفي عمر - رضي الله عنهما - ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ فكان أبو بكر - رضي الله عنه - بمنزلة الوزير من رسول الله ﷺ ، فكان يشاوره في أموره كلها . وقد جاء ان الله أيدني بأربعة وزراء : اثنين من أهل السماء جبريل وميكائيل ،

واثنين من أهل الأرض ابي بكر وعمر . وفي حديث صحيح : ان الله يكره ان يخطأ ابو بكر . وأما ورقة بن نوفل فقد تقدم الكلام عليه وان بعضهم عده في الصحابة وجعله أوّل من أسلم ، وبعضهم قال : انه مات على ما كان عليه من شريعة عيسى ـ عليه السلام ـ وبعضهم جعله من أهل الفترة .

وأما عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فسيأتي ذكر إسلامه في باب : بيان تعذيب قريش للمستضعفين بعد ذكر هجرة الناس الى الحبشة ، وسيأتي أيضاً أن إسلامه إنما كان بعد الهجرة الاولى ، وقيل الثانية في السنة السادسة من المبعث ، وأما عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ فيأتي ذكر اسلامه قريباً في عداد من أسلم بدعاية أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ ، واما حمزة بن عبد المطلب ـ رضي الله عنه ـ فسيأتي ذكر قصة إسلامه عند ذكر ما وقع له ﷺ من كفار قريش من الأذايا ، لأن بعض تلك الأذايا كان سبب إسلامه ـ رضي الله عنه ـ وسيأتي أيضاً أن إسلامه كان في السنة الثانية من النبوّة ، وقيل في السادسة .

ثم اسلم علي بن ابي طالب ـ رضي الله عنه ـ وكرم وجهه وتقدم ان بعضهم جعل إسلامه أسبق من إسلام ابي بكر ـ رضي الله عنه ـ وتقدم الجمع بين الأقوال بأنه أول من أسلم من الصبيان وان أبا بكر أوّل من أسلم من الأحرار البالغين ، وعن سلمان ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال : أوّل الناس وروداً على الحوض أوّلها إسلاماً علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ ولما زوجه النبي ﷺ فاطمة ـ رضي الله عنها ـ قال لها : زوجتك سيداً في الدنيا والآخرة وانه لأوّل صحابي إسلاماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً ، وكان حين أسلم لم يبلغ الحلم كان سنة ثمان سنين وكان عند النبي ﷺ قبل أن يوحى اليه يطعمه ويقوم بأمره لأن قريشاً كان أصابهم قحط شديد ، وكان أبو طالب كثير العيال ، فقال رسول الله ﷺ لعمه العباس ـ رضي الله عنه ـ إن أخاك أبا طالب كثير العيال والناس فيما ترى من الشدة ، فانطلق بنا اليه فلنخفف من عياله تأخذ انت واحداً وانا واحداً فجاء إليه وقالا له : إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه . فقال لهما أبو طالب : اذا تركتما لي عقيلاً وطالباً فاصنعا ما شئتما ، فأخذ رسول الله علياً فضمه اليه وأخذ العباس جعفراً فضمه إليه وتركا له عقيلاً وطالباً ، فلم يزل عليّ مع رسول الله ﷺ وقد تولى تسمية علي النبي ﷺ بنفسه وغذاه أياماً من ريقه المبارك يمصه لسانه . فعن فاطمة بنت أسد أم علي ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت : لما ولدته سماه ﷺ

علياً وبصق في فيه ، ثم انــه ألقمــه لسانــه فما زال يمصــه حتــى نام قالت : فلما كان من الغد طلبنا له مرضعة فلم يقبل ثدي أحد فدعونا محمداً فألقمه لسانه فنام فكان كذلك ما شاء الله تعالى . وعنها ـ رضي الله عنها ـ انها ارادت في الجاهلية ان تسجد لهبل وهي حامل بعلي ـ رضي الله عنه ـ فتقوس في بطنها ومنعها من ذلك وكان علي ـ رضي الله عنه ـ أصغر إخوته ، فكان بينه وبين أخيه جعفر عشر سنين وبين جعفر وأخيه عقيل كذلك وبين عقيل واخيه طالب كذلك . فكل واحد أكبر من الذي بعده بعشر سنين فأكبرهم طالب ثم عقيل ثم جعفر ثم علي وكلهم أسلموا إلا طالباً فانه اختطفته الجن فذهب ولم يعلم إسلامه . وقد جاء انه ﷺ قال لعقيل ـ رضي الله عنه ـ أحبك حباً لقرابتك وحباً لما كنت أعلم من حب عمي اياك .

وسبب اسلام علي ـ رضي الله عنه ـ انه دخل على النبي ﷺ ومعه خديجة ـ رضي الله عنها ـ وهما يصليان سواء فقال : ما هذا ؟ فقال رسول الله ﷺ : دين الله الذي اصطفاه لنفسه وبعث به رسله ، فأدعوك الى الله وحده لا شريك له وإلى عبادته والى الكفر باللات والعزى . فقال علي ـ رضي الله عنه ـ هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم فلست بقاض أمراً حتى أحدث أبا طالب ، وكره رسول الله ﷺ ان يفشي عليه سرّه قبل ان يستعلن أمره فقال له : يا علي اذا لم تسلم فاكتم هذا . فمكث علي ليلتـه ثم ان الله تبـارك وتعـالى هداه للاسلام فأصبح غادياً الى رسول الله ﷺ فأسلم على يديه ، وذلك في اليوم الثاني من صلاته ﷺ هو وخديجة ـ رضي الله عنها ـ وهو يوم الثلاثاء كما في سيرة الدمياطي ، لأن صلاته ﷺ مع خديجة ـ رضي الله عنها ـ كانت آخر يوم الاثنين وكان علي ـ رضي الله عنه ـ يخفي إسلامه خوفاً من أبيه ، الى ان اطلع عليه وأمره بالثبات عليه فأظهره احينئذ . وفي اسد الغابة لابن الاثير : ان ابا طالب رأى النبي ﷺ وعلياً ـ رضي الله عنه ـ يصليان وعلي يمينه فقال لجعفر صل جناح ابن عمك فصلّ على يساره فأسلم جعفر ـ رضي الله عنه ـ وكان إسلامه بعد إسلام أخيه علي ـ رضي الله عنه ـ بقليل وكان إسلام علي ـ رضي الله عنه ـ قبل بلوغه الحلم بل قيل ان عمره حينئذ ثمان سني وقيل عشر ومما كتبه علي ـ رضي الله عنه ـ لمعاوية ـ رضي الله عنه :

محمد النبي أخي وصهري ... وحمزة سيد الشهداء عمي
وجعفر الذي يضحي ويمسي ... يطير مع الملائكة ابن أمي
وبنت محمد سكني وعرسي ... مشوب لحمها بدمي ولحمي

وسبطا أحمد ابناي منها فمن منكم له سهم كسهمي
سبقتكمو الى الإسلام طراً صغيراً ما بلغت أوان حلمي

قال البيهقي : هذا الشعر مما يجب على كل متوان في علي - رضي الله عنه - حفظه ليعلم مفاخره في الإسلام ، وزعم المازني وصوّبه الزمخشري ان علياً - رضي الله عنه - لم يقل غير بيتين هما :

تلكم قريش تمناني لتقتلني فلا وربك ما برّوا ولا ظفروا
فان هلكت فرهن ذمتي لهم بذات ودقين لا يعفو لها أثر

ذكره في القاموس . قال الزرقاني : وهو مردود بما في مسلم في غزوة خيبر من قول علي - رضي الله عنه - مجيباً لمرحب اليهود :

أنا الذي سمتني أمي حيدره كليث غابات كريه المنظره
أوفيهم بالصاع كيل السندره

وروى الزبير بن بكار في عمارة المسجد النبوي عن أم سلمة - رضي الله عنها - انها قالت : قال علي - رضي الله عنه -

لا يستوي من يعمر المساجدا يدأب فيها قائماً وقاعدا
ومن يرى عن التراب حائدا

ولم يتقدم من علي - رضي الله عنه - شرك أبداً لأنه كان مع رسول الله ﷺ في كفالته كأحد أولاده تبعه في جميع أموره . وفي الحديث : ثلاثة ما كفروا بالله قط مؤمن من آل يّس وعلي بن أبي طالب وآسية امرأة فرعون . وفي حديث آخر : سباق الإسلام ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين : حزقيل مؤمن آل فرعون : وحبيب النجار صاحب يّس وعلي بن أبي طالب - رضي الله عنهم - والمراد من عدم كفره انه لم يسجد لصنم قط وتقدم ان ابا بكر رضي الله عنه - كذلك ولما علم أبو طالب باسلام علي - رضي الله عنه - وصلاته مع النبي ﷺ

قال لعلي ـ رضي الله عنه ـ أي بنيّ ما هذا الذي أنت عليه ؟ فقال : يا أبت آمنت بالله ورسوله ﷺ وصدقت ما جاء به ، ودخلت معه واتبعته . فقال له : اما انه لم يدعك إلا الى الخير فالزمه . ويذكر عنه أنه كان يقول : إني لأعلم ان ما يقوله ابن اخي لحق ولولا إني اخاف ان تعيرني نساء قريش لاتبعته . وعن ابن إسحق أن النبي ﷺ كان إذا حضرت الصلاة خرج الى شعاب مكة وخرج معه علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ مستخفياً من قومه فيصليان فيها ، فإذا أمسيا رجع كذلك . ثم ان ابا طالب عثر أي اطلع عليهما وهما يصليان فقال لرسول الله ﷺ : يا ابن أخي ما هذا الذي أراك تدين به ؟ قال : هذا دين الله وملائكته ورسله ودين ابينا ابراهيم بعثني الله به رسولاً الى العباد وأنت احق من بذلت له النصيحة ودعوته الى الهدى ، وأحق من أجابني الى الله تعالى واعانني عليه . فقال له ابو طالب : اني لا أستطيع ان أفارق دين آبائي وما كانوا عليه . وفي رواية انه قال له : ما بالذي تقول من بأس ولكن والله لا تعلوني استي أبداً وهذا ينبغي ان يكون صدر منه قبل ان يقول لابنه جعفر : صل جناح ابن عمك وصل على يساره لما رأى النبي ﷺ يصلي وعلياً على يمينه . لكن يروى عن علي ـ رضي الله عنه ـ انه ضحك يوماً وهو على المنبر فسئل عن ذلك فقال : تذكرت ابا طالب حين فرضت الصلاة يعني الركعتين بالغداة والركعتين بالعشي ورآني أصلي مع النبي ﷺ فقال : ما هذا الفعل الذي أرى ؟ فلما أخبرناه قال : هذا حسن ، ولكن لا أفعله أبداً لأني لا أحب ان تعلوني استي ، فلما تذكرته الآن ضحكت . وتقدم الكلام على أبي طالب فارجع اليه ان شئت ومناقب علي وفضائله ـ رضي الله عنه ـ أفردت بالتأليف كبقية العشرة فلا حاجة الى التطويل .

ثم اسلم بعد إسلام علي ـ رضي الله عنه ـ زيد بن حارثة بن شرحبيل الكلبي مولى رسول الله ﷺ ، وهبته له خديجة ـ رضي الله عنها ـ لما تزوج بها وكان اشتراه لها ابن اخيها حكيم بن حزام بن خويلد ، ممن سباه من الجاهلية ، لأن عمته خديجة ـ رضي الله عنها ـ أمرته ان يبتاع لها غلاماً ظريفاً عربياً ، فلما قدم سوق عكاظ وجد زيداً يباع وعمره ثمان سنين ، وقد أسر من اخواله طي . قال السهيلي : ان امه خرجت به تريد أهلها فأصابتها خيل فأخذته فباعوه فاشتراه حكيم ، وقيل اشتراه من سوق حباشة بأربعمائة درهم ، ويقال بستمائة درهم . فلما رأته خديجة ـ رضي الله عنها ـ أعجبها فأخذته ولعل هذا مراد من قال فباعه من عمته خديجة اي اشترا لها . فلما تزوجها رسول الله ﷺ وهو عندها اعجب به فاستوهبه منها فوهبته له ، فأعتقه رسول الله وتبناه قبل الوحي ، وقيل ان الذي

اشتراه لخديجة ـ رضي الله عنها ـ النبي ﷺ فانه جاء الى خديجة ـ رضي الله عنها ـ فقال : رأيت غلاماً بالبطحاء قد أوقفوه ليبيعوه ، ولو كان لي ثمن لاشتريته . قالت : وكم ثمنه ؟ قال : سبعمائة درهم . قالت : خذ سبعمائة درهم فاشتره فاشتراه فجاء به اليها وقال : انه لو كان لي لأعتقته قال : هو لك . فأعتقه . قال ابو عبيدة : لم يكن اسمه زيد ولكن النبي ﷺ سماه بذلك حين تبناه ، وهو اسم جده قصيّ . ثم انه خرج بإبل لأبي طالب الى الشام فمرّ بأرض قومه فعرفه عمه ، فقام اليه فقال : من انت يا غلام ؟ قال : غلام من أهل مكة . قال من أنفسهم ؟ قال : لا . قال : فحرّ انت ام مملوك ؟ قال : مملوك . قال : عربي انت ام اعجمي ؟ قال : عربي قال : ممن أهلك ؟ قال : من كلب . قال من اي كلب ؟ قال : من بني عبد ود . قال : ويحك ابن من انت ؟ قال : ابن حارثة بن شرحبيل . قال : واين أصبت ؟ قال : في اخوالي . قال : من اخوالك ؟ قال : طيء قال : ما اسم امك ؟ قال سعدى فالتزمه وقال : ابن حارثة ودعا اباه فقال : يا حارثة هذا ابنك فأتاه حارثة فلما نظر اليه عرفه ، وقال : كيف صنع مولاك اليك ؟ قال : يؤثرني على أهله وولده ورزقت منه حياً فلا أصنع إلا ما شئت ، فركب معه ابوه وعمه وأخوه . وفي رواية : ان ناساً من قومه حجوا فرأوا زيداً فعرفوه وعرفهم ، فانطلقوا فأعلموا أباه ، ووصفوا له مكانه فجاء أبوه وعمه . قال الحلبي : وقد يقال لا مخالفة لجواز ان يكون اجتماعه بعمه وأبيه كان بعد اخبار أولئك الناس ، فلما جاء أهله في طلبه ليفدوه خيرّه رسول الله ﷺ بين المكث عنده والرجوع الى أهله ، فاختار المكث عند رسول الله ﷺ . وفي لفظ لما قدم ابوه وعمه في فدائه سألا عن النبي ﷺ فقيل : هو في المسجد فدخلا عليه فقالا : يا ابن عبد المطلب ، يا ابن هاشم ، يا ابن سيد قومه ، أنتم أهل حرم الله وجيرانه تفكون الأسير العاني وتطعمون الجائع ، جئناك في ولدنا عندك ، فامنن علينا وأحسن في فدائه فانا سندفع لك . فقال : وما ذاك ؟ قالوا : زيد بن حارثة . قال : أو غير ذلك ؟ قالوا : وما هو ؟ قال : أدعوه فخيروه فان اختاركم فهو لكم من غير فداء ، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على الذي اختارني فداء . قالوا : زدتنا على النصف وأحسنت فدعاه ، فقال : أتعرف هؤلاء ؟ قال : نعم ابي وعمي ولم يذكر اخاه لاستصغاره ولأن الخطاب كان معهما . وفي رواية ذكرها السهيلي : ان زيد الماء جاء قال ﷺ من هذان ؟ قال : هذا ابي حارثة بن شرحبيل ، فقال له النبي ﷺ : انا من علمت وقد رأيت صحبتي فاخترني أو اخترهما فقال زيد . ما انا بالذي اختار عليك احداً

انت مني مكان الأب والعم فقالا : ويحك يا زيد تختار العبودية على الحرية ، وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك ؟ قال : نعم ما انا بالذي أختار عليه احداً . فلما رأى رسول الله ﷺ ما رأى أخرجه الى الحجر الذي هو محل جلوس قريش فقال : إن زيداً ابني أرثه ويرثني فطابت أنفسهما وانصرفا . قال ابن عبد البر : إن سنه حين تبناه النبي ﷺ كان ثمان سنين . وانه حين تبناه طاف به على حلق قريش يقول : هذا ابني وارثاً وموروثاً ، ويشهدهم على ذلك . وكان الرجل في الجاهلية يعاقد الرجل يقول : دمي دمك وهدمي هدمك ، وثأري ثأرك ، وحربي حربك ، وسلمي سلمك ترثني وأرثك ، تطلب بي وأطلب بك ، وتعقل عني وأعقل عنك ، فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف ثم لما استقر امر الإسلام وظهر نسخ الله ذلك بالمواريث .

وفي أسد الغابة ان حارثة أسلم ، وقيل لم يثبت إسلامه إلا المنذري ولما تبنى رسول الله ﷺ زيداً كان يقال له زيد بن محمد ، ولم يذكر في القرآن من الصحابة أحد باسمه إلا هو - رضي الله عنه - في قوله تعالى :﴿ فلما قضى زيد منها وطراً ﴾ قال ابن الجوزي : إلا ما يروى في بعض التفاسير أن السجل الذي في قوله تعالى : ﴿ يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب ﴾ اسم رجل كان يكتب للنبي ﷺ ، وقد أبدى السهيلي حكمة لذكر زيد باسمه في القرآن وهي انه لما نزل قوله تعالى : ﴿ ادعوهم لآبائهم ﴾ وصار يقال له زيد بن حارثة ، ولا يقال له زيد بن محمد . ونزع عنه هذا التشريف شرفه الله تعالى بذكر اسمه في القرآن دون غيره من الصحابة . ولم يذكر في القرآن امرأة باسمها إلا مريم - رضي الله عنها - ولزيد أخ اسمه جبلة أسلم - رضي الله عنه - وكان أسنّ منه . سئل جبلة من أكبر أنت أم زيد ؟ فقال : زيد أكبر مني وانا ولدت قبله اي لأن زيداً افضل منه لسبقه الى الإسلام .

وأول من أسلم من النساء بعد خديجة - رضي الله عنها - أم الفضل زوج العباس وهي لبابة بنت الحرث الهذلية أخت ميمونة - رضي الله عنها - ومن السابقات الى الإسلام أسماء بنت أبي بكر وأم جميل فاطمة بنت الخطاب اخت عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وعنها وام أيمن ، بل ينبغي ان تكون سابقة على أم الفضل .

بيان من أسلم بدعاية ابي بكر رضي الله عنه

ولما أسلم ابو بكر الصديق - رضي الله عنه - دعا الى الله فأسلم بدعائه خلق كثير

منهم عثمان بن عفان - رضي الله عنه - قال عثمان - رضي الله عنه : أخبرتني خالتي سعدى بنت كريز الصحابية العبشمية - رضي الله عنها - ان الله أرسل محمداًﷺ وحثتني على اتباعه وكان لي مجلس من الصديق - رضي الله عنه - فجئته فأصبته وحده وصرت متفكراً ، فسألني عن تفكري فأخبرته بما سمعت من خالتي فحثني ابو بكر - رضي الله عنه - ورغبني في الإسلام قال : فما كان بأسرع من أن مرّ رسول اللهﷺ ومعه علي - رضي الله عنه - يحمل له ثوباً فقام أبو بكر - رضي الله عنه - فسار النبيﷺ فقعد ثم أقبل عليّ فقال : أجب الله تعالى الى جنته فاني رسول الله اليك وإلى جميع خلقه ، قال : فما تمالكت حين سمعته أن قلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . ثم لم ألبث ان زوّجني رقية - رضي الله عنها - وكانت من أجمل خلق الله وكان عثمان - رضي الله عنه - كذلك وكان يتمنى التزوج بها من قبل . قال - رضي الله عنه - كنت بفناء الكعبة فقيل أنكح محمد عتبة ابن أبي لهب بنته رقية فدخلتني حسرة أن لا أكون سبقت اليها ، فانصرفت الى منزلي فوجدت خالتي سعدى بنت كريز فأخبرتني ان الله أرسل محمداًﷺ . وذكر قصة إسلامه ، ثم لم ألبث ان تزوجت رقية أي بعد ان فارقها عتبة قبل أن يدخل بها ، كما يأتي . ثم بعد أن توفيت تزوّج بأختها أم كلثوم ولذا لقب بذي النورين ولم يعرف أحد تزوّج بنتي نبي غيره - رضي الله عنه - وكان يختم القرآن كل ليلة في الوتر . وقالﷺ في حقه : لكل نبي رفيق في الجنة ورفيقي فيها عثمان بن عفان ولما أسلم عثمان - رضي الله عنه - أخذه عمه الحكم بن أبي العاص بن أمية والد مروان فأوثقه كتافاً . وقال : ترغب عن ملة آبائك الى دين محمد ، والله لا أحلك أبداً حتى تدع ما أنت عليه . فقال عثمان : والله لا أدعه ولا أفارقه . فلما رأى الحكم صلابته في الحق تركه ، وقيل عذبه بالدخان ليرجع ، فما رجع . وقيل ان المعذب بالدخان الزبير - رضي الله عنه - ليرجع عن الإسلام ولا مانع من تعداد ذلك .

وممن أسلم بدعاية أبي بكر - رضي الله عنه - الزبير بن العوّام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وهو ابن ثمان سنين أو اثنتي عشرة سنة وكان عمه يؤذيه ويدخن عليه بالنار ويقول : ارجع فيقول لا أكفر أبداً .

وأسلم بدعاية أبي بكر - رضي الله عنه - أيضاً عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحرث ابن زهرة ، وكان اسمه قبل الإسلام عبد الكعبة فسماه النبيﷺ عبد الرحمن قال : وكان أمية بن خلف صديقاً لي فقال لي يوماً : أرغبت عن اسم سماك به أبواك ؟ فقلت : نعم

فقال : أنا لا أعرف الرحمن ولكن اسميك بعبد الإله فكان يناديني بذلك .

وسبب إسلام عبد الرحمن ابن عوف الزهري المذكور - رضي الله عنه - ما حدث به قال : سافرت الى اليمن غير مرة وكنت إذا قدمت نزلت على عسكلان بن عواكن الحميري ، فكان يسألني : هل ظهر فيكم رجل له نبأ له ذكر ؟ هل خالف أحد منكم عليكم في دينكم ؟ فأقول : لا حتى كانت السنة التي بعث فيها رسول الله ﷺ ولا علم لي بذلك ، قدمت اليمن فنزلت عليه الى آخر القصة المتقدم ذكرها في أخبار الكهان التي ليست على ألسنة الجان . وفي آخرها : فلما قدمت مكة لقيت ابا بكر - رضي الله عنه - وأخبرته الخبر فقال : هذا محمد قد بعثه الله فأته فلما أتيت بيت خديجة - رضي الله عنها - رآني رسول الله ﷺ فضحك وقال لي : أرى وجهاً خليقاً أن أرجو له خيراً فما وراءك ؟ قلت : وديعة . فقال : أرسلك مرسل برسالة هاتها . فأخبرته وأسلمت فقال : أخو حمير مؤمن مصدق بي وما شاهدني اولئك من اخواني حقاً . وعن علي - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لعبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - أنت أمين في أهل الأرض أمين في أهل السماء ، وهو من العشرة المبشرين بالجنة وجاء وصفه بالصادق الصالح البار .

وممن أسلم بدعاية أبي بكر - رضي الله عنه - أيضا سعد بن أبي وقاص الزهري ، أحد العشرة المبشرين بالجنة - رضي الله عنه - لقيه أبو بكر - رضي الله عنه - فدعاه الى الإسلام ورغبه فيه وحثه عليه ، فأتى النبي ﷺ وسأله عن أمره فأخبره به فأسلم ، وكان عمره تسع عشرة سنة وهو من بني زهرة . ومن ثم قال ﷺ وقد أقبل عليه سعد : هذا خالي فليرني امرؤ خاله . وفي كلام السهيلي : أنه عم آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ وكرهت أمه إسلامه ، وكان باراً بها فقالت : ألست تزعم أن الله يأمرك بصلة الرحم وبر الوالدين ؟ قال فقلت : نعم . فقالت : والله لا أكلت طعاماً ولا شربت شراباً حتى تكفر بما جاء به محمد وتمس أسافاً ونائلة ، وكانوا يفتحون فاها أعني أم سعد في مدة حلفها ثم يلقون فيه الطعام والشراب ، فأبى أن يمتثل قولها . وفيه أنزل الله تعالى : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حسناً وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما ﴾ الآية . وفي رواية : انها مكثت يوماً وليلة لا تأكل ولا تشرب فأصبحت وقد جهدت ثم مكثت يوماً وليلة لا تأكل ولا تشرب . قال سعد ، فلما رأيت ذلك قلت لها : تعلمين والله يا أمه لو كان لك مائة نفس تخرج نفساً نفساً ما تركت دين محمد فكلي ان شئت أو لا تأكلي ، فلما رأت ذلك

أكلت . وفي الانساب للبلاذري عن سعد ـ رضي الله عنه ـ قال : أخبرت أمي اني كنت اصلي العصر يعني الركعتين اللتين كانوا يصلونها بالعشي فجئت فوجدتها على بابها تصيح : ألا اعوان يعينوني عليه من عشيرتي أو عشيرته فأحبسه وأطبق عليه بابه حتى يموت أو يدع هذا الدين المحدث ، فرجعت من حيث جئت وقلت : لا أعود إليك ولا أقرب منزلك ، فهجرتها حيناً ثم أرسلت إلي ان عد إلى منزلك ولا تتضيفن الناس فيلزمنا عار ، فرجعت الى منزلي . فمرة تلقاني بالبشر ومرة تلقاني بالشرّ وتعيرني بأخي عامر وتقول : هو البر لا يفارق دينه ولا يكون تابعاً . فلما أسلم عامر لقي منها ما لم يلق أحد من الصياح والأذى ، حتى هاجر الى الحبشة ، ولقد جئت يوماً والناس مجتمعون على أمي وعلى أخي عامر فقلت : ما شأن الناس ؟ فقالوا : هذه أمك قد أخذت اخاك عامراً وهي تعطي الله عهداً الا يظلها نخل ولا تأكل طعاماً ولا تشرب شراباً حتى يدع صبأته . فقلت لها : والله يا أمه لا تستظلين ولا تأكلين ولا تشربين حتى تتبوئي مقعدك من النار .

وممن أسلم بدعاية أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ أيضاً طلحة بن عبيد الله التميمي ـ رضي الله عنه ـ أحد العشرة المبشرين بالجنة ، لقيه ابو بكر ـ رضي الله عنه ـ فدعاه الى الله تعالى ورغبه في الإسلام ، فلما استجاب له أخذه فجاء به الى النبيﷺ . وله قصة كانت هي السبب الأول في اسلامه ـ رضي الله عنه ـ قال : حضرت سوق بصرى فاذا راهب في صومعته يقول : سلوا أهل هذا الموسم هل ثم من أهل الحرم أحد ؟ فقلت : نعم أنا قال : هل ظهر احمد ؟ قلت ومن أحمد ؟ قال : ابن عبد الله بن عبد المطلب ، وهذا شهره الذي يخرج فيه ، وهو آخر الأنبياء مخرجه من الحرم ومهاجره الى أرض ذات نخل وسباخ فإياك أن تسبق اليه . قال طلحة : فوقع في قلبي ما قال فخرجت سريعاً حتى قدمت مكة فقلت.: هل كان من حدث ؟ قالوا : نعم . محمد بن عبد الله الأمين يدعو الى الله تعالى وقد تبعه ابن ابي قحافة ، فخرجت حتى دخلت على ابي بكر ـ رضي الله عنه ـ فأجزته بما قال الراهب فخرج ابو بكر ـ رضي الله عنه ـ حتى دخل على رسول اللهﷺ فأخبره بذلك فسر به فأسلمت . ولما تظاهر ابو بكر وطلحة ـ رضي الله عنهما ـ بالاسلام اخذهما نوفل بن العدوية وكان يدعى اسد قريش ، فشدهما في حبل يريد أن يفتننا ويرجعا عن الإسلام ولم يمنعهما بنو تيم ، ولذلك سمي أبو بكر وطلحة القرينين ولشدّة ابن العدوية وقوّة شكيمته ، كانﷺ يقول : اللهم اكفنا شر ابن العدوية ، وقد شارك طلحة رجل آخر في اسمه واسم ابيه وقبيلته وهو طلحة بن عبيد الله

التيمي ، فالأول أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وهذا ليس كذلك ، وهو الذي نزل فيه قوله تعالى : ﴿ وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا أزواجه من بعده ابدا ﴾ قال : لئن مات محمد رسول الله ﷺ لأتزوّجن عائشة ـ رضي الله عنها ـ وفي لفظ : يتزوج محمد بنات عمنا ويحجبهن عنا لئن مات لاتزوجن عائشة من بعده فنزلت الآية . قال الحافظ السيوطي : وقد كنت في وقفة شديدة من صحة هذا الخبر لأن طلحة أحد العشرة أجلّ مقاماً أن يصدر عنه ذلك ، حتى رأيت انه رجل آخر شاركه في اسمه واسم ابيه ونسبه. نقله عنه الحلبي في السيرة والحاصل : أنه أسلم على يد أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ ومن العشرة المبشرين بالجنة خمسة وهم : عثمان وطلحة بن عبيد الله ويقال له طلحة الفياض ، وطلحة الجواد ، والزبير بن العوّام ، وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله عنهم ـ وزاد بعضهم سادساً وهو أبو عبيدة عامر بن الجراح . وكان كل من ابي بكر وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بزّازاً وكان الزبير جزاراً وكان سعد بن أبي وقاص يصنع النبل ، ثم دخل الناس في الإسلام أرسالاً من الرجال والنساء .

ومن السابقين الى الإسلام سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي أحد العشرة المبشرين وامرأته فاطمة بنت الخطاب بن نفيل أخت عمر ـ رضي الله عنه ـ فهي ثانية النساء إسلاماً وقيل الثانية أم الفضل لبابة بنت الحرث الهلالية زوج العباس ـ رضي الله عنهما ـ ومن السابقات اسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ وأما عائشة ـ رضي الله عنها ـ فما ولدت الا بعد البعثة . ومن السابقين عبيدة بن الحرث بن المطلب بن عبد مناف المستشهد يوم بدر ، ومنهم ابو سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي زوج أم سلمة قبل النبي ﷺ أسلم بعد تسعة أنفس وقيل هو الحادي عشر ، ومنهم عثمان بن مظعون الجمحي وأخواه قدامة وعبد الله والأرقم بن أبي الأرقم المخزومي وهو الذي ينسب اليه دار الأرقم .

ومن السابقين الى الإسلام عبد الله بن مسعود الهذلي ـ رضي الله عنه ـ وسبب إسلامه ما حدث به قال : كنت في غنم لآل عقبة بن ابي معيط فجاء رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ فقال النبي ﷺ : هل عندك من لبن ؟ فقلت : نعم ، ولكني مؤتمن . قال : هل عندك من شاة لم ينز عليها الفحل ؟ قلت : نعم . فأتيته بشاة شصوص وهي التي لاضرع لها وقيل لا لبن لها فمسح النبي ﷺ مكان الضرع فإذا ضرع حافل مملوء لبناً فأتيت النبي ﷺ بصخرة منقورة . فاحتلب النبي ﷺ فسقى أبا بكر وسقاني ، ثم شرب ثم قال للضرع : اقلص فرجع كما كان والى ذلك أشار السبكي في تائيته بقوله :

ورب عنـاق ما نـزا الفحـل فوقها   مسحـت عليهـا باليمـين فدرت

فلما رأى ابن مسعود هذا من رسول الله ﷺ أسلم وقال : يا رسـول الله علمنـي فمسح رأسه وقال : بارك الله فيك فانك غلام معلم . وكان ﷺ يكرم عبد الله بن مسعود ويدنيه ولا يحجبه ، فلذلك كان كثير الولوج عليه ﷺ وكان يمشي أمامـه ﷺ ويستره إذا اغتسل ،ويوقظه إذا نام ، ويلبسه نعليه إذا قام . فإذا جلس أدخلهما في ذراعيه ولذلك كان مشهوراً عند الصحابة أيضاً بأنه صاحب سرّ رسول الله ﷺ وبشره ﷺ بالجنة . وقال : رضيت لأمتي ما رضي لها ابن أم عبد وسخطت لها ما سخط لها ابن أم عبد .

ومن السابقين الى الإسلام ابو ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ واسمه جندب بن جنادة بضم الجيم فيهما وسبب إسلامه ما حدث به ، قال : صليت قبل أن ألقي النبي ﷺ ثلاث سنين لله أتوجه حيث يوجهني ربي فبلغنا أن رجلاً خرج بمكة يزعم انه نبي فقلت لأخي أنيس : انطلق الى هذا الرجل فكلمه وأتني بخبره . فلما رجع أنيس قلت له : ما عندك ؟ قال : والله رأيت رجلاً يأمر بخير وينهى عن شر ويزعم ان الله أرسله ورأيته يأمر بمكارم الاخلاق قلت : فما يقول الناس فيه ؟ قال : يقولون شاعر كاهن ساحر . والله انه لصادق وانهم لكاذبون فقلت : أكفني حتى أذهب فانظر؟ قال : نعم . وكن على حذر من أهل مكة فحملت جراباً وعصا حتى أقبلت وأتيت مكة فجعلت لا أعرفه وأكره ان أسأل عنه ، فمكثت في المسجد ثلاثين ليلة ويوماً وما كان لي طعام إلا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطني وما وجدت عليّ شحنة جوع والشحنة بالتحريك حرارة يجدها الإنسـان من جوع . ففي ليلة لم يطف بالبيت أحد ، وإذا برسول الله ﷺ جاء فطاف بالبيت ثم صلى ، فلما تمت صلاته أتيته فقلت : السلام عليك يا رسول الله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فرأيت الاستبشار في وجهه ثم قال : من الرجل ؟ فقلت : من غفـار بكسر المعجمة . قال ؟ متى كنت ؟ قال كنت هنا من ثلاثين بين يوم وليلة . قال : فمن كان يطعمك ؟ قلت : ما كان لي من طعام إلا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطني وما أجد على بطني شحنة جوع . قال : مبارك انها طعام طعم باشفاء سقم ماء زمزم لما شرب له ان شربته لتشفى شفاك الله وان شربته لتشبع أشبعك الله وان شربته لتقطع ظمأك قطعه الله ، وهي همزة جبريل وسقاية الله اسمعيل وجاء التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق . وجاء آية ما بيننا وبين المنافقين انهم لا يتضلعون من ماء زمزم .

وجاء أن أبا ذرّ أول من قال لرسول الله ﷺ : السلام عليك التي هي تحية الإسلام فهو أول من حيا رسول الله ﷺ بتحية الإسلام وبايع رسول الله ﷺ على أن لا تأخذه في الله لومة لائم ،وعلى ان يقول الحق ولو كان مراً . ومن ثم قال رسول الله ﷺ ما أظلت الخضراء اي السماء ولا أقلت الغبراء أي الأرض أصدق من أبي ذرّ - رضي الله عنه - وقال ﷺ في حقه : أبو ذر يمشي في الأرض على زهد عيسى ابن مريم - عليه السلام - وفي الحديث : أبو ذرّ زاهد أمتي وأصدقها وقد هاجر أبو ذر - رضي الله عنه - الى الشام بعد وفاة ابي بكر - رضي الله عنه - واستمر بها الى أن ولي عثمان - رضي الله عنه - فاستقدمه من الشام لشكوى معاوية - رضي الله عنه - وأسكنه الربذة فكان بها حتى مات . وذلك ان أبا ذر صار يغلظ القول لمعاوية ويكلمه بالكلام الخشن . وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - ان لقيا أبي ذر - رضي الله عنه - لرسول الله ﷺ كانت بدلالة علي - رضي الله عنه - وأنه قال له ما أقدمك هذا البلد ؟ فقال له أبو ذر : إن كتمت علي أخبرتك . وفي رواية : أعطيتني عهداً وميثاقاً أن ترشدني أخبرتك ففعل ، قال أبو ذر : فأخبرته فأرشدني وأوصلني إلى رسول الله وأسلمت .

وفي رواية : أن علياً - رضي الله عنه - استضافه أبو ذر - رضي الله عنه - ثلاثة أيام لا يسأله عن شيء وهو لا يخبره ، ثم في الثالث قال له : ما امرك وما أقدمك هذه البلدة ؟ قال : ان كتمت علي اخبرتك . قال : فاني افعل . قال له : بلغنا أنه خرج ههنا رجل يزعم أنه نبي فأرسلت اليه اخي ليكلمه فرجع ولم يشفني من الخبر فأردت أن ألقاه . فقال : أما أنك قد رشدت هذا وجهي اي خروجي اليه فاتبعني ادخل حيث أدخل ، فان رأيت احداً اخافه عليك قمت الى الحائط كأني أصلح نعلي . وفي رواية : كأني أريق الماء فامض أنت . قال ابو ذر : فمضى ومضيت حتى دخل ودخلت معه على النبي ﷺ فقلت له : اعرض عليّ الإسلام فاعرضه فأسلمت مكاني الحديث . ثم إن أبا بكر قال : يا رسول الله ائذن لي في طعامه الليلة . قال ابو ذر - رضي الله عنه - فانطلق رسول الله ﷺ وأبو بكر - رضي الله عنه - فانطلقت معهما ففتح أبو بكر - رضي الله عنه - باباً فجعل يفيض لنا من زبيب الطائف فكان ذلك أول طعام اكلته اي من الزبيب ، فلا ينافي اضافة علي - رضي الله عنه - له ، ويمكن التوفيق بين رواية دخوله على النبي ﷺ مع علي - رضي الله عنه - فأسلم ورواية اجتماعه به في الطواف فأسلم بأن يكون أبو ذرّ دخل عليه اولاً مع علي ثم لقيه في الطواف ، ويكون المراد حينئذ باسلامه الثاني الثبات عليه بتكرير الشهادتين وعذره في عدم اجتماعه به في المسجد مدة ثلاثين يوماً عدم خلو المطاف كما يرشد له قوله . ففي ليلة لم

يطفْ بالبيت أحد الخ . والا فيبعد ان يكونﷺ لم يدخل المسجد للطواف في مدة ثلاثين يوماً وقوله : من الرجل زيادة في الاستفهام عنه لطول المدة ولان لقيه كان بالليل ، وهو يظن أنه قد سافر ولم يمكث هذه المدة .

وفي رواية : أنهﷺ قال لأبي ذر : اكتم هذا الأمر وارجع الى قومك فأخبرهم يأتوني ، فاذا بلغك ظهورنا فأقبل . قلت : والذي بعثك بالحق لأصرخن بهذا بين ظهرانيهم . قال : وكنت في الإسلام خامساً .

وفي رواية : رابعاً أي من الاعزاب فلا ينافي زيادة من أسلم غيره على خمسة . قال ابو ذر : فلما اجتمعت قريش في المسجد ناديت بأعلى صوتي : أشهد أن محمداً رسول الله فقالوا : قوموا الى هذا الصابي فمال عليّ أهل الوادي بكل مدرة وعظم حتى خررت مغشياً علي ، فأكب علي العباس وقال : ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار وان طريق تجارتكم عليهم ؟ فخلوا عني . قال فجئت زمزم فغسلت عني الدماء فلما أصبحت الغداة رجعت الى مثل ذلك فصنع بي مثل ما صنع بالأمس ، وأدركني العباس وخلصني فخرجت . وأتيت أنيساً فقال : ما صنعت ؟ فقلت : قد أسلمت وصدقت . فقال : ما لي رغبة عن دينك فإني قد أسلمت وصدقت فأتينا أمنا فقالت : ما لي رغبة عن دينكما فاني اسلمت وصدقت ، فأتينا قومنا غفاراً فأسلم نصفهم وقال بعضهم : إذا قدم رسول اللهﷺ المدينة اسلمنا ، فلما جاء المدينة أسلم نصفهم الثاني لأنهﷺ قال لأبي ذر : اني قد وجهت الى أرض ذات نخل لا أراها الا يثرب فهل أنت مبلغ قومك عسى الله أن ينفعهم بك ويأجرك فيهم ؟ وقد ذكر ان أبا ذر ـ رضي الله عنه ـ وقف يوماً عند الكعبة في حجة حجها أو عمرة اعتمرها فاكتنفه الناس فقال لهم : لو أن أحدكم أراد سفراً أليس يعد زاداً ؟ فقالوا : بلى . فقال : سفر القيامة أبعد مما تريدون . فخذوا ما يصلحكم . فقالوا : وما يصلحنا ؟ قال : حجوا حجة لعظائم الأمور وصوموا يوماً شديداً حره ليوم النشور ، وصلوا في ظلمة الليل لوحشة القبور .

ومن السابقين للاسلام خالد بن سعيد بن العاص وهو أوّل من أسلم من إخوته ، فيحمل عليه قول ابنته أم خالد أوّل من اسلم ابي أي من إخوته ، وسبب إسلامه انه رأى في النوم النار ، ورأى من فظاعتها وأهوالها أمراً مهولاً ، ورأى انه على شفيرها ، وان أباه يريد ان يلقيه فيها ورأى رسول اللهﷺ آخذاً بحجزته يمنعه من الوقوع فيها . فقام من نومه فزعاً وعلم أن نجاته من النار تكون على يد رسول اللهﷺ . فأتى ابا بكر ـ رضي الله عنه ـ

فذكر له ذلك فقال له أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ أريد بك خير ، هذا رسول الله ﷺ فاتبعه فأتاه فقال : يا محمد ما تدعو اليه ؟ قال : ادعو الى الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وتخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ، فأسلم خالد . وفي الوفاء للسيد السمهودي عن ام خالد بنت خالد بن سعيد أنها قالت : كان خالد ابن سعيد ذات ليلة نائماً قبل مبعث رسول الله ﷺ فقال : رأيت كأنه غشيت مكة ظلمة حتى لا يبصر امرؤ كفه فبينا هو كذلك إذ خرج نور من زمزم ثم علا في السماء فأضاء في البيت ثم أصاب مكة كلها ، ثم تحوّل الى يثرب فأصابها حتى إني لأنظر الى البسر في النخل فاستيقظت فقصصتها على اخي عمرو بن سعيد وكان جزل الرأي فقال : يا أخي ان هذا الأمر في بني عبد المطلب ألا ترى انه خرج من حفر ابيهم ؟ ثم انه ذكر ذلك لرسول الله ﷺ بعد مبعثه فقال : يا خالد أنا ذلك النور وانا رسول الله . وقص عليه ما بعثه الله به فأسلم خالد ، وعلم بذلك ابوه وهو سعيد أبو أحيحة وكان من عظماء قريش ، وكان إذا اعتم لم يعتم قرشي إعظاماً له ومن ثم قال فيه القائل :

ابا أحيحة من يعتم عمته يوماً وان كان ذا مال وذا عدد

وعند إسلام ولده خالد أرسل في طلبه فانتهره وضربه بمقرعة كانت في يده حتى كسرها على رأسه ، ثم قال : اتبعت محمداً وانت ترى خلافه لقومه وما جاء به من عيب آلهتهم ، وعيب من مضى من آبائهم ؟ فقال : والله تبعته على ما جاء به . فغضب ابوه وقال : اذهب يا لكع حيث شئت وقال : والله لأمنعنك القوت قال : ان منعتني فالله يرزقني ما اعيش به . فأخرجه وقال لبنيه ولم يكونوا أسلموا : لا يكلمه أحد منكم إلا صنعت به مثله ، فانصرف خالد الى رسول الله ﷺ ، فكان يلزمه ويعيش معه ويغيب عن ابيه في نواحي مكة حتى خرج أصحاب رسول الله ﷺ الى أرض الحبشة في الهجرة الثانية . فكان خالد أوّل من خرج اليها وذكر عن والده سعيد انه مرض فقال : ان رفعني الله من مرضي هذا لا يعبد إله ابن أبي كبشة بمكة . فقال خالد عند ذلك : اللهم لا ترفعه . فتوفي في مرضه ذلك . وخالد هذا أوّل من كتب بسم الله الرحمن الرحيم وأسلم أخوه عمرو بن سعيد بن العاص . قيل : وسبب اسلامه انه رأى نوراً خرج من زمزم أضاءت منه نخيل المدينة حتى رأى البسر فيها . فقص رؤياه . فقيل له هذه بئر بني عبد المطلب وهذا النور منهم يكون . فكان سبباً لإسلامه وتقدم قريباً ان هذه الرؤية وقعت لأخيه خالد وكانت

سبباً لإسلامه وانه قصها على اخيه عمر ، والمذكور فهو من خلط بعض الرواة الا ان يقال لا مانع من تعدد هذه الرؤية لخالد ولأخيه عمرو ، وانها كانت سبباً لإسلامهما وأسلم من بني سعيد أبان بن سعيد والحكم بن سعيد الذي سماه رسول الله ﷺ عبد الله .

ومن السابقين للاسلام صهيب ـ رضي الله عنه ـ كان أبوه عاملاً لكسرى ، فأغارت الروم فسبت صهيباً وهو غلام صغير ، فنشأ في الروم حتى كبر ثم ابتاعه جماعة من العرب وجاؤوا به الى سوق عكاظ فابتاعه منهم عبد الله بن جدعان . فلما بعث رسول الله ﷺ مر صهيب على دار رسول الله ﷺ فرأى عمار بن ياسر فقال عمار بن ياسر : اين تريد يا صهيب ؟ قال : أريد أن ادخل على محمد فأسمع كلامه وما يدعو اليه . قال عمار : وانا اريد ذلك فدخلا على رسول الله فأمرهما بالجلوس فجلسا : وعرض عليهما الاسلام وقرأ عليهما من القرآن فتشهّدا ، ثم مكثا عنده يومهما حتى أمسيا ثم خرجا مستخفيين فدخل عمار على امه وأبيه فسألاه أين كان ؟ فأخبرهما باسلامه وعرض عليهما الاسلام وقرأ عليهما ما حفظ من القرآن ، فأعجبهما فأسلما على يده . وكان إسلام صهيب وعمار تكملة بضع وثلاثين رجلاً .

ومن السابقين للاسلام حصين والد عمران بن حصين ـ رضي الله عنهما ـ وكان إسلامه بعد إسلام ابنه عمران وسبب اسلامه أن قريشاً جاءت اليه وكانت تعظمه وتجله فقالوا له : كلم لنا هذا الرجل فانه يذكر آلهتنا ويسبها فجاؤوا معه حتى جلسوا قريباً من باب النبي ﷺ ، فدخل حصين فلما رآه النبي ﷺ قال : أوسعوا للشيخ وعمران ولده مع الصحابة . فقال حصين : ما هذا الذي بلغنا عنك ؟ أنك تشتم آلهتنا وتذكرها . فقال : يا حصين كم تعبد من إلّه ؟ قال : سبعة في الأرض وواحد في السماء . قال : فاذا أصابك الضر من تدعو ؟ قال : الذي في السماء . قال : فإذا أهلك المال ؟ قال : الذي في السماء . قال يستجيب لك وحده وتشرك معه أأرضيته في الشرك يا حصين ؟ أسلم تسلم . فأسلم فقام اليه ولده عمران فقبّل رأسه ويديه ورجليه . فبكى رسول الله ﷺ وقال : بكيت من صنع عمران دخل حصين وهو كافر فلم يقم اليه عمران ولم يلتفت ناحيته ، فلما أسلم وفى بحقه فدخلني من ذلك الرقة فلما أراد حصين الخروج قال رسول الله ﷺ لأصحابه : شيعوه الى منزله . فلما خرج من سدّة الباب اي عتبته رأته قريش فقالوا : قد صبا وتفرقوا عنه .

ولما دخل الناس في الإسلام أرسالاً أي جماعات متتابعين من الرجال والنساء أمر الله رسوله ان يصدع بالحق ويواجه المشركين بالجهر بالقرآن في الصلاة ، وأنزل عليه : ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ فشق ذلك عليهم ، وكانوا قبل ذلك لم يبعدوا منه ولم يردّوا عليه ، بل كانوا كما قال الزهري غير منكرين لما يقول ، وكان إذا مر عليهم في مجالسهم يقولون : هذا ابن عبد المطلب يكلم من السماء . واستمروا على ذلك حتى ذكر آلهتهم وعابها ، وذلك انه دخل عليهم المسجد فنهاهم وقال : أبطلتم دين أبيكم ابراهيم ؟ فقالوا انما نسجد لها لتقربنا الى الله . فلم يرض بذلك منهم وعاب صنعهم ، وكان ذلك في سنة اربع من النبوّة ، وقيل في سنة خمس فأجمعوا على خلافه وعداوته إلا من عصم الله منهم بالإسلام ، وهم قليل مستخفون وحدب بكسر الدال اي عطف عليه عمه ابو طالب وقام دونه حاجزاً بينه وبينهم فاشتد الأمر وتضارب القوم واظهر بعضهم لبعض العداوة وأخذوا يعذبون من أسلم ويفتنونهم عن دينهم ، ومنع الله رسوله ﷺ بعمه أبي طالب وبني هاشم بن عبد مناف ما عدا أبا لهب منهم ، وبني المطلب بن عبد مناف اخي هاشم وكانوا معهم بطلب من أبي طالب بخلاف بني اخويهم نوفل وعبد شمس ابني عبد مناف ، فانهم كانوا من أشد الناس عليه ﷺ .

قال ابن اسحق : كان ﷺ يدعو الناس خفية بعد نزول يأيها المدثر ثلاث سنين فكان من أسلم إذا أراد الصلاة اي صلاة الركعتين بالغداة وبالعشي يذهب الى بعض الشعاب يستخفي بصلاته من المشركين . فبينما سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - في نفر من اصحاب رسول الله ﷺ في شعب من شعاب مكة ، اذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم . فضرب سعد بن ابي وقاص - رضي الله عنه - رجلاً منهم بلحى بعير فشجه فهو أوّل دم اهريق في الاسلام ، ثم ظهرت العداوة بعد ذلك بينهم ، واشتد الأمر فدخل رسول الله ﷺ هو وأصحابه مستخفين في دار الأرقم المعروفة الآن بدار الخيزران ، لأن المنصور لما اشترى الدار المذكورة وهبها لولده المهدي العباسي فوهبها المهدي المذكور لجاريته الخيزران ، وهي أم ولديه موسى الهادي وهرون الرشيد ، فوقفتها مسجداً وقد روت الخيزران عن زوجها المهدي عن أبيه المنصور عن جده عن ابن عباس - رضي الله عنهما - من اتقى الله وفاه كل شيء فكان ﷺ وأصحابه يقيمون الصلاة بدار الأرقم ويعبدون الله تعالى . واختلفوا في مدة استخفائه فقيل اربع سنين وقيل أقاموا في تلك الدار شهراً فقطوهم تسعة وثلاثون وخرجوا بعد أن كملوا أربعين

باسلام عمر وحمزة ـ رضي الله عنهما ـ

ولما نزل عليه ﷺ : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ وهم بنو هاشم وبنو المطلب وبنو عبد شمس وبنو نوفل أولاد عبد مناف ، اشتد ذلك على النبي ﷺ وضاق به ذرعاً اي عجز عن احتماله فمكث ﷺ نحو شهر جالساً في بيته ظن عماته أنه شاك ، اي مريض ، فدخلن عليه عائدات فقال : ما اشتكيت شيئاً لكن الله امرني بقوله : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ فأريد أن أجمع بني عبد المطلب لأدعوهم الى الله فقلن له :ادعهم ولا تجعل عبد العزى فيهم يعنون عمه ابا لهب ، قيل : كني بأبي لهب لشدة احمرار خديه فانه غير مجيبك الى ما تدعو اليه . وخرجن من عنده فلما أصبح رسول الله ﷺ بعث الى بني عبد المطلب فحضروا وكان فيهم أبو لهب ، فلما أخبرهم ﷺ بما أنزل الله عليه أسمعه أبو لهب ما يكره فقال : تباً لك ألهذا جمعتنا ؟ وأخذ حجراً ليرميه به . وقال : ما رأيت أحداً جاء بني أبيه وقومه بأشر مما جئتهم به ، فسكت رسول الله ﷺ ولم يتكلم في ذلك المجلس . قيل : إن أبا لهب ظن في أول الأمر انه ﷺ يريد أن ينزع عما يكرهون الى ما يحبون . فقال : هؤلاء عمومتك فتكلم بما تريد ، واترك الصبأة واعلم انه ليس للعرب بقولك طاقة ، وأن أحق من أخذك وحبسك أسرتك وبنو أبيك ان أقمت على أمرك فهو أيسر عليك من أن تثب عليك بطون قريش وتمدها العرب ، فما رأيت يا ابن أخي أحدا قط جاء بني أبيه وقومه بأشر مما جئتهم به . فلما سمع مقالة النبي ﷺ قال : تباً لك ألهذا جمعتها ؟ فأنزل الله ﴿ تبت يد أبي لهب وتب ﴾ بمعنى خسرت وهلكت يداه ،والمراد جملته عبر عنها باليدين مجازاً ، ولما سمع ابو لهب تبت يدا ابي لهب وتب قال : ان كان ما يقول محمد حقاً افتديت منه بمالي وولدي ، فنزل : ﴿ ما أغنى عنه ماله وما كسب ﴾ ومن جملة ما كسب الولد ، الى آخر السورة . وفي رواية الصحيحين : أنه ﷺ دعا قريشاً فاجتمعوا فخص وعم فقال : يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني مرة بن كعب انقذوا انفسكم من النار ، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني زهرة أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار ، يا صفية عمة محمد أنقذي نفسك من النار ، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً . وفي لفظ لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيباً إلا أن تقولوا لا إلّه إلا الله ، اي لا تبقوا على الكفر اتكالاً على القرابة . فهو حث لهم على الإسلام وصالح الأعمال وترك الاتكال .

قال بعضهم : ان ذكر فاطمة ـ رضي الله عنها ـ هنا من خلط الرواة بدليل قوله إلا أن تقولوا لا إله إلا الله . وانما ذكرت في حديث آخر وقع بالمدينة جمع فيه الزوجات والبنات وقال لهن : لا أغني عنكن من الله شيئاً حثاً لهن على صالح الأعمال . ثم مكث ﷺ أياماً ونزل عليه جبريل ـ عليه السلام ـ وأمره بامضاء أمر الله تعالى . فجمعهم رسول الله ﷺ ثانياً وخطبهم ثم قال لهم : إن الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم ، والله الذي لا إله إلا هو اني لرسول الله اليكم خاصة وإلى الناس كافة ، والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون . ولتجزون بالإحسان إحساناً وبالسوء سوءاً وإنها لجنة أبداً ، ولنار أبداً يا بني عبد المطلب ما أعلم شابا جاء قومه بأفضل مما جئتكم به إني قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة ، فتكلم القوم كلاماً ليناً غير أبي لهب فانه قال : يا بني عبد المطلب هذه والله السوأة خذوا على يديه اي اقبضوه وامنعوه عن هذا الأمر بحبس او غيره قبل أن يأخذ على يده غيركم ، فان التمسوه حينئذ ذللتم وان منعتموه قتلتم . فقالت له اخته صفية عمة رسول الله ﷺ ـ رضي الله عنها ـ وهي أم الزبير ـ رضي الله عنه ـ أي أخي ايحسن بك خذلان ابن أخيك ؟ فوالله ما زال العلماء يخبرون انه يخرج من ضئضىء اي أصل عبد المطلب نبي فهو هو قال أبو لهب : هذا والله الباطل والأماني وكلام النساء في الحجال ، فإذا قامت بطون قريش وقامت العرب معها فما قوتنا بهم ، فوالله ما نحن عندهم إلا أكلة رأس .

فقال ابو طالب : والله لنمنعنه ما بقينا ثم دعا النبي ﷺ جميع قريش وهو قائم على الصفا ، وقال : أن اخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم أكنتم تكذبوني ؟ قالوا : والله ما جربنا عليك كذباً . فقال : يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أغني عنكم من الله شيئاً إني لكم نذير مبين بين يدي عذاب شديد . وفي رواية : ان مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدوّ فانطلق يريد أهله أن يسبقوه الى أهله فجعل يهتف . يا صباحاه يا صباحاه أتيتم اتيتم ، انا النذير العريان اي الذي ظهر صدقه من قولهم عري الأمر إذا ظهر وقيل : الذي جرده العدوّ فأقبل عرياناً ينذر بالعدوّ فانه لا يتهم بخلاف الذي لم يجرد فانه قد يتهم والمعنى انا النذير الذي لا اتهم . وفي رواية : انه وقف على الصفا . وفي أخرى : علي أبي قبيس . وفي أخرى على أضمة من جبل فعلا أعلاها حجراً يهتف يا صباحاه قالوا : من هذا الذي يهتف ؟ قالوا : محمد فاجتمعوا اليه . قال

ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يأتي أرسل رسولاً الحديث . وفي رواية : صاح يا آل عبد مناف أني نذير . وفي أخرى : جمع بني عبد المطلب في دار أبي طالب وهم أربعون . وفي رواية : خمسة واربعون وامرأتان فصنع لهم طعاماً وهي شاة مع مدّ من البر وصاع من اللبن فقدمت لهم الجفنة . وقال : كلواً باسم الله فأكلوا حتى شبعوا وشربوا حتى نهلوا أي رووا . وفي رواية : قال ادنو عشرة عشرة فدنا القوم عشرة عشرة ثم تناول العقب الذي فيه اللبن فجرع منهم ثم ناولهم ، وكان الرجل منهم يأكل الجذعة ويشرب العس من الشراب في مقعد واحد فلما رأوا كفاية ذلك الطعام القليل والشراب لهم بهتوا وقهرهم ذلك فلما أراد رسول الله ﷺ يتكلم بدره أبو لهب بالكلام فقال : لقد سحركم صاحبكم سحراً عظيماً .

وفي رواية : سحركم محمد . وفي رواية ما رأينا كالسحر اليوم فتفرقوا ولم يتكلم رسول الله ﷺ فلما كان الغد قال : يا علي عد لنا بمثل ما صنعت بالأمس من الطعام والشراب . قال علي ـ رضي الله عنه ـ ففعلت ثم جمعتهم له فأكلوا حتى شبعو وشربوا حتى نهلوا فقال لهم : يا بني عبد المطلب ان الله قد بعثني الى الخلق كافة وبعثني اليكم خاصة . فقال : ﴿ وأنذر عشيرتك الاقربين ﴾ وأنا أدعوكم الى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فمن يجيبني الى هذا الأمر ويؤازرني اي يعاونني على القيام به ؟ قال علي ـ رضي الله عنه ـ أنا يا رسول الله وكان أحدثهم سناً وسكت القوم ، قال : اجلس ثم أعاد القول على القوم ثانياً فصمتوا فقام علي وقال : انا يا رسول الله فقال : اجلس . ثم أعاد القول على القوم ثالثاً فلم يجبه أحد منهم فقام علي وقال : أنا يا رسول الله . قال : اجلس فأنت أخي . قال الإمام ابو العباس بن تيمية زاد في الحديث بعض أهل الضلال زيادات لا أصل لها وهي كذب باطل قالوا ، قال : فمن يجيبني الى هذا الأمر يكن أخي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي فقام علي الخ . وزادوا في آخر الحديث ، قال : اجلس ، فأنت أخي ووزيري ووصيي ووارثي وخليفتي من بعدي ، فتلك الزيادات كلها كذب من افتراء الرافضة الذين يريدون الطعن على أهل السنة والقدح في خلافة الخلفاء ، قبل علي رضي الله عنه ـ وفي رواية :عن علي ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ أمر خديجة فصنعت طعاماً ثم قال : ادع لي بني عبد المطلب فدعوت أربعين رجلاً الحديث ، ولا مانع من تكرر فعل ذلك ويجوز ان يكون علي فعل ذلك عند خديجة ـ رضي الله

عنهما ـ وجاء به الى بيت ابي طالب ولعل جمعهم هذا كان متأخراً عن جمعهم المتقدم ذكره ويشهد له السياق ،وإنما فعلﷺ ذلك حرصاً على إسلام أهل بيته . فلما دعا قومه ولم يردّوا عليه ولم يجيبوه صار كفار قريش غير منكرين لما يقول فكان إذا أمر عليهم في مجالسهم يشيرون اليه ان غلام بني عبد المطلب ليكلم من السماء ، وكان ذلك دأبهم حتى عاب آلهتهم وسفه عقولهم وضلل آباءهم فتناكروه وأجمعوا على خلافه وعداوته . وجاؤوا الى أبي طالب وقالوا : يا أبا طالب ان ابن اخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه احلامنا اي عقولنا ، ينسبنا الى قلة العقل ، وضلل آباءنا فاما ان تكفه عنا واما ان تخلي بيننا وبينه ، فانك على مثل ما نحن عليه من خلافة فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً وردهم رداً جميلاً فانصرفوا عنه . ومضى رسول اللهﷺ يظهر دين الله ويدعو اليه لا يرده عن ذلك شيء وإلى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله :

ثم قام النبي يدعو الى الله وفي الكفر نجدة وإباء
أمما أشربت قلوبهم الكفر فداء الضلال فيهم عياء

ثم كثر الشر وتزايد وانتشر بينه وبينهم حتى تباعدالرجال وتضاغنوا اي أضمروا العداوة والحقد واكثرت قريش ذكر رسول اللهﷺ بينها وحض بعضهم بعضاً على حربه وعداوته ومقاطعته ، ثم مشوا الى أبي طالب مرة أخرى فقالوا : يا أبا طالب إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا وانا قد طلبنا منك ان تنهي ابن أخيك فلم تنهه عنا وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه احلامنا اي عقولنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا او ننازله واياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين . ثم انصرفوا عنه فعظم على ابي طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطب نفساً بأن يخذل رسول اللهﷺ فقال له : يا ابن أخي ان قومك جاؤوني فقالوا لي كذا وكذا فأبق علي وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق ، فظن رسول اللهﷺ أن عمه خاذله وانه ضعيف عن نصرته والقيام معه فقال . يا عم والله لو وضعواالشمس في يميني والقمر في يساري على أن أنزل عن هذا الأمر حتى يظهره الله تعالى أو أهلك فيه ما تركته . ثم استعبر رسول اللهﷺ أي حصلت له العبرة التي هي دمع العين فبكى ، ثم قام . فلما ولى ناداه أبو طالب فقال : اقبل ابن اخي فقل ما أحببت والله لا أسلمك ثم أنشأ يقول :

والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة وابشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتني وزعمت انك ناصحي ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت ديناً لا محالة انه من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتني سمحاً بذاك مبينا

وحكمة تخصيصه ﷺ الشمس والقمر بالذكر وجعل الشمس في اليمين والقمر في اليسار لا تخفى ، لأن الشمس النير الأعظم واليمين أليق به والقمر النير الممحو واليسار أليق به وخص النيرين حيث ضرب المثل بهما لأن الذي جاء به نور قال الله تعالى : ﴿ يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ﴾ فلما أن عرفت قريش ان ابا طالب غير خاذل رسول الله ﷺ مشوا اليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له : يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد انهد أي اشد وأقوى فتى في قريش واجمله ، فخذه لك ولداً بان تبناه ، وأسلم الينا ابن أخيك هذا الذي خالف دينه ودين آبائك وفرق جماعة قومك وسفه أحلامهم فنقتله . فقال لهم أبو طالب : بئس ما تسومونني أتعطوني ابنكم اغذوه لكم واعطيكم ابني تقتلونه . هذا والله لا يكون ابداً أرأيتم ناقة تحنّ الى غير فصيلها ؟ فقال المطعم بن عدي : والله يا أبا طالب لقد انصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكره فما أراك تريد أن تقبل شيئاً منهم .فقال له أبو طالب : والله ما أنصفوني ولكن قد أجمعت أي قصدت خذلاني ومظاهرة القوم أي معاونتهم علي فاصنع ما بدا لك . وعمارة بن الوليد هذا قد مات على كفره بأرض الحبشة بعد ان سحر وتوحش وسار في البراري والقفار ، ومات المطعم بن عدي على كفره أيضاً . فعند عدم قبول أبي طالب اشتد الأمر ولما رأى أبو طالب من قريش ما رأى دعا بني هاشم وبني المطلب الى ما هو عليه ، من منع رسول الله ﷺ والقيام دونه ، فأجابوه الى ذلك غير أبي لهب فكان من المجاهرين بالظلم لرسول الله ﷺ ، ولكل من آمن به . وتوالى الأذى من قريش على رسول الله ﷺ وعلى من أسلم معه .

فمما وقع لرسول الله ﷺ من الأذية ما حدث به عمه العباس ـ رضي الله عنه ـ قال كنت يوماً في المسجد فأقبل أبو جهل فقال : لله علي ان رأيت محمداً ساجداً أن أطأ عنقه . فخرجت الى رسول الله ﷺ فأخبرته بقول أبي جهل ، فخرج غضبان حتى دخل المسجد فعجل ان يدخل من الباب فاقتحم من الحائط وقرأ : اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق

الانسان من علق الى أن بلغ آخر السورة ، فسجد فقال انسان لأبي جهل : يا أبا الحكم هذا محمد قد سجد فأقبل اليه ثم نكص راجعاً فقيل له في ذلك فقال أبو جهل : ألا ترون ما أرى . وفي رواية : رأيت بيني وبينه خندقاً من نار وسيأتي ان قوله تعالى : ﴿ أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى ﴾ الى آخر السورة نزل في أبي جهل ومن ذلك ما حدث به بعضهم قال : ذكر لنا أن أبا جهل قال يوماً لقريش : ان محمد قد أتى الى ما ترون من عيب دينكم وشتم آلهتكم وتسفيه أحلامكم وسب آبائكم وإني أعاهد الله لأجلس له يعني النبي ﷺ غداً بحجر لا أطيق حمله ، فإذا سجد في صلاته رضخت به رأسه ، فأسلموني عند ذلك أو امنعوني فليصنع بي بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم . فقالوا : والله لا نسلمك لشيء أبداً فامض لما تريد . فلما أصبح أبو جهل أخذ حجراً كما وصف ثم جلس لرسول الله ﷺ ينتظره وغدا رسول الله ﷺ كما كان يغدو إلى الصلاة وكان يصلي بين الركن اليماني والحجر الاسود ، وقريش جلوس في انديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل ، فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل أبو جهل الحجر ، ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجل منهزماً منتقعاً لونه أي متغيراً بالصفرة مع الكدرة من الفزع قد يبست يداه على حجره حتى قذفه من يده بعد أن عالجوا فكه منها . فلم يقدروا . وقامت اليه رجال من قريش وقالوا : ما لك يا أبا الحكم ؟ قال : قمت اليه لأفعل ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض علي فحل من الابل ما رأيت مثله قط هم ان يقتلني فلما ذكر ذلك للنبي ﷺ قال : ذاك جبريل لو دنا لأخذه وإلى ذلك اشار صاحب الهمزية بقوله :

وأبـو جهـل إذ رأى عنـق الفحـ ـل اليه كأنـه العنقاء

وفي رواية : ان أبا جهل قال : رأيت بيني وبينه خندقاً من نار ولا مانع من وجود الأمرين معا . وذكروا في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ إنا جعلنا في اعناقهم أغلالاً فهي الى الأذقان فهم مقمحـون ﴾ أي رافعـون رؤوسهـم لا يستطيعـون خفضهـا من أقمح البعير رفع رأسه : ﴿ وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون ﴾ ان الآية الأولى نزلت في أبي جهل فانه لما حمل الحجر ليرضخ به رأس رسول الله ﷺ ورفعه اثبتت يداه الى عنقه ولزق الحجر بيده فلما عاد الى أصحابه اخبرهم فلم يفكوا الحجر من يده الا بعد تعب شديد . والآية الثانية نزلت في آخر لما رأى اي ما وقع لأبي جهل قال : أنا ألقي هذا الحجر عليه ، فذهب اليه فلما قرب منه عمي بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه . فرجع إليهم فأخبرهم بذلك . وعن الحكم بن أبي العاص وهو أبو مروان بن

الحكم ان ابنته قالت له : ما رأيت قوماً كانوا أسوأ رأياً واعجز في أمر رسول الله ﷺ منكم يا بني امية . فقال : لا تلومينا يا بنية إني لا أحدثك إلا ما رأيت . لقد أجمعنا ليلة على اغتياله فلما رأيناه يصلي ليلاً جئناه من خلفه فسمعنا صوتاً ظننا انه ما بقي بتهامة جبل إلا تفتت علينا أي ظننا انه يتفتت ويقع علينا فما علقنا حتى قضى صلاته ورجع الى اهله . ثم نواعدنا ليلة أخرى فلما جاء نهضنا اليه فرأينا الصفا والمروة التصقت إحداهما بالاخرى فحالتا بيننا وبينه ، وفي رواية : كان النبي ﷺ يصلي فجاءه أبو جهل فقال : ألم أنهك عن هذا فأنزل الله تعالى : ﴿ أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى ﴾ إلى آخر السورة .وفي رواية : انه ﷺ لما انصرف من صلاته زَبَرَه أبو جهل أي انتهزه وقال : أنك لتعلم ان ما بها أكثر نادياً مني فأنزل الله تعالى : ﴿ فليدع ناديه ، سندع الزبانية ﴾ قال ابن عباس - رضي الله عنهما - لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله . وقال يوماً للنبي ﷺ لقد علمت أني امنع أهل البطحاء وانا العزيز الكريم فأنزل الله فيه : ﴿ ذق انك انت العزيز الكريم ﴾ قال الواحدي : اي تقول له الزبانية عند تعذيبه في النار ما ذكر توبيخاً له .

ومن ذلك انه لما أنزل الله تعالى سورة تبت يدا أبي لهب ، جاءت امرأة ابي لهب وهي أم جميل قال بعضهم : الأولى بها ام قبيح واسمها العوزاء وقيل : أروى بنت حرب اخت ابي سفيان ولها ولولة وبيدها فهر أي حجر يملأ الكف ، فيه طول تدق به الهاون الى النبي ﷺ ومعه أبو بكر - رضي الله عنه - فلما رآها قال : يا رسول الله انها امرأة بذية أي تأتي بالفحش من القول ، فلو قمت كي لا تؤذيك فقال انها لن تراني . فجاءت فقالت : يا ابا بكر صاحبك هجاني . وفي لفظ ما شأن صاحبك ينشد في الشعر؟ قال : لا والله ما يقول الشعر أي ينشيه . وفي لفظ : لا ورب هذا البيت ما هجاك والله ما صاحبي شاعر اي لا يحسن انشاءه فقالت له : أنت عندي لصادق وانصرفت وهي تقول : قد علمت قريش اني بنت سيد تعني عبد مناف جد أبيها اي ومن كان عبد مناف أباه لا ينبغي لأحد ان يتجاسر على ذمه . قال ابو بكر - رضي الله عنه - قلت : يا رسول الله لم ترك ؟ قال : ولم يزل ملك يسترني بجناحيه . وفي رواية : انه ﷺ قال لأبي بكر : قل لها هل ترين عندي أحداً ؟ فسألها أبو بكر فقالت : أتهزأ بي والله ما أرى عندك أحداً . وفي رواية : انها جاءت وهو ﷺ في المسجد ومعه أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما - وفي يدها فهر فلما وقفت على النبي ﷺ أخذ الله على بصرها فلم تره ورأت أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما - فأقبلت على ابي بكر - رضي الله عنه - فقالت له أين صاحبك ؟ قال : وما تصنعين به ؟ قالت : بلغني

انه هجاني ، والله وجدته لضربت بهذا الحجر فمه . فقال عمر - رضي الله عنه - ويحك انه ليس بشاعر . فقالت : اني لا أكلمك يا ابن الخطاب لما تعلمه من شدّته ، ثم أقبلت على ابي بكر - رضي الله عنه - لما تعلمه من لينه فقالت : والثواقب اي النجوم انه لشاعر واني لشاعرة اي فكما هجاني لأهجونه ، وانصرفت . فقيل لرسول الله ﷺ : أنها لم ترك فقال : انها لن تراني جعل بيني وبينها حجاب اي لأنه قرأ قرآنا اعتصم به كما قال تعالى : ﴿ وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً ﴾ وفي رواية : أقبلت ومعها فهران وهي تقول : مذمماً أبينا ، ودينه قلينا ، وأمره عصينا ، فقلت : أين الذي هجاني وهجا زوجي ؟ والله لئن رأيته لأضربنه بهذين الفهرين . قال أبو بكر : يا أم جميل والله ما هجاك ولا هجا زوجك . قالت : والله ما أنت بكذاب وان الناس ليقولون ذلك . ثم ولت ذاهبة فقلت : يا رسول الله . انها لم ترك فقال النبي ﷺ : حال بيني وبينها جبريل ولعل مجيئها قد تكرر فلا منافاة بين الروايات ، وكما يقال في الحمد محمد يقال في الذم مذمم لأنه لا يقال ذلك إلا لمن ذم مرة بعد أخرى ، كما أن محمداً لا يقال إلا لمن حمد مرة بعد أخرى، وقد جاء انه ﷺ قال: نيف صرف الله عني شتم قريش ولعنهم يشتمون مذمماً ويلعنون مذمماً وانا محمد ؟

وفي الدر المنثور للجلال السيوطي : انها أتت رسول الله ﷺ وهو جالس في الملأ ، فقالت : يا محمد علام تهجوني ؟ قال : والله اني ما هجوتك ما هجاك إلا الله . قالت : أرأيتني أحمل حطباً أو رأيت في جيدي حبلاً من مسد ، وهذا يؤيد ما قاله بعض المفسرين إنّ الحطب عبارة عن النميمة ، يقال فلان يحطب عليّ اي ينم لانها كانت تمشي بين الناس بالنميمة وتغري زوجها وغيره بعداوته وان الحبل عبارة عن حبل من نار محكم . وعن عروة ابن الزبير ، مسد النار سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعاً والله أعلم وإلى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله :

وأعــدّت حمالــة الحطــب الفهــ ـــر وجـــاءت كأنهـــا الزرقاء
يوم جاءت غضبى تقول أفي مثـــ ـــلي من أحمـــد يقـــال الهجاء
وتولـــت ومـــا رأتـــه ومـــن أيـ ـــن ترى الشـــمس مقلـــة عمياء

وقيل : معنى كونها حمالة الحطب انها كانت تحمل الشوك والحسك وتطرحه في طريقه ﷺ ، ولا مانع من اجتماع الأوصاف فيها . وقوله : كأنها الورقاء : يعني انها جاءت وهي

في غاية السرعة والعجلة ، كأنها في شدة السرعة والعجلة ، الحمامة الشديدة الإسراع يروى انها لما بلغتها تبت يدا أبي لهب جاءت إلى أخيها ابي سفيان اي بناء على أنّ امرأة ابي لهب هي أروى بنت حرب كما تقدّم ، فدخلت في بيته وهي مضطرمة اي محترقة غضباً فقالت له : ويحك يا أحمس اي شجاع أما تغضب ان هجاني محمد ؟ فقال : سأكفيك إياه ثم أخذ سيفه وخرج ثم عاد سريعاً فقالت له : هل قتلته ؟ فقال لها يا أختي أيسرّك ان رأس أخيك في فم ثعبان ؟ قالت : لا والله فقال : كاد ذلك يكون الساعة أي فانه رأى ثعباناً لو قرب ابو سفيان من النبي ﷺ لا لتقم ذلك الثعبان رأسه ، ولما نزلت هذه السورة التي هي تبت يدا أبي لهب ، قال أبو لهب لابنه عتبة بصيغة التكبير وقد أسلم عام الفتح مع أخيه معتيب - رضي الله عنهما - رأسك من رأسي حرام ان لم تفارق ابنة محمد يعني رقية - رضي الله عنها - فانه كان تزوّجها ولم يدخل بها ففارقها وكان أخوها عتيبة بالتصغير متزوّجاً ابنته ﷺ أم كلثوم ولم يدخل بها أيضاً وكان نكاح المشرك للمسلمة غير ممنوع في صدر الإسلام ، ثم حرمه تعالى بقوله : ﴿ ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ﴾ وبقوله تعالى في صلح الحديبية : ﴿ فلا ترجعوهنّ الى الكفار ﴾ الآية فقال عتيبة وقد أراد الذهاب الى الشام : لآتين محمداً فلأوذينه في ربه ، فأتاه فقال : يا محمد هو كافر بالنجم ، وفي رواية : برب النجم إذا هوى وبالذي دنى فتدلى ، ثم بصق في وجه النبي ﷺ وردّ عليه ابنته اي طلقها . فقال النبي ﷺ : اللهم سلط . وفي رواية : ابعث عليه كلباً من كلابك ، وكان أبو طالب حاضراً فوجم لها أبو طالب وقال : ما أغناك يا ابن أخي عن هذه الدعوة فرجع عتيبة الى أبيه فأخبره بذلك .

ثم خرج هو وأبوه الى الشام في جماعة فنزلوا منزلاً فأشرف عليهم راهب من دير فقال لهم : ان هذه الأرض مسبعة . فقال ابو لهب لأصحابه : إنكم قد عرفتم نسبي وحقي فقالوا : أجل يا أبا لهب فقال : اعينونا يا معشر قريش هذه الليلة ، فإني أخاف على ابني دعوة محمد ، فأجمعوا متاعكم الى هذه الصومعة ثم افرشوا لابني عليه ، ثم افرشوا لكم حوله ففعلوا ، ثم جمعوا جمالهم وأناخوها وأحدقوها بعتيبة فجاء الأسد يتشمم وجوههم ، حتى ضرب عتيبة فقتله . وفي رواية : فضخ رأسه . وفي رواية : ثنى ذنبه ووثب وضربه بذنبه ضربة واحدة فخدشه فمات مكانه . وفي رواية : فضغمه ضغمة كانت إياها فقال وهو بآخر رمق : ألم اقل لكم ان محمداً أصدق الناس لهجة ، ومات

فقال ابوه : قد عرفت والله ما كان لينفلت من دعوة محمدﷺ والأسد يسمى كلباً في اللغة .

ومما وقع للنبيﷺ من الأذية ما حدث به عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : كنا مع رسول اللهﷺ في المسجد وهو يصلي وقد نحر بعض الناس جزوراً ، وبقي فرثه اي روثه وكرشه فقال ابو جهل : الا رجل يقوم الى هذا القدر يلقيه على محمد ؟ وفي رواية : ألا تنظرون الى هذا المرائي أيكم يقوم الى جزور بني فلان فيعمد الى فرثها ودمها وسلاها فيجيء به ، ثم يمهله حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه ؟ وفي رواية : أيكم يأخذ سلا جزور بني فلان لجزور ذبحت من يومين أو ثلاثة فيضعه بين كتفيه إذا سجد ؟ فقام شخص من المشركين . وفي لفظ : أشقى القوم وهو عقبة بن أبي معيط ، وجاء بذلك الفرث فألقاه على النبيﷺ وهو ساجد فضحكوا وجعل بعضهم يميل الى بعض من شدة الضحك . قال ابن مسعود - رضي الله عنه - فهبنا اي خفنا أن نلقيه عنه . وفي لفظ : وأنا قائم ، انظر لو كانت لي منعة لطرحته عن ظهر رسول اللهﷺ حتى جاءت فاطمة - رضي الله عنها - بعد أن ذهب اليها انسان وأخبرها بذلك واستمرﷺ ساجداً حتى ألقته عنه واستمراره عند من يقول بنجاسة ذلك لعدم علمه بنجاسة الموضوع ، ولما ألقته أقبلت عليهم تشتمهم فقامﷺ فسمعته يقول وهو قائم يصلي اللهم اشدد وطأتك اي عقابك الشديد على مضر ، اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف ، اللهم عليك بأبي الحكم ابن هشام يعني أبا جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وعقبة بن أبي معيط وعمارة بن الوليد وأمية بن خلف .

وفي رواية : فلما قضى صلاتهﷺ قال : اللهم عليك بقريش ثم سمى اللهم عليك بعمرو بن هشام الى آخر ما تقدم . وفي رواية : فلما قضى صلاته رفع يديه ثم دعا عليهم وكان إذا دعى دعا ثلاثاً ، قال : اللهم عليك بقريش ، اللهم عليك بقريش ، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وهابوا دعوته ثم قال : اللهم عليك بأبي جهل بن هشام الحديث . قال ابن مسعود : والله لقد رأيتهم . وفي رواية : لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر ، ثم سحبوا إلى القليب ، قليب بدر والمراد أنه رأى اكثرهم لأن عمارة بن الوليد مات بأرض الحبشة كافراً مسجوراً مجنوناً ، وعقبة بن أبي معيط أخذ اسيراً يوم بدر . وقتل بعرق الظبية وأمية بن خلف قتل يوم بدر ولكنه لم يطرح في القليب ، بل أهالوا التراب عليه في مكانه لانتفاخه وتقطعه ، ولا مانع أن يكون النبي ذكر هذا الدعاء

وأتى به وهو قائم يصلي . وبعد الفراغ من الصلاة فلا منافاة . والمراد بسني يوسف القحط والجدب فاستجاب الله دعاءه فأصابتهم سنة أكلوا فيها الجيف والجلود والعظام والعلهز ، وهو الوبر والدم اي يخلط بالدم بأوبار الإبل ويشوى على النار وصار الواحد منهم يرى ما بينه وبين السماء كالدخان من الجوع ، وجاءه ﷺ جمع من المشركين فيهم ابو سفيان ، وقالوا : يا محمد انك تزعم أنك بعثت رحمة وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم ، فدعا رسول الله ﷺ فسقوا الغيث فأطبقت السماء عليهم سبعاً فشكى الناس كثرة المطر ، فقال : اللهم حوالينا ولا علينا فانحدرت السحابة ، وجاء انهم قالوا : ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون اي لا نعود لما كنا فيه ، فلما كشف عنهم عادوا . وقال بعضهم : ان هذا إنما كان بعد الهجرة ، لأنه ﷺ مكث شهراً إذا رفع رأسه من ركوع الركعة الثانية من صلاة الفجر بعد قوله سمع الله لمن حمده يقول : اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين بمكة ، اللهم اشدد وطأتك على مضر ، اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف ، وربما فعل ذلك بعد رفعه من الركعة الأخيرة من العشاء . قال البيهقي : قد روي في قصة ابي سفيان ما دل على ان ذلك كان بعد الهجرة ولعله كان مرتين ، مرة قبل الهجرة ومرة بعدها لصحة كل من الروايتين . وفي البخاري لما استعصت قريش على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف فبقيت السماء سبع سنين لا تمطر. وفي رواية ، في البخاري أيضاً : لما أبطئوا على النبي ﷺ بالاسلام قال : اللهم اكفنيهم بسبع سنين كسبع يوسف فأصابتهم سنة حصت كل شيء . وفي رواية : اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف ، فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام ، فجعل الرجل ينظر الى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد ، فأنزل الله تعالى : ﴿ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم ﴾ فأتى أبو سفيان رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله استسق لمضر فانها قد هلكت ، فدعا لهم ﷺ فسقوا فلما أصابتهم الرفاهية عادوا الى حالهم ، فأنزل الله : ﴿ يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون ﴾ يعني يوم بدر .

ومن ذلك ما حدث به عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ قال : كان رسول الله ﷺ يطوف بالبيت ويده على يد أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وفي الحجر ثلاثة نفر جلوس : عقبة ابن أبي معيط وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف ، فمر رسول الله ﷺ فلما حاذاهم أسمعوه بعض ما يكره فعرف ذلك في وجه النبي ﷺ ، فدنوت منه ووسطته اي جعلته وسطاً فكان

بيني وبين أبي بكر فأدخل أصابعه في أصابعي وطفنا ، فلما حاذاهم قال ابو جهل : والله لا نصالحك ما بل بحر صوفة وأنت تنهى ان نعبد ما يعبد آباؤنا فقال رسول الله ﷺ : أنا على ذلك ، مشى عنهم فصنعوا به في الشوط الثالث مثل ذلك حتى إذا كان الشوط الرابع قاموا له ﷺ ووثب أبو جهل يريد أن يأخذ بمجامع ثوبه ، فدفعت في صدره فوقع على استه ، ودفع ابو بكر أمية ودفع رسول الله ﷺ عقبة بن أبي معيط ثم انفرجوا عن رسول الله ﷺ وهو واقف ، ثم قال : أما والله لا تنتبهون حتى يحل عليكم عقابه ، أي ينزل عليكم عاجلاً .

قال عثمان ـ رضي الله عنه ـ فوالله ما منهم رجل إلا وقد أخذته الرعدة ، فجعل رسول الله ﷺ يقول : بئس القوم أنتم لنبيكم . ثم انصرف الى بيته وتبعناه حتى انتهى الى باب بيته ، ثم أقبل علينا بوجهه فقال : أبشروا فان الله عز وجل مظهر دينه ومتمم كلمته وناصر نبيّه . أن هؤلاء ترون من يذبح منهم على أيديكم عاجلاً . ثم انصرفنا الى بيوتنا فوالله لقد ذبحهم الله بأيدينا يوم بدر أي بأيدي الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ يوم بدر بالنظر الى غالبهم ،فلا ينافي كون عثمان ـ رضي الله عنه ـ تأخر بالمدينة لأجل مرض رقية بنت رسول الله ﷺ ولازمها الى أن توفيت فهو معدود من أهل بدر لأنه في حاجة الله ورسوله ﷺ ؛ ولا ينافي أيضاً كون عقبة بن ابي معيط حمل أسيراً من بدر وقتل بعرق الظبية صبراً اي ضربت عنقه بعد حبسه وهم راجعون من بدر . وجاء أيضاً أن عقبة بن أبي معيط وطىء على رقبته الشريفة ﷺ حتى كادت عيناه تبرزان . وفي رواية : دخل عقبة بن ابي معيط الحجر فوجده ﷺ يصلي فوضع ثوبه على عنقه ﷺ وخنقه خنقاً شديداً فأقبل أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله ﷺ وقال : أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم . وفي البخاري ، عن عروة بن الزبير ـ رضي الله عنه قال : قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول الله ، قال : بينا رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكبه رسول الله ﷺ ، ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً ، فأقبل أبو بكر وأخذ بمنكبيه ودفع عن رسول الله . وفي رواية ، قال : ما رأيت قريشاً أصابت من عداوة أحد ما أصابت من عداوة رسول الله ﷺ ، ولقد حضرتهم يوماً وقد اجتمع ساداتهم وكبراؤهم في الحجر فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا : ما صبرنا لأمر قط كصبرنا لأمر هذا الرجل ، ولقد سفه أحلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا . لقد صبرنا منه على أمر عظيم ، فبيناهم كذلك إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ فأقبل يمشي حتى استلم

الركن ثم مرّ طائفاً بالبيت فلما مر عليهم لمزوه ببعض القول .

فعرفنا ذلك في وجهه ، ثم مر بهم الثانية فلمزوه بمثلها . فعرفنا ذلك في وجهه . ثم مر بهم الثالثة فوقف عليهم وقال : أتسمعون يا معشر قريش أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح فارتعبوا لكلمته تلك ، وما بقي رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع فصاروا يقولون : يا أبا القاسم انصرف فوالله ما كنت جهولاً ، فانصرف رسول الله ﷺ . فلما كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغه منكم وما بلغكم منه حتى إذا ناداكم بما تكرهون تركتموه ، فبينا هم كذلك إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ فتواثبوا اليه وثبة رجل واحد ، وأحاطوا به وهم يقولون أنت الذي تقول كذا وكذا يعنون عيب آلهتهم ودينهم ؟ فقال : نعم أنا الذي أقول ذلك . فأخذ رجل منهم بمجمع ردائه ﷺ فقام أبو بكر - رضي الله عنه - وهو يبكي ويقول : أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ؟ فأطلقه الرجل ووقعت الهيبة في قلوبهم وانصرفوا ، فذلك أشدّ ما رأيتهم نالوا من رسول الله ﷺ . وفي رواية : قالوا ألست تقول في آلهتنا كذا وكذا ؟ قال : بلى ، فتشبثوا به بأجمعهم فأتى الصريخ الى أبي بكر - رضي الله عنه - فقيل له : أدركْ صاحبك فخرج أبو بكر - رضي الله عنه - حتى دخل المسجد فوجد رسول الله ﷺ والناس مجتمعون عليه فقال : ويلكم أتقتلون رجلاً ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ؟ فكفوا عن رسول الله ﷺ وأقبلوا على أبي بكر - رضي الله عنه - يضربونه . وقالت بنته أسماء - رضي الله عنها - فرجع إلينا فجعل لا يمس شيئاً من غدائره إلا أجابه ، وهو يقول : تباركت يا ذا الجلال والإكرام . وجاء انهم مرة اجتمعوا عليه ﷺ وجذبوا رأسه الشريف ولحيته حتى سقط أكثر شعره ، فقام أبو بكر دونه وهو يبكي ويقول : أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : دعهم يا أبا بكر فوالذي نفسي بيده إني بعثت اليهم بالذبح فانفرجوا عنه .

وعن فاطمة - رضي الله عنها - بنت النبي ﷺ قالت : اجتمع مشركو قريش في الحجر يوماً فقالوا : إذا مرّ محمد فليضربه كل منا بسيفه ضربة فنقتله ، فسمعتهم فدخلت على أبي وأنا أبكي فقلت له : تركت الملأ من قريش قد تعاقدوا في الحجر فحلفوا باللات والعزى ومنات وأساف ونائلة إذا هم رأوك يقومون اليك فيضربونك بأسيافهم فيقتلونك ، فقال : يا بنية اسكتي . وفي لفظ : لا تبكي . ثم خرج بعد أن توضأ فدخل عليهم المسجد فرفعوا رؤوسهم ثم نكسوا فأخذ قبضة من تراب فرمى بها نحوهم ثم قال : شاهت الوجوه

فما رجل منهم أصابه ذلك الا قتل ببدر .

وكان بجواره ﷺ جماعة يؤذونه منهم أبو لهب والحكم بن أبي العاص وأمية والد مروان وعقبة بن ابي معيط فكانوا يطرحون عليه الأذى في داره ، فإذا طرحوا عليه أخذه وخرج به ووقف به على بابه ويقول : يا بني عبد مناف أي جوار هذا ثم يلقيه . ولم يسلم منهم إلا الحكم وكان في إسلامه شيء . ونفاه النبي ﷺ الى الطائف وأشار صاحب الهمزية إلى أن هذه الأذايا ليست منقصة له ﷺ ، بل هي مما تزيده رفعة وهي دليل على فخامة قدره وعلو مرتبته وعظم رفعته ومكانته عند ربه ، لكثرة صبره واحتماله مع علمه باستجابة دعائه ونفوذ كلمته عند الله تعالى ، وقد قال ﷺ : أشد الناس بلاء الأنبياء وذلك سنة من سنن النبيين السابقين صلى الله عليه وعليهم أجمعين بقوله :

لا تخل جانب النبي مضاماً حين مسته منهم الأسواء

كل أمر ناب النبيين فالشدّة فيه محمودة والرخاء

لو يمس النضار هون من النار لما اختير للنضار الصلاء

ومما وقع لأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ من الأذية ما ذكره بعضهم كما في السيرة الحلبية أن رسول الله ﷺ لما دخل دار الأرقم ليعبد الله هو ومن معه من أصحابه سراً أي كما تقدم ، وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً الحّ أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ في الظهور أي الخروج الى المسجد ، فقال له النبي ﷺ : يا أبا بكر إنا قليل ، فلم يزل به حتى خرج رسول الله ﷺ ومن معه من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وقام أبو بكر في الناس خطيباً ورسول الله ﷺ جالس ، ودعا الى الله ورسوله فهو أول خطيب دعا الى الله تعالى فثار المشركون على أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وعلى المسلمين يضربونهم فضربوهم ضرباً شديداً ووطىء أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ بالأرجل وضرب ضرباً شديداً وصار عتبة بن ربيعة لعنه الله يضرب أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ بنعلين مخصوفتين اي مطبقتين ويحرفهما الى وجهه حتى صار لا يعرف أنفه من وجهه ، فجاءت بنو تيم يتعادون فأجلت المشركين عن أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ الى أن أدخلوه منزله ولا يشكون في موته اي ثم رجعوا فدخلوا المسجد فقالوا : والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة .

ثم رجعوا الى أبي بكر وصار والده ابو قحافة وبنو تميم يكلمونه فلا يجيب ، حتى إذا كان آخر النهار تكلم وقال : ما فعل رسول الله ﷺ فعذلوه فصار يكرّر ذلك ، فقالت أمه : والله ما لي علم بصاحبك . فقال : اذهبي الى أم جميل بنت الخطاب اخت عمر ـ رضي الله عنه ـ أي فانها كانت أسلمت وهي تخفي اسلامها فاسأليها عنه ، فخرجت اليها

وقالت لها : إن أبا بكر يسأل عن محمد بن عبد الله فقالت : لا أعرف محمداً ولا أبا بكر . ثم قالت لها : تريدين أن أخرج معك : قالت : نعم . فخرجت معها الى أن جاءت أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ فوجدته صريعاً فصاحت وقالت : ان قوماً نالوا هذا منك لأهل فسق وإني لأرجو ان ينتقم الله منهم ، فقال لها أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ ما فعل رسول الله ﷺ ؟ فقالت له : هذه أمك تسمع . قال : فلا عين عليك منها انها لا تفشي سرك . قالت : سالم . قال : أين هو؟ قالت في دار الأرقم . فقال : والله لا أذوق طعاماً ولا أشرب شراباً أو آتي رسول الله ﷺ . قالت أمه : فأمهلناه حتى إذا هدأت الرجل وسكن الناس خرجنا به يتكىء علي ، حتى دخل على رسول الله ﷺ فرق له رقة شديدة وأكبَّ عليه يقبله المسلمون كذلك ؟ فقال : بأبي انت وأمي يا رسول الله ما بي من بأس إلا ما نال الناس من وجهي ، وهذه أمي برة بولدها فعسى الله أن يستنقذها بك من النار . فدعا لها رسول الله ﷺ ودعاها الى الإسلام فأسلمت .

وذكر الزمخشري في كتاب خصائص العشرة ان هذه الواقعة حصلت لأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ لما أسلم وأخبر قريشاً بإسلامه فليتأمل فان تعدد الواقعة بعيد ، ومما وقع لعبد الله ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ من الأذية أن أصحاب رسول الله ﷺ اجتمعوا يوماً فقالوا : والله ما سمعت قريش القرآن جهراً من رسول الله ﷺ ، فمن منكم يسمعهم القرآن جهراً ؟ فقال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنا . فقالوا : نخشى عليك منهم انما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم ، فقال : دعوني فان الله سيمنعني منهم ثم انه قام عند المقام وقت طلوع الشمس وقريش في أنديتهم فقال : بسم الله الرحمن الرحيم رافعاً صوته : الرحمن علم القرآن واستمر فيها فقالوا : ما بال ابن أم عبد ؟ فقال بعضهم : يتلو بعض ما جاء به محمد ﷺ ، ثم قاموا اليه يضربون وجهه وهو مستمر في قراءتها حتى قرأ غالب السورة ، ثم انصرف الى أصحابه وقد أدمت قريش وجهه فقال له اصحابه : هذا الذي خشينا عليك منه . فقال : والله ما رأيت اعداء الله أهون علي مثل اليوم ولو شئتم لأتيتهم بمثله غداً . قالوا : لا قد أسمعتهم ما يكرهون .

ومما وقع له ﷺ من الأذية انه كان إذا قرأ القرآن تقف له جماعة عن يمينه وجماعة عن يساره ويصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالأشعار ، لأنهم تواصوا بذلك وقالوا : لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه حتى كان من أراد منهم سماع القرآن أتى خفية واسترق السمع خوفاً منهم ، ومما وقع له ﷺ من الأذية ما كان سبباً لإسلام عمه حمزة ـ رضي الله عنه ـ وهو ما حدّث به ابن اسحق قال : حدثني رجل من أسلم أن أبا جهل مر برسول الله ﷺ

عند الصفا وقيل عند الحجون فأذاه وشمته ونال منه ما يكرهه وقيل : انه صب التراب على رأسه وألقى عليه فرثاً ووطىء برجله على عاتقه فلم يكلمه رسول الله ﷺ وهناك مولاة لعبد الله بن جدعان في مسكن لها تسمع ذلك وتبصره ثم انصرف أبو جهل الى نادي قريش أي محل تحدثهم في المسجد ، فجلس معهم فلم يلبس حمزة أن أقبل متوشحاً بسيفه راجعاً من قنصه أي من صيده ، وكان من عادته إذا رجع من قنصه لا يدخل إلى أهله إلا بعد أن يطوف بالبيت ، فمر على تلك المولاة فأخبرته الخبر فقالت له : يا أبا عمارة وهي كنية لحمزة - رضي الله عنه - ويكنى أيضاً بأبي يعلى ، ولو رأيت ما لقي ابن أخيك محمداً آنفاً من أبي الحكم بن هشام تعني أبا جهل ، وجده ههنا جالساً فأذاه وسبه وبلغ منه ما يكره ، ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد . وقيل : التي أخبرته مولاة أخته صفية بنت عبد المطلب قالت له : أنه صب التراب على رأسه وألقى عليه فرثاً ووطىء برجله على عاتقه . فقال لها حمزة : أنت رأيت هذا الذي تقولين ؟ قالت نعم .

وفي رواية : لما رجع حمزة من صيده إذا امرأتان تمشيان خلفه فقالت إحداهم : لو علمت ماذا صنع أبو جهل بابن أخيه أقصر عن مشيته فالتفت اليها فقال : ما ذاك ؟ قالت : أبو جهل فعل بمحمد كذا وكذا ، ولا مانع من تعدد الأخبار من المرأتين والمولاتين ، فاحتمل حمزة الغضب ودخل المسجد فرأى أبا جهل جالساً في القوم فأقبل نحوه حتى قام على رأسه ورفع القوس وضربه فشجه شجة منكرة ، ثم قال : أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول ؟ فرد على ذلك ان استطعت . وفي لفظ أن حمزة لما قام على رأس أبي جهل بالقوس صار أبو جهل يتضرع اليه ويقول : سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آباءنا : فقال حمزة من أسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله أشهد ان لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله فقامت رجال من بني مخزوم عشيرة ابي جهل لينصروا أبا جهل فقالوا لحمزة : ما نراك إلا قد صبأت . فقال حمزة : وما يمنعني وقد استبان لي منه انه رسول الله والذي يقول حق والله لا أفزع فامنعوني إن كنتم صادقين . فقال لهم أبو جهل : دعوا أبا عمارة فإني والله قد أسمعت ابن أخيه شيئاً . وبقي حمزة على إسلامه بعد ان وسوس له الشيطان ، فقال لنفسه لما رجع الى بيته أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابىء وتركت دين آبائك الموت خير لك مما صنعت . ثم قال : اللهم إن كان رشداً فاجعل تصديقي في قلبي وإلا فاجعل لي مما وقعت مخرجاً . فبات بليلة لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان حتى اصبح الصباح فغدا الى رسول الله ﷺ فقال : يا ابن أخي وقعت في أمر لا أعرف المخرج منه ، وإقامة مثلي على ما لا أدري

أرشد هو أم غي شديدة . فأقبل عليه رسول الله ﷺ فذكره ووعظه وخوفه وبشره ، فألقى الله في قلبه الايمان بما قال رسول الله ﷺ فقال : أشهد أنك لصادق فأظهر يا أخي دينك فوالله ما أحب ان لي ما أظلته السماء وأنا على ديني الأوّل . وقد قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن هذه الواقعة سبب نزول قوله تعالى : ﴿ أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس ـ يعني حمزة ـ كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ﴾ يعني أبا جهل . وسر رسول الله ﷺ بإسلام حمزة سروراً كثيراً لأنه كان أعز فتى في قريش وأشدهم شكيمة أي اعظمهم في عزة النفس وشهامتها . ومن ثم لما عرفت قريش ان رسول الله ﷺ قد عز كفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه وأقبلوا على بعض أصحابه بالأذية سيما المستضعفين منهم الذي لا جوار لهم أي لا ناصر لهم ، فان كل قبيلة غدت على من أسلم منها تعذبه وتفتنه عن دينه بالحبس والضرب والجوع والعطش وغير ذلك . حتى ان الواحد منهم لا يقدر أن يستوى جالساً من شدة الضرب الذي به . وكان أبو جهل يحرضهم على ذلك وكان إذا سمع بان رجلاً أسلم له شرف ومنعة جاء اليه ووبخه وقال له : ليغلبن رأيك وليضعفن شرفك وان كان تاجراً قال: والله لتكسدن تجارتك أو يهلك مالك .وان كان ضعيفاً أغرى به حتى ان منهم من فتن عن دينه ورجع الى الشرك الحرث بن ربيعة بن الأسود ، وأبي القيس بن الوليد بن المغيرة ، وعلي بن أمية بن خلف ، والعاص بن منبه بن الحجاج ، وكل هؤلاء قتلوا على كفرهم يوم بدر ، ومنهم من ثبت على دينه كبلال وعمار وخباب وغيرهم ، وكان إسلام حمزة ـ رضي الله عنه ـ في السنة الثانية من النبوة على الصحيح وقيل في السنة السادسة ، وقال حمزة ـ رضي الله عنه ـ بعد أن أسلم :

حمدت الله حين هدى فؤادي ... إلى الإسلام والدين الحنيف
لدين جاء من ربّ عزيز ... خبير بالعباد بهم لطيف
إذا تليت رسائله علينا ... تحدر دمع ذي اللب الحصيف
رسائل جاء أحمد من هداها ... بآيات مبينة الحروف
وأحمد مصطفى فينا مطاع ... فلا تغشوه بالقول العنيف
فلا والله نسلمه لقوم ... ولما نقض فيهم بالسيوف
ونترك منهم قتلى بقاع ... عليها الطير كالورد العكوف
وقد خبرت ما صنعت ثقيف ... به فجزى القبائل من ثقيف

آلــه النــاس شرّ جزاء قوم ولا أسقاهــم صوب الخريف

وحين أسلم حمزة ـ رضي الله عنه ـ ورأى المشركون زيادة الصحابة اجتمع عتبة بن ربيعة وشيبة وأبو سفيان بن حرب ورجل من بني عبـد الـدار وابـو البحتـري والأسـود ابن المطلب وزمعة والوليد بن المغيرة وأبو جهل وعبد الله بن أبي أمية المخزومي وأمية بن خلف والعاص بن وائل ونبيه ومنبه ابنا الحجاج ، فأتوا منزل أبي طالب وسألوه أن يحضر لهم رسول الله ﷺ وأن يأمرهم بإزالة شكواهم وان يجيبهـم الى أمـر فيه الألفـة والصـلاح ، فأحضره وقال : يا ابن أخي هذا الملأ من قومـك شكواهم أي ازل شكواهم وتـألفهـم فقالوا : يا محمد ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقـد شتمت الآباء وعبت الدين وسفهت الأحلام وشتمت الآلهة فما من قبيح إلا وقد جلبته فيما بيننا وبينك ، فان كنت إنما جئت بهذا تطلب مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تطلب الشرف فينا فنحن نسودك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا ، وان كان هذا الأمر الذي يأتيك رئياً قد غلب عليك بذلنا أموالنا في طلب الطب أي العلاج لك حتى نبرئك منه أو نعذر . فقال لهم عليه الصلاة والسلام : ما بي ما تقولون ولكن الله بعثني اليكم رسولاً وأنزل علي كتاباً وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً ، فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم ، فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وان تردوا عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم . وفي رواية : اجتمع نفر من قريش يوماً فقالوا : انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه قالوا ما نعلم غير عتبة بن ربيعة . وفي رواية : ان عتبة قال يوماً وكان جالساً في نادي قريش والنبي ﷺ جالس في المسجد وحده :

يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها ، فنعطيه أيها شاء ويكف عنا . قالوا : بلى . فقام حتى جلس الى رسول الله ﷺ فقال : يا ابن أخي انك منا حيث قد علمت من السلطة في العشيرة والمكان في النسب وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به احلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم . وفي رواية : لقد فضحتنا في العرب حتى طار فيهم ان في قريش ساحراً وان في قريش كاهناً ما تريد إلا أن يقوم بعضنا لبعض بالسيوف حتى نتفانى ،

فاسمع أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل بعضها . فقالﷺ : قل يا أبا الوليد ، اسمع . قال : يا ابن أخي ان كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون اكثرنا مالاً ، وان كنت تريد شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا أي فيصير لك الأمر والنهي ، وان كان هذا الذي يأتيك رئياً من الجنّ يقرئك لا تستطيع ردّه عن نفسك ، طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، حتى إذا فرغ عتبة ورسول اللهﷺ يسمع منه ، قال له : أقد فرغت أبا الوليد ؟ قال : نعم . قال : فاسمع مني قال : أفعل قالﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم ، ﴿ حمۤ تنزيل من الرحمن الرحيم إلى قوله مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ فأمسك عتبة على فيه وناشده الرحم ان يكف ثم انتهى الى السجدة فسجد ، ثم قال : قد سمعت أبا الوليد فأنت وذاك ثم ان عتبة لم يرجع الى القوم ، بل ذهب الى داره فظنوا إسلامه فذهبوا اليه .

وفي رواية : رجع اليهم فقال لهم أبو جهل : أرى أبا الوليد رجع اليكم بوجه غير الذي ذهب به ثم قالوا : ما وراءك ؟ فقال : قد عرضت على محمد كذا وكذا فسمعت منه كلاماً ليس بشعر ولا سحر ولا كهانة ، وقد علمتم انه لا يكذب فخفت نزول العذاب عليكم فأطيعوني واعتزلوه فان يصبه غيركم كفيتموه وان ظهر فملكه ملككم وعزه عزكم . وفي رواية : فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ ، فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به . فقالوا : سحرك بلسانه والله يا أبا الوليد فقال : هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم . وفي رواية : لما أكثروا عليه حلف باللات والعزى لا يكلم محمداً أبداً . وفي رواية : ان عتبة لما قام من عند النبيﷺ أبعد عنهم ولم يعد اليهم ، فقال ابو جهل : والله يا معشر قريش ما أرى عتبة إلا قد صبأ الى محمد وأعجبه كلامه ، فانطلقوا بنا اليه فأتوه فقال أبو جهل : والله يا عتبة ما جئناك إلا أنك قد صبوت الى محمد واعجبك امره . فقص عليهم القصة وقال : والله الذي نصبها بنية يعني الكعبة ما فهمت شيئاً مما قال غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف وقد علمت أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب ، فخفت ان ينزل عليكم العذاب فقالوا له : ويلك يكلمك الرجل بالعربية ولا تدري ما قال ؟ فقال : والله ما هو بالشعر الخ ما تقدم فقالوا : والله سحرك يا أبا الوليد ؟ فقال : هذا رأيي فاصنعوا ما بدا لكم ولا مانع أن يكون القوم جاؤوه مرة مجتمعين وعرضوا عليه تلك الأشياء ، وأرسلوا له مرّة عتبة بن ربيعة وحده .

وفي رواية لابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن القوم لما عرضوا عليه الأشياء السابقة قالوا له أيضاً : فان كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت انه ليس أحد من الناس أضيق بلاداً ولا أقل مالاً ولا أشد عيشاً منا ، فسل ربك فليسير عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا وليجر فيها أنهاراً كالشام والعراق ، ويبعث لنا من مضى من آبائنا ، ويكون فيهم قصي ، فإنه كان شيخ صدق فنسألهم عما تقول أهو حق أم باطل ، وسله يبعث معك ملكاً يصدقك ويراجعنا عنك ويجعل لك جناناً وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة ، يغنيك بها عن المشي في الأسواق والتماس المعاش فان لم تفعل فأسقط السماء علينا كسفاً ـ كما زعمت ـ ان ربك ان شاء فعل ذلك فإنا لن نؤمن لك إلا أن يفعل ذلك. فقام رسول الله ﷺ عنهم وقالوا له مرة أيضاً : ارجع الى ديننا واعبد آلهتنا واترك ما أنت عليه ونحن نتكفل بكل ما تحتاج اليه في دنياك وآخرتك . وقالوا له مرة أيضاً ان تفعل فانا نعرض عليك خصلة واحدة ولك فيها صلاح قال : وما هي ؟ قالوا : تعبد آلهتنا اللات والعزى سنة ونعبد إلهك سنة فنشترك نحن وانت في الأمر فان كان الذي نعبده خيراً مما تعبده أنت كنت أخذت منه بحظك وإن كان الذي تعبده أنت خير مما كنا قد أخذنا منه بحظنا فقال لهم : حتى أنظر ما يأتيني من ربي فجاء الوحي بقوله تعالى : ﴿ قل يأيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين ﴾ وعن جعفر الصادق ـ رضي الله عنه ـ ان المشركين قالوا له : اعبد معنا آلهتنا يوماً نعبد معك إلهك عشرة واعبد معنا آلهتنا شهراً نعبد معك إلهك سنة . فنزلت اي : لا اعبد ما تعبدون يوماً ولا أنتم عابدون ما اعبد عشرة ولا أنا عابد ما عبدتم شهراً ولا أنتم عابدون ما أعبد سنة .

روي ذلك التقدير عن جعفر الصادق ـ رضي الله عنه ـ رداً على بعض الزنادقة حيث قالوا طعناً في القرآن : لو قال امرؤ القيس : قِفا نَبْكِ من ذكرى حبيب ومنزل . . . وكرر ذلك مرتين أو أكثر في نسق أما كان عيباً فكيف وقع في القرآن : قل يأيها الكافرون الخ السورة ، وهي مثل ذلك . وقوله : لكم دينكم ولي دين نسخ بآية القتال . وبقوله تعالى : ﴿ أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ﴾ . ولما قالوا للنبي ﷺ : ائت بقرآن غير هذا حين غاظهم ما في القرآن من ذم عبادة الأوثان والوعيد الشديد أنزل الله رداً عليهم : ﴿ ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل ﴾ الآيات . وأنزل الله أيضاً : ﴿ ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي ﴾ الآية . وجلس رسول الله ﷺ يوماً مجلساً

فيه ناس من وجوه قريش منهم أبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة . فقال لهم النبيﷺ : أليس حسناً ما جئت به ؟ فقالوا : بلى ، والله . وفي لفظ : هل ترون بما أقول بأساً ؟ فقالوا : لا . فجاء عبد الله بن أم مكتوم وهو ابن خال خديجة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ وكان رجلاً أعمى ، وهو ممن أسلم بمكة والنبيﷺ مشتغل بأولئك القوم ، وقد رأى منهم مؤانسة وطمع في إسلامهم فصار يقول : يا رسول الله علمني مما علمك الله وأكثر عليه فشق عليهﷺ ذلك فأعرض عن ابن أم مكتوم ولم يكلمه . وفي رواية : أشار الى قائد ابن أم مكتوم ان يكفه عنه حتى يفرغ من كلامه فكفه القائد فدفعه ابن أم مكتوم ، فعبسﷺ وأعرض عنه مقبلاً على من كان يكلمه فعاتبه الله في ذلك بقوله تعالى : ﴿ عبس وتولى أن جاءه الأعمى ﴾ الآيات فكان بعد ذلك إذا جاءه يقول : مرحباً بمن عاتبني الله فيه ويبسط له رداءه. وكان كفار قريش يقترحون على النبي ﷺ آيات كثيرة يريدون أن يأتيهم بها وكان ذلك منهم تعنتاً وعناداً . وكان النبيﷺ شديد الرغبة في إسلامهم رجاء أن يسلم الناس بإسلامهم . فكان يسأل الله تعالى ويتضرع اليه ففي إعطائهم ما يسألون واظهار تلك الآيات لهم وقد علم الله انها لو جاءتهم لا يؤمنون كما قال تعالى : ﴿ ولو أننا نزّلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ﴾ .

وكانت جرت عادة الله القديمة المستمرّة في خلقه ان اقوام الأنبياء إذا اقترحوا الآيات وجاءتهم ولم يؤمنوا يؤخذوا بعذاب الاستئصال . وكان في علم الله ان هذه الأمة لا تؤخذ بعذاب الاستئصال تشريفاً لها بنبيهاﷺ ، فكان تأخر تلك الآيات التي يقترحونها رحمة وشفقة بهم ان يؤخذوا بعذاب الاستئصال قال تعالى : ﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون ﴾ أي فأخذوا بعذاب الاستئصال فلو جاءت الآيات هؤلاء ولم يؤمنوا لأخذوا كما أخذ الأولون ثم ان منهم من هداه الله ومنهم من بقي على كفره . وبعض الآيات التي اقترحوها جاءتهم كانشقاق القمر ، وبعد ذلك منهم من آمن ومنهم من كفر ومما سألوه واقترحوه قولهم لهﷺ سل ربك يسير عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا ويبسط لنا بلادنا ويجري فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن فيمن بعث لنا قصي بن كلاب ، فانه كان شيخ صدق فنسأله عما تقول أحق هو أم باطل ؟ وفي رواية : فان صدقوك وصنعت ما سألناك صدقناك وعرفنا منزلتك من الله وأنه بعثك الينا رسولا كما تقول ، فقال لهمﷺ : ما بهذا بعثت لكم إنما جئتكم من الله بما بعثني به .

وقالوا له مرة : سل ربك يبعث معك ملكاً يصدقك فيما تقول ويراجعنا . وفي لفظ : قالوا له لم لا تنزل عليك الملائكة فتخبرنا بأن الله أرسلك فنؤمن حينئذ بك ؟ وقال آخر منهم : يا محمد لن نؤمن حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلاً واسأله أن يجعل لك جناناً وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك نبتغي ، فانك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش ، كما نلتمسه فلا بد أن يميز عنا حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك ان كنت رسولاً . وفي لفظ : قالوا إن محمداً يأكل الطعام كما نأكل نحن ويمشي في الأسواق ويلتمس المعاش كما نلتمسه نحن فلا يجوز أن يمتاز عنا بالنبوّة، ولما قالوا لهﷺ : سل ربك أن يبعث معك ملكاً ويجعل لك جناناً وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة . قال لهمﷺ : ما انا بالذي يسأل ربه هذا . يروى أن كثيراً من هذه الأشياء خاطبوه بها في آخر المجلس الذي كان مقبلاً عليهم فيه حين جاءه ابن أم مكتوم وأبدلوا اللين الذي كان منهم في أول المجلس بالغلظة فأيسﷺ حينئذ منهم وقام حزيناً أسفاً على ما فاته من هدايتهم التي طمع فيها .

وممن آذاهﷺ عبد الله بن أبي أمية المخزومي ، وكان ابن عمتهﷺ وهو أخو أم سلمة زوج النبيﷺ وأمه عاتكة بنت عبد المطلب ، وكان من أشد الناس عليه ، وهذا كله قبل إسلامه ثم أسلم - رضي الله عنه - عام الفتح واستشهد في غزوة الطائف . قال للنبيﷺ قبل أن يسلم : يا محمد قد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبل ثم سألوك اموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ، ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ، ثم سألوك أن تعجل عليهم بعض ما تخوفهم به من العذاب ، فلم تفعل والله لن نؤمن بك أبداً حتى نتخذ الى السماء سلماً ثم ترقى فيه وأنا أنظر اليك حتى تأتيها ، ثم تأتي معك بصك اي كتاب معه أربعة من الملائكة يشهدون أنك كما تقول، وأيم الله لو فعلت ذلك ما ظننت اني اصدقك. فانزل الله تعالى عليه الآيات التي فيها شرح هذه المقالات في سورة الإسراء في قوله تعالى : ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ﴾ الآيات . وفيها الإشارة الى أن الله تعالى خيره بين أن يعطيهم جميع ما سألوا وانهم إن كفروا بعد ذلك استأصلهم الله بالعذاب كالأمم السابقة ، وبين ان يفتح لهم باب الرحمة والتوبة لعلهم يتوبون واليه يرجعون ، فاختار الثاني لأنهﷺ يعلم من كثير منهم العباد وأنهم لا يؤمنون وإن حصل ما سألوا فيستأصلوا بالعذاب لأن الله تعالى يقول : ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبنَّ الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ .

وقد حكى الله تعالى في كتابه العزيز كثيراً من مقالاتهم وأجابهم عن كل شبهة خالجت

قلوبهم . قال تعالى حكاية عنهم : ﴿ وقالوا مالِ هذا الرسـول يأكل الطعـام ويمشي في الأسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيراً أو يلقى اليه كنـز أو تكون له جنـة يأكل منها ﴾ . فأجاب الله عن ذلك بقوله : ﴿ وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ﴾ ولما استعظموا ان يكون الرسول بشراً وقالوا : الله اعظم ان يكون رسوله بشراً منا أنزل الله تعالى : ﴿ وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر ﴾ وأنزل الله تعالى : ﴿ أكان للناس عجباً أن اوحينا الى رجل منهم ﴾ ورد الله عليهم سؤالهم رؤية الملائكة بأنهم لا يستطيعون رؤيتهم ولو جعل الملك على صورة البشر لالتبس الأمر عليهم ، ولو بقي على صورته لقضي الأمر عليهم بأخذهم بالاستئصال أو لعدم ثباتهم عند رؤيته ، ولو أنزل الله الملائكة بكتاب من السماء وهم يشاهدونهم كما سألوا لقالوا : ان ذلك سحر أو قالوا : إنما سُكِّرت أبصارنا كما حكى الله ذلك بقوله : ﴿ ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون ﴾ وقال تعالى : ﴿ ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكِّرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ﴾ وقال تعالى : ﴿ ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكنّ أكثرهم يجهلون ﴾ وقال تعالى : ﴿ ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كُلّم به الموتى ـ أي فانهم ـ لا يؤمنون ﴾ وقال تعالى في الرد عليهم حين صاروا يسألون كتاباً فيه خطابهم وأسماؤهم وأسماء آبائهم : ﴿ فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرّت من قسورة بل يريد كل امرىء منهم أن يؤتـى صحفاً منشَّرة ﴾ وقال تعالى حكاية عنهم : ﴿ وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله ﴾ وقال تعالى في الرد عليهم في قولهم : ﴿ أو يلقـى اليه كنـز ﴾ الآية .

﴿ تبارك الذي ان شاء جعل لك خيراً من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً ﴾ . ولما أنكروا عليه التزوّج بالنساء وطلب الذريّة كغيره من البشر رد الله عليهم بقوله : ﴿ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذريّة ﴾ والحاصل أن الله لم يبق لهم شبهة يتمسكون بها . وكلما أتوا بشبهة يوهمون انها حجة ردها الله عليهم بأحسن الرد كما قالوا : لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فرد الله عليهم بقوله : ﴿ كذلك لنثبت به

فؤادك ورتلناه ترتيلاً ـ اي نزلناه كذلك أي مفرّقاً بحسب الوقائع ـ لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً ﴾ ومما قالوه له : أسقط علينا السماء كسفاً أي قطعاً كما زعمت أن ربك ان شاء فعل ذلك فرد الله عليهم بقوله : ﴿ وإن يروا كِسَفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون ﴾ وقالوا مرة : بلغنا أن الذي يعلمك رجل باليمامة يقال له الرحمن وإنا والله لن نؤمن بالرحمن أبداً وقد عنوا بالرحمن مسيلمة وقيل : عنوا كاهناً كان لليهود باليمامة . وقد رد الله تعالى عليهم بأن الرحمن المعلم له هو الله تعالى فقال تعالى : ﴿ قل هو ـ أي الرحمن ـ ربي لا إله إلا هو عليه توكلت واليه متاب ﴾ وقال تعالى رداً لسؤالهم رؤية ربهم : ﴿ وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتو عتواً كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجراً محجوراً ﴾ .

وعن محمد بن كعب القرظي أن الملأ من قريش أقسموا للنبي ﷺ عز وجل أنهم يؤمنون إذا صار الصفا ذهباً . فقام يدعو الله أن يعطيهم ما سألوا فأتاه جبريل فقال له : ان شئت كان ذلك ولكني لم آت قوماً بآية اقترحوها فلم يؤمنوا بها إلا أمرت بعذابهم . وفي رواية : أتاه جبريل فقال له : يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول : ان شئت أن يصبح لهم الصفا ذهباً فعلت فان لم يؤمنوا به أنزلت عليهم عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ، وان شئت أن لا يصير لهم الصفا ذهباً فتحت لهم باب التوبة والرحمة . وفي رواية : وان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال : بل حتى يتوب تائبهم وإنما وافق ﷺ على فتح باب التوبة والرحمة لأنه ﷺ علم أن سؤالهم لذلك جهل منهم لأنهم خفيت عليهم حكمة إرسال الرسل ، وهي امتحان الخلق وتعبدهم بتصديق الرسل ليكون إيمانهم عن نظر واستدلال ، فيحصل الثواب لمن فعل ذلك ويحصل العقاب لمن أعرض عنه ، إذ مع كشف الغطاء يحمل العلم الضروري فلا يحتاج إلى إرسال الرسل ويفوت الايمان بالغيب وأيضاً لم يسألوا ما سألوا من تلك الآيات إلا تعنتاً واستهزاء لا على جهة الاسترشاد ودفع الشك إذ قد جاءتهم آيات أعظم مما اقترحوا فلم يؤمنوا بها ، وذلك كالقرآن العزيز المشتمل على الأخبار بالمغيبات وأخبار الأمم السالفة ، كما قال تعالى : ﴿ أو لم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ، ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ﴾ وقد اشتمل كثير من السور على جملة من الآيات كسورة الأنعام والنحل والشعراء وقال فيها عقب كل آية : ﴿ ان في ذلك لآية ﴾ وقال في آخرها : ﴿ أو لم يكن لهم آية أن

يعلمه علماء بني اسرائيل ﴾ وهم يعلمون ان الذي جاءهم به لم يقرأ ولم يكتب ولم يتعلم ولم ينتقل من بين أظهرهم وما جاء بذلك إلا بعد أن بلغ أربعين سنة . قال تعالى ردّاً عليهم : ﴿ فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون ﴾ وقال تعالى عقب قصة موسى عليه السلام : ﴿ وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا الى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ولكنا انشأنا قروناً فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاوياً في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك ﴾ .

وقال تعالى في قصة مريم : ﴿ وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون ﴾ وقال تعالى في قصة يوسف وإخوته عليهم السلام : ﴿ وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون ﴾ وقال في شأن آدم عليه السلام : ﴿ ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون ان يوحى إليّ ألا إنما أنا نذير مبين ﴾ ثم بين قصة الملأ الأعلى بقوله : ﴿ إذ قال ربك للملائكة ﴾ الخ وقال تعالى : ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون ﴾ وكانوا كلما سمعوا منه قصة من أخبار الأنبياء والأمم السالفة يسألون عنها علماء اليهود والنصارى فيجدون الأمر كما أخبر ﷺ ولم يجدوا عليه خللاً في كلمة قط . قال تعالى : ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ وهذا لم يجدوا فيه اختلافاً قليلاً ولا كثيراً فهذه كلها آيات.وكان ابو جهل لعنه الله يقول : تزاحمنا نحن وبنو عبد المطلب الشرف حتى إذا صرنا كفرسي رهان قالوا : منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه أبداً إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله ﴾ والحاصل أنها تحيرت عقولهم فيما جاء بهﷺ فمن طبع الله على قلبه منهم قال : انه سحر وكهانة وأساطير الأوّلين ومنهم من قال : إنما يعلمه بشر يعنون عبد البني الحضرمي نصرانياً . كان النبيﷺ يجالسه رجاء هدايته . وكان لسانه أعجمياً فردّ الله عليهم بقوله : ﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ﴾ وقد أشار صاحب الهمزية الى كثير من ذلك بقوله :

عجباً للكفار زادوا ضلالاً ... بالذي فيه للعقول اهتداء
والذي يسألون منه كتاب ... منزل قد أتاهم وارتقاء

أو لم يكفهم من الله ذكر ... فيه للناس رحمة وشفاء
أعجز الإنس آية منه والجـ ... ـن فهلا تأتي به البلغاء
كل يوم تهدى الى سامعيه ... معجزات من لفظه القراء
تتحلى به المسامع والأفـ ... ـواه الحليّ والحلواء
رق لفظاً وراق معنى فجاءت ... في حلاها وحليها الخنساء
وأرتنا فيه غوامض فصل ... رقة من زلالة وصفاء
إنما تجتلي الوجوه إذا ما ... جليت عن مرآتها الأصداء
سور منه أشبهت صوراً مـ ... ـنا ومثل النظار النظراء
والأقاويل عندهم كالتماثيـ ... ـل فلا يوهمنك الخطباء
كم أبانت آياته من علوم ... عن حروف أبان عنها الهجاء
فهي كالحب والنوى أعجـ ... ـب الزراع منها سنابك وزكاء
فأطالوا فيه التردّد والريـ ... ـب فقالوا سحر وقالوا افتراء
وإذا البينات لم تغن شيئاً ... فالتماس الهدى بهنّ عناء
وإذا ضلت العقول على علـ ... ـم فماذا تقوله الفصحاء

وقال الوليد بن المغيرة يوماً : أينزل القرآن على محمد وأترك أنا ، وأنا كبير قريش وسيدها ؟ ويترك ابو مسعود الثقفي وهو عروة بن مسعود سيد ثقيف ، ونحن عظماء القريتين يعني مكة والطائف . فأنزل الله تعالى : ﴿ وقالوا لولا نزل ـ أي هلا نزل ـ هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ فرد الله عليهم بقوله : ﴿ أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون ﴾ .

وفي رواية قال بعضهم : كان الأحق بالرسالة الوليد بن المغير من أهل مكة أو عروة ابن مسعود الثقفي، من أهل الطائف ثم أن كفار قريش بعثوا النضر بن الحرث وعقبة بن أبي معيط الى أحبار اليهود بالمدينة وقالوا لهما : اسألاهم عن محمد وصفا لهم صفته وأخبراهم بقوله فانهم أهل الكتاب الأول أي التوراة وعندهم علم ليس ، عندنا فخرجا حتى قدما المدينة وسألا اخبار اليهود وقالا لهم : أتيناكم لأمر حدث فينا من غلام يتيم حقير يقول قولاً عظيماً يزعم أنه رسول الله . وفي لفظ : رسول الرحمن قالوا : صفوا لنا صفاته .

فوصفوا فقالوا : من تبعه منكم قالوا سفلتنا . فضحك حبر منهم وقال : هذا النبي الذي نجد نعته ونجد قومه أشدّ الناس له عداوة .ثم قالت لهم أحبار اليهود : سلوه عن ثلاث فان أخبركم بهنّ على ما هي عليه فان بين اثنين منها وسكت عن الثالث فهو نبي مرسل ، وان لم يفعل فنقول سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول يعنون بذلك أهل الكهف ، فانه كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طوّاف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها وما كان من نبئه يعنون بذلك ذا القرنين وسلوه عن الروح ما هي ؟ فإذا أخبركم بحقيقة الأولين وبعارض من عوارض الثالث وهو كونها من أمر الله فاتبعوه فرجع النضر وعقبة الى قريش وقالا لهم : قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد وأخبراهم الخبر فجاؤوا الى النبيﷺ وسألوه عن ذلك فقال لهم عليه الصلاة والسلام : أخبركم غداً ولم يستثن أي لم يقل إن شاء الله تعالى وانصرفوا . فمكثﷺ خمسة عشر يوماً وقيل ثلاثة أيام لا يأتيه الوحي ، وتكلم قريش في ذلك فقالوا : إن محمداً قلاه ربه وتركه ، ومن جملة من قال ذلك أم قبيح امرأة عمه أبي لهب قالت له : ما أرى صاحبك إلا قد ودّعك وقلاك أي تركك وأبغضك.وفي رواية : قالت امرأة من قريش أبطأ عليه شيطانه وشق عليهﷺ ذلك منهم .

ثم جاءه جبريل بسورة الكهف وفيها خبر الفتية الذين ذهبوا وهم أهل الكهف ، وخبر الرجل الطوّاف وهو ذو القرنين ، وجاءه بالجواب عن الروح المذكورة في سورة الإسراء وهو أن الروح من أمر الله قال تعالى : ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي - أي من علمه - لا يعلمه الا هو ﴾ وكان في كتب أهل الكتاب أن الروح من أمر الله اي ما استأثر الله تعالى بعلمه ولم يطلع عليه أحداً من خلقه . وقد جاء أنهﷺ لما هاجر الى المدينه سأله اليهود عن الروح فنزلت عليه هذه الآية فهي مما تكرر نزوله وعاتب الله النبي ﷺ في سورة الكهف على تركه ذكر التعليق على المشيئة بقوله تعالى : ﴿ لا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت ﴾ وأنزل الله سورة الضحى ردّاً لقولهم قلاه ربه وأبغضه . فكبرﷺ فرحاً بنزول الوحي واستمر على ذلك التكبير في بقية السور بعدها الى آخر القرآن . ولما أجابهمﷺ عما سألوا ، ازدادوا بغياً وكفراً ونسبوه في ذلك الى السحر والكهانة . ومن الآيات التي ظهرت منهﷺ وهي من أعلام نبوتهﷺ قصة الزبيدي . قال الحلبي في السيرة : بينا النبيﷺ جالس في المسجد هو ومن معه من الصحابة إذا رجل من زبيد يطوف على خلق قريش حلقة بعد أخرى وهو يقول : يا معشر قريش كيف تدخل عليكم الميرة أو يجلب اليكم جلب أو يحل أي ينزل بساحتكم تاجر ،

وأنتم تظلمون من دخل عليكم في حرمكم وما زال يطوف على حلقهم حتى انتهى الى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه فقال له رسول الله ﷺ : ومن ظلمك ؟ فذكر أنه قدم بثلاثة أجمال حسان فسامها منه أبو جهل بثلث أثمانها . ثم لم يسمها لأجله سائم قال : فأكسد عليّ سلعتي فظلمني فقال رسول الله ﷺ : وأين أجمالك ؟ قال : هذه هي بالحزورة . فقام ﷺ فنظر إلى أجماله فرأى جمالاً حساناً فساوم ﷺ ذلك الرجل حتى ألحقه برضاه ، وأخذها رسول الله ﷺ فباع جملين منها بالثمن وأفضل بعيراً باعه وأعطى أرامل بني عبد المطلب ثمنه ، وكل ذلك أبو جهل جالس في ناحية من السوق ينظر ولا يتكلم ، هيبة من رسول الله ﷺ . ثم قال ﷺ لأبي جهل : إياك يا عمرو أن تعود لمثل ما صنعت بهذا الرجل فترى مني ما تكره ، فجعل يقول لا أعود يا محمد لا أعود يا محمد .

فانصرف رسول الله ﷺ وأقبل على أبي جهل أمية بن خلف ومن معه من القوم فقالوا له : ذللت في يد محمد ؟ فاما أن تكون تريد أن تتبعه ، وأما رعب دخلك منه . فقال لهم : لا أتبعه أبداً إن الذي رأيتم مني لما رأيته ، رأيت معه رجلاً عن يمينه ورجلاً عن شماله معهم رماح يشرعونها إلي لو خالفته لأتوا على نفسي ونظير ذلك أن أبا جهل كان وصياً على يتيم فأكل ماله وطرده ، فاستعان اليتيم بالنبي ﷺ على أبي جهل بعد أن بعثه كفار قريش الى النبي ﷺ وقالوا له استهزاء : ما يخلصك من أبي الحكم إلا هذا يعنون النبي ﷺ . فمشى معه ﷺ وردّ اليه ماله ، فقيل لأبي جهل في ذلك ، فقال خفت من حربة عن يمينه وحربة عن شماله لو امتنعت ان أعطيه لطعنني ، ونظير ذلك بل أعجب منه قصة الاراشي وحاصلها أن أبا جهل ابتاع من شخص يقال له الإراشي بكر الهمزة نسبة الى إراشة بطن من خثعم أجمالاً فمطله بأثمانها فدلته قريش على النبي ﷺ لينصفه من أبي جهل استهزاء منهم برسول الله ﷺ ، لزعمهم أنه لا قدرة له علىّ أبي جهل ، وكان ذلك بعد أن وقف على ناديهم وقال : يا معشر قريش من يعينني على أبي الحكم بن هشام فاني غريب وابن سبيل ، وقد غلبني على حقي ؟ فقالوا له : أترى ذلك الرجل يعنون رسول الله اذهب اليه فهو يعينك عليه .

فجاء الى رسول الله ﷺ فذكر له حاله مع أبي جهل فقال مخاطباً للنبي ﷺ : يا عبد الله ، إن أبا الحكم بن هشام غلبني على حق لي قبله وأنا غريب وابن سبيل ، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يأخذ لي بحقي منه فأشاروا اليك ، فخذ لي حقي منه يرحمك الله . فقام النبي ﷺ مع الرجل الى أبي جهل وضرب عليه بابه فقال : من هذا ؟ قال :

محمد . فخرج اليه وقد انتقع لونه اي تغير وصار كلون النقع الذي هو التراب وهو الصفرة مع كدرة فقال : أعط هذا حقه فقال : نعم ، لا تبرح حتى أعطيه الذي له ، فدخل وأخرج ما هو لذلك الرجل فدفعه اليه ، قال : ثم أن الرجل أقبل حتى وقف على أهل ذلك المجلس الذين بعثوه إلى النبي ﷺ استهزاءً فقال : جزاه الله خيراً يعني النبي ﷺ ، فقد والله أخذ لي بحقي ، وقد كانوا أرسلوا رجلاً ممن كان معهم خلف النبي ﷺ وقالوا : انظر ماذا يصنع ؟ فلما رجع الرجل قالوا له : ماذا رأيت ؟ فقال رأيت عجباً من أعجب العجب ، والله ما هو إلا ان ضرب عليه بابه ، فخرج اليه فزعاً مرعوباً وكأنه ليس معه روحه فقال : اعط هذا حقه . فقال : نعم لا تبرح حتى أخرج اليه حقه فدخل ، فخرج اليه بحقه فأعطاه اياه فعند ذلك قالوا لأبي جهل : ما رأينا مثل ما صنعت . فقال : ويحكم والله ما هو إلا أن ضرب علي بابي وسمعت صوته فملئت رعباً ثم خرجت اليه وان فوق رأسي فحلاً من الإبل ما رأيت مثله قط لو أبيت أو تأخرت لأكلني ، والى هذه القصة أشار صاحب الهمزية بقوله :

واقتضاه النبي دين الإراشي وقد ساء بيعه والشراء
ورأى المصطفى أتاه بما لم ينج منه دون الوفاء النجاء
هو ما قد رآه من قبل لكن ما على مثله يعد الخطاء

وقوله : هو ما قد رآه من قبل وذلك لما أراد عدوّ الله أن يلقي الحجر على النبي ﷺ وهو ساجد ، فيبس الحجر في يده ، ورجع القهقري وهو منتقع اللون كما تقدم ، وأخبر بانه رأى عنق الفحل لو تقدم لاختطفه عضواً عضواً ، وابو جهل كان من أكبر أعداء النبي ﷺ ، وهو من المستهزئين الذين أنزل الله فيهم : ﴿ إنا كفيناك المستهزئين ﴾ وما تقدم بعض من استهزائه ، ومن استهزائه أيضاً أنه سار في بعض الأوقات خلف النبي ﷺ يخلج بأنفه وفمه يسخر به ، فاطلع عليه ﷺ فقال : كن كذلك فكان كذلك إلى أن مات . قال ابن عبد البر : كان المستهزئون الذين قال الله فيهم إنا كفيناك المستهزئين خمسة من أشراف قريش : الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم . قال البغوي : وكان رأسهم العاصي بن وائل السهمي والحرث بن قيس بن عدي السهمي ابن عم العاصي كان أحد أشراف قريش في الجاهلية ، قيل أنه أسلم وهاجر الى الحبشة ، وقيل بقي على كفره حتى هلك والأسود بن عبد يغوث بن وهب بن زهرة الزهري ابن خاله ﷺ والأسود بن المطلب ابن عبد العزى ، ولم يذكر فيهم أبا جهل فهو وإن كان من المستهزئين لكنه لم يقصد من

الآية اعني إنا كفيناك المستهزئين لأنه انما هلك كافراً يوم بدر . وفي رواية : أنهم كانوا ثمانية فزادوا أبا لهب وعقبة بن أبي معيط والحكم بن العاص بن أمية . وزاد بعضهم مالك بن الطلاطلة .

ومن استهزاء عقبة بن أبي معيط به ﷺأنه كان يلقي القذر على بابهﷺ، وقد قالﷺ كنت بين شر جارين أبي لهب وعقبة بن أبي معيط إن كانا ليأتياني بالفروث فيطرحانها على بابي ، ومن استهزائه أيضاً أنه بصق في وجه النبيﷺ فعاد بصاقه على وجهه وصار برصاً . قال الحلبي في السيرة : كان النبيﷺ يكثر مجالسة عقبة بن ابي معيط فقدم عقبة من سفر فصنع طعاماً ودعا الناس من أشراف قريش ، ودعا النبيﷺ ، فلما قرب اليهم الطعام أبى رسول الله ﷺ أن يأكل وقال : ما أنا بآكل طعامك حتى تشهد أن لا إلّه إلا الله . فقال عقبـة : أشهـد أن لا إلّـه إلا الله وأشهـد أنـك رسـول الله ، فأكل ﷺ من طعامـه وانصرف النـاس ، وكان عقبـة صديقـا لأبـي بن خلف فأخبـر الناس أبياً بمقالة عقبة فأتى اليه وقال : يا عقبة صبوت ؟ فقال : والله ما صبـوت ولـكن دخل منزلي رجل شريف فأبى أن يأكل طعامي إلا أن أشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم ، فشهدت له والشهادة ليست في نفسي فقال له أبي وجهي من وجهـك حرام إن لقيت محمداً فلم تطأه وتبزق في وجهه وتلطم عينيه ، فقال له عقبة : لك ذلك . ثم إن عقبة لقي النبي ففعل به ذلك . قال الضحاك : لما بزق عقبة لم تصل البزقة الى وجـه رسول الله ﷺ بل وصلت الى وجهه هو كشهاب نار ، فاحترق مكانها ، وكان أثر الحرق في وجهه الى الموت . وحينئذ يكون المراد بصيرورة بصاقه برصاً في وجهه انه صار كالبرص ، وأنزل الله في حقه : ﴿ ويوم يعضّ الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسـول سبيلاً يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً ﴾ قيل المراد من قوله يعضّ أنه يأكل في النار احدى يديه الى المرفق ، ثم يأكل الأخرى فتنبت الأولى وهكذا . ومن استهزاء الحكم بن أبي العاص انه كانﷺ يمشي ذات يوم وهو خلفه يخلج بأنفه وفمه يسخر بالنبيﷺ ، فالتفت اليه النبيﷺ فقال له : كن كذلك ، فكان كذلك ، كما تقدم . نظير ذلك لأبي جهل واستمرّ الحكم بن أبي العاص يخلج بأنفه وفمه بعد أن مكث شهراً مغشياً عليه وبقي ذلك الاختلاج به حتى مات وقد أسلم يوم فتح مكة .

وكان في إسلامه شيء وكان يجالس المنافقين وينقل أخبار النبيﷺ وأصحابه اليهم ،

فنفاه ﷺ الى الطائف ، واطلع على رسول الله ﷺ من باب بيته وهو عند بعض نسائه بالمدينة ، فخرج اليه رسول الله ﷺ بالعنزة وقيل بمدرى في يده ، والمدرى كالمسلة يفرق به شعر الرأس . وقال من عذيري من الوزعة لو أدركته لفقأت عينه ولعنه وما ولد . وبعد ان نفاه ﷺ الى الطائف بقي الى خلافة ابن أخيه عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ فردّه الى المدينة وكان قد تشفع عنده ﷺ فوعده بارجاعه .

ولما مرض ﷺ مرضه الذي توفي فيه طلب عثمان ـ رضي الله عنه ـ وأخبره بأشياء تقع له وقال له : انهم يقمصونك قميصاً ويريدون منك خلعه فاحذر أن تخلعه حتى تلقاني على الحوض يريد بذلك الخلافة وأخبره بالبلوى التي تصيبه وأمره بالصبر قيل : انه في ذلك المجلس استأذن من النبي ﷺ في إرجاع عمه الحكم الى المدينة إذا صار الأمر اليه ، فأذن له فلما كانت خلافة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ سأل عثمان أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ أن يرجعه وأخبره بأن النبي ﷺ وعده بذلك ، فقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ لا أحل عقدة عقدها رسول الله ﷺ . ثم سأل عمر ـ رضي الله عنه ـ لما ولي الخلافة أن يرجعه فقال مثل مقالة ابي بكر ـ رضي الله عنه ـ ولما أدخله عثمان ـ رضي الله عنه ـ نقم عليه بعض الصحابة بسبب ذلك فقال : أنا كنت تشفعت فيه الى رسول الله ﷺ فوعدني بردّه ، وكان في رجوعه تأسيس للبلوى التي وقعت لعثمان ـ رضي الله عنه ـ فان منشأها إنما كان من مروان بن الحكم ، فسبحان الحكيم في افعاله الذي لا يسئل عما يفعل . ولذا قال بعضهم كما في بعض شراح الشفاء :

فليت عثمان لم يحكم بعودته   رضي بما حكم الصدّيق في الحكم

قال الشهاب الخفاجي بعد ان صح أن عثمان ـ رضي الله عنه ـ استأذن النبي ﷺ فلا وجه في التشنيع عليه بذلك والطعن في خلافته كما زعم الشيعة ، مع ان عثمان ـ رضي الله عنه ـ علم انه تاب وخلصت طويته وكان ردّه له باجتهاد منه ـ رضي الله عنه ـ في ذلك والأمور الاجتهادية لا اعتراض بها . وعن هند بن خديجة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ مرّ بالحكم فجعل الحكم يلمز بالنبي ﷺ فرآه فقال : اللهم اجعل به وزعاً ، فرجف وارتعش مكانه . والوزع الارتعاش . وفي رواية : فما قام حتى ارتعش . وعن الواقدي : استأذن الحكم بن ابي العاص على رسول الله ﷺ فعرف صوته فقال : ائذنوا له لعنه الله ، ومن يخرج من صلبه إلا المؤمنين منهم ، وقليل ما هم ذوو مكر وخديعة

يعطون الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق . وكان لا يولد لأحد بالمدينة ولد إلا أتى به الى النبي ﷺ فأتى بمروان لما ولد فقال : هو الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون وعلى هذا فهو صحابي إن ثبت أن النبي ﷺ رآه لأنه يحتمل أنه أتى اليه ﷺ فلم يأذن بادخاله عليه ، بل مما يدل لذلك قوله هو الوزغ الخ . وفي كلام بعضهم : أنه ولد بالطائف بعد ان نفي أبوه الى الطائف ولم يجتمع بالنبي ﷺ فهو ليس بصحابي .

ومن ثم قال البخاري : مروان بن الحكم لم ير النبي ﷺ . وعن عائشة - رضي الله عنها - انها قالت لمروان : نزل في أبيك ﴿ ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم ﴾ . وقالت له : سمعت رسول الله ﷺ يقول في أبيك وجدك أي الذي هو أبو العاص ابن أمية : انهم الشجرة الملعونة في القرآن ، وقد ولي مروان الخلافة تسعة أشهر . ولما امتنع عبد الرحمن بن ابي بكر - رضي الله عنهما - من المبايعة ليزيد بن معاوية قال له مروان : أنت الذي أنزل الله فيك : ﴿ والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن اخرج ﴾ فبلغ ذلك عائشة - رضي الله عنها - فقالت : كذب والله ما هو به . ثم قالت له : أما أنت يا مروان فأشهد ان رسول الله ﷺ لعن أباك وأنت في صلبه تشير الى ما روي أن رسول الله ﷺ قال يوماً لأصحابه : سيدخل عليكم رجل لعين فدخل عليهم الحكم . وعن جبير بن مطعم - رضي الله عنه - قال : كنا مع رسول الله ﷺ فمر الحكم بن أبي العاص فقال النبي ﷺ : ويل لأمتي مما في صلب هذا . وعن عمران بن جابر الجعفي - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ويل لبني أمية ثلاث ، مرّات وقد ولي منهم الخلافة أربعة عشر رجلاً أوّلهم معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما - وآخرهم مروان بن محمد ، وكانت مدّة ولايتهم ثنتين وثمانين سنة وهي ألف شهر والأحاديث الواردة في ذمهم يجب ان يخرج منها عثمان ومعاوية - رضي الله عنهما - لفضيلة صحبة النبي ﷺ مع ما ورد فيهما من الفضائل . وأيضاً لم يصدر منهما شيء من الظلم وإنما صدر ممن بعدهما .

ولذلك قال القاضي عياض رحمه الله في الشفاء : وأخبر ﷺ بولاية معاوية - رضي الله عنه - وبملك بني أمية فغاير بين الحالتين في التعبير لأن الملك هو السلطنة مع التغلب ، والخلافة ما كان ببيعة أهل الحق والولاية أعم منهما فتشملهما وتشمل الأمارة ونيابة الخلافة ، وأوصى ﷺ معاوية - رضي الله عنه - إذا تملك بالعدل والرفق . قال له : إذا ملكت فاسجح . قال معاوية - رضي الله عنه - فما زلت أطمع في الخلافة منذ سمعتها من رسول الله ﷺ . وروى البيهقي عن معاوية - رضي الله عنه - قال : ما حملني على الخلافة

إلا قوله ﷺ : يا معاوية إذا ملكت فأحسن . وروي انه - رضي الله عنه - تبع بالاداوة رسول الله ﷺ . فقال : يا معاوية ان وليت أمراً فاتق الله واعدل فكان - رضي الله عنه - على غاية من الحلم والصبر والتحمل حتى قال ابو الدرداء - رضي الله عنه - ان معاوية سمع كلمة من رسول الله ﷺ فنفعه الله بها . وأما ذم بني أمية من بعده فجاءت فيهم أحاديث كثيرة ، منها ما رواه الترمذي والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعاً إذا بلغ بنو أبي العاص أربعين أوثلاثين اتخذوا دين الله دغلاً ومال الله دولاً وهو ما يتداول اي يأخذه واحد بعد واحد ، والمراد انهم استأثروا به ومنعوا حقوقه ، فأسرفوا وبذروا وضيعوا بيت مال المسلمين .

وقال ﷺ : سيكون في هذه الأمة رجل يقال له الوليد هو شرّ لأمتي من فرعون لقومه . قال الاوزاعي : كانوا يرون أنه الوليد بن عبد الملك . ثم رأوا انه ابن أخيه الوليد ابن يزيد بن عبد الملك الجبار ، الذي كان مفتاح أبواب الفتن على هذه الأمة . وكان ماجناً سفيهاً مدمناً للخمر ، وأخبر ﷺ بأنه رأى في المنام بني أمية على منبره الشريف فأساءه ذلك فأنزل الله عليه تسلية له سورة الكوثر وسورة القدر لأن ملك بني أمية كان ألف شهر ، فأعطى الله أمته في كل سنة ليلة تعدل ملكهم وتزيد بما لا يحصى من العجائب . قال في السيرة الحلبية نقلاً عن ابن الجوزي : كان لعبد الله بن الزبير - رضي الله عنهما - ابن يقال له خبيب ضربه عمر بن عبد العزيز بأمر الوليد بن عبد الملك مائة سوط فمات منها . وذلك أنّ خبيباً حدّث عن النبي ﷺ أنه قال : إذ بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلاً . وفي رواية : إذا بلغ بنو أمية أربعين رجلاً اتخذوا عباد الله خولاً أي عبيداً ومال الله دولاً ودين الله دغلاً . وفي رواية : بدل دين الله كتاب الله فلما بلغ الوليد ما ذكر خبيب كتب لابن عمه عمر بن عبد العزيز وهو والي المدينة ان يضرب خبيباً مائة سوط . ففعل ثم برّد ماء في جرّة وصبه عليه في يوم شات وحبسه . فلما اشتد وجعه أخرجه وندم على ما فعل ، فلما مات وسمع بموته سقط الى الأرض واسترجع واستعفى من ولاية المدينة . فكان عمر بن عبد العزيز إذا قيل له أبشر قال : كيف أبشر وخبيب على الطريق عائق لي ؟

وفي دلائل النبوة للبيهقي عن بعضهم قال : كنت عند معاوية بن ابي سفيان - رضي الله عنهما - ومعه ابن عباس - رضي الله عنهما - على السرير فدخل عليه مروان بن الحكم فكلمه في حاجته وقال : اقضِ حاجتي يا أمير المؤمنين فوالله ان مؤنتي لعظيمة ، فاني ابو عشرة وعم عشرة وأخو عشرة ، فلما أدبر مروان قال معاوية بن عباس - رضي الله

عنهم - أشهدك بالله يا ابن عباس أما تعلم ان رسول الله ﷺ قال : إذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله بينهم دولاً وكتاب الله دغلاً ؟ فاذا بلغوا تسعة وتسعين وأربعمائة كان هلاكهم أسرع من لوك تمرة . فقال ابن عباس - رضي الله عنهما - نعم . ثم ذكر مروان حاجته فبعث ولده عبد الملك الى معاوية - رضي الله عنه - فكلمه فيها فلما أدبر قال معاوية - رضي الله عنه - أنشدك الله يا ابن عباس ، أما تعلم ان رسول الله ﷺ ذكر هذا ؟ فقال : ابو الجبابرة الاربعة فقال ابن عباس - رضي الله عنهما - اللهم نعم . وقد ولي الخلافة من ولده أربعة الوليد وسليمان وهشام ويزيد بن عبد الملك وليس في الحديث دلالة على أن عبد الملك صحابي لاحتمال أن يكون النبي ﷺ ذكره قبل وجوده فهو من أعلام نبوته ﷺ .

ومن استهزاء العاص بن وائل السهمي والد عمرو بن العاص - رضي الله عنه - فعمرو وابنه صحابي وأما هو فانه هلك على كفره انه كان يقول : غرّ محمد نفسه وأصحابه ان وعدهم أن يحيوا بعد الموت والله ما يهلكنا إلا الدهر ومرور الايام والأحداث . ومن استهزائه أن خباب بن الأرتّ - رضي الله عنه - كان قيناً بمكة اي حدّاداً يعمل السيوف ، وقد كان باع للعاص سيوفاً فجاءه يتقاضى ثمنها . فقال : يا خباب أليس يزعم محمد هذا الذي أنت على دينه أن في الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب أو فضة أو ثياب او خدام أو ولد ؟ قال خباب : بلى . قال : فانظرني الى القيامة يا خباب حتى أرجع الى تلك الدار فأقضيك هناك حقك ، والله لا تكون أنت وصاحبك أبرّ عند الله ولا أعظم حظاً في ذلك . وفي لفظ : أن العاص قال : لا اعطيك حتى تكفر بمحمد . فقال : والله لا أكفر بمحمد حتى يمتك إلهه ثم يبعثك . قال : فذرني حتى أموت ثم أبعث فسوف أوتي مالاً وولداً فأقضيك ، فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولداً أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً كلا سنكتب ما يقول ونمدّ له من العذاب مدّاً ونرثه ما يقول ويأتينا فردا ﴾ .

ومن استهزاء الاسود بن عبد يغوث بن وهب بن زهرة وهو ابن خال النبي ﷺ ، انه كان إذا رأى المسلمين قال لأصحابه استهزاء بالصحابة : قد جاءكم ملوك الأرض الذين يرثون كسرى وقيصر أي لأن الصحابة - رضي الله عنهم - كانوا متقشفين ثيابهم رثّة وعيشهم خشن . وكان يقول للنبي ﷺ : ما كلمت اليوم من السماء يا محمد ؟ وما أشبه هذا القول .

ومن استهزاء الأسود بن مطلب بن أسد بن عبد العزى انه كان هو وأصحابه يتغامزون بالنبي ﷺ وبأصحابه ، ويصفرون إذا رأوهم .

ومن استهزاء الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم والد خالد وعم أبي جهل ، وكان من عظماء قريش ، وكان في سعة من العيش ومكنة من السيادة ، كان يطعم الناس أيام منى حيساً وينهي أن توقد نار لأجل طعام غير ناره ، وينفق على الحاج أيام الموسم نفقة واسعة ، وكانت الأعراب تثني عليه . وكانت له البساتين من مكة الى الطائف وكان من جملتها بستان لا ينقطع نفعه شتاء ولا صيفاً ثم أنه أصابته الحوائج والآفات في أمواله حتى ذهبت بأسرها . ولم يبق له في أيام الحج ذكر وكان هو المقدّم في قريش فصاحة . وكان يقال له : ريحانة قريش . ويقال له : الوحيد أي في الشرف والسؤدد والجاه والرياسة ، وإياه عنى سبحانه بقوله : ﴿ ذرني ومن خلقت وحيداً ﴾ الآيات في سورة المدثر . قال بعضهم : بل هو الوحيد في الكفر والخبث والعناد إنه رمى النبي ﷺ بالسحر مع اعترافه بانه بريء من السحر ، لكنه لعنه الله لما ضاقت عليه المذاهب قال : انه أقرب القول فيه تنفيراً للناس عنه . وتبعه على ذلك قومه بعد التشاور فيما يرومونه به .

فعند ابن اسحق والحاكم والبيهقي باسناد جيد انه اجتمع في بعض المواسم الى الوليد نفر من قريش وكان ذا سن فيهم فقال لهم : يا معشر قريش قد حضرتم هذا الموسم وان وفود العرب ستقدم عليكم وقد سمعوا بأمر صاحبكم فأجمعوا فيه رأياً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً . قالوا: فأنت أقم لنا رأياً نقوله فيه . قال : بل أنتم فقولوا أسمع قالوا : نقول : كاهن قال : والله ما هو بكاهن لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا بسجعه قالوا : فنقول : مجنون قال : والله ما هو بمجنون لقد رأينا المجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا وسوسته . قالوا شاعر . قال : ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه . قالوا : ساحر . قال : ما هو بساحر لقد رأينا السحرة وسحرهم فما هو بنفثه ولا عقده . قالوا : فما تقول أنت ؟ قال : والله ان لقوله لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أصله لعذق وان فرعه لجناة وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً ألا أعرف انه باطل ، وان أقرب القول فيه أن تقولوا : ساحر جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك ، فجعلوا يجلسون في سبل الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذوره اياه ، وذكروا لهم أمره

فصدرت العرب من ذلك الموسم تتحدث بأمر رسول الله ﷺ فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها ، بل في جميع الآفاق وانقلب مكرهم عليهم حتى كان من إسلام الأنصار وأمر الهجرة ما كان ، وقدم عليه ﷺ عشرون من نجران فأسلموا فبلغ أبا جهل فسبهم فقالوا له : سلام عليكم وفيهم نزل : ﴿ وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه ﴾ الآيات .

قال العلامة الزرقاني : فانظر هذا اللعين يعني الوليد بن المغيرة كيف تيقنت نفسه الحق وحمله البطر والكبر على خلافه وقد ذمه الله ذماً بليغاً في قوله : ﴿ ولا تطع كل حلاف مهين همّاز مشاء بنميم مناع للخير معتدٍ أثيم ﴾ الآيات . وفي قوله تعالى : ﴿ ذرني ومن خلقت وحيداً ، وجعلت له مالاً ممدوداً ، وبنين شهوداً ، ومهدت له تمهيداً ، ثم يطمع أن أزيد ، كلا إنه كان لآياتنا عنيداً ، سأرهقه صعوداً ، إنه فكر وقدر ، فقتل كيف قدر ، ثم قتل كيف قدر ، ثم نظر ثم عبس وبسر ، ثم أدبر واستكبر ، فقال إن هذا إلا سحر يؤثر ، أن هذا إلا قول البشر سأصليه سقر ﴾ .

ومن استهزاء أبي لهب به ﷺ انه كان يطرح القذر على باب رسول الله ﷺ . وفي يوم من الأيام رآه أخوه حمزة ـ رضي الله عنه ـ قد فعل ذلك فأخذه وطرحه على رأسه فجعل أبو لهب ينفضه ويقول صابىء أحمق ، ومن ذلك أن النبي ﷺ كان يطوف على الناس في أوّل أمره في منازلهم يقول : ان الله يأمركم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأبو لهب وراءه يتبعه إذا مشي يقول : يا أيها الناس ان هذا يأمركم ان تتركوا دين آبائكم وذلك عار عليكم . قال العلامة الزرقاني : فانظر هذا الابتلاء في الله فلو كان من غير قريب كان أسهل لأن العرب كانت تقول قوم الرجل أعلم به . ولذا قال ﷺ : ما أوذي أحد ما أوذيت لأنه ﷺ أصيب من قومه بأكبر البلاء ، آذوه أشدّ الإيذاء ورموه بالسحر والشعر والكهانة والجنون ، وبرأه الله من جميع ذلك بالبراهين القاطعة في كتابه العزيز . ومنهم من كان يحثو التراب على رأسه ﷺ ويجعل الدم على بابه وسلى الجزور على ظهره كما تقدم . فلما بالغوا في الإيذاء والاستهزاء أتى جبريل الى النبي ﷺ وهو يطوف البيت وقال له : أمرت ان أكفيكهم فلما مرّ الوليد بن المغيرة قال جبريل للنبي ﷺ : كيف تجد هذا ؟ فقال : بئس عبد الله فأومأ إلى ساق الوليد وقال : قد كفيته ، فمرّ بنبال يريش نبله ويصلحها فتعلق بثوبه سهم ، فعرضت له شظية من نبل فلم ينعطف لأخذه تكبراً وتعاظماً فأصاب عرقاً في عقبه فمرض فمات كافراً ، ثم مرّ العاص بن وائل السهمي فقال : كيف تجد هذا يا محمد ؟ فقال : عبد سوء فأومأ الى أخمصه وقال : كفيته فخرج يتنزه فنزل شعباً فدخلت فيه شوكة فانتفخت رجله

حتى صارت كالرحى . وفي رواية : كعنق البعير ، فمات . ثم مرّ الحرث بن قيس السهمي فقال : كيف تجد هذا يا محمد ؟ قا : عبد سوء فأومأ الى بطنه وقال : قد كفيته وقيل : اشار الى أنفه فامتخط قيحاً فمات . وقيل أكل حوتاً مملوحاً فما زال يشرب عليه حتى أنقد بطنه . ثم مر الأسود بن عبد يغوث فقال : كيف تجد هذا يا محمد ؟ قال عبد سوء فأومأ الى رأسه وقال : كفيته . وقيل أشار اليه وهو قاعد في أصل شجرة فجعل ينطح برأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات على كفره . وقيل أشار جبريل الى بطنه بإصبعه فاستسقى بطنه فمات ، وقيل : خرج في رأسه قروح فمات .

وقال الزرقاني : ويمكن انها بسبب نطحه الشجرة ، وقيل : خرج من عند أهله فأصابته السموم حتى صار حبشياً فأتى أهله فلم يعرفوه ، فأغلقوا دونه الباب ، فرجع وصار يطوف بشعاب مكة حتى مات عطشاً ، ويمكن الجمع باحتمال وقوع جميع ذلك له . ثم مرّ الأسود بن مطلب فقال : كيف تجد هذا يا محمد ؟ قال : عبد سوء فأومأ الى عينيه وقال : قد كفيته . قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ رماه بورقة خضراء فعمي بصره كما عميت بصيرته فلم يميز بين الحسن والقبيح ووجعت عينه فضرب برأسه الجدار حتى هلك ، وهو يقول : قتلني رب محمد . وفي رواية : انه خرج ليستقبل ولده وقد قدم من الشام فلما كان ببعض الطريق جلس في ظل شجرة فجعل جبريل يضرب وجهه وعينيه بورقة من ورقها حتى عمي فجعل يستغيث بغلامه ، فقال له غلامه : لا أحد يصنع بك شيئاً وقيل : ضربه بغصن فيه شوك فسالت حدقتاه ، وصار يقول : من هذا طعن بالشوك في عيني ؟ فيقال له ما نرى شيئاً . وقيل : أتى شجرة فجعل ينطحها برأسه حتى خرجت عيناه وكان يقول : دعا علي محمد بالعمى فاستجيب له . وزاد بعضهم ، وهلك ابو لهب بالعدسة يعني الجدري وهي ميتة شنيعة وعقبة بن ابي معيط قتل صبراً بعد انصرافه ﷺ من بدر . والى الخمسة المشهورين المعنيين بقوله تعالى ﴿ انا كفيناك المستهزئين ﴾ أشار صاحب الهمزية بقوله :

وكفاه المستهزئين وكم سا ء نبياً من قومه استهزاء
خمسة كلهم أصيبوا بداء والردى من جنوده الأدواء

فدهى الأسود بن مطلب أي عمي ميت به الاحياء .

ودهى الأسود بن عبد يغوث أن سقاه كأس الردى استسقاء

وأصـــاب الـــوليد خدشة سهم قصرت عنهـــا الحية الرقطاء
وقضـــت شوكة على مهجـــة العا ص فللّـــه النقعـــة الشوكاء
وعلى الحـــرث القيوح وقد سال بهـــا رأســـه وســـاء الوعاء
خمســـة طهـــرت بقطعهـــم الأر ض فكف الأذى بهـــم شلاء

وقد جاء عن ابـن عبـاس ـ رضي الله عنهما ـ ان هؤلاء الخمسـة هلـكوا في ليلـة واحدة ، فعلم ان هؤلاء هم المرادون بقوله تعالى : ﴿ انا كفيناك المستهزئين ﴾ كما ذكر وإن كان المستهزئون غير منحصرين فيهم فلا ينافي ان منبهاً ونبيهاً ابني الحجاج منهم فقد قيل انهما ممن آذى رسول الله ﷺ وكانا يلقيانه فيقولان له : أما وجد الله من يبعثه غيرك ؟ ان ههنا من هو أسنّ منك وأيسر ، فان كنت صادقاً فأتنا بملك يشهد لك ويكون معك . وإذا ذكر لهما رسول الله ﷺ قالا : معلم مجنون يعلمه أهل الكتاب ما يأتي به ولا ينافي أيضاً عد أبي جهل وغيره منهم كما تقدم . وفي السيرة الحلبية نقلاً عن سيرة ابن المحدث : من قرأ سورة الهمزة أعطاه الله تعالى عشرة حسنات بعدة من استهزأ بمحمد وأصحابه .

ومن استهزاء أبي جهل أيضاً بالنبي ﷺ انه قال يوماً لقريش : يا معشر قريش يزعم محمد أن جنود الله الذين يقذفونكم في النار يحبسونكم فيها تسعة عشر وأنتم أكثر الناس عدداً أفيعجز كل مائة رجل منكم عن واحد منهم ؟ وفي رواية : ان رجلاً من قريش وكان شديداً قوي البأس ، بلغ من شدته انه كان يقف على جلد البقرة ويجذبه عشرة لينزعوه من تحت قدمه فيتمزق الجلد ولا يتزحزح . قال له : انا اكفيك سبعة عشر واكفوني أنتـم اثنين وقيل : ان هذا الرجل دعا النبي ﷺ الى المصارعة ، وقال : يا محمد ان صرعتني آمنت بك فصرعه النبي ﷺ مراراً فلم يؤمن . وفي رواية : ان أبا جهل قال لهم : أنا أكفيكم عشرة فاكفوني تسعة ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ومـا جعلنـا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ﴾ الخ ما ذكره فيهم أي لا ينبغي ان تقولوا لم كانوا تسعة عشر وماذا أراد الله بهذا العدد ؟ لأن ذلك العدد لحكمة استأثر الله بعلمها ، وقد أبدى بعض المفسرين حكماً لذلك تراجع وقد جاء في وصف تلك الملائكة أن أعينهم كالبرق الخاطف وأنيابهم كالصياصي أي القرون ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة . وفي رواية : ما بين منكبي أحدهم كما بين المشرق والمغرب لأحدهم قوة كقوة الثقلين نزعت الرحمة منهم ، وأخرج العتبي في عيون الأخبار عن طاوس : ان الله خلق لمالك أصابع على عدد أهل النار ، وما

من احد في النار إلا ومالك يعذبه باصبع من أصابعه فوالله لو وضع مالك اصبعاً من اصابعه على السماء لأذابها وهؤلاء التسعة عشر هم الرؤساء ولكل واحد منهم اتباع لا يعلم عدتهم الا الله تعالى . قال تعالى : ﴿ وما يعلم جنود ربك الا هو ﴾ .

وعن كعب قال : يؤمر بالرجل الى النار فيبتدره مائة ألف ملك اي والمتبادر ان هؤلاء من خزنتها : قال بعضهم : ان عدد حروف بسم الله الرحمن الرحيم تسعة عشر على عدد الزبانية التسعة عشر فمن قرأها وهو مؤمن دفع الله تعالى عنه بكل حرف منها واحدا منهم ومن استهزاء أبي جهل انه قال يوماً لقريش : يا معشر قريش يخوفنا محمد بشجرة الزقوم يزعم انها شجرة في النار مع ان النار تأكل كل الشجر ، إنما الزقوم التمر والزبد : فأنزل الله تعالى : ﴿ انها شجرة تخرج في أصل الجحيم ﴾ . اي منبتها في أصل جهنم ولا تسلط لجهنم عليها أما علموا ان من قدر على خلق من يعيش في النار ويلتذ بها فهو أقدر على خلق الشجرة في النار وحفظه لها من الاحتراق بها ؟ وقد قال ابن سلام : انها تحيا باللهب كما يحيا شجر الدنيا بالمطر ، وثمر تلك الشجرة مر له ذفرة . وأخرج الترمذي وصححه النسائي والبيهقي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ان رسول الله ﷺ قال : لو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا لأفسدت على أهل الأرض معايشهم فكيف بمن تكون طعامه ؟ ومن استهزاء أبي جهل قوله : يا محمد لتتركنّ سب آلهتنا أو لنسبنّ إلهك الذي تعبد ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عَدْواً بغير علم ﴾ فكف عن سب آلهتهم وجعل يدعوهم الى الله عز وجل . وفي الدر المنثور للجلال السيوطي : في تفسير إنا كفيناك المستهزئين قيل نزلت في جماعة مرّ النبي ﷺ بهم فجعلوا يغمزون في قفاه ويقولون : هذا الذي يزعم انه نبي ومعه جبريل فغمز جبريل عليه السلام بأصبعه في أجسادهم فصارت جروحاً وأنتنت فلم يستطع أحد أن يدنو منهم حتى ماتوا . قال الحلبي : فلينظر الجمع اي بين هذا وما تقدم . ثم قال وقد يدعى انهم طائفة آخرون غير من ذكر لأنهم المستهزؤون ذلك الوقت اي فيكون نزول الآية قد تكرر والله أعلم .

ومن استهزاء النضر بن الحرث انه كان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلساً يحدث فيه قومه ويحذرهم ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله تعالى خلفه في مجلسه ويقول لقريش هلموا فإني والله يا معشر قريش أحسن حديثاً منه يعني النبي ﷺ . ثم يحدثهم عن

ملوك فارس لأنه كان يعلم أحاديثهم ويقول : ما حديث محمد إلا أساطير الأوّلين . ويقال انه قال : سأنزل مثل ما أنزل الله لأنه ذهب الى الحيرة واشترى منها أحاديث الأعاجم . ثم قدم بها مكة فكان يحدث بها ويقول : هذه كأحاديث محمد عن عاد وثمود وغيرهم . ويقال ان ذلك سبب نزول قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ﴾ والمشهور انها في شراء المغنيات ولأبعد أن تكون الآية نزلت فيهما معاً لتحققه فيهما وقوله تعالى : ﴿ وإذا تتلى عليه آيتنا ولّى مستكبراً ﴾ يناسب النضر ولما تلا عليهم رسول الله ﷺ نبأ الأوّلين قال النضر ابن الحرث : لو شئنا لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأوّلين وأنزل الله تكذيباً له : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ أي معيناً له . وجاء أن جماعة من بني مخزوم ومنهم أبو جهل والوليد بن المغيرة ، تواصوا على قتله ﷺ فبينما النبي ﷺ قائم يصلي إذ سمعوا قراءته فأرسلوا الوليد ليقتله ، فانطلق حتى أتى المكان الذي يصلي فيه فجعل يسمع قراءته ولا يراه فانصرف اليهم وأعلمهم بذلك فأتوه ، فلما سمعوا قراءته قصدوا الصوت فاذا الصوت من خلفهم فذهبوا اليه فسمعوه من أمامهم ، ولا زالوا كذلك حتى انصرفوا خائبين فأنزل الله تعالى : ﴿ وجعلنا من بين أيديهم سدّاً ومن خلفهم سدّاً فأغشيناهم فهم لا يبصرون ﴾ وقيل في نزولها غير ذلك . ولا مانع من أن تكون نزلت للكل .

وجاء أن النضر بن الحرث رأى النبي ﷺ منفرداً أسفل من ثنية الحجون فقال : لا أجده أبداً أحلى منه الساعة فأغتاله ، فدنا الى رسول الله ﷺ ليغتاله فرأى أسوداً تضرب بأنيابها على رأسه فاتحة أفواهها ، فرجع على عقبه مرعوباً ، فلقي أبا جهل فقال : من أين ؟ فأخبره النضر الخبر فقال أبو جهل : هذ بعض سحره ومما تعنتوا به أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ﴾ اي وقودها وحصب بالزنجية حطب أي حطب جهنم وقد قرأتها عائشة ـ رضي الله عنها ـ ﴿ وكذلك أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون ﴾ شق على كفار قريش وقالوا لعبد الله بن الزبعرى قد زعم محمد أنا وما نعبد منآلهتنا حصب جهنم ، فقال ابن الزبعرى : أنا أخصم لكم محمداً ، فدعوه له فقال : يا محمد هذا شيء لآلهتنا خاصة أم لكل من عبد من دون الله ؟ فقال : بل لكل من عبد من دون الله . فقال ابن الزبعرى : خصمت ورب هذه البنية يعني الكعبة ألست تزعم أن عيسى عبد من دون الله وكذا عزيز والملائكة ؟ عبدت النصارى عيسى ، واليهود عزيراً ، وبنو مليح الملائكة ؟ ففضج الكفار وفرحوا . فقال

النبي ﷺ لابن الزبعرى : ما أجهلك بلغة قومك ما لما لا يعقل يعني ما في قوله تعالى : ﴿ وما تعبدون ﴾ وأنزل الله ﴿ ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعَدون ﴾ كعيسى وعزير والملائكة وهذا الحديث إن صح كان نصاً من الشارع لقول النحويين ما لما لا يعقل ومن تعنتهم واستهزائهم سؤالهم انشقاق القمر ، قيل انهم سألوه آية غير معينة فانشق القمر وقيل بل سألوه آية معينة وهي انشقاق القمر فانشق وجمع بين الروايتين بأنهم سألوا آية غير معينة أولاً ثم عينوها بانشقاق القمر .

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ اجتمع المشركون على رسول الله ﷺ فقالوا : ان كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين نصفاً على ابي قبيس ونصفاً على قعيقعان وكانت ليلة أربعة عشر وهي ليلة البدر فقال لهم رسول الله ﷺ : ان فعلت تؤمنوا ؟ قالوا : نعم فسأل رسول الله ﷺ ربه أن يعطيه ما سألوا فانشق القمر فرقتين نصفاً على أبي قبيس ونصفاً على قعيقعان فقال رسول الله ﷺ : اشهدوا اشهدوا . وفي رواية : فانشق القمر نصفين نصفاً على الصفا ونصفاً على المروة قدر ما بين العصر إلى الليل ينظر اليه ثم غاب وفي رواية : انه عاد بعد بعد غروبه . وفي رواية : فانشق مرتين والمراد فرقتين جمعاً بين الروايات وعند ذلك قال كفار قريش : سحركم محمد فقال رجل منهم : ان كان محمد سحر القمر بالنسبة اليكم فانه لا يبلغ من سحره أن يسحر الأرض كلها أي جميع أهل الأرض فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر فسألوا القادمين من كل فج هل رأوا هذا فأخبروهم انهم رأوا مثل ذلك ، فعند ذلك قالوا : هذا سحر مستمر أي مطرد ، وهذا الكلام صريح في أن رؤية الانشقاق حصلت لجميع أهل الآفاق لا أنها مختصة بأهل مكة وهو كذلك وقد أشار سبحانه وتعالى الى ذلك بقوله : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ، وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾ وستأتي ان شاء الله هذه القصة بأبسط مما هنا عند ذكر المعجزات في آخر الكتاب .

ومن الآيات التي ظهرت على يديه ﷺ في أوّل البعثة بمكة قصة ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف القرشي الصحابي المكي أسلم ـ رضي الله عنه ـ عام الفتح وتوفي بالمدينة في خلافة معاوية ـ رضي الله عنه ـ سنة اثنتين وأربعين من الهجرة ، وكان شديد البأس قوياً جسيماً معروفاً بالقوة في المصارعة بحيث انه لم يصرعه أحد قط ولا يمس جنبه الأرض مغلوباً قط ، وقد صح انه ﷺ صارعه فصرعه وكان ركانة قبل إسلامه يرعى غنماً له بوادي وهو من أفتك الناس وأشدّهم ، فخرج ﷺ يوماً من بيته وتوجه لذلك الوادي

فلقيه ركانة وليس ثمة أحد غيرهما فقال له : انت الذي تشتم آلهتنا وتدعو إلهك العزيز ؟ ولولا رحم بيني وبينك قتلتك ولكن ادع إلهك أن ينجيك مني اليوم وانا أدعوك لأمر وهو أن تصارعني وتدعو إلهك وأدعو اللات والعزى ، فان غلبتني فلك من غنمي هذه عشرة تختارها . فصارعه ﷺ فغلبه فقال : لم تصرعني وانما غلبني إلهك وخذلني اللات والعزى ، وما وضع جنبي على الأرض أحد قبلك ، ولكن عد فإن صرعتني فلك عشرة أخرى فعاد فصرعه فقال له : كما قال أولاً ثم عاد ثالثة فصرعه فقال : دونكما ثلاثين من غنمي تختارها . فقال له النبي ﷺ : لا أريد ذلك ولكن أدعوك إلى الإسلام فأسلم تسلم من النار . فقال لا إلا أن تريني آية فقال له : إن أريتك آية تسلم ؟ قال :نعم . وكان بقربه شجرة سمرة فقال لها : أقبلي باذن الله تعالى فانشقت اثنتين وأقبل نصفها حتى كان بين يديه ﷺ ويدي ركانة فقال : أريتني أمراً عظيماً فمرها فلترجع ؟ فقال : أن أمرتها فرجعت تسلم ؟ قال : نعم . فأمرها فرجعت والتأمت بقضبانها وفروعها مع نصفها الآخر . فقال له : أسلم ، فقال أكره أن يتحدث نساء المدينة يعني مكة وصبيانها بأني أجبتك لرعب قلبي منك ولكن الغنم لك فقال له : لا حاجة لي بها وانطلق ﷺ وسلم فلقيه أبو بكر - رضي الله عنه - فقال للنبي ﷺ تخرج الى هذا الوادي وبه ركانة فضحك النبي ﷺ وأخبر أبا بكر - رضي الله عنه - بالقصة فتعجب ابو بكر - رضي الله عنه - وتقدم أنه لم يسلم ركانة إلا عام الفتح - رضي الله عنه - .

بابٌ في بيان تعذيب كفار قريش للمستضعفين من المؤمنين

قال في المواهب وشرحها : ما زال النبي ﷺ مستخفياً هو والمسلمون في دار الأرقم حتى نزل عليه قوله تعالى: ﴿ فاصدع بما تؤمر ﴾فجهر هو وأصحابه بالدعوة الى الله تعالى فكان ذلك في السنة الثالثة من النبوّة وهي المدّة التي أخفى رسول الله ﷺ فيها أمره ، الى أن أمره الله بإظهاره فبادأ قومه بالإسلام وكرّر ذلك وأكده وبالغ في إظهار الحجة ، حتى كأنه صدع قلوبهم بما أورده عليهم من الحجج والبراهين التي عجزوا عن دفعها ، كما أمره الله تعالى ومع ذلك لم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه ، بل قال الزهري : كانوا غير منكرين لما يقول ، وكان إذا مرّ عليهم في مجالسهم يقولون : هذا ابن عبد المطلب يكلم من في السماء ، واستمروا على ذلك حتى ذكر آلهتهم وعابها لما دخل المسجد يوماً فوجدهم يسجدون للأصنام فنهاهم وقال : أبطلتم دين ابيكم ابراهيم ؟ فقالوا : إنما نسجد لها لتقربنا الى الله تعالى . فلم يرض بذلك منهم وعاب صنعهم فأجمعوا على مخالفته وعداوته إلا من عصم الله بالإسلام وهم قليلون مستخفون وحدب أي عطف عليه عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه كما تقدّم.واشتدّ الأمر بين القوم وضرب بعضهم بعضاً وأظهر بعضهم لبعض العداوة وتذامرت أي تشاورت قريش على من أسلم منهم يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم . وكان ذلك بإغراء من أبي جهل لعنه الله ، كان إذا سمع برجل أسلم وله شرف ومنعة لامه . وقال : تركت دين ابيك وهو خير منك لنسفهنّ حلمك ولتقلبن رأيك ولتضعنّ شرفك . وإن كان تاجراً : فلنكسدن تجارتك ولتهلكنّ مالك . وان كان ضعيفاً ضربه .

فممن عذب في الله لأجل أن يفتتن في دينه فثبت عمار ابن ياسر - رضي الله عنهما -

كان يعذب بالنار وكانﷺ يمر به وهو يعذب فيمر يده على رأسه ويقول : يا نار كوني برداً وسلاماً على عمار كما كنت على إبراهيم - عليه السلام - وكشف عن ظهر عمار فوجد أثر النار به أبيض كالبرص ولعل حصول ذلك كان قبل دعائه لهﷺ بان النار تكون عليه برداً وسلاماً . وعن ام هانىء بنت ابي طالب - رضي الله عنها - قالت : ان عمار بن ياسر وأباه وأخاه عبد الله وسمية ام عمار - رضي الله عنهم - كانوا يعذبون في الله فمر بهم النبيﷺ فقال : صبراً آل ياسر صبراً آل ياسر . وقد فعلت فمات ياسر في العذاب وأعطيت سمية أم عمار لأبي جهل يعذبها أعطاها له عمه أبو حذيفة بن المغيرة فانها كانت مولاته فأخذها أبو جهل وعذبها تعذيباً شديداً رجاء أن تفتن في دينها فلم تجبه لما يسأل ، ثم طعنها في فرجها بحربة فماتت وكان يقول لها : ما آمنت بمحمد إلا انك عشقتيه لجماله قيل : انها أول شهيدة في الإسلام - رضي الله عنها - .

وعن بعضهم : كان أبو جهل يعذب عمار بن ياسر وامه ويجعل لعمار درعاً من حديد في اليوم الصائف وفيه نزل : ﴿ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ﴾ وجاء أن عمار - رضي الله عنه - قال للنبيﷺ لقد بلغ منا العذاب كل مبلغ ، فقال النبيﷺ : صبراً أبا اليقظان . ثم قالﷺ : اللهم لا تعذب أحداً من آل عمار بالنار ، وكانت أمه سمية سابعة سبعة في الإسلام ، وقتلت وهي عجوز كبيرة . ورؤي مرة في ظهر عمار - رضي الله عنه - أثر كالمخيط فسئل عنه فقال : هذا ما كانت تعذبني قريش في رمضاء مكة ، وجاء أنهم بعد ان قتلوا أباه وأمه تلفظ لهم بالكفر ظاهراً فقيل للنبيﷺ قد كفر عمار : فقال : كلا والله إن الايمان قد خالط بشاشة قلبه وفيه أنزل الله تعالى : ﴿ من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ﴾ وروي أنه كان يعذب حتى لا يدري ما يقول . ثم فرج الله عنه بعد طول تعذيبه حتى عاش الى خلافة علي - رضي الله عنه - وقتل بصفين ووردت في فضائله أحاديث كثيرة - رضي الله عنه - .

وممن كان يعذب في الله خباب بن الأرتّ - رضي الله عنه - ففي البخاري عن خباب ابن الأرتّ - رضي الله عنه - قال : أتيت النبيﷺ وهو متوسد بردة في ظل الكعبة ، وقد لقينا من المشركين شدّة شديدة فقلت : يا رسول الله ألا تدعو الله لنا؟ فقعد محمراً وجهه فقال : إنه كان من قبلكم ليمشط أحدهم بأمشاط الحديد ، ما دون عظمه من لحم وعصب

ما يصرفه ذلك عن دينه ليظهرنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله ، والذئب على غنمه . وعن خباب بن الأرت أيضاً ـ رضي الله عنه ـ ويحكي عن نفسه قال : لقد رأيتني يوماً وقد أوقد لي نار ووضعوها على ظهري فما أطفأها إلا ودك ظهري أي دهنه . وكان خباب ـ رضي الله عنه ـ قيناً أي حدّاداً وكان قد سبي من أهله في الجاهلية ، فاشترته امرأة تسمى أم انمار . فلما أسلم صارت مولاته تعذبه تأخذ الحديد وقد أحمتها في النار فتضعها على رأسه ، فشكى ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال اللهم انصر خباباً فاشتكت مولاته رأسها فكانت تعوي مع الكلاب ، فقيل لها : اكتوي فكانت تأمر خباباً فيأخذ الحديد فيكوي به رأسها ، وكان أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ إذا مر بأحد من العبيد يعذب اشتراه واعتقه وهم كثيرون ، منهم : بلال ـ رضي الله عنه ـ وكان مولى لأمية بن خلف الجمحي ، واشترى حمامة ام بلال ـ رضي الله عنها ـ وعامر بن فهيرة ـ رضي الله عنه ـ وأبا فكيهة ـ رضي الله عنه ـ وجارية بني المؤثل وتسمى لبينة تصغير لبنة والنهدية وبنتها وزنيرة وامة بني زهرة .

فمما كان يعذب به بلال ـ رضي الله عنه ـ ما رواه ابن اسحق ان أمية بن خلف كان يخرج بلالاً إذا حميت الظهيرة بعد أن يجيعه ويعطشه ليلة ويوماً فيطرحه على ظهره في المرضاء أي الرمل إذا اشتدت حرارته ولو وضعت عليه قطعة لحم لنضجت ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له : لا تزال هكذا حتى تموت ، أو تكفر بمحمد ﷺ وتعبد اللات والعزى ، فيأبى ذلك . وقيل : ان بلالاً ـ رضي الله عنه ـ كان لعبد الله بن جدعان من جملة مماليكه فلما بعث النبي ﷺ أمر عبد الله بن جدعان بهم فأخرجوا من مكة خوف إسلامهم فأخرجوا إلا بلالاً ـ رضي الله عنه ـ فانه كان يرعى غنمه ويكتم إسلامه ، فجاء يوماً الى الأصنام التي حول الكعبة وصار يبصق عليها ويقول : خاب وخسر من عبدك ، فشعرت به قريش فشكوه الى عبد الله بن جدعان قالوا له ، اصبوت ؟ قال : ومثلي يقال له هذا ؟ فقالوا له : ان اسودك صنع كذا وكذا فأعطاهم مائة من الإبل ينحرونها للأصنام ومكنهم من تعذيب بلال ـ رضي الله عنه ـ ويجوز أن يكون ابن جدعان بعد ذلك ملكه لأمية بن خلف ، فكان يتولى تعذيبه فلا ينافي ما تقدم وقد مر عليه ورقة بن نوفل وهو يقول : أحد أحد ، فقال ورقة : نعم أحد أحد والله يا بلال ، ثم إن ورقة بن نوفل قال لأمية : والله لئن قتلتمموه لأتخذته حناناً أي لاتخذت قبره منسكاً ومترحماً .

يروى أن بلالاً ـ رضي الله عنه ـ حين اشتراه الصديق كان يعذب تحت الحجارة

ويقومون دونك . فقال : يا أبت انما أريد ما عند الله تعالى ، فأنزل الله تعالى : ﴿ فأما من أعطى واتقى ﴾ الى آخر السورة . قال في السيرة الحلبية : مر أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ ببلال وهو يعذب وعلى صدره صخرة عظيمة ، فقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ لأمية بن خلف : ألا تتقي الله في هذا المسكين ؟ قال : أنت أفسدته فأنقذه بما ترى . قال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى على دينك اعطيكه به ؟ قال : قبلت هو لك فأعطاه أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ غلامه ذلك وأخذ بلالاً فأعتقه . وفي تفسير البغوي قال سعيد بن المسيب : بلغني أن امية بن خلف قال لأبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ في بلال حين قال : أتبيعنيه ؟ قال : نعم أبيعه بقسطاس يعني عبداً لأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ عشرة آلاف دينار للتجارة وغلمان وجوار وكان مشركاً يأبى الإسلام فاشترى أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ بلالاً به. ويروى انه لما ساوم أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ أمية بن خلف في بلال قال امية لأصحابه : لألعبن بأبي بكر لعبة ما لعبها أحد باحد ثم تضاحك وقال : اعطني عبدك قسطاس . قال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ ان فعلت تفعل ؟ قال : نعم . قال : قد فعلت ذلك فتضاحك . وقال : لا والله حتى تعطيني معه امرأته. قال: ان فعلت تفعل ؟ قال : نعم . قال : قد فعلت فتضاحك . وقال لا والله حتى تعطيني ابنته مع امرأته . قال : ان فعلت تفعل ؟ قال : نعم قال : قد فعلت . قال : لا والله حتى تزيدني مائتي دينار . فقال ابو بكر ـ رضي الله عنه ـ أنت رجل لا تستحي من الكذب قال : واللات والعزى لئن أعطيتني لأفعلن . قال هي لك فأخذها وأخذ أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ بلالاً فأعتقه . وقيل اشتراه بسبع أواق وقيل برطل من ذهب . وقيل غير ذلك : يروى ان سيده قال لأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ بعد شرائه أنه لو أبيت إلا بأوقية لبعناكه أي لو قلت لا أشتريه إلا بأوقية لأخذته . فقال له أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ لو طلبت مائة أوقية لأخذتها به .

ولما قال المشركون ما أعتق أبو بكر بلالاً إلا ليد كانت له عنده فكافأه بها ، أنزل الله تعالى : ﴿ والليل إذا يغشى ﴾ إلى آخر السورة . فقوله : ﴿ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى ﴾ فهو أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ وقوله : ﴿ وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى ﴾ فهو أمية بن خلف وقوله : ﴿ لا يصلاها إلا الأشقى ﴾ هو أمية وقوله : ﴿ سيجنبها الأتقى ﴾ هو أبو بكر . وفي قوله الأتقى تصريح بانه أتقى البرية إذ التقدير الأتقى من كل احد لأنّ الحذف يفيد العموم . والمراد من كل أحد غير الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ولما بلغ النبي ﷺ ان أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ اشترى بلالاً قال له :

الشرك يا أبا بكر . فقال : قد أعتقته يا رسول الله اي لأنّ بلالاً ـ رضي الله عنه ـ قال لأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ حين اشتراه : ان كنت اشتريتني لنفسك فأمسكني ، وإن كنت إنما اشتريتني لله عز وجل فدعني لله تعالى ، فأعتقه . ويروى ان النبيﷺ لقي أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ فقال : لو كان عندي مال اشتريت بلالاً فانطلق العباس ـ رضي الله عنه ـ فاشتراه فبعث به إلى أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ أي ملكه له بثمنه فأعتقه فليتأمل الجمع بين هذه الأقوال ، ويمكن ان يقال ان العباس ـ رضي الله عنه ـ رغب أمية في بيع بلال فلما ظهر له الرضا ببيعه أرسل الى أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ لعلمه برغبة أبي بكر في شرائه وعتقه . فأطلق على ذلك ان العباس اشتراه والله سبحانه وتعالى اعلم .

وقد اشترى ابو بكر ـ رضي الله عنه ـ جماعة آخرين ممن كان يعذب في الله منهم حمامة أم بلال ـ رضي الله عنها ـ ومنهم عامر بن فهيرة فانه كان يعذب في الله حتى لا يدري ما يقول ، وكان لرجل من بني تيم من قرابة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ ومنهم أبو فكيهة ، وكان عبد الصفوان بن أمية أسلم حين أسلم أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ فمر به أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ وقد أخذه صفوان بن أمية وأخرجه نصف النهار في شدة الحر مقيداً إلى الرمضاء ، فوضع على بطنه صخرة فاخرج لسانه وأبيّ بن خلف عم صفوان يقول : زده عذاباً حتى يأتي محمداً فيخلصه بسحره ، فاشتراه أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ وأعتقه .

وممن كان يعذب فاشتراه ابو بكر ـ رضي الله عنه ـ ام عنيس ، وكانت أمة لبني زهرة كان الأسود بن عبد يغوث الزهري يعذبها ، فاشتراها ابو بكر ـ رضي الله عنه ـ وأعتقها وكذا اشترى ابنتها واسمها لطيفة ، قيل كانت بنتها للوليد بن المغيرة وكذا اشترى أخت عامر بن فهيرة أو أمه وكانت لعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قبل ان يسلم وكان يعذبها فمر أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ عليه وهو يضربها فضربها حتى مل فاستامها منه أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ ثم اشتراها ، وأعتقها وكذا اشترى لبينة جارية المؤمل بن حبيب وأعتقها ، واشترى أيضاً الزنيرة ـ على وزن سكينة ـ وقيل بتشديد النون وكانت أمة لعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قبل ان يسلم فكان يعذبها ومعه جماعة من قريش فتأبى إلا الإسلام ، وكان أبو جهل لعنه الله يقول : ألا تعجبوا الى هؤلاء وأتباعهم لو كان ما أتى به محمد خيراً وحقاً ما سبقونا إليه ، افتسبقنا زنيرة إلى رشد وكان كفار قريش يقولون أيضاً : لو كان خيراً ما سبقتنا زنيرة اي ومن كان مثلها . فأنزل الله في شأنها : ﴿ وقال الذين كفروا للذين آمنوا أي مشيرين اليهم ـ لو كان خيراً ما سبقونا اليه وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم ﴾

ولما اشتد الضرب والعذاب على زنيرة عميت وذهب بصرها . فقال المشركون : ما أصاب بصرها إلا اللات والعزى.وجاءها ابو جهل لعنه الله وقال لها : انما فعل بك ما ترين اللات والعزى ، وتبعه كفار قريش على ذلك فقالت لهم : والله هو كذلك وما يدري اللات والعزى من يعبدهما . ولكن هذا أمر من السماء وربي قادر على أن يردّ عليّ بصري ، فردّ الله عليها بصرها صبيحة تلك الليلة . فقالت قريش : هذا من سحر محمد فاشتراها أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ فأعتقها وكان من تعذيب قريش لهؤلاء المسلمين أن يلبسوهم أدراع الحديد ويطرحوهم في الشمس لتؤثر حرارتها فيهم .

وأما النبي ﷺ فمنعه الله بعمه أبي طالب وبما كان يظهره الله لأعدائه من الآيات وخوارق العادات ، كبعث جبريل في صورة فحل ليلتقم أبا جهل ، وأما أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ فمنعه الله بقومه من توالي الأذى وشدته وكان يناله بعد الأذى ، وسيأتي انه أراد الهجرة الى الحبشة مع من هاجر اليها ثم جلس ، وأما المستضعفون فصاروا يعذبونهم بأنواع العذاب ثم أذن رسول الله ﷺ لأصحابه في الهجرة الى الحبشة ، روى ابن إسحق أن سبب الهجرة الى الحبشة أنه ﷺ لما رأى المشركين يؤذون أصحابه ولا يستطيع أن يكفهم عنهم قال لهم : لو خرجتم الى أرض الحبشة فان بها ملكاً لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه ، فخرجوا اليها مخافة الفتنة وفراراً الى الله بدينهم ، فكانت أوّل هجرة في الإسلام وذلك في رجب سنة خمس من النبوة ، فهاجر اليها ناس ذوو عدد منهم من هاجر بنفسه وحده ، ومنهم من هاجر بأهله . فمن هاجر بأهله عثمان بن عفان ـ رضي الله تعالى عنه ـ هاجر ومعه زوجته رقية بنت النبي ﷺ ورضي عنهما وأبو سلمة بن عبد الأسد هاجر ومع زوجته أم سلمة ـ رضي الله عنهما ـ وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة هاجر ومعه زوجته سهلة بنت سهيل بن عمرو مراغماً كل منهما لأبيه فارين بدينهما ، فولدت له سهلة بالحبشة محمد بن أبي حذيفة .

وممن هاجر بأهله عامر بن أبي ربيعة هاجر ومعه زوجته ليلى العدوية ، وهاجرت أم أيمن مع السيدة رقية ـ رضي الله عنهما ـ ويقال لها بركة الحبشية وهاجرت معها لتخدمها وتقوم بشأنها لأنها مولاة أبيها وهو النبي ﷺ ، وممن هاجر بلا زوجة عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام ومصعب بن عمير وعثمان بن مظعون وسهيل بن بيضاء وأبو سبرة بن أبي رهم وحاطب بن عمرو والعامريان وعبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنهم ـ وخرجوا مشاة

متسللين سراً ثم استأجروا سفينة بنصف دينار ،وخرجت قريش في آثارهم حتى جاؤوا الى البحر حيث ركبوا فلم يدركوا منهم أحداً وكان أول من خرج عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ مع امرأته رقية ـ رضي الله عنها ـ فقالﷺ : ان عثمان لأول من هاجر بأهله بعد نبي الله لوط ـ عليه السلام ـ ثم أبطأ على رسول الله ﷺ خبرهما ، فقدمت امرأة فقالت : قد رأيتهما وقد حمل عثمان امرأته على حمار فقالﷺ : صحبهما الله وكانت رقية ـ رضي الله عنها ـ ذات جمال بارع وكذا عثمان ـ رضي الله عنه ـ ومن ثم كان النساء يعنينهما بقولهن :

أحســن شيء قد يرى إنسان رقية وبعلهــا عثمان

ويروى أنهﷺ أرسل رجلاً الى عثمان ورقية ـ رضي الله عنهما ـ في حاجة ، وقيل بطعام ليحمله إليهما ، فأبطأ عليه الرسول ، فلما جاء قال لهﷺ : ان شئت أخبرتك ما حبسك قال : نعم . قال : وقفت تنظر الى عثمان ورقية وتعجب من حسنهما قال : نعم . والذي بعثك بالحق وكان ذلك قبل نزول آية الحجاب . ويذكر أن نفراً من الحبشة كانوا ينظرون ـ رقية ـ رضي الله عنها ـ فتأذت من ذلك فدعت عليهم فقتلوا جميعاً.وقد جاء في وصف عثمان ـ رضي الله عنه ـ قولهﷺ قال لي جبريل ـ عليه السلام ـ إن أردت أن تنظر في أهل الأرض شبيه يوسف ـ عليه السلام ـ فانظر الى عثمان ـ رضي الله عنه ـ وجاء فضله ـ رضي الله عنه ـ أن لكل نبي رفيقاً في الجنة ورفيقي فيها عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ ولما وصلوا الحبشة اكرمهم النجاشي وأقاموا عنده آمنين ، وقالوا : جاورنا بها خير جار على ديننا وعبَدْنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه .

ولما هاجر الناس الى الحبشة اشتد البلاء على بقية المسلمين بمكة فأراد أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ الهجرة الى الحبشة فخرج حتى بلغ برك الغماد ، وهو موضع على خمس ليال من مكة الى جهة اليمن فلقيه ابن الدغنة سيد القارة وهي قبيلة مشهورة من بني الهـون بن خزيمة بن مدركة بن الياس وكانوا حلفاء لبني زهرة من قريش فقال ابن الدغنة لأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ أين تريد يا أبا بكر ؟ فقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ أخرجني قومي فأريد أن أسيخ في الأرض وأعبد ربي . فقال ابن الدغنة : مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج إنك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق . فأنا لك جار ، ارجع واعبد ربك ببلدك ، فرجع وارتحل معه ابـن الدغنـة فطـاف عشية في

أشراف قريش فقال : إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج أتخرجون رجلاً يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق ؟ فلم ينكروا شيئاً من ذلك . وأجازوا جواره وقالوا : مر أبا بكر فليعبد ربه في داره فليصل فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا ولا يستعلن به ، فانا نخشى ان يفتن نساءنا وأبناءنا فقال ابن الدغنة لأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ ما قالوه له واشترط ذلك عليه فلبث أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ يعبد ربه في داره ولا يستعلن به مدة ، ثم ابتنى مسجداً بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فينقصف عليه اي يزدحم عليه نساء المشركين وأبناؤهم حتى يسقط بعضهم على بعض ، ويعجبون من قراءته وبكائه ، وكان أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ رجلاً بكاءً إذا قرأ لا يملك عينيه . فشق ذلك على أشراف قريش من المشركين فأرسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا له : إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره وهو قد بنى له مسجداً وأعلن بالصلاة والقراءة فيه ، وإنا قد خشينا ان يفتن نساءنا وابناءنا فانهه ، فان احب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل وان أبى إلا أن يعلن فسله أن يردّ عليك ذمتك ، فإنا قد كرهنا أن نخفرك أي نغدرك . فأتى ابن الدغنة الى أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وقال : قد علمت الذي عاقدت لك عليه فاما أن تقتصر على ذلك وإما أن ترد عليّ ذمتي وجواري ، فاني لا أحب ان تسمع العرب أني أخفرت في رجل عقدت له ذمة فقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ لابن الدغنة : فإني أردّ عليك جوارك وأرضى بجوار الله تعالى أي حمايته .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله عنه أشياء كثيرة قد امتاز بها عمن سواه ظاهرة لمن تأملها ، كموافقة ابن الدغنة في وصف الصديق ـ رضي الله عنه ـ لخديجة ـ رضي الله عنها ـ فيما وصفت به النبي ﷺ عند ابتداء نزول الوحي عليه كما تقدم ، وذلك يدل على عظيم فضل الصديق ـ رضي الله عنه ـ واتصافه بالصفات البالغة في أنواع الكمال . وجاء في بعض الأحاديث : كنت أنا وأبو بكر كفرسي رهان فسبقته الى النبوّة فتبعني ولو سبقني يعني لو جاءته النبوة لتبعته .

وجاء في بعض الأحاديث أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ خلقوا من طينة واحدة . ثم في شهر شوّال سنة خمس من البعثة قدم نفر من مهاجرة الحبشة الى مكة لانه بلغهم أن كفار قريش أسلموا كلهم ، وسبب شيوع هذا الخبر أن النبي ﷺ قرأ بمحضر من قريش سورة والنجم من أولها الى آخرها وسجد في آخرها ، فلما سجد سجد معه المشركون إلا رجلاً واحداً وهو أمية بن خلف أخذ كفاً من تراب ووضع جبهته عليه استكباراً من أن يسجد : وقال : يكفيني هذا . والصحيح في سبب سجودهم أنهم توهموا

أنه ذكر آلهتهم بخير حين سمعوا ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى وقيل : ان الشيطان ألقى في أسماعهم في خلال القراءة بعد قوله : ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ﴾ تلك الغرانيق العلى وأن شفاعتهن لترجى ، وهذه الكلمات أعني تلك الغرانيق ألخ أثبتها بعض المحدثين والمفسرين ونفاها آخرون . وقالوا انها كذب لا أصل لها . وطعنوا في الأحاديث التي فيها ذكر ذلك وقالوا سبب سجودهم إنما هو توهمهم مدح آلهتهم فقط . والذين أثبتوها اختلفوا فيها اختلافاً كثيراً والمحققون على تسليم ثبوتها أنها ليست من كلام النبي ﷺ بل الشيطان ألقاها الى أسماعهم ليفتنهم ولم يسمعها أحد من المسلمين .

وهذا هو المراد من قوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيّ إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمينته ﴾ الآيات وقيل : ان بعض الكفار هم الذي نطقوا بذكر تلك الكلمات في خلال قراءة النبي ﷺ ، فانهم كانوا يكثرون اللغط والصياح عند قراءته ﷺ ويتكلمون بالفحش خوفاً من إصغاء الناس الى القراءة وسماعهم لها وكان ذلك كله بإغراء من الشيطان . وقد حكى الله عنهم ذلك في قوله تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾ ولما تبين الأمر أنزل الله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك ﴾ الآيات ولا إشكال حينئذ في الآية . والله سبحانه وتعالى أعلم . ولما بلغ أرض الحبشة خبر إسلام أهل مكة فرح المسلمون الذين بارض الحبشة وقالوا : إن المسلمين قد أمنوا بمكة من الأذى فأقبلوا من أرض الحبشة سراعاً حتى إذا كانوا دون مكة بساعة من نهار لقوا ركباً من كنانة فسألوهم عن قريش فقالوا : ذكر محمد آلهتهم بخير فتابعه الملأ ، ثم عاد يشتم آلهتهم فعادوا له بالشر ، فتركناهم على ذلك فائتمر القوم أي تشاوروا في الرجوع الى الحبشة ثم قالوا : قد بلغنا مكة ندخل فننظر ما فيه قريش ونحدث عهداً بأهلنا ثم نرجع ، فدخلوها ولم يدخل أحد منهم إلا بجوار إلا ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ فانه دخل بلا جوار ومكث قليلاً ثم أسرع الرجوع الى الحبشة . وعن عثمان بن مظعون ـ رضي الله عنه ـ أنه لما رجع من الحبشة مع من رجع دخل مكة في جوار الوليد بن المغيرة المخزومي ، فلما رأى المشركين يؤذون المسلمين المستضعفين الذي ليس لهم من يجيرهم ولا يدفع وهو آمن لا يؤذيه أحد ردّ على الوليد جواره وقال : اكتفى بجوار الله فبينما هو في مجلس من مجالس قريش إذ وفد عليهم لبيد بن ربيعة قبل إسلامه ـ رضي الله عنه ـ فقعد ينشدهم من شعره ، فقال لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

فقال عثمان بن مظعون ـ رضي الله عنه ـ صدقت فقال :

وكل نعيم لا محالة زائل

فقال عثمان : كذبت نعيم الجنة لا يزول . فقال لبيد : يا معشر قريش متى كان يؤذى جليسكم ؟ فقام رجل منهم فلطم عثمان بن مظعون فاخضرت عينه فلامه الوليد على ردّ جواره ، وقال له : قد كنت في ذمة منيعة . فقال عثمان : ان عيني الأخرى الى ما أصاب اختها الفقيرة . وقال الوليد عد الى جوارك . فقال : لا بل أرضى بجوار الله تعالى . وكان من جملة من رجع الى الحبشة بعد الهجرة الاولى عند بلوغهم خبر إسلام قريش أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي زوج أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ قبل أن يتزوّج بها رسول اللهﷺ وكان ابو سلمة من السابقين للاسلام وهو ابن عمة النبيﷺ ، لأن أمه برة بنت عبد المطلب . ولما رجع الى مكة مع من رجع دخل في جوار خاله أبي طالب فمشى الى أبي طالب رجال من مخزوم أي جاؤوا اليه وقالوا : يا أبا طالب منعت منا ابن أخيك فما لك ولصاحبنا تمنعه منا يريدون أخذه وتعذيبه ؟ فقال لهم أبو طالب : انه استجار بي وانه ابن أختي وأنا إن لم أمنع ابن اختي لم أمنع ابن أخي . وقام ابو لهب مع أبي طالب على اولئك الرجال وقال لهم : يا معشر قريش لا تزالون تعارضون هذا الشيخ في جواره من قومه ؟ لتنتهنّ أو لأقومن معه في كل مقام يقوم فيه حتى يبلغ ما أراد ؟ قالوا : ننصرف عما تكره يا أبا عتبة . وأجازوا ذلك الجوار خوفاً من أن يكون أبو لهب مع أبي طالب في نصرة النبي ﷺ ، وذلك لأن أبا لهب كان مع قريش في منابذة النبيﷺ ومعاداته . فكان ابو لهب لقريش ولياً وناصراً ، فخافوا من خروجه من بينهم . ولما نصر أبو لهب أبا طالب في هذه القصة طمع أبو طالب في أن يكون أبو لهب معه في نصرة النبيﷺ وأنشأ ابياتا يحرضه فيها على نصرة النبيﷺ فلم يفعل ، ثم لما تبين للمسلمين الذي رجعوا من الحبشة ان قريشاً لم يسلموا رجعوا الى الحبشة وتسمى هذه الرجعة بالهجرة الثانية الى الحبشة .

فهاجر عامة من آمن بالله ورسوله اي غالبهم فكانوا عند النجاشي ثلاثة وثمانين رجلاً وثماني عشرة امرأة ، وكان من الرجال جعفر بن أبي طالب ومعه زوجته اسماء بنت عميس ، والمقداد بن الأسود وعبد الله بن مسعود وعبيدالله بالتصغير ابن جحش ومعه زوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فتنصر زوجها هناك ثم مات على النصرانية . وبقيت أم

رضي الله عنها ـ السبب في قول النجاشي : ما أخذ الله مني الرشوة حين ردّ علي ملكي ، وهو أن والد النجاشي كان ملكاً للحبشة فقتلوه وولوا أخاه الذي هوعم النجاشي فنشأ النجاشي في حجر عمه لبيباً حازماً ، وكان لعمه اثنا عشر ولداً لا يصلح واحد منهم للملك ، فما رأت الحبشة نجابة النجاشي خافوا أن يتولى عليهم فيقتلهم بقتلهم لأبيه فمشوا لعمه في قتله ، فأبى وأخرجه وباعه ، ثم لما كان عشاء تلك الليلة مرت على عمه صاعقة فمات فلما رأت الحبشة ان لا يصلح أمرها إلا النجاشي ذهبوا وجاؤوا به من عند الذي اشتراه ، وعقدوا له التاج وملكوه عليهم فسار فيهم سيرة حسنة . وفي رواية ما يقتضي ان الذي اشار له رجل من العرب وانه ذهب به الى بلاده ومكث عنده مدّة ثم لما مرج أمر الحبشة وضاق عليهم ما هم فيه ، خرجوا في طلبه وأتوا به من عند سيده . ويدل لذلك ما سيأتي انه عند وقعة بدر ، أرسل وطلب من كان عنده من المسلمين فدخلوا عليه فإذا هو قد لبس مسحاً وقعد على التراب والرماد فقالوا له : ما هذا أيها الملك ؟ فقال : انا نجد في الإنجيل أن الله سبحانه وتعالى ، إذا أحدث لعبده نعمة وجب عليه أن يحدث لله تواضعاً . وإن الله تعالى قد أحدث الينا واليكم نعمة عظيمة وهي ان محمداً ﷺ هو وأصحابه التقوا مع أعدائه وأعدائهم واقتتلوا بواد يقال له الأراك كنت أرعى فيه الغنم لسيدي من بني ضمرة ، وان الله تعالى قد هزم أعداءه فيه ونصر دينه .

وذكر السهيلي أنه كان إذا قرىء عليه القرآن يبكي حتى تخضلّ لحيته ، وهذا يدل على طول مكثه ببلاد العرب حتى تعلم من لسان العرب ما يفهم به معاني القرآن . وعن جعفر ابن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال : لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا خير جار أمنا على ديننا ، وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه ، فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا ان يبعثوا رجلين جلدين وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطيعون من متاع مكة ، وكان أعجب ما يأتيه منها الأدم فجمعوا له أدماً كثيراً ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً إلا أهدوا اليه هدية أي هيئوا له هدية ، ولا يخالف ما تقدم من ان الهدية كانت فرساً وجبة ديباج لأنه يجوز أن يكون بعض الأدم ضم الى تلك الفرس والجبة للملك ، وبقية الأدم فرق على أتباعه ليعاونوهما على مطلوبهما والاقتصار على الفرس والجبة . وفي الرواية السابقة : لأن ذلك خاص بالملك ثم بعثوا عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص يطلبون من النجاشي ان يسمعنا لهم أي قبل أن يكلمنا ، وحسن له بطارقته ذلك لأنهما لما أوصلا هداياهم اليهم قالوا لهم : إذا نحن كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه أن يسلمهم الينا قبل أن يكلمهم موافقة لما وضب

عليه قريش ، فقد ذكر أنهم قالوا لهما : ادفعوا لكل بطريق هديته قبل أن تكلما النجاشي فيهم . ثم قدّما النجاشي هداياه ثم اسألاه أن يسلمهم اليكما قبل أن يكلمهم فلما جاءآ الى الملك قالا له : أيها الملك قد صبا الى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت ، جاءهم به رجل كذاب خرج فينا يزعم انه رسول الله ولم يتبعه منا إلا السفهاء ، وقد بعثنا اليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم ليردوهم اليهم فهم اعلم بما عابوا عليهم ، فقال بطارقته : صدقوا أيها الملك قومهم أعلم بهم ، فأسلمهم اليهما ليردّاهم الى بلادهم وقومهم . فغضب النجاشي وقال : لا هاء الله اي لا والله لا أسلمهم ولا يكادون من قومهم ، جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان من أمرهم ، فان كان كما يقولان سلمتهم اليهما وإلا منعتهم عنهما ، وأحسنت جوارهم ما جاوروني .

قال جعفر ـ رضي الله عنه ـ ثم أرسل الينا ودعانا فلما دخلنا سلمنا فقال : من حضره ما لكم لا تسجدون للملك ؟ قلنا : لا نسجد إلا لله تعالى . فقال النجاشي : ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا دين أحد من الملوك ؟ قلنا : أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله لنا رسولاً كما بعث الرسل الى من قبلنا وذلك الرسول منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافته ، فدعانا الى الله تعالى لنعبده ونوحده ونخلع اي نترك ما كان يعبد من آباؤنا من دونه من الأحجار والأوثان ، وأمرنا أن نعبد الله وحده ، وأمرنا بالصلاة اي ركعتين بالغداة وركعيتن بالعشي والزكاة أي مطلق الصدقة والصيام أي ثلاثة أيام من كل شهر لأن صوم رمضان إنما فرض بالمدينة وامرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الأرحام وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ، أي ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة ، فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به ، فعدا علينا قومنا ليردّونا الى عبادة الأصنام واستحلال الخبائث فلما قهرنا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك . فقال النجاشي لجعفر : هل عندك شيء مما جاء به ؟ قلت : نعم قال : فاقرأ علي فقرأت عليه صدراً من كهيعص أي لكونها فيها قصة مريم وعيسى ـ عليهما السلام ـ فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته

وبكى أساقفته . وفي رواية : هل عندك مما جاء به عن الله شيء ؟ فقال جعفر : نعم . قال : فاقرأه علي .

قال البغوي : فقرأ عليه سورة العنكبوت والروم ففاضت عيناه وأعين أصحابه بالدمع وقالوا : زدنا يا جعفر من هذا الحديث ، فقرأ عليهم سورة الكهف فقال النجاشي : هذا والله الذي جاء به موسى . وفي رواية : ان هذا والذي جاء به موسى ليخرجان من مشكاة واحدة وهذا يدل على أن عيسى ـ عليه السلام ـ كان مقرراً لما جاء به موسى . وفي رواية : بدل موسى عيسى ويؤيده ما في رواية انه قال : ما زاد هذا على ما في الإنجيل إلا هذا العودمشيراً لعود كان في يده أخذه من الأرض . وأنزل الله في النجاشي وأصحابه ﴿ وإذا سمعوا ما أُنزل الى الرسول ﴾ الآيات في سورة المائدة . وفي رواية : أن جعفراً قال للنجاشي : سلهما أعبيد نحن أم أحرار ؟ فان كنا عبيداً أبقنا من أربابنا فارددنا اليهم ،فقال عمرو بل احرار . فقال جعفر :سلهما هل أرقنا دماً بغير حق فيقتص منا ، هل أخذنا أموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤه ؟ فقال عمرو : لا فقال النجاشي لعمرو وعمارة : هل لكما عليهم دين ؟ قالا : لا قال : انطلقا ، فوالله لا أسلمهم اليكما أبداً ، ولو أعطيتموني ديراً من ذهب أي جبلاً من ذهب ، ثم غدا عمرو الى النجاشي أي أتى اليه في غد ذلك اليوم وقال له : أنهم يقولون في عيسى قولاً عظيماً أي يقولون انه عبد الله وانه ليس ابن الله . وفي لفظ : ان عمراً قال للنجاشي : ايها الملك إنهم يشتمون عيسى وأمه في كتابهم فاسألهم فذكر له جعفر ذلك أي أجابه بما تقدم في الرواية الأولى . هذا وعن عروة بن الزبير انما كان يكلم النجاشي عثمان بن عفان وهو حصر عجيب فليتأمل ، ويمكن ان يقال ان مجالسهم تكررت فمرة كان الكلام فيها مع جعفر ، ومرة مع عثمان ـ رضي الله عنهما ـ .

وروى الطبراني عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ بسند فيه رجال الصحيح ان عمرو بن العاص مكر بعمارة بن الوليد اي للعداوة التي وقعت بينهما في سفرهما أي من ان عمرو بن العاص كان مع زوجته وكان قصيراً دميماً وكان عمارة رجلاً جميلاً ففتن امرأة عمرو وهوته فنزل هو وهي في السفينة ، فقال عمارة لعمر : مر امرأتك فلتقبلني أي تقبل معي . فقال له عمرو : ألا تستحي ؟ فأخذ عمارة عمراً ورمى به في البحر فجعل عمرو يسبح وينادي أصحاب السفينة ويناشد عمار حتى أدخله السفينة ، فأضمرها عمرو في نفسه ولم يبدها لعمارة ، بل قال لامرأته : قبلي ابن عمك عمارة لتطيب بذلك نفسه ، فلما

أتيا أرض الحبشة مكر به عمرو فقال : انت رجل جميل والنساء يحببن الجمال ، فتعرض لزوجة النجاشي لعلها ان تشفع لنا عنده ففعل عمارة وذلك وكرر تردّده اليها حتى أهدت اليه من عطرها ودخل عندها يوماً فلما تحقق ذلك عمرو أتى النجاشي وأخبره بذلك فقال : ان صاحبي هذا صاحب نساء وانه يريد أهلك وانه عندها الآن فبعث النجاشي فاذا عمارة عند امرأته فقال : لولا أنه جاري لقتلته ، ولكن سأفعل به ما هو شرّ من القتل فدعا بساحر فنفخ في إحليله نفخة صار منها هائماً على وجهه مسلوب العقل ، حتى لحق بالوحوش في الجبال الى ان مات على تلك الحال ، ومن شعر عمرو بن العاص يخاطب به عمارة بن الوليد :

إذا المرء لم يترك طعاماً يحبه ولم ينه قلباً غاوياً حيث يمما
قضى وطراً منه وغادر سبة إذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

ولا زال عمارة مع الوحوش إلى ان كان موته في خلافة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وان بعض الصحابة وهو ابن عمه عبد الله بن أبي ربيعة في زمن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ استأذنه في المسير اليه لعله يجده ، فأذن له عمر ـ رضي الله عنه ـ فسار عبد الله الى أرض الحبشة وأكثر النشدة والفحص عن أمره ، حتى أخبر انه في جبل يرد مع الوحوش ، إذا وردت ويصدر معها إذا صدرت ، فجاء اليه وأمسكه فجعل يقول : أرسلني وإلا أموت الساعة ، فلم يرسله فمات من ساعته ، وسيأتي بعد غزوة بدر إن شاء الله إنهم أرسلوا للنجاشي عمرو بن العاص أيضاً وعبد الله بن أبي ربيعة هذا وكان اسمه بحيرا فلما أسلم سماه رسول الله ﷺ عبد الله ، وأبو ربيعة هذا وهو ابو عبد الله ، وأبو ربيعة هذا وهو أبو عبد الله كان يقال له : ذو الرمحين وأم عبد الله هي أم أبي جهل بن هشام فهو أخو أبي جهل لأمه ، فأرسلوهما اليه ليدفع اليهما من عنده من المسلمين ليقتلوهم فيمن قتل ببدر . وذكر بعضهم ان إرسال قريش لعمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة ومعهما عمارة بن الوليد كان في الهجرة الأولى للحبشة ، والصواب ان إرسال عمرو وعمارة في الهجرة الثانية وان ابن ابي ربيعة إنما كان مع عمرو بعد بدر كما علمت وإن كان يمكن أن يكون عبد الله بن أبي ربيعة أرسلته قريش مرتين .

ذكر إسلام عمر ـ رضي الله عنه ـ

قد انجز الكلام من الهجرة الأولى الى الهجرة الثانية وإسلام عمر ـ

رضي الله عنه ـ إنما كان بعد الهجرة الأولى وقبل الهجرة الثانيـة ، قال ابن اسحق : أسلم عمر ـ رضي الله عنه ـ عقب الهجرة الأولى إلى الحبشة سنة ست من المبعث وقيل سنة خمس وقيل : أسلم بعد حمزة بثلاثة أيام ، وكان إسلامه بسبب استجابة دعاء النبي ﷺ فيه فانه قال : اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين اليك بعمر بن الخطاب او بعمرو بن هشام وهو ابو جهل ، وكان المسلمـون تسعـة وثلاثـين رجـلاً فكمـل الله به الأربعين ، وكان عمر ـ رضي الله عنه ـ يحدث عن إسلامه قال : بلغني إسلام أختي فاطمة بنت الخطاب زوج سعيد بن زيد قال : وكنت من أشدّ الناس على رسول الله ﷺ ، فبينا أنا في يوم حار شديد الحر بالهاجرة في بعض طرق مكة إذ لقيني رجل من قريش فقال : أين تذهب ؟ إنك تزعم انك هذا أي انك الصلب القوي في دينك وقد دخل عليك هذا الأمر في بيتك . قال : وما ذاك ؟ قال : أختك قد صبأت فرجعت مغضباً وقد كان ﷺ يجمع الرجل والرجلين إذا أسلما عند الرجل به قوّة فيكونان معه ويصيبان من طعامه ، وقد ضم الى زوج اختي رجلـين فجئـت حتـى قرعـت البـاب فقيل : من هذا ؟ فقلـت : ابـن الخطاب . قال : وكان القوم جلوساً يقرؤون صحيفة معهم ، فلما سمعوا صوتي تبادروا واختفوا ونسوا الصحيفة من أيديهم فقامت المرأة ففتحت لي ، فدخلت عليها ، فقلت : يا عدوّة نفسها ، قد بلغني عنك انك صبأت اي خرجت عن دينك ثم ضربتها .

وفي رواية : ان عمر وثب على ختنه سعيد بن زيد وأخذ بلحيته وضرب به الأرض وجلس على صدره فجاءت اخته لتكفه عن زوجها فلطمها لطمة شج بها وجهها فسـال الدم ، فلما رأت الدم بكت وغضبت وقالت : اتضربني يا عدوّ الله على أن أوحد الله ، لقد أسلمنا على رغم أنفك يا ابن الخطاب ، فما كنت فاعلاً فافعل . قال عمر ـ رضي الله عنه ـ فاستحييت حين رأيت الدم فقمت وجلست على السرير وانا مغضب فاذا كتاب في ناحية البيت فقلت ما هذا الكتاب ؟ اعطنيه انظره ، وكان عمر قارئاً فقالت له : لا أعطيكه لست من أهله أنت لا تغتسل من الجنابة ، ولا تتطهر ولا يمسه إلا المطهرون ، قال : فلم أزل بها حتى أعطتنيه .

وفي رواية : قال أعطوني هذه الصحيفة أقرأها وكان عمر ـ رضي الله عنه ـ يقـرأ الكتب قالت أخته : لا أفعل . قال : ويحك وقع في قلبي مما قلت فأعطنيها أنظر اليها وأعطيك من المواثيق أن لا أخونك حتى تحوزيها حيث شئت . قالـت : انـك رجس .

فانطلق فاغتسل أو توضأ فانه كتاب لا يمسه إلا المطهرون ، فخرج ليغتسل فخرج خباب إليها فقال : أتدفعين كتاب الله الى كافر ؟ قالت : نعم إني أرجو أن يهدي الله أخي فدخل خباب البيت وجاء عمر فدفعته اليه ، فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، فلما مررت بالرحمن الرحيم ذعرت ورميت بالصحيفة من يدي وجعلت أفكر من أي شيء اشتق أي أخذ ، ثم رجعت الى نفسي وأخذت الصحيفة فاذا فيها : ﴿ سبح الله ما في السموات والأرض ﴾ فجعلت اقرأ وأفكر حتى بلغت : ﴿ آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ﴾ الى قوله تعالى : ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ فقلت : أشهد ان لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

وفي رواية : فأخرجوا الي صحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم ، فقلت : أسماء طيبة طاهرة : ﴿ طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى ، تنزيلاً ممن خلق الأرض والسموات العلى ، الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى وإن تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى ، الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى ﴾ فعظمت في صدري وقلت : من هذا فرَّت قريش ؟ فلما بلغ : ﴿ فلا يصدَّنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى ﴾ تشهد .

وفي رواية : كان مع سورة طه ﴿ إذا الشمس كوّرت ﴾ وأن عمر انتهى الى قوله تعالى : ﴿ علمت نفس ما أحضرت ﴾ ويمكن الجمع بانه وجد السور الثلاث في صحيفة او صحيفتين فقرأ وتشهد عقب بلوغ كل من الآيتين ولما بلغ : ﴿ إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ﴾ قال : ما ينبغي لمن يقول هذا أن يعبد معه غيره ، دلوني على محمد ﷺ ، فخرج القوم الذين كانوا عند أخته يعني زوجها سعيد بن زيد وخباب بن الأرتّ أحد الرجلين الذين ضمهما المصطفى ﷺ إلى سعيد ، وكان خباب يقرئهم القرآن ، والرجل الثالث لم يعرف اسمه يتبادرون بالتكبير استبشاراً بما سمعوه مني ، وحمدوا الله تعالى ، ثم قالوا : يا ابن الخطاب أبشر فان رسول الله ﷺ دعا يوم الاثنين فقال : اللهم أعز الإسلام بعمر أو بعمرو ، وإنا نرجو أن تكون دعوته لك ، فأبشر فلما عرفوا مني الصدق قلت : أخبروني بمكان رسول الله ﷺ قالوا : هو في أسفل الصفا فجئت الى رسول الله ﷺ في بيت في أسفل الصفا وهي دار الأرقم كان ﷺ مختفياً فيها بمن معه من المسلمين ، ويقال لها اليوم دار الخيزران . قال عمر ـ رضي الله عنه ـ فقرعت الباب فقيل : من هذا ؟ قلت :

ابن الخطاب . قال : وقد عرفوا شدتي على رسول الله ﷺ ولم يعلموا بإسلامي ، فما اجترأ احد منهم أن يفتح الباب ، فقال ﷺ : افتحوا له فان يرد الله به خيراً يهده . وقال حمزة ـ رضي الله عنه ـ لما رأى وجل القوم افتحوا له فان يرد الله به خيراً يسلم ويتبع النبي ﷺ وإن يرد غير ذلك ؟ كان قتله علينا هيناً . ففتحوا له ، قال : فدخلت وأخذ رجلان بعضدي قيل إن حمزة أخذ بيمينه والزبير بيساره حتى دنوت من النبي ﷺ فقال : أرسلوه ، فأرسلوني فجلست بين يديه فأخذ بمجمع ثيابي فجذبني اليه جذبة شديدة .وفي رواية : فاستقبله النبي ﷺ في صحن الدار ، فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل سيفه وهزه هزة فارتعد عمر من هيبة النبي ﷺ ، فلما تمالك عمر ان وقع على ركبتيه فقال : أما انت بمنته يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ، ما أنزل بالوليد بن المغيرة ولعله ﷺ فعل ذلك ليثبته الله على الإسلام ، ويلقي حبه الطبيعي في قلبه ويذهب عنه رجز الشيطان ، فكان كذلك حتى كان الشيطان يقرّ منه وليكون شديداً على الكفار في الدين فصار كذلك .

وفي رواية : فقال : ما جاء بك يا ابن الخطاب ؟ فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة ، فقال : يا رسول الله جئت لأؤمن بالله ورسوله ﷺ وبما جاء من عند الله . ثم قال ﷺ بعد أخذه بمجامع ثوبه وهزه : أسلم يا ابن الخطاب ، اللهم اهد قلبه ، اللهم اهد عمر بن الخطاب ، اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب ، اللهم أخرج ما في صدر عمر من غلّ وأبدله إيماناً . قلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، فكبر النبي ﷺ وكبر المسلمون بعد تكبيره واحدة سمعت بطرق مكة ولا ينافي هذا إتيانه بالشهادة في بيت أخته قبل خروجه الى النبي ﷺ ، لاحتمال تكرر ذلك منه . قال عمر ـ رضي الله عنه ـ وكان الرجل إذا أسلم استخفى باسلامه فقلت : يا رسول الله ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا ؟ قال : بلى . والذي نفسي بيده إنكم على الحق إن متم وإن حييتم . قلت : ففيم الخفاء يا رسول الله ؟ علام نخفي ديننا ونحن على الحق وهم على الباطل ؟ فقال : يا عمر إنا قليل وقد رأيت ما لقينا فقال عمر : والذي بعثك بالحق نبياً لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر إلا جلست فيه بالايمان . قال عمر ـ رضي الله عنه ـ وأحببت أن يظهر إسلامي وأن يصيبني ما أصاب من أسلم من الضرر والإهانة ، فذهبت الى خالي وكان شريفاً في قريش وهو أبو جهل ، فأعلمته أني صبوت .

وفي رواية : قال عمر رضي الله عنه لما أسلمت تذكرت اي أهل مكة اشد عداوة لرسول الله ﷺ ، حتى آتيه فأخبره أني قد أسلمت فذكرت أبا أهل فجئته ، فدققت عليه

الباب فقال : من بالباب ؟ فقلت : عمر بن الخطاب فخرج اليّ وقال : مرحباً وأهلاً يا ابن اختي ما جاء بك ؟ قلت : جئت لأخبرك . وفي لفظ : لأبشرك ببشارة قال أبو جهل : وما هي يا ابن اختي ؟ فقلت .. إني آمن بالله وبرسوله محمدﷺ وصدقت ما جاء به . فضرب الباب في وجهي وهو معنى أجاف الباب الثابت في بعض الروايات ، وقال قبحك الله وقبح ما جئت به . ثم ما زال عمر ـ رضي الله عنه ـ يراجع النبيﷺ في الخروج من دار الأرقم الى المسجد حتى وافقه على ذلك ، فخرجوا في صفين في أحدهما عمر وفي الآخر حمزة ـ رضي الله عنهما ـ حتى دخلوا المسجد فنظرت قريش اليهم فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها . وفي رواية : خرجوا في صفين لهم كديد ككديد الطحين فسمى رسول الله عمر الفاروق ـ رضي الله عنه ـ لأن الله فرق به بين الحق والباطل .

قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر ـ رضي الله عنه ـ بعد ان أسلمت خرجت فذهبت الى رجل لم يكتم السر فقلت : اني صبوت ، فرفع صوته بأعلاه ، ألا ان ابن الخطب قد صبا . وقال عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ لما أسلم عمر قال اي قريش ، أنقل للحديث فقيل له جميل بن حبيب فغدا عليه ، وغدوت أتبع أثره وأنا غلام أعقل ما رأيت حتى جاءه فقال : اعلمت يا جميل إني قد أسلمت ودخلت في دين محمد فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر واتبعت ابي ، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش وهم في أنديتهم حول الكعبة ألا ان ابن الخطاب قد صبأ . ويقول عمر من خلفه : كذب ولكني أسلمت وشهدت أن لا إلّه إلا الله وان محمداً رسول الله . فما زال الناس يضربونني وأضربهم حتى قال خالي ما هذا ؟ قالوا ابن الخطاب . فقام على الحجر وأشار بكمه إلا أني اجرت ابن اختي فانكشف الناس عني لجلالة خالي عندهم . قال بعضهم : أن أم عمر حنتمة بنت هاشم بن المغيرة وهاشم وهشام والد أبي جهل أخوان فأبو جهل ابن عم أم عمر فيكون خاله مجازاً لأن عصبة الأم أخوال الابن .

وفي السيرة الحلبية أن عتبة بن ربيعة وثب على عمر رضي الله عنه حين أسلم فألقاه عمر رضي الله عنه الى الأرض وبرك عليه وجعل يضربه وجعل اصبعيه في عينيه فجعل عتبة يصيح ولا يدنو منه أحد ، إلا أخذه عمر ـ رضي الله عنه ـ بشر اسيفه وهي طرف أضلاعه ، وعند ابن اسحق أن العاص بن وائل السهمي أجار عمر منهم حينئذ ، فيحتمل أنه هو وأبو جهل كل منهما جاره .

وروى البخاري عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال : بينا عمر في الدار خائفاً إذ جاء العاص بن وائل السهمي أبو عمرو بن العاص وعليه حلة حبرة وقميص مكفوف بحرير ، فقال : ما بالك ؟ قال : زعم قومك انهم سيقتلوني لأني أسلمت ، قال : لا سبيل إليك بعد أن قال أمنت فخرج العاص فلقي الناس قد سال بهم الوادي فقال : اين تريدون ؟ قالوا : ابن الخطاب الذي قد صبأ . قال : لا سبيل إليه فكرَّ الناس وانصرفوا . ثم ردّ عمر ـ رضي الله عنه ـ الى العاص جواره قال : فما زلت أضرب وأضرب حتى أعز الله الإسلام .

وفي رواية عن عمر ـ رضي الله عنه ـ في سبب إسلامه قال : بينا أنا عند آلهتهم إذ جاء رجل بعجل فذبحه فصرخ به صارخ لم يسمع قط صوت أشد منه يقول : يا جليح ، أمر نجيح ، رجل فصيح ، يقول لا إله إلا الله ، فما نشبنا أن قيل هذا نبي . وروى ابو نعيم في الدلائل عن طلحة وعائشة عن عمر ـ رضي الله عنهم ـ أن أبا جهل لعنه الله جعل لمن يقتل محمداً مائة ناقة حمراء أو سوداء أو الف أوقية من فضة . وفي رواية : أن ابا جهل بن هشام قال : يا معشر قريش إن محمداً قد شتم آلهتكم وسفه أحلامكم . وزعم أن من مضى من آبائكم يتهافتون في النار الا من قتل محمداً فله علي مائة ناقة حمراء أو سوداء أو الف أوقية من فضة . فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ أنا لها . قالوا : انت لها ، وتعاهد معهم على ذلك . وفي رواية : فقلت له : يا ابا الحكم الضمان صحيح؟ قال: نعم فخرجت متقلداً السيف متنبكاً كنانتي . أريد رسول الله ﷺ فمررت على عجل وهم يريدون ذبحه فقمت أنظر اليه فإذا صائح يصيح من جوف العجل : يا آل ذريح ، أمر نجيح ، رجل يصيح ، بلسان فصيح ، يدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فقلت في نفسي : ان هذا الأمر ما يراد به إلا أنا . ثم مررت بصنم فاذا هاتف من جوفه يقول :

يا أيها الناس ذوو الاجسام ... ما أنتم وطائش الأحلام
ومسند الحكم الى الأصنام ... اصبحتم كراتع الأنعام
أما ترون ما أرى أمامي ... من ساطع يجلو دجى الظلام
قد لاح للناظرين من تهام ... وقد بدا للناظر الشآمي
محمد ذو البرّ والإكرام ... أكرمه الرحمن من إمام

قد جاء بعـد الشرك بالإسلام يأمـر بالصـلاة والصيام
والبـرّ والصـلات للأرحام ويزجر النـاس عن الآثام
فبـادروا سبقـاً إلى الإسلام بلا فتـور وبـلا إحجام

قال عمر : فقلت : والله ما أراد الا أرادني ثم مررت بالضمار فإذا هاتف من جوفه يقول :

أودى الضمار وكان يعبـد مرة قبـل الكتـاب وقبـل بعـث محمد
إن الـذي ورث النبـوة والهدى بعـد ابـن مريم من قريش مهتدي
سيقـول من عبـد الضمار ومثله ليت الضمار ومثلـه لم يعبد
أبشر أبـا حفص بدين صادق يهـدى إليك وبالكتـاب المرشد
واصبـر أبـا حفص فانـك آمر يأتيك عز غـير عز بنـي عدي
لا تعجلنّ فأنـت ناصر دينه حقـاً يقينـاً باللسـان وباليد

قال عمر ـ رضي الله عنه ـ فوالله لقد علمت أنه أرادني فلقيني نعيم بن عبد الله النحام ، وكان يخفي إسلامه فرقاً من قومه ، فقال : اين تذهب ؟ قلت : أريد هذا الصابىء الذي فرق أمر قريش فأقتله . فقال نعيم : يا عمر اترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على وجه الأرض ؟ وبالغ في منعه ، ثم أراد أن يشغله عن ذلك بشيء آخر فقال له : ألا ترجع الى أهل بيتك فتقيم أمرهم ؟ وذكر له إسلام أخته وزوجها سعيد بن زيد فذهب اليهم ، وذكر القصة بطولها وقيل : أن الذي لقيه سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ وكان قد أسلم قبل عمر ـ رضي الله عنه ـ فقال : أين تريد يا عمر ؟ فقال : أريد أن أقتل محمداً . قال : انت أصغر وأحقر من ذلك . تريد أن تقتل محمداً وتدعك بنو عبد مناف تمشي على الأرض ؟ فقال له عمر : ما أراك إلا قد صبأت ، فأبدأ بك فأقتلك . فقال سعد : أشهد ان لا إلّه إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فسل عمر سيفه وسل سعد سيفه وشدّ كل منهما على الآخر حتى كادا أن يختلطا . قال سعد لعمر : مالك لا تصنع هذا بختنك يريد سعد بن زيد وبأختك ؟ فقال : صبا ؟ قال : نعم وأراد سعد بذلك صرفه عن رسول الله ﷺ فتركه عمر ، وسار الى أخته الى آخر القصة . ولا مانع أنه لقي كلا من نعيم وسعد وحصل بينهما ما ذكر .

وفي رواية : أن سبب إسلامه ـ رضي الله عنه ـ أنه دخل المسجد يريد الطواف فرأى النبي ﷺ فقال : لو سمعت لمحمد الليلة حتى أسمع ما يقول ، وقلت : ان دنوت منه أستمع لأردّ عنه فجئت من قبل الحجر فدخلت تحت ثياب البيت وجعلت أمشي حتى قمت في قبلته وسمعت قراءته فرق له قلبي فبكيت وداخلني الإسلام ، فمكثت حتى انصرف فتبعته فالتفت في أثناء طريقه فرآني فظنّ أني إنما تبعته لأؤذيه فنهمني اي زجرني بشدة . ثم قال : ما جاء بكم في هذه الساعة ؟ قلت : جئت لأؤمن بالله ورسوله وما جاء من عند الله فحمد الله . ثم قال : هداك الله ثم مسح صدري ودعا لي بالثبات . ثم انصرفت عنه ودخل بيته والنهم إنما يطلق حقيقة على زجر الأسد ففيه من شجاعته ﷺ ما لا يخفى .

وفي رواية عن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال : خرجت أتعرض رسول الله ﷺ قبل أن أسلم فوجدته قد سبقني الى المسجد فقمت خلفه فاستفتح بسورة الحاقّة فجعلت أتعجب من تأليف القرآن فقلت : هو شاعر كما قالت قريش . فقرأ : ﴿ إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ﴾ فقلت : كاهن علم ما في نفسي فقرأ : ﴿ ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون ﴾ الى آخر السورة ، فوقع الإسلام مني كل موقع .

وذهب مرة هو وأبو جهم يريدان الفتك بالنبي ﷺ فوجداه في بيته قائماً يصلي وكان ذلك بالليل فسمعا قراءته ﷺ وكان يقرأ في سورة الحاقّة فلما وصل الى قوله تعالى : ﴿ فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ﴾ دخلهما رعب شديد فقال احدهما للآخر : الوحا الوحا أي الرواح بسرعة خوفاً من نزول العذاب ، والحاصل أن الأسباب المقتضية لإسلام عمر ـ رضي الله عنه ـ تكررت وكثرت وكان السبب في ذلك أن يمكن الله الإسلام في قلبه ويثبته عليه حتى ينصر به دينه ونبيه ﷺ وكان الأمر كذلك .

قال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ لما أسلم عمر ـ رضي الله عنه ـ قال جبريل للنبي ﷺ : لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر لأن الله أعز به الدين ونصر به المستضعفين ، وقال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ كان إسلام عمراً عزاً ، وهجرته نصراً ، وإمارته رحمة والله ما استطعنا ان نصلي حول البيت ظاهرين حتى أسلم عمر ـ رضي الله عنه ـ رواه ابن ابي شيبة والطبراني . قال المشركون انتصف القوم .

وروي أنه لما أسلم قال : يا رسول الله لا ينبغي ان يكتم هذا الدين أظهر دينك ، فخرج ومعه المسلمون وعمر أمامهم معه سيف ينادي لا إلّه إلا الله محمد رسول الله قال :

فان تحرك واحد منهم أمكنت سيفي منه ، ثم تقدم أمامهﷺ ليطوف ويحميه حتى فرغ من طوافه . رواه ابن ماجه . وقال صهيب : لما أسلم عمر ـ رضي الله عنه ـ ولما رأت قريش عزة النبيﷺ بمن معه وباسلام عمر ـ رضي الله عنه ـ وعزة أصحابه بالحبشة وفشوا الإسلام في القبائل أجمعوا على أن يقتلوا النبيﷺ وقالوا : قد أفسد أبناءنا ونساءنا . وقالوا لقومه : خذوا منادية مضاعفة ويقتله رجل من غير قريش فتريحوننا وتريحون أنفسكم فبلغ ذلك أبا طالب فجمع بني هاشم وبني المطلب فأمرهم ، فدخلوا شعبهم وأدخلوا رسول الله معهم ومنعوه ممن أراد قتله ، وأجاب كل منهم أبا طالب لذلك مؤمنهم وكافرهم ، وإنما فعلوا ذلك حمية على عادة العرب في المناصرة وانخذل عنهم بنو عميهم عبد شمس ونوفل ، ولهذا قال أبو طالب في قصيدة :

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا عقوبة شر عاجلاً غير آجل

وقال في قصيدة أخرى :

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا وتيماً ومخزوماً عقوقاً ومأثما

فلما رأت قريش ذلك اجتمعوا وائتمروا اي تشاوروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب أن لا ينكحوهم أي يزوجوهم ولا يبيعوا منهم شيئاً ولا يتبايعوا ، ولا يقبلوا منهم صلحاً أبداً ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا رسول اللهﷺ للقتل اي يخلوا بينهم وبينه ، وكتبوه في صحيفة بخط منصور بن عكرمة فشلَّت يده ، وهلك على كفره ، وقيل بخط بغيض بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصيّ فشلَّت يده وهو بغيض كاسمه ، هلك على كفره . وقيل بخط النضر بن الحرث فدعا عليهﷺ فشلَّت بعض أصابعه وقتل يوم بدر كافراً . وقيل : بخط هشام بن عمرو بن الحرث العامري وهو من الذين سعوا في نقضها كما سيأتي . وقد اسلم ـ رضي الله عنه ـ يوم الفتح وكان من المؤلفة . وقيل : بخط طلحة بن أبي طلحة العبدري . وقيل : بخط منصور بن عبد شرحبيل بن هاشم وجمع باحتمال ان يكونوا كتبوا منها نسخاً وأخذ كل جماعة عندهم منها نسخة وعلقوا صحيفة منها في الكعبة ، هلال المحرم سنة سبع من النبوة ، وكان اجتماعهم وتحالفهم ومكاتبتهم بخيف بني كنانة وهو المحصب ، فانحاز بنو

هاشم وبنو المطلب الى أبي طالب ودخلوا معه الشعب كما تقدم ، إلا أبا لهب ، فكان مع قريش ، فأقاموا على ذلك سنتين وقيل ثلاث سنين وجزم به موسى بن عقبة أمام المغازي حتى جهدوا لقطعهم عنهم الميرة والمادّة وكانوا لا يصل اليهم شيء إلا سراً ، ويخرجون من الموسم الى الموسم لأجل الحج فلا يمنعونهم من ذلك . وفي الصحيح : انهم جهدوا في الشعب حتى كانوا يأكلون الخبط وورق الشجر . وفي كلام السهيلي : كانوا إذا قدمت العير مكة يأتي أحدهم السوق ليشتري شيئاً من الطعام ليقتاته ، فيقوم أبو لهب فيقول : يا معشر قريش ، التجار غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا شيئاً معكم فقد علمتم حالي ووفاء ذمتي ، فيزيدون عليهم في السلعة قيمتها أضعافاً مضاعفة ، حتى يرجع الرجل منهم إلى أطفاله وهم يتضاغون من الجوع وليس في يده شيء يعللهم به . فيغدو التجار على أبي لهب بما كسد في أيديهم فيربحهم ويضعف لهم الثمن وخروج أحدهم الى السوق عند قدوم العير لا ينافي منعهم من الأسواق والمبايعة اي عموماً .

ولما دخل النبي صلى الله عليه وسلم الشعب ومن معه من بني هاشم والمطلب أمر من كان بمكة من المسلمين ان يخرجوا الى ارض الحبشة الخروج الاخير ، وقد تقدم الكلام على ذلك مستوفى . وكان يصلهم في الشعب هشام بن عمرو العامري اسلم بعد ذلك رضي الله عنه وكان من أشدْ الناس قياما في نقض الصحيفة كما سيأتي . وكانت صلته لهم بما يقدر عليه من الطعام أدخل عليهم في ليلة ثلاثة أحمال طعاماً ، فعلمت قريش فمشوا اليه حين اصبح فكلموه فقال : اني غير عائد لشيء خالفتكم فيه فانصرفوا . ثم عاد الثانية فأدخل عليهم حملاً أو حملين فغالظته قريش اي أغلظوا له في القول وهموا بقتله ، فقال لهم ابو سفيان بن حرب : دعوه رجل وصل أهله ورحمه أما أني احلف بالله لو فعلنا مثل ما فعل لكان احسن بنا . وكان ممن يصلهم بالطعام أيضاً حكيم بن حزام فلقيه ابو جهل مرة ومع حكيم غلام يحمل قمحاً يريد به عمته خديجة زوج النبيﷺ ورضي عنها وهي معه في الشعب ، فقال أبو جهل لحكيم : تذهب بالطعام لبني هاشم والله لا تذهب انت وطعامك حتى افضحك بمكة فحضرهما أبو البحتري فقال لأبي جهل : ما لك وماله ؟ فقال له أبو جهل : يحمل الطعام لبني هاشم . فقال له أبو البحتري : طعام كان لعمته عنده أفتمنعه ان يأتيها به ؟ خل سبيل الرجل ، فأبى أبو جهل حتى نال احدهما من الآخر . فأخذ ابو البحتري لحى بعير فضرب به أبا جهل وشجه ووطئه وطئا شديداً ، فانكف عن ذلك . وأبو البحتري هذا ضبطه بعضهم بالحاء المهملة وبعضهم بالخاء المعجمة والاول اصح ، وهو

ممن قتل كافراً يوم بدر وكان أبو طالب مدة اقامتهم بالشعب يأمره ﷺ فيأتي فراشه كل ليلة حتى يراه من أراد به شراً أو غافلة . فاذا نام الناس أمر أحد بنيه او اخوانه او بني عمه ان يضطجع على فراش المصطفى ﷺ ، ويأمره هو أن يأتي بعض فرشهم فيرقد عليها . وهذا على ما جرت به العادة من الاحتراس بالأمور العادية وإلا فهو ﷺ محفوظ ومعصوم من القتل . وولد عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وهم بالشعب ثم ان الله تعالى اوحى الى النبي ﷺ ان الأرضة كانت جميع ما في الصحيفة من القطيعة والظلم ، فلم تدع سوى اسم الله فقط ، وكانوا يكتبون باسمك اللهم .

وفي رواية : لم تترك الارضة في الصحيفة اسماً لله عز وجل الا لحسته وبقي ما فيها من شرك وقطيعة رحم ، قال الحلبي والرواية الأولى اثبت من الثانية ، وجمع بين الروايتين بأنهم كتبوا نسخا فأكلت الأرضة من بعضها ما عدا اسم الله لئلا يجتمع اسم الله مع ظلمهم وأكلت من بعضها ظلمهم لئلا يجتمع مع اسم الله تعالى فأخبر النبي ﷺ عمه ابا طالب بذلك فقال يا ابن اخي أربك أخبرك بهذا ؟ قال : نعم قال : والثواقب ما كذبتني قط ، فانطلق في عصابة من بني هاشم والمطلب حتى اتوا المسجد ، فأنكر قريش ذلك وظنوا انهم خرجوا من شدة البلاء ليسلموا رسول الله ﷺ اليهم فقال ابوطالب : يا معشر قريش ، جرت بيننا وبينكم أمور لم تذكر في صحيفتكم ، فأتوا بها لعل ان يكون بيننا وبينكم صلح ، وانما قال ذلك خشية ان ينظروا فيها قبل أن يأتوا بها . فأتوا بها وهم لا يشكون ان أبا طالب يدفع اليهم النبي ﷺ ، فوضعوها بينهم وقبل ان تفتح قالوا لأبي طالب : قد آن لكم ان ترجعوا عما أحدثتم علينا وعلى أنفسكم فقال : انما أتيتكم في أمر هو نصف بيننا وبينكم ، ان ابن أخي اخبرني ولم يكذبني ان الله قد بعث على صحيفتكم دابة فلم تترك فيها اسم الله تعالى الا لحسته وتركت فيها غدركم وتظاهركم علينا بالظلم .

وفي رواية : أكلت غدركم وتظاهركم علينا بالظلم وتركت كل اسم لله تعالى ، فان كان كما يقول فأفيقوا اي اقلعوا عما أنتم عليه فوالله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا ، وان كان باطلاً دفعناه اليكم فقتلتم أو استحييتم فقالوا : رضينا ، ففتحوها فوجدوها كما قال ﷺ فقالوا : هذا سحر ابن أخيك ، وزادهم ذلك بغياً وعدواناً . وقد جاء أنّ أبا طالب قال لهم بعد ان وجدوا الامر كما أخبر به ﷺ : علام نحصر ونحبس ، وقد بان الامر وتبين انكم اولى بالظلم والقطيعة؟ ودخل هو ومن معه بين أستار الكعبة وقال : اللهم انصرنا على

من ظلمنا وقطع ارحامنا واستحل ما يحرم عليه منا ثم انصرف هو ومن معه الى الشعب .
وعند ذلك مشت طائفة من قريش في نقض تلك الصحيفة وهم هشام بن عمرو بن الحرث العامري وزهير بن أبي أمية المخزومي وأمه عائكة بنت عبد المطلب عمة النبيﷺ والمطعم ابن عدي بن نوفل بن عبد مناف وابو البحتري بن هشام وزمعة بن الاسود ، فمشى هشام ابن عمرو إلى زهير بن ابي امية وأسلم كل منهما بعد ذلك رضي اللهعنهما فقال : يا زهير أرضيت ان تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث قد علمت ؟ فقال : ويحك يا هشام فماذا أصنع فانما انا رجل واحد والله لو كان معي رجل آخر لقمت في نقضها . فقال : أنا معك . فقال : ابغنا ثالثاً ومشيا جميعاً الى المطعم بن عدي فقالا له : أرضيت ان يهلك بطناً من بني عبد مناف وانت شاهد ؟ فقال : انما أنا واحد فقالا : انا معك . فقال : ابغنا رابعاً ، فذهبوا الى أبي البحتري فقال : ابغنا خمساً فذهبوا الى زمعة ابن الأسود فوافقهم على ذلك فقعدوا ليلاً بأعلى مكة وتعاقدوا وتعاهدوا على نقض تلك الصحيفة واخراج بني هاشم من الشعب ، وقال لهم زهير : انا أبدؤكم وأكون اوّل من يتكلم ، فلما اصبحوا غدوا الى أنديتهم . وغدا زهير وعليه حله فطاف بالبيت ، ثم اقبل على الناس فقال : يا اهل مكة نأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم والمطلب هلكى لا يبتاعون ولا يبتاع منهم ؟ والله لا اقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة . فقال له ابو جهل : كذبت والله لا تشق . فقال زمعة بن الاسود : انت والله أكذب ما رضينا كتابتها حين كتبت . فقال ابو البحتري : صدق زمعة . فقال مطعم بن عدي : صدقتما وكذب من قال غير ذلك ، نبرأ الى الله منهما ومما كتب فيها فقال هشام بن عمرو مثل ذلك . فقال ابو جهل : هذا امر قضي بليل . واضطرب الامر بينهم وكثر القيل والقال ، فقام المطعم بن عدي الى الصحيفة فشقها .

وفي رواية : قام هؤلاء الخمسة ومعهم جماعة فلبسوا السلاح ، ثم خرجوا الى بني هاشم والمطلب فأمروهم بالخروج الى مساكنهم ففعلوا هذا هو الصحيح في ذكر القصة . ان السعي من هؤلاء الرهط في نقضها انما كان بعد اخبار النبيﷺ عمه بأكل الارضة لها وبعضهم قدم . وآخر في حكاية القصة وكان نقض الصحيفة في السنة التاسعة من النبوّة ، بناء على ان مكثهم كان سنتين او في السنة العاشرة ، بناء على انه كان ثلاث سنين وفي الخمسة الذين سعوا في نقض الصحيفة أشار صاحب الهمزية بقوله :

فديت خمسة الصحيفة بالخمسة إن كان للكرام فداء
فتية بيتوا على فعل خير حمد الصبح امره والمساء
يا لأمر أتاه بعد هشام زمعة انه الفتى الأتاء
وزهير والمطعم بن عديّ وابو البحتريّ من حيث شاؤوا
نقضوا مبرم الصحيفة ، إذ شد دت عليهم من العدا الأنداء
أذكرتنا بأكلها أكل منسأ ة سليمان الأرضة الخرساء
وبها اخبر النبي وكم اخـ رج خبأ له الغيوب خباء

وتقدم انه اسلم من هؤلاء الخمسة : هشام بن عمرو بن الحرث وزهير بن ابي امية ، واما المطعم بن عدي فمات بمكة كافراً ، واما ابو البحتري وزمعة بن الاسودي فقتلا يوم بدر كافرين فسبحان من لا يسئل عما يفعل ، وتوفي ابو طالب بعد خروجهم من الشعب وكانت وفاته في رمضان سنة تسع او عشر من النبوة . وتقدم الكلام على ما يتعلق به مستوفى فارجع اليه ان شئت ثم بعد ذلك بثلاثة ايام وقيل بخمسة ايام توفيت خديجة رضي الله عنها وقد اشار صاحب الهمزية الى ذلك على ما في بعض نسخ الهمزية بقوله :

وقضى عمه ابو طالب والد هر وفيه السراء والضراء
ثم ماتت خديجة ذلك العا م ونالت من احمد المناء

ودخل النبيﷺ على خديجة وهي في الموت فقال : تكرهين ما أرى منك وقد جعل الله في الكره خيراً وروى الطبراني انهﷺ أطعمها من عنب الجنة ، وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه أنها دفنت بالحجون ونزلﷺ في حفرتها حين دفنها وأدخلها القبر بيدهﷺ ، وكان عمرها اذ ذاك خمساً وستين سنة . وحزنﷺ عليها وعلى عمه أبي طالب حزناً شديداً . حتى سمي ذلك العام عام الحزن . وقالت له خولة بنت حكيم : يا رسول الله كأني اراك قد دخلتك خلة لفقد خديجة رضي الله عنها فقال : اجل ام العيال وربة البيت . وقال عبيد الله بن عمير : وجد عليها حتى خشي عليه . وكانت مدة اقامته معها خمساً وعشرين سنة . ثم في شوال من ذلك العام تزوج عليه الصلاة والسلام سودة بنت زمعة ودخل بها وعقد على عائشة رضي الله عنها ولم يدخل بها الا بعد الهجرة .

وقال في السيرة الحلبية : وفي الشهر الذي توفيت فيه خديجة رضي الله عنها وهو شهر

رمضان بعد موتها بأيام تزوج سودة بنت زمعة وكانت قبله عند ابن عم لها يسمى السكران أسلم معها وهاجر بها الى الحبشة الهجرة الثانية ثم رجع بها الى مكة فمات عنها . فلما انقضت عدتها تزوجها ﷺ وأصدقها اربعمائة درهم ، وكانت رأت في نومها ان النبي ﷺ وطىء عنقها فأخبرت زوجها فقال : ان صدقت رؤياك أموت أنا ويتزوجك رسول الله ﷺ . ثم رأت في ليلة أخرى ان قمراً انقض عليها من السماء وهي مضطجعة ، فأخبرت زوجها فقال : لاالبث حتى اموت ، فمات من يومه ذلك . وعن خولة بنت حكيم رضي الله عنها وهي امرأة عثمان بن مظعون رضي الله عنه قالت : قلت لما ماتت خديجة يا رسول الله الا تتزوج ؟ قال : من ؟ قلت : ان شئت بكراً وإن شئت ثيباً ؟ قال : فمن البكر؟ قلت : احق خلق الله بك عائشة بنت ابي بكر ، وكان ﷺ قد رأى في المنام انه يتزوج بها وجيء له بصورتها من الجنة ، فكان يتعجب من ذلك لكونها صغيرة لا تصلح للتزوج ، ثم يقول : ان يكن هذا الأمر من عند الله يمضه ، حتى قالت له خولة ما ذكر . فعلم ان الله سيقضي امره حين انطقها بذلك ولا علم لها . ثم قال لها : ومن الثيب ؟ قالت : سودة بنت زمعة وقد آمنت بك واتبعتك على ما تقول ، قال : فاذهبي فاذكريها عليّ قالت : فدخلت على سودة بنت زمعة فقلت لها : ماذا ادخل الله عليك من الخير والبركة ؟ قالت : وما ذاك ؟ قلت : أرسلني رسول الله ﷺ أخطبك عليه قالت : وددت ذلك ، ادخلي على ابي فاذكري ذلك له ، وكان شيخاً كبيراً باقياً على دين قومه لم يسلم . قالت : فدخلت عليه وحييته بتحية الجاهلية ، فقال : من هذه ؟ قلت : خولة بنت حكيم . قال : فما شأنك ؟ قلت : ارسلني محمد بن عبد الله اخطب عليه سودة قال : كفء كريم فما تقول صاحبتك ؟ قلت : تحب ذلك . قال : ادعيها الي فدعوتها قال : اي بنية ، ان هذه تزعم ان محمد بن عبد الله ارسل يخطبك وهو كفء كريم ، اتحبين ان ازوجك منه ؟ قالت : نعم . فقال لخولة : ادعيه لي فجاء رسول الله ﷺ فزوجه اياها ، وكان اخوها عبد الله بن زمعة غائباً فلما بلغه الخبر صار يحثي التراب على رأسه . ولما اسلم رضي الله عنه كان يقول : لقد كنت في السفه يوم أحثي التراب على رأسي : اذا تزوج رسول الله ﷺ سودة يعني اخته .

ثم ذهبت خولة بنت حكيم الى أم رومان وهي ام عائشة رضي الله عنها فقالت : يا أم رومان ، ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة ؟ قد ارسلني رسول الله ﷺ اخطب عليه عائشة ، قالت : انتظري ابا بكر رضي الله عنه حتى يأتي ، فجاء ابو بكر فقلت : يا أبا

بكر ، ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة ؟ قال : وما ذاك ؟ قالت : ارسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة رضي الله عنها قال : وهل تصلح اي تحل له انما هي بنت أخيه ، فرجعت الى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له : فقال ارجعي اليه فقولي له : انا اخوك وأنت أخي في الاسلام ، وابنتك تصلح لي أي تحل فذكرت ذلك له ، فقالت أم رومان: ان مطعم بن عدي كان قد ذكرها على ابنه جبير ووعده أبو بكر ، والله ما وعد أبو بكر وعداً قط فأخلفه . فقام ابو بكر ودخل على مطعم بن عدي ، وعنده امرأته ام ابنه جبير فقال ابو بكر للمطعم بن عدي : ما تقول في أمر هذه الجارية التي ذكرتها على ابنك جبير؟ فأقبل المطعم على امرأته وقال لها : ما تقولين يا هذه ؟ فأقبلت على ابي بكر رضي الله عنه وقالت له : لعلنا ان نكحنا هذا الفتى اليكم تصبئه وتدخله في دينك الذي أنت عليه . فأقبل ابو بكر على المطعم وقال له : ماذا تقول انت ؟ فقال : انها لتقول ما تسمع اي فقولي مثل قولها . فقام ابو بكر رضي الله عنه وليس في نفسه من الوعد شيء فرجع وقال لخولة : ادعي لي رسول الله ﷺ فدعته فزوّجه إياها اي عقد له عليها وعائشة حينئذ بنت ست سنين وقيل بنت سبع ، ودخل على سودة بمكة وأخر الدخول على عائشة الى المدينة فدخل بها وعمرها تسع سنين . وتقدم ان أبا طالب عند وفاته جمع قريشاً وخطبهم خطبة يحثهم فيها على اتباع النبي ﷺ وقال لهم ايضا : لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وما اتبعتم امره ، فاطيعوه ترشدوا فلم يقبلوا قوله ، ولما مات أبو طالب اشتدت قريش على النبي ﷺ ونالت منه من الأذى ما لم تكن تطمع فيه في حياة ابي طالب .

فدخل ﷺ يوماً بيته والتراب على رأسه ، فقامت اليه بعض بناته وجعلت تزيل عن رأسه وتبكي ورسول الله ﷺ يقول لها : لا تبكي يا بنية ، فان الله مانع اباك ، وكان ﷺ يقول : ما نالت قريش مني شيئاً اكرهه اي اشد الكراهة حتى مات ابو طالب . ولما رأى قريشاً ، تهجموا عليه قال : يا عم ما أسرع ما وجدت فقدك ، ولما بلغ ابا لهب ذلك قام بنصرته أياماً وقال : يا محمد امض لما أردت وما كنت صانعاً اذ كان أبو طالب حياً لا واللات والعزى لا يصلون اليك حتى أموت . فلم يزل ابو جهل وعقبة بن ابي معيط وغيرهما من اشراف قريش يحتالون على ابي لهب حتى صدّوه عن ذلك ، وتأخر عن النبي ﷺ وترك نصرته ، ورجع الى ما كان عليه من معاداته . فلما أجمعوا على معاداته ومقاطعته ﷺ وهموا باخراجه والفتك به ، خرج الى الطائف وهو مكروب مشوش

الخاطر ، مما لقي من قريش ومن قرابته وعترته خصوصاً من ابي لهب وزوجته ام قبيح حمالة الحطب ، من الهجو والسب والتكذيب .

وعن علي رضي الله عنه انه قال : لقد رأيت رسول الله ﷺ بعد موت ابي طالب أخذته قريش تتجاذبه وهم يقولون له ﷺ : أنت الذي جعلت الآلهة إلهاً واحداً ؟ قال : فوالله ما دنا منا احد إلا أبو بكر رضي الله عنه فصار يضرب هذا ويدفع هذا وهو يقول : اتقتلون رجلاً ان يقول ربي الله ؟ .

وكان خروجه ﷺ الى الطائف في شوّال سنة عشر من النبوة ، وكان معه مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه يلتمس من ثقيف الاسلام رجاء ان يسلموا ويناصروه على الاسلام ، والقيام معه على من خالفه من قومه .

قال في السيرة الحلبية : ومن ثم اي من اجل أنه ﷺ خرج الى الطائف عند ضيق صدره وتعب خاطره جعل الله الطائف مستأنساً لأهل الاسلام ممن بمكة الى يوم القيامة ، فهو راحة الأمة وفيه تنفس كل ضيق وغمة سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً . فلما انتهى الى الطائف عمد الى سادات ثقيف وأشرافهم وكانوا إخوة ثلاثة احدهم عبد يا ليل واسمه كنانة ، ولم يعرف له إسلام وأخوه مسعود وهو عبد كلال بضم الكاف وتخفيف اللام ولم يعرف له إسلام ايضا والاخ الثالث حبيب . قال الذهبي : وفي صحبته نظر ، وهؤلاء الثلاثة اولاد عمرو بن عمير بن عوف الثقفي فجلس إليهم ﷺ وكلمهم فيما جاءهم به من نصرته الى الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه ، فقال احدهم هو يمرط ثياب الكعبة اي يشقها ويقطعها : ان كان الله أرسلك ، وقال له آخر : ما وجد الله أحداً يرسله غيرك . وقال له الثالث : والله لا أكلمك ابداً ، لئن كنت رسولاً من عند الله كما تقول لانت اعظم خطراً أي قدراً من ان ارد عليك الكلام ، وان كنت تكذب ما ينبغي لي أن أكلمك . فقام ﷺ من عندهم وقد أيس من خيرهم وقال لهم : اكتموا علي وكره ﷺ أن يبلغ قومه ذلك فيشتد أمرهم عليه . ثم قال له هؤلاء الثلاثة من اشراف ثقيف : اخرج من بلدنا والحق بما شئت من الارض وأغروا اي سلطوا عليه سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به ، حتى اجتمع عليه الناس وقعدوا له صفين على طريقه . فلما مر ﷺ بين الصفين جعل لا يرفع رجليه ولا يضعهما الا رضخوهما بالحجارة حتى أدموا رجليه . وفي رواية : حتى اختضبت نعلاه بالدماء وكان ﷺ اذا أزلقته الحجارة اي وجد ألمها قعد الى الأرض فيأخذون بعضديه فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون كل ذلك وزيد بن حارثة رضي الله عنه يقيه بنفسه حتى لقد شج برأسه شجاجاً فلما خلص منهم

ورجلاه يسيلان دما عمد الى حائط من حوائطهم اي بستان من بساتينهم فاستظل في حبلة اي شجرة من شجر الكرم .

وفي رواية : ان الثلاثة من رؤساء ثقيف أغروا عليه سفهاءهم فصاروا يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وألجئوه الى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة ،. فلما دخل الحائط رجعوا عنه . وفي البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها انها قالت للنبي ﷺ . هل أتى عليك يوم اشدّ من يوم احد ؟ قال : لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد مالقيت يوم العقبة والمراد منها موضع مخصوص اجتمع فيه مع عبد يا ليل هناك، لا عقبة منى التي اجتمع فيها مع الأنصار . ثم بين ذلك بقوله : اذ عرضت نفسي على عبد ياليل فلم يجبني الى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم استفق من الغم الا وانا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فاذا انا بسحابة قد اظلتني فنظرت اليها فاذا فيها جبريل فناداني فقال : إن الله قد سمع قول قومك وما ردّوا عليك ، وقد بعث الله اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت ، قال ﷺ : فناداني ملك الجبال ، فسلم عليّ ثم قال : يا محمد ان الله قد سمع قول قومك وما ردّوا عليك ، وانا ملك الجبال وقد بعثني اليك ربك لتأمرني بأمرك ان شئت ان اطبق عليهم الأخشبين . قال النبي ﷺ : لا بل أرجو ان يخرج الله من أصلابهم من يعبده وحده لا شريك له ، وهذا من مزيد حمله وشفقته وعظيم عفوه وكرمه .

وفي رواية : جاءه جبريل فقال : يا محمد إن ربك يقرئك السلام وهذا ملك الجبال وقد أرسله وأمره أن لا يفعل شيئاً إلا بأمرك ، فقال له : ان شئت دمدمت عليهم الجبال وإن شئت خسفت بهم الأرض . قال : يا ملك الجبال ، فاني آني بهم لعله أن يخرج منهم ذرية يقولون لا إله إلا الله . فقال ملك الجبال : أنت كما سماك ربك رؤوف رحيم ، وقد أشار صاحب الهمزية الى حلمه وإغضائه ﷺ حيث قال :

جهلت قومه عليه فأغضى ... واخو الحلم دأبه الإغضاء
وسع العالمين علماً وحلماً ... فهو بحر لم تعيه الأعباء

وقوله في أوّل الحديث لعائشة - رضي الله عنها - لقد لقيت من قومك المراد منهم قريش إذ كانوا هم السبب في ذهابه الى ثقيف فلا يرد أن ثقيفاً ليسوا بقومها وكذلك قوله في وسط الحديث ان الله قد سمع قومك وما ردوا به عليك ، ظاهره انه اخبار عما قاله أشراف ثقيف ، ويحتمل أنه أراد قريشاً لما دعاهم إلى الايمان فقالوا : شاعر ساحر كاهن مجنون وغير ذلك ، فهم السبب في ذهابه الى ثقيف حتى نال منهم ما نال ، فلذا قال : ان شئت أطبق

عليهم الأخشبين قيل :هما جبلان بمكة أبو قبيس ومقابله قعيقعان وقيل هما الجبلان اللذ...
تحت العقبة بمنى ، ويحتمل أن المراد إطباق الجبال القريبة من ثقيف عليهم . ولما ألجوه ﷺ الى حائط عتبة وشيبة ابني ربيعة خلص اليهما ورجلاه تسيلان دماً فلما رأيا ما لقي ، تحركت له رحمهما لأنهما ابنا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف فبعثا له مع عداس النصراني غلامهما قطف عنب بكسر القاف بمعنى العنقود وضعه عداس في طبق بأمرهما وقالا له : اذهب به الى ذلك الرجل فقل له يأكل منه ففعل ، فلما وضع ﷺ يده في القطف ليأكل قال : بسم الله الرحمن الرحيم ثم أكل فنظر عداس الى وجهه ثم قال : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة فقال له ﷺ : من اي البلاد أنت ؟ وما دينك ؟ قال : نصراني من نينوى ، وهو بلد قديم مقابل الموصل . فقال له ﷺ : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؟ فقال عداس : وما يدريك ما يونس بن متى ، والله لقد خرجت من نينوى وما فيها عشرة يعرفون ابن متى فمن أين عرفته ، وأنت أمي في أمة أمية ؟ قال : ذاك أخي وهو نبي مثلي فأكبّ عداس على يديه ورأسه ورجليه يقبلها وأسلم ـ رضي الله عنه ـ

وفي رواية : أنه قال : أشهد أنك عبد الله ورسوله ، ونظر اليه ابنا ربيعة فقال احدهما للآخر : أما غلامك فقد أفسده عليك : فلما جاءهما عداس قالا له : ويلك ما لك تقبّل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ قال : يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا فقد أعلمني بأمر لا يعلمه الا نبي . قالا له: ويحك يا عداس لا يصرفك عن دينك فانه خير من دينه . ويروى ان عداساً لما أراد سيداه الخروج إلى بدر أمراه بالخروج معهما فقال لهما : أقتال ذلك الرجل الذي رأيت بحائطكما تريدان ؟ والله ما تقدر له الجبال . فقالا له : ويحك يا عداس سحرك بلسانه . وفي الإصابة عن الواقدي قيل : قتل عداس ببدر وقيل لم يقتل بل رجع فمات بمكة وهو معدود من الصحابة ـ رضي الله عنه ـ وعنهم . وأما عتبة وشيبة فقتلا كافرين ببدر .

ويروى أنه ﷺ لما تخلص من ثقيف واطمأن في ظل الحيلة دعا بالدعاء المشهور بدعاء الطائف وهو : اللهم اليك أشكو ضعف قوّتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين ، أنت أرحم الراحمين ، وأنت رب المستضعفين ، الى من تكلني الى عدّو بعيد يتجهمني ؟ أم الى صديق قريب ملكته أمري ؟ إن لم تكن غضبان عليّ فلا أبالي ، غير أن عافيتك اوسع لي ، اعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا

والآخرة أن ينزل بي غضبك ، أو يحل عليّ سخطك ، ولك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوّة إلا بك .

رواه الطبراني في كتاب الدعاء عن عبد الله بن جعفر بن أبي ظالب قال : لما توفي أبو طالب خرج النبيﷺ ماشياً الى الطائف ، فدعاهم الى الإسلام فلم يجيبوه فأتى ظل شجرة فصلى ركعتين ثم قال : اللهم اليك أشكو فذكره وعند رجوعه من الطائف نزلﷺ نخلة وهو موضع على ليلة من مكة ، فصرف الله اليه سبعة من جنّ نصيبين ، وهي مدينة بين الشام والعراق يستمعون قراءته ، وقد قام عليه السلام في جوف الليل يصلي فجاؤوا يستمعون قراءته . والى ذلك أشار سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ وإذ صرفنا اليك نفراً من الجن ﴾ الآيات . ثم أنزل الله : ﴿ قل أوحي اليّ أنه استمع نفر من الجنّ ﴾ وقيل انهم صرفوا مرتين فمرة قبل نزول قل أوحي ، والمرة الثانية بعد نزولها وأنها هي هذه المرة أي التي كان فيهاﷺ بنخلة ، وانه كان يقرأ قل أوحي وقيل الرحمن ، وقيل قرأ في الركعة الأولى الرحمن وفي الثانية قل أوحي ، وأقامﷺ بنخلة أياماً ثم أراد دخول مكة فقال له زيد بن حارثة ـ رضي الله عنه ـ كيف تدخل عليهم وهم قد أخرجوك ؟ فقال : يا زيد ، إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً وان الله مظهر دينه وناصر نبيه ، ثم انتهى الى حراء فوجد عبد الله ابن الأريقط فبعثه الى الأخنس بن شريق الثقفي ليجيره ، فاعتذر وقال : إني حليف ، والحليف لا يجير وهذا قاله اعتذاراً وإلا فالنبيﷺ لو لم يعلم أن الحليف يجير لما بعث له ، ثم بعثﷺ لسهيل بن عمرو العامري لأن جده عامر بن لؤي أخو كعب بن لؤي ، جد النبيﷺ ، فاعتذر سهيل بان بني عامر لا تجير على بني كعب أي قد لا تجيز جوارها ، فبعثﷺ الى المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف يقول له : اني داخل مكة في جوارك فأجابه الى ذلك ، وقال للرسول : قل له فليأت فرجع اليهﷺ فأخبره ، فدخل مكة بعد أن تسلح مطعم بن عدي وركب على راحلته ونادى يا معشر قريش إني أجرت محمداً ، فلا يؤذه أحد منكم . ثم بعث الى رسول اللهﷺ ان أدخل فدخل رسول اللهﷺ المسجد وطاف بالبيت ثم انصرف الى منزله ، ومطعم بن عدي وولده مطيفون بهﷺ .

وفي رواية : أنهﷺ بات عنده تلك الليلة فلما أصبح خرج مطعم ولبس سلاحه هو وبنوه وكانوا ستة أو سبعة وقالوا لرسول اللهﷺ : طف ، ووقف أربعة منهم عند اركان البيت واحتبى الباقون بحمائل سيوفيهم في المطاف مدة طوافهﷺ وكذا أبوهم المطعم فأقبل ابو سفيان على المطعم وقال له :أمجير أم تابع ؟ فقال : بل مجير فقال: إذن لا تخفر أي لا تزال

خفارتك أي جوارك قد أجرنا من أجرت ، فجلس معه حتى قضى رسول الله ﷺ طوافه ، ولا بدع في دخوله ﷺ في جوار كافر وأمانه وإن حكمة الحكيم القادر قد تخفى ، وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر . وفي حديث : بأقوام لا خلاق لهم . وهذا السياق يدل على ان قريشاً كانوا قد أجمعوا على عدم دخوله ﷺ مكة بسبب ذهابه الى الطائف ودعائه لاهله . ولهذا المعروف الذي فعله المطعم بن عدي قال ﷺ في أسارى بدر : لو كان المطعم ابن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء ألنتني لتركتهم له .

وفي أسد الغابة : أن جبيراً ولد المطعم بن عدي أسلم بين الحديبية وفتح مكة ، وجاء الى النبي ﷺ وهو كافر ، فسأله في أسارى بدر فقال : لو كان الشيخ أبوك حياً فأتانا فيهم لشفعناه لأنه فعل معه ﷺ هذا الجميل . وكان من جملة من سعى في نقض الصحيفة كما تقدمّ وهذا من شيمه ﷺ تذكر وقت النصر والظفر للمطعم هذا الجميل ، ولم يذكر قوله صبح الإسراء كل أمرك كان قبل هذا اليوم سهلاً هو يشهد انك كاذب ،وكان ﷺ لا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ، ولما مات المطعم بن عدي ، وله بضع وتسعون سنة وكان موته قبل وقعة بدر ، رثاه حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ بقوله :

عيني ألا أبكي سيد الناس واسفحي	بدمع وإن أنزفته فاسكبي الدما
وأبكي عظيم المشعرين كليهما	على الناس معروف له ما تكلما
فلو كان مجد يخلد الدهر واحدا	من الناس أبقى مجده الدهر مطعما
أجرت رسول الله منهم فأصبحوا	عبيدك ما لبى مهلّ وأحرما
فلو سئلت عنه معدّ بأسرها	وقحطان أو باقي بقية جرهما
لقالوا : هو الموفي بخفرة جاره	وذمته يوماً إذا ما تذمما

هذا الفعل من حسان ـ رضي الله عنه ـ مجازاة للمطعم على ما صنع مع النبي ﷺ ولا يضر رثاء حسان له وهو كافر ، لأن الرثاء تعداد المحاسن بعد الموت ولا ريب في أن فعله هذا مع النبي ﷺ من أقوى المحاسن ، فلا ضير في ذكره به .

بابُ خبَرِ الطفيلِ بنِ عمرُو الدّوسِي رَضِيَ اللهُ عَنه

كان الطفيل بن عمرو الدوسي شريفاً في قومه شاعـراً نبيلاً ، قدم مكة فمشى اليه رجال من قريش فقالوا : يا أبا الطفيل ، كنوه باسمه ولم يقولوا يا طفيل تعظيماً له ، إنك قدمت بلادنا وهذا الرجل بين أظهرنا قد أعضل أمره بنا أي اشتد ، وفرق جماعتنا وشتت أمرنا وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وأبيه وبين الرجل وأخيه وبين الرجل وزوجته وإنا نخشى عليك وعلى قومك ، ما دخل علينا فلا تكلمه ولا تسمع منه . قال الطفيل : فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أي قصدت وعزمت على أن لا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه حتى حشوت في أذني حين غدوت الى المسجد كرسفاً اي قطناً فرقاً أي خوفاً من ان يبلغني شيء من قوله فغدوت الى المسجد فإذا برسول الله ﷺ قائماً يصلي عند الكعبة ، فقمت قريباً منه فأبى الله إلا أن أسمع بعض قوله ، فسمعت كلاماً حسناً فقلت في نفسي : أنا ما يخفى علي الحسن من القبيح ، فما يمنعني ان أعلم من هذا الرجل ما يقول ؟ فان كان الذي يأتي به حسناً قبلت ، وان كان قبيحاً تركت . فمكثت حتى انصرف الى بيته فقلت : يا محمد إن قومك قالوا لي : كذا وكذا حتى سددت أذني بكرسف حتى لا أسمع قولك ، فأعرض علي أمرك فعرض عليه الإسلام ، وتلا عليه القرآن اي قرأ عليه سورة الاخلاص والمعوّذتـين وقيل : انما نزلتا عليه بالمدينـة ، وقيل تكرر نزولهما . فلما سمـع القـرآن قال : والله ما سمعت قط قولاً أحسن من هذا ، ولا أمراً أعدل منه ، فأسلمت وقلت : يا نبي الله اني امرؤ مطاع في قومي وانا ارجع اليهم فأدعوهم الى الإسلام فادع الله أن يكون عوناً عليهم ، فقال : اللهم اجعل له آية قال : فخرجت حتى إذا كنت بثنية تطلعني على الحاضر أي وهم الحاضرون المقيمون على الماء لا يرحلون عنه ، وكان ذلك في ليلة مظلمة وقع نور بين عيني مثل المصباح فقلت : في غير وجهي فإني أخشى ان يظنوا انه مثلـه ، فتحـول في رأس

سوطي ، فجعل الحاضرون يتراءون ذلك النور كالقنديل المعلوم . ومن ثم عرف الطفيل بذلك فقيل له ذو النور والى ذلك أشار الإمام السبكي في تائيته بقوله :

وفي جبهة الدوسي ثم بسوطه جعلت ضياء مثل شمس مضيئة

قال الطفيل : فأتاني أبي فقلت : اليك عني يا أبت ، فلست مني ولست منك . فقال له يا بني . قلت : قد أسلمت وتابعت دين محمد ﷺ فقال أي بني ديني دينك ، فأسلم . قال : ثم أتتني صاحبتي يعني زوجه فذكرت لها مثل ذلك أي قلت لها اليك عني ، فلست منك ولست مني قد أسلمت وتابعت محمداً ﷺ على دينه . قال : فديني دينك . فأسلمت ثم دعوت دوساً الى الإسلام فأبطئوا علي ثم جئت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله قد غلبتني دوس قد غلبني على دوس الزنا فادع الله عليهم . قال : اللهم اهد دوساً وأت بهم . قال الطفيل : فرجعت فلم أزل بأرض قومي أدعوهم الى الإسلام حتى هاجر النبي ﷺ الى المدينة ، ومضى بدر وأحد والخندق فأسلموا فقدمت بمن أسلم من قومي عليه ، وقدمت عليه وهو بخيبر مع سبعين أو ثمانين بيتاً من دوس ومنهم أبو هريرة - رضي الله عنه - فأسهم لنا مع المسلمين وقيل : لم يعط أحداً لم يحضر القتال إلا أهل السفينة الجائين من أرض الحبشة جعفر بن أبي طالب ومن معه ومنهم الأشعريون أبو موسى الأشعري وقومه فقد تقدّم انهم هاجروا من اليمن يريدون النبي ﷺ فرمى بهم الريح الى الحبشة .

باب ذِكر الإسراء وَالمعرَاج

اعلم أنه لا خلاف في الإسراء بهﷺ إذ هو نص القرآن على سبيل الإجمال ، وجاء بتفصيله وشرح عجائبه أحاديث كثيرة عن جماعة من الصحابة من الرجال والنساء نحو الثلاثين ومن ثم حمل بعضهم اختلاف روايات الأحاديث على تعدد الإسراء وانه وقع لهﷺ ذلك ثلاث مرات أو أكثر ، وكان واحد منها بجسده وروحه وباقيها في المنام ، وكانﷺ لا يرى شيئاً في اليقظة إلا بعد أن يريه الله اياه في المنام ، فبعض تلك الإسراءات التي كانت في المنام ، سابق على الذي في اليقظة وبعضها متأخر . وكان الإسراء بجسده وروحه سنة احدى عشرة من البعثة وقيل قبل الهجرة بسنة قيل في شهر ربيع الأول ، وقيل في رمضان ، وقيل في شهر رجب وهو المشهور ، وعليه عمل الناس وكان ليلة الاثنين كبقية أطوارهﷺ من الولادة والهجرة والوفاة وقيل : ليلة الجمعة وكان الإسراء إلى بيت المقدس والمعراج بهﷺ الى السموات ، ليطلع على عجائب الملكوت كما قال تعالى : ﴿ لنريه من آياتنا ﴾ وإلا فالله تعالى لا يحويه زمان ولا مكان ، ورأى ربه تلك الليلة وأوحى الى عبده ما أوحى ، وفرض عليه خمس صلوات وجمع الله الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فصلى بهم في بيت المقدس ، ثم استقبلوه في السموات ، ورجعﷺ من ليلته الى مكة فلما أصبح أخبر الناس بما رآه ، فصدقه الصدّيق وكل من آمن إيماناً قوياً ، وكذبه الكفار واستوصفوه مسجد بيت المقدس فوصفه لهم . وسألوه عن أشياء في المسجد فمثل بين يديه فجعل ينظر اليه ويصفه ويعدّ أبوابه لهم باباً باباً ، فيطابق ما عندهم وسألوه عن عير لهم فأخبرهم بها وبوقت قدومها فكان كما أخبر ، وكل ذلك مشهور ، وفي الكتب مسطور ، فلا حاجة لنا الى الإطالة به ، فإن قصة الإسراء والمعراج قد أفردت بالتأليف .

وفي السيرة الحلبية : أن صخرة بيت المقدس لما أراد جبريل ـ عليه السلام ـ ان يربط

فيها البراق لانت له وعادت كهيئة العجين ، فخرقها وربط البراق بها . قال الإمام أبو بكر ابن العربي في شرح الموطأ أن صخرة بيت المقدس من عجائب الله تعالى ، فانها صخـرة قائمة في وسط المسجد الأقصى قد انقطعت من كل جهة لا يمسكها إلا الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بأذنه . في أعلاها من جهة الجنوب قدم النبي ﷺ حين صعد عليها ومن الجهة الأخرى أصابع الملائكة التي أمسكتها لما مالت ومن تحتها المغارة التي انفصلت من كل جهة ، فهي معلقة بين السماء والأرض ، وامتعنت لهيبتها من أن أدخل تحتها لأني كنت أخاف أن تسقط علي بسبب ذنوبي ، ثم بعد مدّة دخلتها فرأيت العجب العجـاب تمشي في جوانبها من كل جهة فتراهامنفصلة عن الأرض، لا يتصل بها من الأرض شيء ولا بعض شيء . وبعض الجهات أشد انفصالاً من بعض انتهى .

يروى انه ﷺ لما رجع الى مكة من ليلته فأخبر بمسراه أم هانيء بنت أبي طالب أخت علي ـ رضي الله تعالى عنه وعنها ـ وانه يريد أن يخرج الى قومه ويخبرهم بذلك لأنه ما أحب أن يكتم قدرة الله وما هو دليل على علو مقامه ﷺ فتعلقت بردائه أم هانيء وقالت : أنشدك الله أي أسألك به يا ابن عم ، أن لا تحدّث بهذا قريشاً فيكذبك من صدقك . وفي رواية : أني أذكرك الله ان تأتي قوماً يكذبونك وينكرون مقالتك ،فأخاف أن يسطوا بك ، فضرب بيده على ردائه فانتزعه منها قالت : وسطع نور عند فؤاده كاد يخطف بصري ، فخررت ساجدة فلما رفعت رأسي فإذا هو قد خرج قالت : فقلت لجاريتي نبعة وكانت حبشية وهي معدودة في الصحابة ـ رضي الله عنها ـ اتبعيه وانظري ماذا يقول فلما رجعت أخبرتني ان رسول الله ﷺ انتهى الى نفر من قريش في الحطيم ، وهو ما بين باب الكعبة والحجر الأسود وقيل ما بين الركن والمقام ، وذلك النفر الذي انتهى اليهم فيهم المطعم بن عدي وأبو جهل ابن هشام فأخبرهم بمسراه .

وفي رواية : انه لما دخل المسجد قطع وعرف أن الناس تكذبه ، وما أحب ان يكتم ما هو دليل على قدرة الله تعالى ، وما هو دليل على علوّ مقامه ﷺ الباعث على اتباعه ، فقعد حزيناً فمرّ به عدوّ الله أبو جهل ، فجاء حتى جلس اليه ﷺ فقال كالمستهزيء : هل كان من شيء ؟ قال : نعم . أسري بي الليلة . قال : إلى أين ؟ قال : الى بيت المقدس . قال : ثم أصبحت بين ظهرانينا . قال : نعم . فلم ير أنه يكذبه مخافة ان يجحده أي ينكره ﷺ الحديث الذي حدّث به ان دعا قومه اليه . قال : أرأيت ان دعوت قومك أتحدثهم بما

حدّثتني ؟ قال ؟ نعم . قال : يا معشر بني كعب بن لؤي ، فانقضت اليه المجالس وجاؤوا حتى جلسوا اليهما فقال : حدث قومك بما حدثتني . فقال رسول الله ﷺ : أني أسري بي . قالوا : الى أين ؟ قال : الى بيت المقدس ، فنشر لي رهط من الأنبياء منهم ابراهيم وموسى وعيسى ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وصليت بهم وكلمتهم . قال أبو جهل كالمستهزىء : صفهم لي . قال : أما عيسى ـ عليه السلام ـ ففوق الربعة ودون الطويل يعلوه حمرة كأنما يتحادر من لحيته الجمان . وفي رواية : كأنما خرج من ديماس أي حمام ، وأما موسى فضخم آدم طويل كأنه من رجال شنوأة . وأما ابراهيم فوالله انه لأشبه الناس بي خَلقا وخُلقاً .

وفي رواية : لم أر رجلاً أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم أشبه به منه يعني نفسه ﷺ .
فلما سمعوا ذلك ضجوا وأعظموا ذلك الإسراء وصار بعضهم يصفق وبعضهم يضع يده على رأسه تعجباً .وقال المطعم بن عدي :أن أمرك قبل الروم كان أمراً يسيراً غير قولك اليوم ، هو يشهد انك كاذب ، نحن نضرب أكباد الإبل الى بيت المقدس مصعداً شهراً ومنحدراً شهراً ، تزعم انك اتيته في ليلة واحدة ؟ واللات والعزى لا أصدقك ، وما كان هذا الذي تقول قط . فقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ يا مطعم بئسما قلت لابن أخيك ، جبهته أي استقبلته بالمكروه وكذبته أنا أشهد أنه صادق . وفي رواية : حين حدّثهم بذلك ارتد ناس كانوا أسلموا وحينئذ فقول المواهب فصدّقه الصديق ، وكل من آمن بالله فيه نظر إلا أن يراد من ثبت على الايمان . وفي رواية : فسعى رجال من المشركين الى أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ فقالوا : هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة الى بيت المقدس ؟ قال : وقد قال ذلك : قالوا : نعم . قال : لئن قال ذلك لقد صدق . قالوا : انصدقه انه ذهب الى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح ؟ قال : نعم . إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك ، أصدقه في خبر السماء في غدوة وروحة اي لانه يخبرني ان الخبر يأتيه من السماء الى الأرض في ساعة من ليل او نهار فأصدقه . فمجيء الخبر له مما تعجبون منه . فقال المطعم : يا محمد صف لنا بيت المقدس ، أراد بذلك إظهار كذبه ، وعرف الصديق ـ رضي الله عنه ـ قصده . وان رسول الله ﷺ لا يكذب قط . فقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ صف لي يا رسول الله فاني قد جئته ، أراد بذلك إقامة البرهان على قومه بظهور صدقه ﷺ ، فجاءه جبريل بصورته ومثاله فجعل يقول : باب منه في موضع كذا ، وباب منه في موضع كذا ، وأبو بكر ـ رضي الله عنه ـ يقول : أشهد أنك رسول الله حتى أتى على أوصافه .

وفي رواية عنهﷺ قال : لما كذبتني قريش وسألتني عن أشياء تتعلق ببيت المقدس لم أثبتها قالوا : كم للمسجد من باب ؟ فكربت كرباً شديداً لم أكرب مثله قط . فجلى الله لي بيت المقدس . وفي رواية : فجيء بصورته وأنا أنظر اليه فطفقت أخبرهم عن آياته اي علاماته ، وكانوا يعلمون أنهﷺ لم يدخل بيت المقدس قط ، فكان يخبرهم بما يعرفونه وأبو بكر - رضي الله عنه - يصدقه على كل مقالة يقولها . فلما فرغﷺ من الوصف لم يخطىء في شيء منه . قالوا : صدق الوليد بن المغيرة اي في قوله أنه ساحر . فأنزل الله تعالى : ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنةً للناس ﴾ قالت نبعة جارية أم هانىء : وسمعت رسول اللهﷺ يقول يومئذ : يا أبا بكر إن الله قد سماك الصديق ومن ثم كان علي - رضي الله عنه - يحلف بالله تعالى ان الله تعالى أنزل اسم أبي بكر الصديق من السماء - رضي الله عنه - وفي رواية : ان كفار قريش لما أخبرهم بالإسراء الى بيت المقدس ، ووصفه لهم قالوا له : ما آية ذلك يا محمد أي ما العلامة الدالة على هذا الذي أخبرت به فانا لم نسمع بمثل هذا قط؟ هل رأيت في مسراك وطريقك ما نستدل بوجوده على صدقك اي لأن وصفك لبيت المقدس يحتمل أن تكون حفظته عمن ذهب اليه ؟ قال : آية ذلك أني مررت بعير بني فلان بوادي كذا فأنفر عيرهم حس الدابة يعني البراق فندّلهم بعير فدللتهم عليه وأنا متوجه الى الشام ثم أقبلت حتى إذا كنت بمحل كذا ، مررت بعير بني فلان فوجدت القوم نياماً ولهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه بشيء فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ثم غطيت عليه كما كان . وفي رواية : فعثرت الدابة يعني البراق فقلب بحافره القدح الذي فيه الماء الذي كان يتوضأ به صاحبه في القافلة ، والمراد الوضوء اللغوي . ثم قالﷺ : وانتهيت الى عير بني فلان ، فنفرت من الدابة يعني البراق وبرك منها بعير أحمر عليه جوالق مخطوط ببياض لا أدري اكسر البعير أم لا .

وفي رواية : ثم انتهيت الى عير بني فلان بمكان كذا وكذا فيها جمل عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما حاذيت العير نفرت وصرع ذلك البعير وانكسر وأضلوا بعيراً لهم قد جمعه فلان بدلالتي لهم عليه . فسلمت عليهم فقال بعضهم : هذا صوت محمد فلما قدموا سألوهم عن ذلك كله فقالوا : كله صدق ، فقالوا : اصدق الوليد أي في قوله إنه ساحر ، ثم قالوا لهﷺ : متى تجيء عير بني فلان ؟ فقال لهم : يأتونكم يوم كذا يقدمهم جمل أورق عليه مسح آدم وغرارتان ، فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينتظرون ذلك ، وقد ولى النهار ولم تجيء حتى كادت الشمس أن تغرب أو دنت للغروب ، فدعا

رسول اللهﷺ ربه فحبس الشمس عن الغروب حتى اقدم العير كما وصفﷺ . قال الإمام السبكي :

وشمس الضحى طاعتك عند مغيبها فما غربت بل وافقتك بوقفة

فأما أهل الايمان الكامل كأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ فازدادوا إيماناً الى إيمانهم وأما أهل الكفر والعناد فازدادوا طغياناً على طغيانهم . قال تعالى : ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ﴾ ومع ذلك لم يخبرهمﷺ بشيء مما شاهده من عجائب الملكوت ، وقد أفردت قصة الإسراء والمعراج بالتأليف وقد أشار صاحب الهمزية اليها بقوله :

فطوى الأرض سائرا والسموا ت العلى فوقها له إسراء
قصف الليلة التي كان للمخـ ـتار فيها على البراق استواء
وترقى الى قاب قوسيـ ـن وتلك السيادة القعساء
رتب تسقط الأماني حسري دونها ما وراءهن وراء

باب عرض رسول الله ﷺ نفسه على القبائل من العرب أن يحموه وينصروه على ما جاء به من الحق

اعلم أنه ﷺ أخفى رسالته في أول أمره بأمر من الله تعالى ثم أعلن بها في السنة الرابعة من النبوة ، ودعا الى الإسلام عشر سنين يوافي المواسم كل عام ، يتبع الحجاج في منازلهم بمنى والموقف ، يسأل عن القبائل قبيلة قبيلة ويسأل عن منازلهم ويأتي في أسواق الموسم وهي عكاظ ومجنة وذو المجاز . وكانت العرب إذا حجت أي أرادت الحج تقيم بعكاظ شهر شوال ثم تجيء الى سوق مجنة تقيم فيه عشرين يوماً ، ثم تجيء الى سوق ذي المجاز فتقيم به أيام الحج ، وكان ﷺ يعرض نفسه عليهم ويدعوهم الى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالة ربه ، وعن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال كان النبي ﷺ يعرض نفسه على الناس في الموقف ويقول : ألا رجل يعرض على قومه فان قريشاً منعوني أن أبلغ كلام ربي . وعن بعضهم ، قال : رأيت رسول الله قبل أن يهاجر الى المدينة يطوف على الناس في منازلهم بمنى ، يقول : يا أيها الناس ان الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ووراءه رجل يقول : يا أيها الناس إن هذا يأمركم ان تتركوا دين آبائكم فسألت من هذا الرجل فقيل : ابو لهب يعني عمه . وفي لفظ : رأيت رسول الله ﷺ بسوق اي المجاز يعرض نفسه على القبائل من العرب يقول : يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وخلفه رجل له غديرتان ، أي ذؤابتان يرجمه بالحجارة حتى أدمى كعبه يقول : يا أيها الناس لا تسمعوا منه فانه كذاب ، فسألت عن النبي ﷺ فقيل لي : انه غلام عبد المطلب . فقلت : ومن الذي يرجمه ؟ قيل هو عمه عبد العزى يعني أبا لهب .

وفي السيرة الهشامية عن بعضهم ، قال: إني غلام شاب مع أبي بمنى ورسول الله ﷺ يقف في منازل القبائل من العرب فيقول : يا بني فلان أني رسول الله اليكم آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وأن تخلعوا ما تعبدون دونه من هذه الأنداد وأن تؤمنوا بي وأن تصدقوني وتمنعوني حتى أنبيء عن الله ما بعثني به ، وخلفه رجل أحول له غديرتان عليه حلة عدنية فإذا فرغ رسول الله ﷺ من قوله قال ذلك الرجل : يا بني فلان إن هذا الرجل إنما يدعوكم إلى أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم الى ما جاء به من البدعة والضلالة ، فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه . فقلت لأبي : من هذا الرجل الذي يتبعه يردّ عليه ما يقول ؟ قال : هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب يعني أبا لهب .

وروى ابن اسحق انه ﷺ عرض نفسه على كندة وكلب ، وعلى بني حنيفة وبني عامر بن صعصعة ، فقال له رجل منهم : أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك ثم أظفرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ فقال : الأمر الى الله يضعه حيث يشاء . قال : فقال له : أنقاتل العرب دونك ؟ وفي رواية : أنهدف نحورنا للعرب دونك أي نجعل نحورنا هدفاً لنبلهم فإذا أظفرك الله كان الأمر لغيرنا لا حاجة لنا بأمرك ، وأبوا عليه . فلما رجعت بنو عامر الى منازلهم ، وكان فيهم شيخ ادركه السن لا يقدر أن يوافي معهم الموسم ، فلما قدموا عليه سألهم عما كان في موسمهم فقالوا : جاءنا فتى من قريش احد بني عبد المطلب يزعم انه نبي يدعونا ان نمنعه ونقوم معه ونخرج به الى بلادنا ، فوضع الشيخ يده على رأسه ثم قال : يا بني عامر ، هل لها من تلاف أي هل لهذه القضية من تدارك ؟ والذي نفس فلان بيده ما يقولها اي ما يدعي النبوّة كاذباً أحد من بني اسمعيل قط . وانها لحق وان رأيكم غاب عنكم .

وروى الواقدي أنه ﷺ اتى من بني عبس وبني سليم وبني محارب وفزارة ومرة وبني النضر وعذرة الحضارمة ، فردوا عليه ﷺ أقبح الردّ وقالوا : أسرتك وعشيرتك اعلم بك حيث لم يتبعوك ولم يكون أحد من العرب أقبح عليه من بني حنيفة وهم أهل اليمامة قوم مسيلمة الكذاب ، ومن ثم جاء في الحديث شرّ قبائل العرب بنو حنيفة وهم منسوبون الى أمهم حنيفة قيل لها ذلك لحنف كان في رجلها ومن اقبح القبائل في الرد عليه ﷺ ثقيف ، ومن ثم جاء شرّ قبائل العرب بنو حنيفة وثقيف ، ودفع مرة هو وأبو بكر ـ رضي الله عنه ـ الى مجلس من مجالس العرب فتقدم ابو بكر فسلم وقال : ممن القوم ؟ قالوا : من ربيعة . وكان أبو بكر رضي الله عنه نساباً اي ذا

معرفة بالانساب فقال لهم : من أي ربيعة من هامتها او من لهازمها ؟ قالوا : من هامتها العظمى . قال : من أيها ؟ قالوا : من ذهل الأكبر . قال : أمنكم حامي الذمار ، ومانع الجار ؟ فلان قالوا لا ، قال : أمنكم قاتل الملوك وسالبها ؟ فلان قالوا لا قال : أمنكم صاحب العمامة الفودة فلان ؟ قالوا : لا فقال : لستم من ذهل الأكبر أنتم ذهل الأصغر . فقام اليه شاب حين أبقل وجهه اي طلع شعر وجهه فقال له : آن على سائلنا ان نسأله كما سألنا ، يا هذا إنك قد سألتنا فأخبرناك فممن الرجل انت؟ فقال ابو بكر - رضي الله عنه - أنا من قريش. فقال الفتى : بخ بخ أهل الشرف والرياسة ، ثم قال : فمن اي قريش أنت ؟ قال : من ولد تيم بن مرة . قال الفتى : أمكنت الرامي من صفا الثغرة أمنكم قصيّ الذي كان يدعى مجمعاً ؟ قال : لا . قال : فمنكم هاشم الذي هشم الثريد لقومه ؟ قال : لا قال : أمنكم شيبة الحمد عبد المطلب مطعم طير السماء الذي كان وجهه يضيء كالقمر في الليلة الظلماء قال : لا . واجتذب ابو بكر - رضي الله عنه - زمام ناقته ورجع الى رسول الله ﷺ وأخبره ، فتبسم رسول الله ﷺ وكان علي - رضي الله عنه - حاضراً فقال لأبي بكر - رضي الله عنه - لقد وقعت من الأعراب على باقعة اي داهية اي ذي دهاء . قال : أجل يا أبا الحسن ، ما من طامّة إلا فوقها طامّة والبلاء موكل بالمنطق وكان الأعرابي لما ذكر له قصياً وهاشماً وعبد المطلب يقول : ان قبيلتك لم تشتمل على هؤلاء الأشراف كما أن قبيلتنا لم تشتمل على اولئك الاشراف ، فواحدة بواحدة . والجزء من جنس العمل .

وعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - انه ﷺ لقي جماعة من بني شيبان بن ثعلبة ، وكان معه أبو بكر وعلي - رضي الله عنهما - وان أبا بكر - رضي الله عنه - سألهم وقال لهم : ممن القوم ؟ فقالوا من شيبان بن ثعلبة ، فالتفت ابو بكر - رضي الله عنه - الى رسول الله ﷺ فقال : بأبي أنت وأمي ، هؤلاء غرر أي سادات في قومهم ، وفيهم مفروق ابن عمرو وهانيء بن قبيصة ، ومثنى بن حارثة والنعمان بن شريك ، وكان مفروق بن عمرو قد غلبهم جمالاً ولساناً له غديرتان أي ذؤابتان من شعر وكان أدنى القوم مجلساً من أبي بكر - رضي الله عنه - فقال له أبو بكر - رضي الله عنه - كيف العدد فيكم ؟ قال مفروق : إنا لنزيد على الألف ولن تغلب الألف من قلة ، فقال له أبو بكر - رضي الله عنه - كيف المنعة فيكم ؟ قال مفروق : علينا الجهد أي الطاقة ولكل قوم جد أي حظ وسعادة ، أي علينا أن نجهد وليس علينا أن يكون لنا الظفر لأنه من عند الله يؤتيه من يشاء . فقال له أبو بكر - رضي الله عنه - فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم ؟ فقال

مفروق : إنا لأشد ما يكون غضباً حين نلقى وإنا لأشد ما يكون لقاء حين نغضب وإنا لنؤثر الجياد من الخيل على الأولاد والسلاح على اللقاح أي نؤثر السلاح على ذوات اللبن من الإبل والنصر من عند الله يديلنا أي ينصرنا مرة ويجعل الدولة لنا ، ويديل علينا مرة اخرى ، لعلك اخو قريش ؟ فقال أبو بكر - رضي الله عنه - أو قد بلغكم انه أي أخا قريش رسول الله ﷺ ؟ فها هوذا .

فقال مفروق : بلغنا انه يذكر ذلك فإلام يدعو ؟ فتقدم رسول الله ﷺ وقال : أدعو الى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأني رسول الله ، والى أن تؤووني وتنصروني فان قريشاً قد تظاهرت اي تعاونت على أمر الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغني الحميد . قال مفروق : وإلام تدعونا أيضاً يا أخا قريش ؟ قال رسول الله ﷺ : ﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ، ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ذلك وصاكم به لعلكم تعقلون ﴾ قال مفروق : ما هذا من كلام أهل الأرض عرفناه. ثم قال : وإلام تدعو أيضاً يا أخا قريش ؟ فتلا رسول الله ﷺ : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ فقال مفروق : دعوت والله الى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ولقد افك قوم صرفوا عن الحق وكذبوك وظاهروا أي عاونوا عليك ، وكان مفروقاً أراد أن يشاركه في الكلام هانىء بن قبيصة فقال : هذا هانىء بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا فقال هانىء : قد سمعنا مقالتك يا أخا قريش ، وإني أرى أنا إن تركنا ديننا واتبعناك على دينك بمجلس جلسته الينا ليس له أوّل ولا آخر لزلة في الرأي وقلة نظر في العواقب ، وانما تكون الزلة مع العجلة وانما وراءنا قوم نكره ان نعقد عليهم عقداً ولكن نرجع وترجع وننظر وتنظر ، وكان هانىء أحب ان يشركه في الكلام مثنى بن حارثة .

فقال : هذا المثنى بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا . فقال المثنى : قد سمعنا مقالتك يا أخا قريش والجواب هو جواب هانىء بن قبيصة ، وأن أحببت أن نأويك وننصرك مما يلي سائر العرب دون أنهار كسرى فعلنا أننا نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى لا نحدث حدثاً ولا نأوي محدثاً وأني أرى ان هذا الأمر الذي تدعونا اليه هو ما تكرهه الملوك . فقال رسول الله ﷺ : ما أسأتم إذ أوضحتم بالصدق ، وان دين الله عز وجل لن ينصره إلا

من أحاط به من جميع جوانبه . أرأيتم ان لم تلبثوا إلا قليلاً حيث يورثكم الله أرضهم وديارهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم تسبحون الله وتقدسونه ؟ فقال النعمان بن شريك : اللهم لك ذا مثلاً رسول الله ﷺ : ﴿ يأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً ﴾ ثم نهض رسول الله ﷺ .

قال العلامة الحلبي : وهؤلاء لم أقف على إسلام واحد منهم إلا أن في الصحابة شخصاً يقال له : المثنى بن حارثة الشيباني ، وكان فارس قومه وسيدهم والمطاع فيهم ولعله هو هذا القول هانيء بن قبيصة فيه أنه صاحب حربنا ، ورأيت بعضهم ذكر ان النعمان بن شريك له وقادة فيكون من الصحابة .

وفي أسد الغابة : ان مفروق بن عمرو من الصحابة ونقل عن ابي نعيم انه قال : لا أعرف لمفروق إسلاماً والله أعلم ، ولما قدمت قبائل بكر بن وائل مكة للحج وقال رسول الله ﷺ لأبي بكر - رضي الله عنه - ائتهم فاعرضني عليهم فأتاهم فعرض عليهم ، ثم قال لهم ﷺ : كيف العدد فيكم ؟ قالوا : كثير مثل الثرى قال : كيف المنعة ؟ قالوا : لا منعة جاورنا فارساً فنحن لا نمتنع منهم ولا نجير عليهم . قال : افتجعلون لله عليكم ان هو أبقاكم حين أن تنزلوا منازلهم وتنكحوا نساءهم وتستعبدوا أبناءهم أن تسبحوا الله ثلاثاً وثلاثين ؟ قالوا : ومن أنت ؟ قال : انا رسول الله . ثم مرّ بهم أبو لهب فقالوا : هل تعرف هذا الرجل ؟ قال : نعم فأخبروه بما دعاهم اليه وانه زعم انه رسول الله ﷺ فقال لهم أبو لهب : لا ترفعوا لقوله رأساً فانه مجنون يهذي من أم رأسه فقالوا : لقد رأينا ذلك حيث ذكر من أمر فارس ما ذكر .

وفي رواية : أنه لما سألهم قالوا له : حتى يجيء شيخنا حارثة فلما جاء قال : ان بيننا وبين الفرس حرباً فإذا فرغنا عما بيننا وبينهم عدنا ، فنظرنا فيما تقول فلما التقوا مع الفرس قال شيخهم : ما اسم الرجل الذي دعاكم الى ما دعاكم اليه ؟ قالوا محمد . قال : فهو عزكم فنصروا على الفرس ، فقال رسول الله ﷺ : بي نصروا أي نصروا بذكرهم اسمي ، ولا زال ﷺ يعرض نفسه على القبائل في كل موسم يقول : لا أكره أحداً على شيء من رضي الذي أدعو اليه فذاك ومن كره لم أكرهه ، وانما أريد منعي من القتل حتى أبلغ رسالة ربي ، فلم يقبله ﷺ أحد من تلك القبائل ويقولون : قوم الرجل أعلم به ، اترون ان رجلاً يصلحنا وقد أفسد قومه .

وعن ابن اسحق : لما أراد الله تعالى إظهار دينه وإعزاز نبيه ﷺ وإنجاز موعده له خرج رسول الله ﷺ في الموسم ، وفي مستدرك الحاكم : ان ذلك كان في شهر رجب يعرض نفسه على القبائل من العرب كما كان يصنع في كل موسم . فبينما هو عند العقبة التي تضاف اليها الجمرة فيقال جمرة العقبة وهي على يسار القاصد من مكة وبها الآن أسفل منها مسجد يقال له مسجد البيعة إذ لقي رهطاً من الخزرج لأن الأوس والخزرج كانوا يحجون فيمن يحج من العرب ، وكان الذين لقيهم ستة نفر وقيل ثمانية أراد الله بهم الخير وهم : أبو امامة اسعد ابن زرارة وعوف بن الحرث بن رفاعة ويعرف بابن عفراء ورافع بن مالك بن العجلان وقطبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن ناب وجابر بن عبد الله بن رئاب وعبادة بن الصامت وأبو الهيثم بن التيهان ، وأسقط بعضهم عبادة بن الصامت ومن بعده . فقال لهم النبي ﷺ من أنتم ؟ قالوا : نفر من الخزرج . قال : ألا تجلسون أكلمكم ؟ قالوا :بلى .من أنت ؟ فانتسب لهم وأخبرهم خبره فجلسوا . وفي رواية : إنه وجدهم يحلقون رؤوسهم ثم دعاهم الى الله سبحانه وتعالى ، وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن ، فقبلوا ذلك منه وأثر في قلوبهم ، وكان قد أخذهم النبي ﷺ في موضع بعيد من الناس خوفاً من أن يراهم أحد ، فينقل خبرهم الى قريش فنزل بهم تحت العقبة بالمكان المعروف بمسجد البيعة وكان من صنع الله ان اليهود كانوا مع الأوس والخزرج بالمدينة وكانوا أهل كتاب والأوس والخزرج أهل شرك وأوثان ، وكانوا إذا كان بينهم شيء تقول اليهود : ان نبياً سيبعث الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم ، وكانوا يصفونه لهم بصفاته ، فلما كلمهم النبي ﷺ عرضوا الصفات التي كانوا يسمعونها قبل من اليهود ، فوجدوها متحققة فيه فقال بعضهم لبعض : بادروا لاتباعه لا تسبقنا اليهود اليه .

وفي رواية : فلما سمعوا قوله أيقنوا به واطمأنت قلوبهم الى ما سمعوا منه وعرفوا ما كانوا يسمعون من صفته ورأوا أمارات الصدق عليه لائحة فقال بعضهم لبعض : يا قوم ، تعلمون والله أنه هو النبي الذي توعدكم به اليهود فلا يسبقوكم اليه فأجابوه الى ما دعاهم اليه وصدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام ، فأسلم أولئك النفر فقال لهم النبي ﷺ : تمنعون ظهري حتى أبلغ رسالة ربي ؟ قالوا : يا رسول الله إنا تركنا قومنا يعنون الأوس والخزرج ، بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك . وقولهم : بينهم من العداوة والشر ما بينهم . أصل هذه العداوة أن الأوس والخزرج كانوا أخوين لأب وأم ، فوقعت بينهم العداوة وتطاولت بينهم الحروب

مائة وعشرين سنة . وفي رواية ، قالوا له : إنما كانت بعاث عام أوّل وهو يوم اقتتلوا فيه وقتل رؤساؤهم وافترق فيه ملؤهم . فقالوا : ان تقدم ونحن كذلك متفرقون لا يكون لنا عليك اجتماع فدعنا حتى نرجع الى عشائرنا لعل الله أن يصلح بيننا وندعوهم الى ما دعوتنا فعسى الله أن يجمعهم عليك فان اجتمعت كلمتهم عليك واتبعوك فلا أحد أعز منك ، وموعدك الموسم العام المقبل .

ثم انصرفوا الى المدينة ورضي رسول الله ﷺ منهم بذلك وهذا ابتداء إسلام الأنصار ، فلما وصلوا المدينة أخبروا قومهم وانتشر ذكر النبي ﷺ فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ. فلما كان العام المقبل لقيه اثنا عشر رجلاً وهي العقبة الثانية فأسلموا فيهم خمسة من المذكورين قبل وهم : أبو أمامة أسعد بن زرارة وعوف بن عفراء ورافع بن مالك وقطبة بن عامر بن حديد وعقبة بن عامر بن ناب ، والسبعة تتمة الاثني عشر هم : معاذ بن الحرث بن رفاعة وهو ابن عفراء، أخو عوف المذكور قبل،وذكوان ابن عبد قيس الزرقي الخزرجي وعبادة بن الصامت وابو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة البلوي حليف الخزرج ، وأبو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعده والعباس بن نضلة بن مالك بن العجلان . وأقام العباس المذكور بمكة إلى أن هاجر النبي ﷺ فهاجر فهو أنصاري مهاجري واستشهد بأحد ـ رضي الله عنهم ـ .

يروى أنه قال لهم حين اجتماعهم في هذه العقبة الثانية : تأخذون محمداً ﷺ على حرب الأحمر والأسود ، فان كنتم ترون انكم إذا نهكتكم الحرب أسلمتموه فمن الآن فاتركوه ، وان صبرتم على ذلك فخذوه . قال بعضهم : والله ما قال ذلك إلا ليشدّ العقد . وكل هؤلاء المذكورين من الخزرج سوى أبي الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة فانهما من الأوس ، فأسلموا كلهم وبايعوا النبي ﷺ كما روى عن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ قال : كنت فيمن حضر العقبة وكنا اثني عشر رجلاً ، فبايعنا رسول الله ﷺ على أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه ﷺ في معروف ، ونعطيه السمع والطاعة في العسر واليسر ، والمنشط والمكره ، وأن لا ننازع الأمر أهله وأن نقول بالحق حيث كنا لا نخاف في الله لومة لائم . ثم قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ بعد هذه المبايعة : فان وفيتم فلكم الجنة ومن غشي من ذلك شيئاً كان أمره مفوّضاً الى الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه ولم يكن الجهاد مفروضاً في ذلك الوقت فلم يذكره لهم ولم يبايعهم عليه . وقيل : إنما كانت بيعة العقبة

الثانية على الإيواء والنصر ، وما يتعلق بذلك . وإما المبايعة بلفظ على أن لا نشرك بالله شيئاً الخ فانما كانت عام الفتح ولا مانع من تعدد ذلك .

وجاء في رواية : أنه ﷺ قال لهم : أبايعكم على أن تمنعوني ما تمنعون منه نساءكم وابناءكم فبايعوه على ذلك وعلى أن يرحل اليهم هو وأصحابه ، فلما انصرفوا راجعين الى بلادهم بعث معهم رسول الله ﷺ ابن أم مكتوم واسمه عمرو وقيل : عبد الله واسم امّه عاتكة ، وهو ابن خالة السيدة خديجة بنت خويلد أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ ومصعب بن عمه معه ـ رضي الله عنهما ـ يعلمان من أسلم منهم القرآن ويعلمان من أراد أن يسلم الإسلام ويفقهانهم في الدين ويدعوان من لم يسلم منهم الى الإسلام . وقيل : ان مصعباً بعثه أولاً حين بعثوا الى رسول الله ﷺ معاذ بن عفراء ورافع بن مالك ، ان ابعث الينا رجلاً من قبلك يفقهنا في ديننا ويدعو الناس بكتاب الله .

وفي رواية : كتبوا له بذلك ولا مانع من الجميع فبعث اليهم رسول الله ﷺ مصعب ابن عمير العبدلي ـ رضي الله عنه ـ وكان يقال له المقري ـ ثم بعث ابن أم مكتوم ولما قدم مصعب بالمدينة نزل على أبي امامة أسعد بن زرارة ـ رضي الله عنه ـ وكان مصعب يؤم القوم الأوس والخزرج لأنهم لما بينهم من العداوة ، كرهوا أن يؤم بعضهم بعضاً ، وجمع بهم مصعب ـ رضي الله عنه ـ أوّل جمعة في الإسلام قبل قدومه ﷺ ، لأنه ﷺ لم يتمكن من إقامة الجمعة بمكة فأمرهم باقامتها بالمدينة ، وكانوا أربعين رجلاً واشتهر ان أوّل من جمع بهم أسعد بن زرارة ـ رضي الله عنه ـ ولا مخالفة لأن مصعب بن عمير ـ رضي الله عنه ـ كان عند أبي أمامة أسعد بن زرارة فكان هو المعاون على إقامة الجمعة ، ولولا أسعد بن زرارة ما قدر مصعب على إقامتها ، وهذا لا ينافي أن الخطيب والإمام هو مصعب بن عمير فنسب إقامة الجمعة تارة لهذا وتارة لهذا . قيل : إنهم أقاموا الجمعة باجتهاد منهم من غير أمر من النبي ﷺ ، وهذا خطأ مردود بل روى ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ كتب الى مصعب بن عمير ـ رضي الله عنه ـ أما بعد ـ فانظر اليوم الذي تجهر فيه اليهود بالزبور لسبتهم اي اليوم الذي يليه يوم السبت فأجمعوا نساءكم وأبناءكم ، فإذا مال النهار عن شطره فتقرّبوا الى الله تعالى بركعتين فجمع مصعب بن عمير عند الزوال اي صلى الجمعة بهم واستمر على ذلك حتى قدم النبي ﷺ وأسلم خلق كثير من الأنصار على يد مصعب بن عمير ـ رضي الله عنه ـ بعد أن اشتد عليهم امره في أوّل مجيئه ، وكادوا يقتلونه ، ثم هداهم الله به .

روى ابن إسحق: أن أسعد بن زرارة ـ رضي الله عنه ـ خرج بمصعب بن عمير ـ رضي الله عنه ـ إلى حوائط بني ظفر فجلسا فيه واجتمع اليهما رجل ممن أسلم وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير يومئذ سيدا قومهما اي بني عبد الأشهل وكلاهما مشرك على دين قومه . فقال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير : لا أبالك انطلق بنا الى هذين الرجلين يعني اسعد بن زرارة ومصعب بن عمير اللذين أتيا دارينا تثنية دار ، وهي المحلة والمراد قبيلتنا وعشيرتنا ليسفها ضعفاءنا فأزجرهما وانههما .

وفي رواية : قال له : ائت اسعد بن زرارة فازجره ليكف عنا ما نكره فانه بلغني انه قد جاء بهذا الرجل الغريب يسفه ضعفاءنا فانه لولا أسعد بن زرارة مني حيث علمت لكفيتك ذلك هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدماً ، فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل عليهما فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب بن عمير : هذا سيد قومه فأصدق الله فيه فوقف عليهما وقال : ما جاء بكما الينا ؟ تسفهان ضعفاءنا ، اعتزلانا إن كان لكما بأنفسكما حاجة .

وفي رواية : قال : يا أسعد ما لك ولنا تأتينا بهذا الرجل الغريب الوحيد الطريد تسفه به سفهاءنا وضعفاءنا ؟ وفي رواية : علام أتيتنا في دورنا بهذا الرجل الغريب الوحيد الطريد يسفه ضعفاءنا بالباطل ويدعوهم اليه ؟ فقال له مصعب : أو تجلس فتسمع فان رضيت أمراً قبلته وإن كرهته كففنا عنك ما تكره اي منعنا عنك ما تكره . قال : أنصفت ثم ركز حربته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالإسلام ، وقرأ عليه القرآن فقال : ما أحسن هذا واجمله ، كيف تصعنون إذا أردتم ان تدخلوا في هذا الدين ؟ قالا : تغتسل وتتطهر وتغسل ثوبك وتشهد شهادة الحق ثم تركع ركعتين ، فقام واغتسل وطهر ثوبه وشهد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين وهما صلاة التوبة ثم قال لهما : إن ورائي رجلاً ان اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله اليكما الآن وهو سعد بن معاذ ، ثم اخذ حربته فانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم ، فلما نظر اليه سعد مقبلاً قال : أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بن حضير بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم . فلما وقف على النادي قال له سعد : ما فعلت ؟ قال : كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأساً وقد نهيتهما فقالا : تفعل ما أحببت . وقد حدثت ابن بني حارثة خرجوا الى أسعد بن زرارة ليقتلوه وقد عرفوا أنه ابن خالتك لينقضوا عهدك . فقام سعد مغضباً مبادراً ، فأخذ الحربة من يده وقال : والله ما

أراك أغنيت شيئاً . ثم خرج اليهما ولما أقبل سعد قال أسعد بن زرارة لمصعب : لقد جاءك سيد من وراءه من قومه ان يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان . فلما رآهما سعد مطمئنين عرف أن أسيداً إنما أراد منه أن يسمع منهما فوقف عليهما مبتسماً ثم قال لاسعد بن زرارة : يا أبا أمامة ، والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني ، تغشانا في دارنا بما نكره . فقال له مصعب :لتقعدنّ. فان رضيت أمراً قبلته وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره . قال سعد : أنصفت ثم ركز الحربة وجلس ، فعرض عليه الإسلام وعرض عليه القرآن فاعجبه ذلك وصار يقول : ما احسن هذا . ثم قال لهما : ما تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين ؟ فقال : تغتسل وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ثم تركع ركعتين ، فقام واغتسل وطهر ثوبه ثم شهد شهادة الحق ثم ركع ركعتين ثم أخذ حربته ، فأقبل عامداً الى قومه ومعهم أسيد بن حضير فلما رآه مقبلاً قالوا : نحلف بالله لقد رجع اليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم .

فلما وقف عليهم قال : يا بني عبد الأشهل ، كيف تعرفون أمري فيكم ؟ قالوا : سيدنا وأفضلنا رأياً وإيمننا أي وأبركنا نفساً وأمراً . قال : فان كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله . قال : والله ما أمسى في دار قبيلة بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً ومسلمة ، فأسلموا في يوم واحد كلهم . إلا ما كان من الأصيرم ، وهو عمرو بن ثابت من بني عبد الأشهل فانه تأخر إسلامه الى يوم أحد ، فأسلم واستشهد ـ رضي الله عنه ـ ولم يسجد لله سجدة واحدة وأخبر عنه ﷺ أنه من أهل الجنة ثم رجع مصعب الى دار أسعد بن زرارة فأقام عنده يدعو الى الإسلام حتى أسلم الرجال والنساء من الأنصار إلا جماعة من الأوس . لأنه كان فيهم أبو قيس وهو صيفي بن الأسد ، وكان شاعراً لهم ، وكانوا يسمعون منه ويطيعون ، لأنه كان قوالاً بالحق معظماً قد ترهّب في الجاهلية ، ولبس المسوح واغتسل من الجنابة ، ودخل بيتاً له واتخذ مسجداً . وقال : اعبد إلّه إبراهيم ولا يدخل عليّ فيه حائض ولا جنب فتوقف عن الإسلام ، ولم يزل على ذلك حتى هاجر رسول الله ﷺ الى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق فأسلم وحسن إسلامه ، وهو شيخ كبير . وسبب تأخر إسلامه أنه لما أراد الإسلام عند قدوم النبي ﷺ المدينة لقيه عبد الله بن أبي بن سلول وكلمه بما أغضبه ونفره عن الإسلام وقال ابو قيس : ما اتبعه إلا اخر الناس ، فلما احتضر ارسل اليه ﷺ ان قل لا إله إلا الله اشفع لك بها عند الله ، فقالها . ثم أن مصعب بن عمير ـ رضي الله عنه ـ رجع الى مكة مع من خرج من المسلمين

والأنصار الى الموسم ومع قوم حجاج من أهل الشرك حتى قدموا مكة واخبر النبيﷺ بمن أسلم فسر بذلك قال كعب بن مالك - رضي الله عنه - خرجنا مع حجاج قومنا من المشركين فاجتمعنا بالنبيﷺ بمكة ثم خرجنا الى الحج ، وواعدنا رسول اللهﷺ العقبة أي أن يوافوه في الشعب الأيمن ،إذ انحدروا من أسفل العقبة حيث المسجد اليوم الذي يقال له مسجد العقبة ، ومسجد البيعة وأمرهمﷺ أن يأتوا اليه بليل وان لا ينبهوا نائماً ولا ينتظروا غائباً ويكون إتيانهم في ليلة اليوم الذي فيه النفر الأوّل .

فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول اللهﷺ لها وكنا نكتم أمرنا ممن معنا من قومنا من المشركين ، وكان من جملة المشركين ابو جابر عبد الله بن حرام سيد من ساداتنا فكلمناه وقلنا له : يا جابر إنك سيد من ساداتنا ، وشريف من أشرافنا وإنا نرغب بك عما انت فيه ان تكون حطباً للنار غداً ثم دعوناه للإسلام فأسلم. وأخبرناه بميعاد رسول اللهﷺ فشهد معنا العقبة فمكثنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رجالنا لميعاد رسول اللهﷺ بعد هدأة من الليل ، يتسلل الرجل والرجلان تسلل القطا مستخفين حتى إذا اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان فلا زلنا ننتظر رسول اللهﷺ حتى جاءنا .

وفي رواية : ان رسول اللهﷺ سبقهم وانتظرهم ، وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز أن يكون رسول اللهﷺ سبقهم وانتظرهم ، فلما لم يجيئوا ذهب ثم جاءهم بعد مجيئهم ومعه عمه العباس بن عبد المطلب ليس معه غيره ، وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن اخيه ويوثق له وهذا لا يخالف ما جاء أنه كان معه أيضاً أبو بكر - رضي الله عنهما - لأن العباس أوقف علياً على فم الشعب عيناً له ، وأوقف أبا بكر على فم الطريق الآخر عيناً ، فلم يكن معه عند مجيئه لهم في محل مبايعتهم إلا العباس - رضي الله عنه - فلما جلسوا كان العباس - رضي الله عنه - أول متكلم فقال : يا معشر الخزرج ، والمراد ما يشمل الأوس وكانت العرب تغلب الخزرج على الأوس كثيراً ان محمداً منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فهو في عز من قومه ومنعة في بلده وقد أبى إلا الإنحياز اليكم واللحوق بكم ، فان كنتم ترون أنكم موافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه ، فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم فمن الآن فدعوه فانه في عز ومنعة من قومه وبلده . فقال البراء بن معرور : انا والله لو كان من أنفسنا غير ما ننطق به لقلناه ولكنا نريد الوفاء والصدق وبذل

مهج أنفسنا دون رسول الله ﷺ .

وفي رواية : أن العباس ـ رضي الله عنه ـ قال : قد أبى محمد الناس كلهم غيركم فان كنتم أهل قوّة وجلد وبصيرة بالحرب ، واستقلال بعداوة العرب قاطبة ، ترميكم عن قوس واحدة فرووا رأيكم وائتمروا بينكم ولا تفرّقوا إلا عن ملأ واجتماع ، فان أحسن الحديث أصدقه وقوله : قد أبى محمد الناس كلهم ربما يفيد ان الناس غير الأنصار وافقوه على مناصرته فأباه ، ولا يساعد عليه ما تقدم من كونه كان يعرف نفسه على القبائل فلم يجد موافقاً غير الأنصار . وأجيب بأن المراد لم يجد موافقاً كل الموافقة غير الأنصار ، وهذا لا ينافي أنه وجد من يوافق في بعض الأشياء دون بعض ، فلم يقبلهم كبني شيبان بن ثعلبة فانهم كما تقدم قالوا : ننصرك مما يلي مياه العرب دون ما يلي مياه كسرى ، وقيل المراد بالناس أهله وعشيرته ، وعندما تكلم العباس ـ رضي الله عنه ـ بما ذكر قالوا له : قد سمعنا مقالتك فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت . وفي رواية خذ لنفسك ما شئت . فقال النبي ﷺ : أمري لربي عز وجل أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ولنفسي ان تمنعوني ما تمنعون به أنفسكم وابناءكم. قال ابن رواحة : فاذا فعلنا فما لنا ؟ فقال رسول الله ﷺ : لكم الجنة . قالوا : ربح البيع ، لا نقيل ولا نستقيل . وفي رواية وتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ودعا الى الله تعالى ، ورغب في الإسلام فقال : أبايعكم على أن تمنعوني ما تمنعون منه نساءكم وابناءكم ؟ وقيل لما قالوا له : نبايعك قال : تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل والمنعة في العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وان لا تخافوا في الله لومة لائم ، وعلى أن تنصروني فتمنعوني ، إذا قدمت عليكم ما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ، ولكم الجنة .

فأخذ البراء بن معرور بيده ﷺ وقال : نعم والذي بعثك بالحق لنمنعك بما نمنع به أزرنا أي نساءنا وأنفسنا ، لأن العرب تكنى بالأزار عن المرأة. وعن النفس فنحن والله أهل الحرب وأهل الحلقة أي السلاح ورثناها كابراً عن كابر ، وبينا البراء يكلم رسول الله ﷺ إذ قال أبو الهيتم بن التيهان : نقبله على مصيبة المال وقتل الأشراف .فقال العباس ـ رضي الله عنه ـ اخفوا حرمكم أي صوتكم ، فان علينا عيوناً . ثم قال ابو الهيتم : ان بيننا وبين الرجال يعني اليهود حبالاً أي عهوداً وإنا قاطعوها ، فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ، ثم أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا . فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال : بل الدم الدم ،

والهدم الهدم أي دمي دمكم اي تطلبون بدمي وأطلب بدمكم فدمي ودمكم واحد . وفي رواية : بدل الدم اللزم وهو بالتحريك الحرم من القرابات اي حرمي حرمكم تقول العرب إذا أرادت تأكيد المحالفة : هدمي هدمكم اي اذا أهدرتم الدم أهدرته وذمتي ذمتكم ورحلتي رحلتكم ، أنا منكم وانتم مني احارب من حاربتم ، وأسالم من سالمتم .

فعند ذلك قال لهم العباس - رضي الله عنه - عليكم بما ذكرتم ذمة الله مع ذمتكم وعهد الله مع عهدكم في هذا الشهر الحرام ، والبلد الحرام ، يد الله فوق أيديكم ، لتجدّن في نصرته وتشدّن أزرهقالواجميعاً : نعم . قال العباس : اللهم إنك سامع شاهد وأن ابن أخي قد استرعاهم ذمته واستحفظهم نفسه . اللهم كن لابن أخي شهيداً ثم قال رسول الله ﷺ لهم : أخرجوا لي منكم اثني عشر نقيباً يكونون على قومهم بما فيهم ، فاخرجوا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس .

وفي رواية انه ﷺ قال لهم : إن موسى أخرج من بني إسرائيل اثني عشر نقيباً فلا يجد أحد في نفسه أن يؤخذ غيره ، فانما يختار لي جبريل أي لأنه حضر البيعة ثم عينهم وهم سعد ابن عبادة وأسعد بن زرارة وسعد بن الربيع وسعد بن خيثمة والمنذر بن عمرو وعبدالله بن رواحة والبراء بن معرور وأبو الهيتم بن التيهان وأسيد بن حضير وعبد الله بن عمرو بن حرام وعبادة بن الصامت ورافع بن مالك ، كل واحد من قبيلة . ثم قال لأولئك النقباء : أنتم كفلاء على غيركم ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم - عليه السلام - وأنا كفيل على قومي يعني المهاجرين ، وقيل ان الذي تكلم وشد العقد عباس بن عبادة بن نضلة . قال : يا معشر الخزرج ، هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل ؟ إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس اي على من حاربه منهم وإلا فهو ﷺ لم يؤذن له في البداءة بالمحاربة إلا بعد ان هاجر الى المدينة ، وكان قبل ذلك مأموراً بالدعاء الى الله تعالى والصبر على الأذى والصفح عن الجاهل ، وقيل الذي تكلم وشد العقد أسعد بن زرارة وهو من أصغر الأنصار ولا مخالفة بين الأقوال ، لأنّ كل سيد من أولئك السادة تكلم بما يقوي البيعة ثم اتفقوا على جميع ذلك ، وقالوا : يا رسول الله ما لنا إن نحن وفينا ؟ قال : رضوان الله والجنة . قالوا : رضبينا ابسطيدك فبايعوه ، وأوّل من بايعه البراء بن معرور ، وقيل أسعد ابن زرارة ، وقيل : ابو الهيتم بن التيهان ، ثم بايعه السبعون وبايعه المرأتان من غير مصافحة ، لأنه ﷺ كان لا يصافح النساء إنما كان يأخذ عليهن ، فإذا أحرزن قال : اذهبن فقد باعيتكن ، وكانت هذه البيعة على حرب الأسود والأحمر أي العرب والعجم ، فهؤلاء

الثلاثة الذين بايعوه أولاً لم يتقدم عليهم أحد غيرهم وحينئذ تكون الأولية فيهم حقيقة وإضافية . وقيل : إن أبا الهيتم بن التيهان قال : أبايعك يا رسول الله على ما بايع عليه الاثنا عشر نقيباً من بني إسرائيل موسى بن عمران ـ عليه السلام ـ وان عبد الله بن رواحة قال : أبايعك يا رسول الله على ما بايع عليه الاثنا عشر نقيباً من الحواريين عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ فقال أسعد بن زرارة : أبايع الله عز وجل يا رسول الله وأبايعك على أن أتم عهدي بوفائي وأصدق قولي بفعلي في نصرك. وقال النعمان بن حارثة : أبايع الله يا رسول الله ، وأبايعك على الإقدام في أمر الله عز وجل ، لا أرأف فيه القريب ولا البعيد أي لا أعامل بالرأفة والرحمة . وقال عبادة بن الصامت : أبايعك يا رسول الله على أن لا تأخذني في الله لومة لائم . وقال سعد بن الربيع : أبايع الله وأبايعك يا رسول الله على ان لا أعصي لكما أمراً ولا أكذب لك حديثاً .

فلما تمت البيعة وهي بيعة العقبة الثالثة صرخ الشيطان من رأس العقبة بأشدّ صوت وأبعده : يا أهل الجباجب وهي منازل منى . وفي رواية يا أهل الأخاشب هل لكم في مذمم والصباة يعني بمذمم محمداً وبالصباة من تابعه ؟ فانهم قد أجمعوا اي عزموا على حربكم فقال رسول الله ﷺ : هذا أزب العقبة بفتح الهمزة وفتح الزاي وتشديد الباء الموحدة أي شيطان يسمى بهذا الاسم ، اسمع أي عدوّ الله أما والله لأفرغنّ لك فهرب . وعند ذلك قال لهم النبي ﷺ : انفضوا الى رحالكم . وفي رواية : لما بايع الأنصار بالعقبة صاح الشيطان من رأس الجبل : يا معشر قريش هذه بنو الأوس والخزرج تحالف على قتالكم ففزع عند ذلك الأنصار الذين كانوا يبايعون النبي ﷺ ، فقال رسول الله : لا يروعكم هذا الصوت إنما هو عدوّ الله إبليس وليس يسمعه أحد مما تخافون ولا مانع من اجتماع صراخ أزب العقبة ، وصراخ إبليس الذي هو أبو الجن ويجوز أن يكون المراد بعد والله إبليس أزب العقبة ، لأنه من الأبالسة وانه أتى باللفظين معاً . وقد حضر البيعة جبريل ـ عليه السلام ـ كما تقدم . فعن حارثة بن النعمان قال : لما فرغوا من المبايعة قلت : يا نبي الله ، لقد رأيت رجلاً عليه ثياب بيض أنكرته قائماً على يمينك . قال : وقد رأيته ؟ قلت : نعم . قال : ذاك جبريل ـ عليه السلام ـ ثم ان الحديث نما وسمع المشركون بذلك من قريش وغيرهم . وفي كتاب الشريعة ان الشيطان لما نادى بما ذكر شبه صوته بصوت منبه بن الحجاج ، وقال عمرو بن العاص : فأتانا أبو جهل فذهبت أنا وهو الى عتبة بن ربيعة فأخبرته بصوت منبه ابن الحجاج فلم يرعه ما راعنا . فقال : هل أتاكم فأخبركم بهذا منبه ؟ قلنا : لعله إبليس

الكذاب ، ولا ينافي سماع عمرو وأبي جهل صوت إبليس ، قوله : ليس يسمعه أحد مما تخافون لأن سماعهما لم يحصل منه خوف لهم وعند فشو الخبر جاء أجلتهم وأشرافهم حتى دخلوا شعب الأنصار فقالوا : يا معشر الأوس والخزرج ، بلغنا انكم جئتم الى صاحبنا هذا لتخرجوه من بين أظهرنا وتبايعوه على حربنا ، والله ما من حي أبغض الينا من أن تنشب الحرب بيننا وبينه منكم، فصار مشركو الأوس والخزرج يحلفون لهم ما كان من هذا شيء وكل واحد يقول لهم : وما كان قومي ليفتاتوا عليّ بمثل هذا لو كنت بيثرب ما صنع قومي هذا حتى يؤامروني وصدقوا ، لأنهم لا يعلمون كما علم مما تقدم ، ونفر الناس من منى وبحثت قريش عن خبر الأنصار فوجدوه حقاً . فلما تحققوا الخبر اقتفوا آثارهم فلم يدركوا إلا سعد بن عبادة والمنذر بن سعد فأما سعد فمسك وعذب في الله . وأما المنذر فأفلت ثم انقذ الله سعداً من أيدي المشركين . روي عنه ـ رضي الله عنه ـ انه قال : لما ظفروا بي ربطوا يدي في عنقي ، ولا زالوا يلطموني على وجهي ويجذبوني حتى أدخلوني مكة ، فأوى الي رجل وهو ابو البحتري بن هشام ، مات كافراً وقال : ويحك أما بينك وبين احد من قريش جوار ولا عهد ؟ قلت : بلى كنت أجير لجبير بن مطعم جاره وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادي ، وللحرث بن حرب بن امية وهو اخو أبي سفيان فقال : ويحك فاهتف باسم الرجلين ، ففعلت فخرج ذلك الرجل اليهما فوجدهما في المسجد فقال لهما : إن رجلاً من الخزرج يضرب بالأبطح يهتف باسمكما فقال : من هو؟ فقال : يقال انه سعد بن عبادة فجاءآ فخلصاه من أيديهم .

وعن سعد بن عبادة ـ رضي الله عنه ـ قال : بينا أنا مع القوم أضرب إذ طلع علي رجل أبيض وضيء ، زائد الحسن ، فقلت في نفسي : ان يكن عند أحد من القوم خير فعند هذا . فلما دنا مني رفع يده فلطمني لطمة شديدة ، فقلت في نفسي : والله ما عندهم بعد هذا خير وهذا الرجل هو سهل بن عمرو ـ رضي الله عنه ـ فانه أسلم بعد ذلك فلما قدم الأنصار المدينة أظهروا الإسلام إظهاراً كلياً وتجاهروا وإلا فقد تقدّم أن الإسلام فشا فيهم قبل قدومهم لهذه البيعة ،وكان عمرو بن الجموح من سادات بني سلمة بكسر اللام وأشرافهم ولم يكن أسلم وكان ممن أسلم ولده معاذ بن عمرو ، وكان لعمرو في داره صنم من خشب يقال له مناة لأن الدماء كانت تمنى أي تصب عنده تقرباً اليه ، وكان يعظمه ، فكان فتيان قومه ممن أسلم كمعاذ بن جبل وولده عمرو بن معاذ ، ومعاذ بن عمرو يدلجون بالليل على ذلك الصنم فيطرحونه في بعض الحفر الذي فيها خرء الناس منكساً بعد إخراجه

من داره ، فإذا أصبح عمرو قال : ويلكم من غدا على مناة هذه الليلة ؟ ثم يعود يلتمسه حتى إذا وجده غسله فإذا غسله غدا عليه وفعلوا به مثل ذلك فغسله وطيبه مرة ، ثم جاء بسيف وعلقه في عنقه ثم قال : ما أعلم من يصنع بك فان كان فيك خير فاصنع فهذا السيف معك ، فلما أمسى عدوا عليه وأخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلباً ميتاً فقرنوه به بحبل ، ثم ألقوه في بئر من آبار بني سلمة فيها خرء الناس ، فلما أصبح عمرو غدا اليه فلم يجده . ثم طلبه الى أن وجده في تلك البئر ، فلما رآه كذلك رجع عقله وكلمه من أسلم من قومه فأسلم ـ رضي الله عنه ـ وحسن إسلامه وأنشد أبياتاً منها :

والله لو كنت إلهاً لم تكن أنت وكلب وسط بئر في قرن

ـ أي حبل ـ وأمر رسول الله ﷺ من كان معه من المسلمين بالهجرة الى المدينة لأن قريشاً لما علمت انه ﷺ أوى أي استند الى قوم أهل حرب ونجدة ، ضيقوا على أصحابه ونالوا منهم ما لم يكونوا ينالونه من الشتم والأذى ، وجعل البلاء يشتد عليهم . وصاروا ما بين مفتون في دينه وبين معذب في أيديهم ، وبين هارب في البلاد ، وشكوا اليه ﷺ واستأذنوه في الهجرة فمكث أياماً لا يأذن ، ثم قال : أريت دار هجرتكم ، أريت سبخة ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان ، ولو كانت السراة أرض نخل وسباخ لقلت هي هي ، والسراة بفتح السين أعظم جبال العرب ثم خرج ﷺ اليهم مسروراً . وقال : قد أخبرت بدار هجرتكم وهي يثرب فأذن حينئذ . وقال : من أراد أن يخرج فليخرج اليها فخرجوا اليها أرسالاً أي متتابعين يخفون ذلك .

وفي رواية : أريت في المنام أني هاجرت من مكة الى أرض بها نخل ، فذهب وهلي اي وهمي الى أنها اليمامة او هجر فاذا هي المدينة يثرب ،ولعله أنسى قول جبريل ليلة الإسراء صليت بطيبة واليها المهاجرة . ثم تذكره بعد ذلك في قوله : قد أخبرت بدار هجرتكم ، وقبل الهجرة آخى ﷺ بين المسلمين من المهاجرين على المؤاساة ، والحق فآخى بين أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ وآخى بين حمزة وزيد بن حارثة ـ رضي الله عنهما ـ وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله عنهما ـ وبين الزبير وابن مسعود ـ رضي الله عنهما ـ وبين عبادة بن الحرث وبلال ـ رضي الله عنهما ـ وبين مصعب بن عمير وسعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنهما ـ وبين أبي عبادة وسالم مولى أبي حذيفة ـ رضي الله عنهما ـ وبين سعيد ابن زيد وطلحة بن عبيد الله ـ رضي الله عنهما ـ وبين علي بن أبي طالب ونفسه ﷺ .

وقال : أما ترضى ان أكون أخاك ؟ قال : بلى يا رسول الله رضيت . قال : فأنت أخي في الدنيا والآخرة . وأنكر ابن تيمية مؤاخاة المهاجرين بعضهم بعضاً قال : والمؤاخاة إنما بين المهاجرين والأنصار . قال : ولا معنى لمؤاخاة مهاجري لمهاجري لأن المؤاخاة إنما شرعت لإرفاق بعضهم ببعض . قال الحافظ ابن حجر : وهـذا رد للنص بالقياس والحكمـة في مؤاخاة المهاجرين ، ان بعضهم كان أقوى من بعض في المال والعشيرة فآخى بين الأعلى والأدنى ليرتفق الأدنى بالأعلى ،وبهذا ظهر مؤاخاته ﷺ لعليّ ـ رضي الله عنه ـ لأنه ﷺ كان هو الذي يقوم بأمره قبل البعثة وبعدها .

وفي الصحيح : أن زيد بن حارثة قال : ان بنـت حمـزة بنـت أخـي أي بسبـب المؤاخاة ، وكان أوّل من هاجر منهم الى المدينة أبو سلمة واسمه عبد الله بن عبد الأسد المخزومي زوج أم سلمة قبل النبي ﷺ وهو أخوه ﷺ من الرضاع وابن عمته ، وهو اول من يدعى للحساب اليسير لأنه لما قدم من الحبشة لمكة آذاه أهلها وأراد الرجوع الى الحبشة ، فلما بلغه إسلام من أسلم من الأنصار وهم الاثنا عشر الذين بايعوا البيعة الأولى ، خرج اليهم وقدم المدينة بكرة النهار . ولما عزم على الرحيل رحل بعيره وحمل عليه أم سلمة وابنها سلمة في حجرها ، وخرج يقود البعير . فرآه رجال من قوم أم سلمة وهم أقرب منها اليها فقاموا اليه وقالوا له : يا أبا سلمة قد غلبتنا على نفسك فصاحبنا هذه علام نتركك تسير بها في البلاد ثم نزعوا خطام البعير منه ، فجاء رجال من قوم أبي سلمـة ـ رضي الله عنـه ـ وقالوا : ان ابننا معها ان نزعتموها من صاحبنا ننزع ولدنا منها . ثم تجاذبوا حتى أطلقوا يده من الخطأ ، وأخذ الولد قوم أبيه ففرّق بينها وبين زوجها وولدها ، فكانت تخرج كل غداة إلى الأبطح تبكي حتى مضت سنة ، فمرّ بها رجل من بني عمها فرحمها وقال لقومها : أما ترحمون هذه المسكينة فرّقتم بينها وبين ولدها وزوجها ؟ فقالوا لها: إلحقي زوجك فلما بلغ ذلك قوم أبي سلمة ردّوا عليها ولدها فركبت بعيراً وجعلت ولدها في حجرها ، وخرجت تريد المدينة وما معها أحد من خلق الله تعالى حتى إذا كانت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة الحجبي اي صاحب مفتاح الكعبة ، وكان عثمان مشركاً يومئذ ثم أسلم ـ رضي الله عنه ـ فشيعها الى المدينة حتى إذا وافى على قباء قال لها : هذا زوجك وكانت أم سلمة تقول : ما رأيت صاحباً أكرم من عثمان بن طلحة فإنه لما رآني قال : إلى أين ؟ قلت : إلى زوجي . قال : أو ما معك أحد ؟ قلت : لا ما معي إلا الله تعالى وابني هذا . فقال : والله لا أتركك ثم أخذ بخطام البعير وسار معي فكان اذا وصلنا المنزل أناخ بي ، ثم استأخر حتى

إذا نزلت جاء وأخذ البعير ، فحط عنه ثم قيده في شجرة ثم أتى الى شجرة فاضطجع تحتها فإذا دنا الرواح قام الى بعيري فرحله وقدمه ثم استأخر عني وقال : اركبي فإذا ركبت أخذ بخطامه فقادني وجمع بين القول بأن مصعب بن عمير أوّل من هاجر لقول بأنه أبو سلمة بأن أبا سلمة أول من قدم المدينة بوازع طبعه ، وأما مصعب فكان بإرسال منه ﷺ وقال بعضهم : أن أبا سلمة أول من هاجر أي من بني مخزوم ، فلا ينافي أنه ليس بأول بالنسبة لغير بني مخزوم وأول ظعينة قدمت المدينة أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ وقيل : ليلى بنت أبي حثمة وقيل : أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ـ رضي الله عنها ـ ثم هاجر عمار وبلال وسعد .

وفي رواية : ثم قدم أصحاب رسول الله ﷺ أرسالاً أي بعد العقبة الثانية فنزلوا على الأنصار في دورهم فأووهم وواسوهم . ثم قدم المدينة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وعباس بن أبي ربيعة في عشرين راكباً وكان هشام بن العاص واعد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أن يهاجر معه وقال : تجدني أو أجدك عند محل كذا . ففطن لهشام قومه فحبسوه عن الهجرة وعن علي ـ رضي الله عنه ـ قال : ما علمت أحداً من المهاجرين هاجر إلا مستخفياً إلا عمر بن الخطاب فإنه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه وانتضى اسهماً في يديه ، واختصر عنزته وهي الحربة الصغيرة أي علقها عند خاصرته ومشى قبل الكعبة والملأ من قريش بفنائها فطاف بالكعبة سبعاً . ثم أتى المقام فصلى ركعتين ثم وقف على الحلق واحدة واحدة ثم قال : شاهت الوجوه ،لا يرغم الله إلا هذه المعاطس يعني الأنوف من أراد أن تثكله أمه أي تفقده ويؤتم أو ترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي قال علي ـ رضي الله عنه ـ فما تبعه أحد ثم مضى لوجهه .

وفي المواهب وشرحها انه هاجر مع عمر ـ رضي الله عنه ـ أخوه زيد بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وكان أسن من عمر ـ رضي الله عنه ـ وأسلم قبله وشهد بدراً والمشاهد كلها ، واستشهد باليمامة وراية المسلمين بيده ـ رضي الله عنه ـ في خلافة الصديق ـ رضي الله عنه ـ سنة اثنتي عشرة من الهجرة وكان عمر ـ رضي الله عنه ـ يقول : أخي سبقني إلى الحسنيين أسلم قبلي واستشهد قبلي ، وحزن عليه حزناً شديداً . وممن هاجر مع عمر ـ رضي الله عنه ـ سعيد بن زيد والزبير فقدموا المدينة ونزلوا على رفاعة بن عبد المنذور ،وممن هاجر عبد الله بن جحش ـ رضي الله عنه ـ ومعه زوجته الفارعة بنت أبي سفيان ـ رضي الله عنها ـ وأما أختها أم حبيبة ـ رضي الله عنها ـ فكانت مع الذين هاجروا إلى الحبشة في صحبة زوجها عبيد الله بن جحش أخي عبد الله بن جحش فتنصّر بالحبشة ثم مات ، وبقيت هي

بأرض الحبشة مع المسلمين الذي كانوا بها ، ثم أرسلﷺ في السنة السابعة وخطبها فوكلت خالد بن سعيد بن العاص وكان أقرب العصبات الحاضرين عندها ، فزوجها من النبيﷺ على يد النجاشي وجعفر بن أبي طالب . ثم هاجرت الى المدينة ـ رضي الله عنها ـ فصارت من أمهات المؤمنين ـ رضي الله عنهن ـ زوجات النبيﷺ ثم أن أبا جهل وأخاه الحرث بن هشام قبل إسلامه فإنه أسلم بعد ذلك ـ رضي الله عنه ـ قدما المدينة والنبيﷺ بمكة لم يهاجر فكلما عياش بن أبي ربيعة وكان أخاهما لأمهما وابن عمهما وكان أصغر ولد أمه فقالا له : إن أمك نذرت أن لا تغسل رأسها ولا يمس رأسها مشط ولا تستظل من شمس حتى تراك .

وفي رواية لا تأكل ولا تشرب ولا تدخل كنا حتى ترجع اليها وقالا له : أنت أحب ولد أمك إليها وأنت في دين منه البر للوالدين فارجع الى أمك وأعبد ربك كما تعبد في المدينة . فرقت نفسه وصدقهما وأخذ عليهما المواثيق ان لا يغشياه بسوء . وقال له عمر ـ رضي الله عنه ـ ما يريدان إلا فتنتك من دينك فاحذرهما والله لو آذى أمك القمل لامتشطت ولو أشتد عليها حر الشمس لاستظلت . فقال عياش : أبر أمي ولي مال هناك آخذه ؟ فقال له عمر ـ رضي الله عنه ـ خذ نصف مالي ولا تذهب معهما فأبى إلا ذلك . فقال له عمر : فحيث صممت فخذ ناقتي هذه فإنها نجيبة ذلول فالزم ظهرها ، فان نابك منهما ريبة فانج عليها ، فأبى ذلك وخرج راجعاً معهما إلى مكة فلما خرجا من المدينة كتفاه أي شدا يديه إلى خلف وجلداه نحواً من مائة جلدة وقيل : كل واحد جلده مائة جلدة ودخلا به مكة موثقاً في وقت النهار . وقالا : يا أهل مكة هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفهائنا . ولما جيء به مكة ألقي في الشمس وحلفت أمه أنه لا يخلى عنه حتى يرجع عما هو عليه ، ثم حبس بمكة مع هشام بن العاص وغيره وجعل كل واحد منهما في قيد ، وكانﷺ بعد الهجرة يدعو لهم في قنوت الصبح فيقول : اللهم أنج الوليد بن الوليد وعياش بن ربيعة وهشام بن العاص والمستضعفين بمكة من المؤمنين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ، والوليد بن الوليد هو أخو خالد كان مع كفار قريش يوم بدر فأسر مع من أسروا ، فتكه أخواه خالد وهشام بن الوليد بن المغيرة وذهبا به الى مكة ، فأسلم فأراد الهجرة فحبسوه وقيل له : هلا أسلمت قبل أن تفتدي ؟ فقال : كرهت اليسار .

ثم نجا وتوصل الى المدينة ثم رجع الى مكة مستخفياً وخلص عياشاً وهشاماً وجاء بهما المدينة . فسر رسول اللهﷺ بذلك وشكر صنيعه ، وممن هاجر قبل النبيﷺ سالم مولى أبي حذيفة ، وكان يؤم المهاجرين بالمدينة وفيهم عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لأنه كان

أكثرهم أخذاً للقرآن ، وسمع النبي ﷺ قراءته فقال : الحمد لله الذي جعل في أمتي مثله . وكان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يثني عليه كثيراً حتى قال لما أوصى عند موته : لو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً ما جعلتها أي الخلافة شورى . قال ابن عبد البر المعنى أنه كان يأخذ برأيه فيمن يوليه الخلافة وقتل سالم - رضي الله عنه - يوم اليمامة وأرسل عمر - رضي الله عنه - بميراثه لعتقته فأبت أن تقبله وجعلته في بيت المال ، ولما أراد صهيب الهجرة الى المدينة وكانت هجرته بعد هجرة النبي ﷺ قال له كفار قريش : أتيتنا صعلوكاً حقيراً فكثر مالك عندنا . ثم تريد أن تخرج بمالك ، لا والله لا يكون ذلك . فقال لهم صهيب : أرأيتم إن جعلت لكم مالي أتخلوا سبيلي ؟ قالوا : نعم . قال : فإني قد جعلته لكم فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : ربح صهيب . وفي الخصائص الكبرى عن صهيب - رضي الله عنه - قال لما خرج رسول الله ﷺ الى المدينة وخرج معه أبو بكر - رضي الله عنه - وقد كنت أردت الخروج معه فصدني فتيان من قريش وقالوا له : جئتنا فقيراً حقيراً صعلوكاً فكثر مالك عندنا وتريد أن تخرج بمالك ونفسك ؟ لا يكون ذلكم أبداً قال : فقلت لهم هل لكم إن أعطيتكم أواقي من الذهب ؟

وفي لفظ : ثلث مالي . وفي لفظ : مالي وتخلوا سبيلي تفعلوا ؟ قالوا : نعم . فقلت : احفروا تحت أسكفة الباب فإن تحتها الأواقي . وخرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ فلما رآني قال : يا أبا يحيى ربح البيع ثلاثاً فقلت : يا رسول الله ما سبقني إليك أحد وما أخبرك إلا جبريل - عليه السلام - وأخرج أبو نعيم في الحلية عن سعيد بن المسيب قال : أقبل صهيب مهاجراً نحو النبي ﷺ وقد أخذ سيفه وكنانته وقوسه فاتبعه نفر من قريش فنزل عن راحلته وانتثل ما في كنانته ثم قال : يا معشر قريش قد علمتم أني من أرماكم رجلاً وأيم الله لا تصلون إليّ حتى أرمي بكل سهم من كنانتي ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي شيء منه ثم افعلوا ما شئتم وإن شئتم دللتكم على مالي بمكة وخليتم سبيلي فقالوا : نعم . فقال لهم ما تقدم .

وفي رواية قالوا له : دلنا على مالك ونخلي سبيلك وعاهدوه على ذلك ففعل . وذكر بعض المفسرين أن المشركين أخذوه وعذبوه فقال لهم : إني شيخ كبير لا يضركم أمنكم كنت أم من غيركم فهل لكم أن تأخذوا مالي وتذروني وديني وتتركوا لي راحلة ونفقة ففعلوا وفيه نزل : ﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله ﴾ قال : فلما قدمت المدينة وجدت النبي ﷺ وأبا بكر جالسين فلما رآني أبة بكر - رضي الله عنه - قام فبشرني بالآية التي

نزلت فيّ . وفي رواية : فتلقاني أبو بكر وعمر ورجال فقال لى أبو بكر : ربح بيعك أبا يحيى فقلت : وبيعك هلا تخبرني ما ذاك ؟ فقال : أنزل الله فيك كذا وقرأ الآية وأصل صهيب كان رومياً أغارت خيل على دجلة أو الفرات فأسرته وهو صغير ثم اشتراه منهم بنو كلب فحملوه الى مكة فابتاعه عبد الله بن جدعان فأعتقه فأقام بمكة حيناً فلما بعث رسول الله ﷺ اسلم ، وكان إسلامه وإسلام عمر- رضي الله عنه - في يوم واحد . قال صهيب - رضي الله عنه - صحبت النبي ﷺ قبل أن يوحى اليه وكان - رضي الله عنه - فيه عجمة شديدة وكان يحب الدعابة .

وفي المعجم الكبير للطبراني : عن صهيب - رضي الله عنه - قال : قدمت على رسول الله ﷺ وبين يديه تمر وخبز فقال : أدن فكل فأخذت آكل من التمر فقال لي : أتأكل وبك رمد ؟ فقلت : يا رسول الله أمصه من الناحية الأخرى فتبسم رسول الله ﷺ . قال سهل بن عبد الله التستري - رضي الله عنه - أن صهيباً كان من المشتاقين لم يكن له قرار ، كان لا ينام بالليل وكان يقول أن صهيباً إذا ذكر النار طار نومه وإذا ذكر الجنة جاء شوقه وإذا ذكر الله طال شوقه وقصة أكله التمر رواها بعضهم على وجه آخر هو أنه ﷺ رآه يأكل قثاء ورطباً وهو أمرد إحدى عينيه فقال : أتأكل رطباً وأنت أرمد ؟ فقال : إنما آكل من ناحية عيني الصحيحة . فضحك رسول الله ﷺ .

قال الحلبي : ولا مانع من التعدد أي لكل من القصتين ولما أذن ﷺ لأصحابه في الهجرة وخرج الناس أرسالاً متتابعين وهاجر أيضاً عثمان بن عفان - رضي الله عنه - واشتد الأذى على المستضعفين ومكث ﷺ ينتظر أن يؤذن له في الهجرة ولم يتخلف معه من أصحابه إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر أو من كان مستضعفاً محبوساً عند قريش وكان الصديق - رضي الله عنه - كثيراً ما يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة الى المدينة فيقول : لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحباً فيطمع أبو بكر - رضي الله عنه - أن يكون الصاحب هو النبي ﷺ وقد حقق الله رجاءه . وفي رواية للبخاري : استأذن أبو بكر النبي ﷺ في الخروج فقال له ﷺ على رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي فقال أبو بكر : وهل ترجو ذلك ؟ بأبي وأمي قال : نعم . فحبس أبو بكر - رضي الله عنه - نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر وهو الخبط أربعة أشهر ، ثم أن قريشاً لما رأوا هجرة الصحابة وعرفوا أنهم صار لهم أصحاب من غيرهم وأنهم أصابوا منعة لأن الأنصار قوم أهل حلقة أي سلاح وبأس حذروا خروجه ﷺ ، وعرفوا أنه أجمع لحربهم فاجتمعوا في دار الندوة دار قصي بن كلاب .

قال الحلبي : دار الندوة من جهة الحجر عند مقام الحنفي الآن وكان لها باب إلى المسجد أعدت للإجتماع للمشورة وكانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها وكانوا لا يدخلون فيها غير قرشي إلا إن بلغ أربعين سنة بخلاف القرشي ، قد أدخلوا أبا جهل ولم تتكامل لحيته ، وكان اجتماعهم يوم السبت . ولذا ورد يوم السبت يوم مكر وخديعة وكان اجتماعهم هذا ليتشاوروا فيما يصنعون في أمرهﷺ ، وكان المجتمعون مائة رجل ، وقيل : خمسة عشر. وكان يسمى ذلك اليوم عندهم يوم الزحمة لأنه اجتمع فيه أشراف بني عبد شمس وبني نوفل وبني عبد الدار وبني أسد وبني مخزوم وبني جمح وبين الحرث وبني كعب وبني تيم وبني عدي وغيرهم ولم يتخلف من أهل الرأي والحجا عنهم أحد ، وجاءهم إبليس في صورة شيخ نجدي فوقف على باب الدار في هيئة شيخ جليل عليه كساء غليظ وقيل طيلسان من خز فقالوا : من الشيخ ؟ قال : من نجد سمع بالذي قعدتم له فحضر ليسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم رأياً ونصحاً قالوا: أدخل فدخل وإنما تمثل في صورة شيخ نجدي لأنهم قالوا لا يدخلن معكم في المشاورة أحد من أهل تهامة لأن هواهم مع محمد ، فلذلك تمثل بصورة نجدي وتهيأ بهيئة تعظم في عيونهم ثم قال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل يعني النبيﷺ قد كان من أمره ما رأيتم وإنا والله لا نأمنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا فأجمعوا فيه رأياً فقال قائل وهو أبو البحتري بن هشام : أحبسوه في الحديد وأغلقوا عليه باباً ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء قبله . فقال النجدي : ما هذا برأي والله لو حبستموه ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه الى أصحابه فلا تشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم ما هذا برأي فانظروا في غيره . فقال أبو الأسود ربيعة بن عمرو العامري : ولم يعلم له إسلام : نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فلا نبالي أين ذهب فقال النجدي لعنه الله : والله ما هذا برأي ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به ؟ والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل على حي من العرب فيغلب بذلك عليهم من قوله حتى تبايعوه عليكم ثم يسير بهم اليكم حتى يطأكم بهم فأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد أديروا فيه رأياً غير هذا فقال أبو جهل : والله إن لي فيه رأياً أراكم وقعتم عليه ، أرى أن تأخذوا من كل قبيلة فتى شاباً جلداً ثم يعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً ثم يعمدوا اليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه ، ويتفرق دمه في القبائل فلا تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً فنعقله لهم . فقال النجدي لعنه الله : القول ما قال لا رأي غيره.

فأجمع رأيهم على قتله وتفرقوا على ذلك وقيل : إن قول أبي جهل الذي صوّبه إبليس أن يعطى خمسة رجال من خمس قبائل سيوفاً فيضربوه ضربة رجل واحد فلعلهم استبعدوا قوله من كل قبيلة إذ لا يمكن عشرين مثلا أن يضربوا شخصاً ضربة واحدة فقال لهم : خمسة رجال ثم أتى جبريل النبيﷺ فقال : لا تبت على فراشك الذي كنت تنام عليه ، فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه أي يرقبونه حتى ينام فيثبوا عليه وكانوا مائة . قال الحافظ الدمياطي في سيرته : فاجتمع أولئك القوم من قريش يتطلعون من شق الباب ويرصدونه يريدون بياته أي يوقعون القتل به ليلاً وقيل أحدقوا ببابه وعليهم السلاح يرصدون طلوع الفجر ليقتلوه ظاهراً فيذهب دمه في جميع القبائل بمشاهدة بني هاشم ، فلا يتم لهم أخذ ثأره فأمر ـ عليه الصلاة والسلام ـ علياً فنام مكانه وغطي ببرد لهﷺ بقولهﷺ : اتشح ببردي هذا الحضري الأخضر فنم فيه فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم ، وكانﷺ ينام في برده ذلك إذا نام فكان علي ـ رضي الله عنه ـ أوّل من شرى نفسه ابتغاء مرضاةالله ووقى بنفسه رسول اللهﷺ لأنه امتثل أمر النبيﷺ قبل أن يقول له لن يخلص إليك شيء فصدق عليه أنه بالامتثال باع نفسه وفي ذلك يقول علي ـ رضي الله عنه ـ :

وقيت بنفسي خير من وطىء الثرى ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول إلّه خاف أن يمكروا به فنجاه ذو الطول الإلّه من المكر
وبات رسول الله في الغار آمناً موقى وفي حفظ الإلّه وفي ستر
وبت أراعيهم وما يتهمونني وقد وطنت نفسي على القتل والأسر

وكان القوم في الحكم بن أبي العاص وعقبة بن أبي ميعط والنضر بن الحرث وأمية بن خلف وزمعة بن الأسود وأبو الهيثم وأبو جهل فقال أبو جهل : إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ثم بعثتم بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الأردن وإن لم تفعلوا كان فيكم ذبح ثم بعثتم بعد موتكم فجعلت لكم نار تحترقون بها فسمعهﷺ فخرج من الباب عليهم وقد أخذ الله على أبصارهم فلم يره أحد منهم ، ونثر على رؤوسهم كلهم تراباً كان في يده وهو يتلو قوله تعالى : ﴿ يس ﴾ الى قوله : ﴿ فأغشيناهم فهم لا يبصرون ﴾ ثم انصرفﷺ . وفي رواية الإمام أحمد : حتى لحق بالغار أي غار ثور ، فأفاد أنه توارى فيه حتى أتى أبا بكر منه في نحر الظهيرة ، ثم خرج إليه هو وأبو بكر ثانياً فأتاهم آت وهم جلوس يرصدونه قيل إنه إبليس في صورة النجدي فقال : ما تنتظرون ههنا ؟ قالوا : محمداً قال : قد خيبكم الله قد والله خرج محمد عليكم ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وضع على رأسه تراباً . وانطلق فوضع كل رجل منهم يده على

رأسه فإذا عليه تراب ، ثم جعلوا يطلعون فيرون علياً في الفراش مسجى ببرد رسول الله ﷺ فيقولون : والله إن هذا لمحمد عليه برده . قال الزهري : وباتت قريش يختلفون ويأتمرون أيهم يهجم على صاحب الفراش فيوثقه . وذكر السهيلي : أنهم هموا بالولوج عليه فصاحت امرأة من الدار فقال بعضهم لبعض : والله إنها للسبة في العرب أن يتحدث عنا أنا تسورنا الحيطان على بنات العم وهتكنا ستر حرمنا ، وكان تسور الجدار ممكناً لهم لقصر الجدار لكنهم خافوا السبة والعار فكان هذا هو المانع في الظاهر ، والمانع في الحقيقة باطناً حمية الله ووقايته وحفظه الموجب لخذلانهم وإظهار عجزهم ، فأقاموا بالباب يحرسون علياً يحسبونه النبي ﷺ حتى يقوم في الصباح فيفعلون به ما اتفقوا عليه فلما أصبحوا قام علي - رضي الله عنه - عن الفراش فقالوا له : أين صاحبك ؟ قال : لا أدري . وصدق الله قول النبي ﷺ له لن يخلص اليك شيء تكرهه منهم وقيل : إنهم تسوروا الجدار ودخلوا شاهرين سيوفهم فثار عليٌّ في وجوههم فعرفوه فقالوا له : أين صاحبك ؟ قال : لا أدري . وقيل : أمروه بالخروج وضربوه وأدخلوه المسجد وحبس به ساعة ثم خلوا عنه ثم قالوا : لقد صدقنا الذي كان حدثنا انه خرج علينا . وفي هذه القصة نزل بعد ذلك بالمدينة تذكيراً لهذه النعمة قوله تعالى : ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ﴾ الآية . ثم أذن الله تعالى لنبيه ﷺ في الهجرة بقوله تعالى : ﴿ وقل ربِّ أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً ﴾ .

والحكمة في هجرته إلى المدينة أن تتشرف به الأزمنة والأمكنة والأشخاص لا أنه يتشرف بها فلو بقي بمكة لكان يتوهم أنه قد تشرف بها لأن شرفها قد سبق بالخليل واسمعيل - عليهما الصلاة والسلام - فأمره بالهجرة الى المدينة فلما هاجر اليها تشرفت به لحلوله فيها حتى وقع الإجماع على أن فضل البقاع الموضع الذي ضم أعضاءه الكريمة صلوات الله وسلامه عليه حتى من الكعبة لحلوله فيه بل نقل التاج السبكي عن ابن عقيل الحنبلي أنه أفضل من العرش . قال السيد السمهودي : والرحمات النازلات بذلك المحل يعم فيضها الأمة وهي غير متناهية لدوام ترقياته ﷺ فهو منبع الخيرات .

وكان خروجه ﷺ من مكة أوّل يوم من ربيع الأوّل وقدم المدينة لإثنتي عشرة خلت منه وكان مدّة مقامه بمكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة . قال صرمة بن قيس الأنصاري الصحابي - رضي الله عنه -

ثوي في قريش بضع عشرة حجة　　　يذكر لو يلقي صديقاً مواتياً

وأمره جبريل أن يستصحب أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ روى الحاكم عن علي ـ رضي الله عنه ـ ان النبي ﷺ قال لجبريل : من يهاجر معي ؟ قال : أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ وأخبر ـ عليه الصلاة والسلام ـ علياً بمخرجه وأمره أن يتخلف بعده حتى يؤدّي عنه الودائع التي كانت عنده ـ عليه الصلاة والسلام ـ للناس . قال ابن إسحق وليس أحد بمكة عنده شيء يخاف عليه إلا وضعه عنده ـ عليه الصلاة والسلام ـ لما يعلمون من صدقه وأمانته .

روى البخاري عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : بينما نحن جلوس يوماً في بيت أبي بكر ـ في نحر الظهيرة قال قائل لأبي بكر : هذا رسول الله ﷺ متقنعاً أي مغطياً رأسه .
وفي رواية للطبراني : عن أسماء ـ رضي الله عنها ـ قالت : كان النبي ﷺ يأتينا بمكة كل يوم مرتين بكرة وعشياً ، فلما كان يوم من ذلك جاءنا في الظهيرة فقلت : يا أبت هذا رسول الله ﷺ ، قال أبو بكر فدا له أبي وأمي ، والله ما جاءني به في هذه الساعة إلا أمر حدث . قالت : فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فأذن له أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ فدخ فتنحى أبوبكر :عن سريره وجلس عليه رسول الله ﷺ فقال ﷺ لأبي بكر : أخرج من عندك . فقال أبو بكر. إنما هم أهلك بأبي انت وأمي ، وذلك أن عائشة ـ رضي الله عنها ـ كان أبوها قد عقد لها عليه ﷺ وأسماء أختها بمنزلة أهله لنكاحه أختها ، فلا يخشى عليه منهما وقيل : إن قول أبي بكر بمنزلة قول الصديق حريمي حريمك وأهلي أهلك ، يعني أنا وأنت كالشيء الواحد . فقال ﷺ : قد أذن لي في الخروج من مكة الى المدينة فقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ الصحبة يا رسول الله . قال ﷺ : نعم . قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ فرأيت أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ يبكي وما كنت أحسب أن أحداً يبكي من الفرح . فقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ فخذ بأبي أنت وأمي يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين . قال رسول الله ﷺ : بل بالثمن .

وفي رواية قال : لا أركب بعيراً ليس هو لي . قال : فهو لك . قال : لا ، ولكن بالثمن الذي ابتعتها به . قال : أخذتها بكذا وكذا .

وكان أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ قد علف راحلتين أربعة أشهر لما قال له النبي ﷺ : انه يرجو الهجرة وإنما فعل النبي ﷺ ذلك لتكون هجرته الى الله بنفسه وماله رغبة منه ـ عليه السلام ـ في استكماله فضل الهجرة الى الله تعالى ، وان تكون على أتم الأحوال وإلا فأبو بكر ـ رضي الله عنه ـ قد أنفق ماله في حب الله تعالى ورسوله ﷺ ، فقد روى ابن حبان عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : أنفق أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ على النبي ﷺ أربعين

ألف درهم . وروى الزبير بن بكار عنها ـ رضي الله عنها ـ ان أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ لما مات ما ترك ديناراً ولا درهماً . وفي الصحيح ، قال ﷺ : ليس أحد من الناس أمنّ عليّ في نفسه وماله من أبي بكر . وروى الترمذي ، مرفوعاً ما لأحد عندنا يد إلا كافأناه عليها ما خلا أبا بكر فان له عندنا يداً يكافئه الله بها يوم القيامة . وروى ابن عساكر عن أنس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ إن أعظم الناس علينا مناً أبو بكر زوجني ابنته وواساني بنفسه وإن خير المسلمين مالاً أبو بكر ، أعتق منه بلالاً وحملني الى دار الهجرة ، فالحمل مجاز عن المعاوضة والخدمة في السفر ، وعلف الدابة أربعة أشهر حتى باعها للمصطفى ﷺ ، بحيث لم يحتج لتطلب شراء دابة . قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ فجهزناهما أحث الجهاز أي أسرعه ، وصنعنا لهما سفرة من جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت بها على فم الجراب . وفي رواية : شقت نطاقها فأوكت بقطعة منه الجراب وشدت فم القربة بالباقي فسميت ذات النطاقين . قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر ـ رضي الله عنه ـ بغار ثور ، فكمنا فيه ثلاث ليال ، وكان من قوله ﷺ حين خرج من مكة لما وقف على الحزورة ونظر الى البيت : والله إنك لأحب أرض الله إليّ وإنك لأحب أرض الله إلى الله ولولا أن أهلك اخرجوني ما خرجت منك ، رواه الامام أحمد والترمذي .

وفي رواية له عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ انه قال : ما أطيبك من بلد ، وأحبك إليّ ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك . وروى ابو نعيم عن ابن إسحق بلاغاً انه كان من قوله ﷺ أيضاً ، لما خرج مهاجراً : الحمد لله الذي خلقني ولم أك شيئاً اللهم أعني على هول الدنيا وبوائق الدهر ومصائب الليالي والأيام ، اللهم أصحبني في سفري ، واخلفني في أهلي ، وبارك لي فيما رزقتني ولك فذللني ، وعلى صالح خلقي فقومني ، واليك رب فحببني ، وإلى الناس فلا تكلني ، أنت رب المستضعفين وأنت ربي أعوذ بوجهك الكريم ، الذي أشرقت له السموات والأرض ، وكشفت به الظلمات وصلح عليه أمر الأولين والآخرين من أن يحل بي غضبك أو ينزل عليّ سخطك ، أعوذ بك من زوال نعمتك وفجأة نقمتك ، وتحوّل عافيتك وجميع سخطك . لك العتبى عندي حيثما استطعت ولا حول ولا قوة إلا بك . ولم يعلم بخروجه ﷺ إلا علي ـ رضي الله عنه ـ وآل أبي بكر ـ رضي الله عنهم ـ ومنهم عامر بن فهيرة ـ رضي الله عنه ـ لأنه مولى لأبي بكر وآل الرجل أهله وعياله ومواليه . روي انهما خرجا من خوخة في ظهر بيته

ليلاً . وروي أن أبا جهل لعنه الله لقيها فأعمى الله بصره عنها حتى مضيا ، ولما فقدت قريش رسول الله ﷺ طلبوه بمكة أعلاها وأسفلها وبعثوا القافة وهوة الذي يعرف الأثر في كل وجه قيل انهم بعثوا شخصين فوجدا الذي ذهب قبل ثور أثره هناك . فلم يزل يتبعه حتى انقطع لما انتهى الى غار ثور . ويروى انه قعد وبال في أصل شجرة هناك .

ثم قال ههنا انقطع الأثر ولا أدري أخذ يميناً أم شمالاً أم صعد الجبل

وفي رواية : قال لهم القائف : هذا القدم قدم ابن أبي قحافة وهذا الآخر لا أعرفه إلا انه يشبه القدم الذي في المقام يعني مقام ابراهيم فقالت قريش : ما وراء هذا شيء ، وشق على قريش خروجه ﷺ وجزعوا لذلك ، وجعلوا مائة ناقة لمن ردّه عن سيره ذلك بقتل أو اسر ، ولله در الشيخ شرف الدين الأبوصيري ـ رضي الله عنه ـ حيث قال :

ويح قوم جفوا نبياً بأرض ألفته ضبابها والظباء
وسلوه وحنّ جذع اليه وقلوه وودّه الغرباء
أخرجوه منها وآواه غار وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت ما كفته الحمامة الحصداء

ولما دخل ﷺ وأبو بكر ـ رضي الله عنه ـ الغار أنبت الله على بابه شجرة من أم غيلان تسمى الراءة تكون مثل قامة الإنسان ، ولها خيطان وزهر أبيض يحشى به المخادّ ويكون كالريش لخفته ولينه ، لأنه كالقطن فحجبت عن الغار أعين الكفار وأمر الله العنكبوت فنسجت على وجه الغار ، وأرسل حمامتين وحشيتين فوقعتا على وجه الغار فعششتا على بابه وكل ذلك مما صدّ المشركين عنه وحمام الحرم من نسل تينك الحمامتين جزاءً وفاقاً لما حصل بهما الحماية جوزيا بالنسل . والحماية في الحرم فلا يتعرّض له . وفي المثل آمن من حمام الحرم. ثم اقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وهراويهم وهي العصي الضخمة وسيوفهم فجعل بعضهم ينظر في الغار فرأى حمامتين وحشيتين بفم الغار فرجع إلى أصحابه فقالوا له : ما لك ؟ فقال : رأيت حمامتين وحشيتين فعرفت أنه ليس فيه أحد فسمع النبي ﷺ ما قاله فعرف أن الله قد درأ عنه وقال آخر : أدخلوا الغار فقال أمية بن خلف : وما أربكم أي حاجتكم إلى الغار ؟ إنّ فيه لعنكبوتاً أقدم من ميلاد محمد ثم جاء فبال فقال أبو بكر ـ

رضي الله عنه ـ ان هذا الرجل ليرانا وكان مواجهه فقال : كلا إن ثلاثة من الملائكة تسترنا بأجنحتها لو كان يرانا فعل هذا وقيل : إنّ القائف قعد وبال أيضاً .

وفي رواية : أنهم طافوا جبال مكة حتى انتهوا الى الجبل الذي فيه النبيﷺ إلى آخر الحديث . روي أن الحمامتين باضتا في أسفل النقب ونسج على الغار العنكبوت فقالوا : لو دخل الغار لكسر البيض ونسج العنكبوت وهذا أبلغ في الإعجاز من مقاومة القوم بالجنود ، فانظر بعين البصيرة كيف أظلت الشجرة المطلوب وأضلت الطالب وجاءت عنكبوت ؟ فسدّت باب الطلب فحاكت ثوب نسجها على وجه المكان حتى عمي على القائف الطلب ورحم الله القائل :

والعنكبـوت أجـادت حوْك حلتها فما تخـال خلال النسـج من خلل

روي أن حمام مكة أظلته ﷺ يوم فتح مكة أيضاً فدعا لها بالبركة ونهى عن قتل العنكبوت وقال :هي جند من جنود الله . وقد روى الديلمي في مسند الفردوس مسلسلاً بمحبة النعكبوت حديثاً فقال فيه : أخبرنا والدي قال : وأنا أحبها قال : أخبرنا فلان وأنا أحبها حتى قال عن ابي بكر ـ رضي الله عنه ـ لا أزال أحب العنكبوت منذ رأيت رسول الله ﷺ أحبها ، ويقول : جزى الله العنكبوت عنا خيراً فانها نسجت عليّ وعليك يا أبا بكر في الغار ، حتى لم يرنا المشركون ولم يصلوا الينا .

وأمـا ما يروى من حديث العنكبـوت شيطـان مسخ الله فاقتلـوه ، فهـو حديث ضعيف . نعم ورد عن علي ـ رضي الله عنه ـ طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه في البيت يورث الفقر وما أحسن قول ابن النقيب :

ودود القـزان نسجـت حريرا يجمـل لبسـه في كل شيء
فان العنكبـوت أجـلّ منها بمـا نسجـت على رأس النبي

وروي انهﷺ قال : اللهم أعم أبصارهم اي اجعلها كالعمياء عنا ، فعميت عن دخوله وجعلوا يضربون يميناً وشمالاً حول الغار ، وهذا يشير اليه قول صاحب البردة ـ رضي الله عنه ـ :

أقسمت بالقمر المنشق ان له — من قلبه نسبة مبرورة القسم
وما حوى الغار من خير ومن كرم — وكل طرف ومن الكفار عنه عمي
فالصدق في الغار والصديق لم يرما — وهم يقولون ما بالغار من أرم
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على — خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله أغنت عن مضاعفة — من الدروع وعن عال من الأطم

يعني انهم ظنوا ان الحمام لا تحوم حوله ـ عليه السلام ـ لأن عادة الحمام النفرة وان العنكبوت لا تنسج عليه ـ عليه السلام ـ لما جرت به العادة أن هذين الحيوانين متوحشان لا يألفان معموراً فمهما أحسّا بالإنسان فرا منه . وقد روي ان المشركين لما مرّوا على باب الغار طارت الحمامتان فنظروا بيضهما ونسج العنكبوت فقالوا : لو كان هنا أحد لما كان هنا حمام، فلما سمع ﷺ حديثهم علم أن الله حماهما بالحمام وصرف كيدهم بالعنكبوت ، وما علم المشركون أن الله يسخر ما شاء من خلقه لمن شاء من خلقه . وان وقاية الله عبده بما شاء تغني عبده عن التحصن بمضاعفة من الدروع وعن التحصن باعالي من الأطم وهي الحصون . ولله درّ الأبوصيري من شاعر وما أحسن قوله أيضاً في قصيدته اللامية التي أولها :

إلى متى أنت باللذات مشغول — وأنت عن كل ما قدمت مسؤول

حيث قال فيها :

واغيرتا حين أضحى الغار وهو به — كمثل قلبي معمور ومأهول
كأنما المصطفى فيه وصاحبه الـ — صديق ليثان قد آواهما غيل
وجلل الغار نسج العنكبوت على — وهن فيا حبذا نسج وتجليل
عناية ضل كيد المشركين بها — وما مكايدهم إلا الأضاليل
إذ ينظرون وهم لا يبصرونهما — كأنّ أبصارهم من زيغها حول

وفي صحيح البخاري : عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : حدثني ابو بكر ـ رضي الله عنه ـ قال : قلت للنبي ﷺ ونحن في الغار . وفي رواية : فرفعت رأسي فرأيت أقدامهم فقلت له : لو أن أحدهم نظر الى قدميه لرآنا فقال لي رسول الله ﷺ : ما ظنك باثنين الله

ثالثهما ؟ أي جاعلهما ثلاثة بضم ذاته إليهما في المعية المعنوية المشار إليها بقوله : ان الله معنا .

قال بعض أهل السير : ان أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ لما قال ذلك قال له النبي ﷺ : لو جاؤونا من ههنا لذهبنا من ههنا فنظر الصديق ـ رضي الله عنه ـ إلى الغار قد انفرج من الجانب الآخر ، وإذا البحر قد اتصل به وسفينة مشدودة إلى جانبه وهذا ليس بمنكر من حيث القدرة العظيمة ولا بمستبعد بالنسبة لمعجزاته ﷺ العميمة ، وان كان الذي ذكره ما ذكر له اسناداً متصلا لكن حسن الظن بالأئمة يقتضي انهم لا يذكرون مثل ذلك إلا بتوقيف . وقد روي : أن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ قال : نظرت الى قدمي رسول الله ﷺ قد تقطرتا دما فاستبكيت وعلمت انه لم يكن تعوّد الحفاء والجفوة ، قيل : ان ذلك من خشونة الجبل وكان ﷺ حافياً ومشى ليلته على أطراف أصابعه لئلا يظهر أثر رجله على الأرض ، وقيل : انهم ضلوا عن الطريق الموصل للغار فبعدت المسافة عليهم .

وفي وبعض الروايات : أن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ كان يحمل النبي ﷺ على كاهله في بعض الطريق لشدّة محبته له ﷺ . وفي رواية : ان أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ كان يمشي بين يديه ساعة ومن خلفه ساعة ومرة عن يمينه ومرة عن شماله ، فسأله ﷺ عن ذلك فقال : اذكر الطلب فامشي خلفك ، واذكر الرصد فامشي امامك وعن يمينك وشمالك ، لا آمن عليك . فقال : لو كان شيء احببت ان تقتل دوني ؟ فقال : أي والذي بعثك بالحق ، ولهذا جاء عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ انه قال ليلة من ليالي ابي بكر ـ رضي الله عنه ـ خير مما أعطي عمر وآل عمر يعني بذلك ليلة الهجرة هذه ، فلما انتهيا الى الغار قال : مكانك يا رسول الله حتى استبرىء لك الغار فاستبرأه ، وذلك انه دخل الغار قبل رسول الله ﷺ ليقيه بنفسه خوفاً من أن يكون في الغار شيء من الهوام ويروى انه قال : والذي بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله قبلك ، فان كان فيه شيء نزل بي قبلك . فدخله وجعل يلتمس بيده فكلما رأى حجراً قطع من ثوبه وألقمه الحجر ، حتى فعل ذلك بثوبه أجمع فبقي حجر فوضع عقبه عليه . ويروى فألقمة أبو بكر رجليه لئلا يخرج منه ما يؤذي رسول الله ﷺ لاشتهاره بكونه مسكن الهوام . ثم بعد استبرائه قال لرسول الله ﷺ : أدخل فاني سوّيت لك مكاناً ، فدخل رسول الله ﷺ ووضع رأسه في حجر أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ ونام وسد أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ ما بقي من ثقوب الغار برجليه فلدغ في رجله من الحجر ولم يتحرك لئلا يوقظ المصطفى ﷺ .

وفي رواية : فجعلت الحيات والأفاعي تلسعنه وجعلت دموعه تتحدّر من ألم لسعها ، فسقطت دموعه على وجه رسول الله ﷺ فاستيقظ وقال : ما لك يا أبا بكر ؟ قال : لدغت فداك أبي وأمي فتفل عليه رسول الله ﷺ فذهب ما يجده . وفي رواية : فلما أصبحا رأى رسول الله ﷺ على أبي بكر أثر الورم ، فسأله فقال : من لدغة الحية : فقال : هلا أخبرتني ؟ قال : كرهت أن أوقظك فمسحه فذهب ما به من الورم . وفي رواية لأبي نعيم عن أنس - رضي الله عنه - فلما أصبح قال لأبي بكر - رضي الله عنه - أين ثوبك ؟ فأخبره بالذي صنع فرفع يديه ، وقال : اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي في الجنة . فأوحى الله اليه قد استجبنا لك . وفي رواية ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - فقال له ﷺ رحمك الله صدّقتني حين كذبني الناس ، ونصرتني حين خذلني الناس ، وآمنت بي حين كفر بين الناس ، وآنستني في وحشتي . قال الزرقاني : والظاهر كما قال شيخنا يعني الشبراملسي انه كان عليه غير ثوبه مما يستر جميع البدن إذ لم ينقل طلبه لغيره ممن كان يأتي لهما بالغار كابنه وابن فهيرة . ويروى أيضاً أن أبا بكر - رضي الله عنه - لما دخل الغار أصاب يده شيء ، فخرج من أصبعه دم فجعل يمسح الدم ويقول :

هل أنت الا أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت

فهذا البيت من انشاء الصديق - رضي الله عنه - وقد تمثل به النبي ﷺ إذ أصابه حجر فدميت اصبعه والممتنع عليه ﷺ إنما هو إنشاء الشعر لا إنشاده . ثم إن هذا البيت تمثل به كثير من الصحابة كابن رواحة والوليد بن الوليد بن المغيرة وجعفر بن أبي طالب - رضي الله عنهم - ويروى أن أبا بكر - رضي الله عنه - لما رأى القافة اشتد حزنه وبكى وأقبل عليه الهم والخوف والحزن ، كل ذلك خوفاً على رسول الله ﷺ . وقال : إن قتلت فانما أنا رجل واحد لا تهلك الأمة بقتلي فلا يفوتهم نفع ولا يلحقهم ضرر ، وإن هلكت أنت هلكت الأمة بهلاك الدين ، فعند ذلك قال له رسول الله ﷺ : لا تحزن إن الله معنا يعني بالمعونة والنصر فالمعية معنوية لاستحالة الحسية في حقه تعالى ، وليس المراد بالعلم فقط ، لأن ذلك حاصل لكل موجود لا يختص بهما قال الله تعالى : ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فأنزل الله سكينته عليه ﴾ السكينة أمنة اي حالة للنفس تطمئن عندها القلوب لأمنها مما تكرهه وقوله : عليه الضمير عائد على أبي بكر - رضي الله عنه - المعبر عنه بقوله صاحبه في قول الأكثر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال البيضاوي : وهو الأظهر لأنه كان منزعجاً لا على النبي ﷺ ، لأنه لم تزل السكينة معه . قاله ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وقوله : وأيده الضمير عائد على النبي ﷺ بجنود لم تروها يعني الملائكة اي ليحرسوه ويصرفوا وجوه المشركين عنه فانظر وتأمل بعين البصيرة في أمر المصطفى ﷺ وشفقته على الصديق ـ رضي الله عنه ـ لما علم النبي ﷺ حزن الصديق لكن لا على نفسه قوى الرسول ﷺ قلبه ببشارة : ﴿ لا تحزن ان الله معنا ﴾ وكانت تحفة النبي ﷺ أبا بكر بكونه ثاني اثنين مدخرة له دون جميع الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ فهو الثاني في الإسلام ، والثاني في بذل النفس والعمر وسبب الموت لأنه لما جعل نفسه وقاية له كأنه بذل نفسه وعمره حفظاً له ـ عليه الصلاة والسلام ـ فلما وقى الرسول ﷺ بماله ونفسه ، جوزي بمؤازرته معه في رمسه ، وقام مؤذن التشريف ينادي على منابر الأمصار : ﴿ ثاني اثنين إذ هما في الغار ﴾ وكفى للصديق بهذا شرفاً . ولقد أحسن حسان ـ رضي الله عنه ـ حيث قال له النبي ﷺ : هل قلت في أبي بكر شيئاً ؟ قال : نعم . قال : قل وأنا اسمع فقال :

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد ... طاف العدوّ به إذ صاعد الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا ... من الخلائق لم يعدل به بدلا

فضحك ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قال : صدقت يا حسان هو كما قلت . وعن أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ انه قال لجماعة : أيكم يقرأ سورة التوبة ؟ قال رجل : أنا اقرأ ، فلما بلغ : ﴿ إذ يقول لصاحبه لا تحزن ﴾ بكى ابو بكر ـ رضي الله عنه ـ وقال : والله انا صاحبه . وقال أبو الدرداء ـ رضي الله عنه ـ رآني رسول الله ﷺ أمشي أمام أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ فقال : يا ابا الدرداء ، تمشي أمام من هو أفضل منك في الدنيا والآخرة ؟ فوالذي نفس محمد بيده ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر . وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : أتاني جبريل فقال : إن الله يأمرك أن تستشير أبا بكر وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ حب أبي بكر واجب على أمتي . قال بعضهم : وتأمل قول موسى ـ عليه السلام ـ لبني اسرائيل : ﴿ كلاً ان معي ربي سيهدين ﴾ وقول نبينا ﷺ للصديق : ﴿ إن الله معنا ﴾ فقدم المسند اليه للاشارة إلى انه لا يزول عن الخاطر لشدّة التعلق به أو لأنه يستلذ به لكونه محبوباً للعباد إذ لا انفكاك لأحد عن الاحتياج إليه أو لتعظيمه بوصفه بالألوهية لأن سائر

صفات الكمال تتفرع عليه موسى ـ عليه السلام ـ خص نفسه بشهود المعية له وحده ، ولم يتعد ذلك الشهود الى أتباعه حيث قال : ان معي ربي ، ونبيناﷺ تعدّى منه شهوده الى الصديق ـ رضي الله عنه ـ ولهذا لم يقل ان الله معي بل قال : معنا لأنه أمدّ الصديق ـ رضي الله عنه ـ بنوره فشهد سرّ المعية ، ومن ثم سرى سر السكينة الى أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وإلا لم يثبت تحت اعباء هذا التجلي والشهود إذ ليس في طوق البشر ذلك الثبوت إلا بذلك الإمداد ، وفرق بين معية الربوبية في قصة موسى ـ عليه السلام ـ ومعية الألوهية في قصة نبينا ـ عليه الصلاة والسلام ـ .

فانه في قصة موسى قال : ان معي ربي والرب من التربية وهي التنمية والإصلاح وقال في قصة نبيناﷺ : إن الله معنا فعبر بلفظ الجلالة وهو الاسم الجامع لصفات الكمال ، وكان مكثهﷺ مع أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ في الغار ثلاث ليال وكان يبيت عندهما في الغار عبد الله بن أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنهما ـ وهو غلام شاب ثقف أي فطن حاذق ثابت المعرفة بما يحتاج اليه فيدلج من عندهما بسحر إلى مكة فيصبح مع قريش كبائت بمكة لشدّة رجوعه بغلس فلا يسمع بأمر يكادان به أي يطلب لهما فيه المكروه إلا حفظه ، حتى يأتيهما به حين يختلط الظلام وكان عامر بن فهيرة ـ رضي الله عنه ـ مولى أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ يرعى غنماً لأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ فكان يروح عليهما بالغنم كل ليلة حين تذهب ساعة من العشاء ، فيحلبان ويشربان . ثم يسرح بكرة فيصبح في رعيان الناس فلا يفطن له أحد يفعل ذلك في كل ليلة من الليالي الثلاث وكان عامر ـ رضي الله عنه ـ أميناً مؤتمناً حسن الإسلام ، إكان ممن يعذب في الله ، فاشتراه ابو بكر ـ رضي الله عنه ـ وأعتقه ، واستشهد ببئر معونة في حياة النبيﷺ .

وفي بعض الروايات : ان اسماء ـ رضي الله عنها ـ كانت تأتيهما من مكة ، إذا أمست بما يصلحهما من الطعام واستأجر رسول اللهﷺ وأبو بكر ـ رضي الله عنه ـ قبل خروجهما من مكة عبد الله بن أريقط دليلاً وهو على دين كفار قريش ، فسخره الله لهما ليقضي الله أمره ، ولم يعرف له إسلام فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما براحلتيهما صبح ثلاث . وفي رواية الزهري : حتى أذا هدأت عنهما الأصوات جاء صاحبهما ببعيريهما وانطلق معهما عامر بن فهيرة يخدمهما ويعينهما يردفه أبو بكر ويعقبه ليس معهما غيره والدليل فأخذ بهم طريق الساحل . وفي رواية : فأجازهما أسفل مكة ثم

مضى بهما حتى جاء بهما الساحل أسفل من عسفان ثم أجازهما حتى عارض الطريق وصار أبو بكر - رضي الله عنه - إذا سأله سائل عن النبي ﷺ من هذا الذي معك يقول هاد يهديني الطريق ! وكان أبو بكر - رضي الله عنه - يكثر الأسفار للتجارة فكان معروفاً عندهم والنبي ﷺ لكونه قليل الأسفار لا يعرفونه فكان كل من لقيهما يعرف أبا بكر - رضي الله عنه - دون النبي ﷺ فيسأله عنه فيجيبه بقوله : هاد يهديني السبيل ولا يتكلم بلاكم إلا ويوري في كلامه . ويروى ان النبي ﷺ قال لأبي بكر - رضي الله عنه - أله الناس أي اشغل الناس عني أي تكفل عني بالجواب لمن يسأل عني فانه لا ينبغي لنبي ان يكذب اي ولو صورة كالتورية ، فكان أبو بكر - رضي الله عنه - يجيبهم بنحو ما تقدم .وفي الصحيحين: أنهم مروا بصخرة فنام النبي ﷺ في لهاظ ورأى أبو بكر - رضي الله عنه - راعياً معه غنم فاستحلبه فحلب له منها فبرده أبو بكر - رضي الله عنه - حتى قام ﷺ فسقاه ثم ارتحلوا فمروا بقديد على أم معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية ، وهي معدودة من الصحابيات - رضي الله عنها - لأنها أسلمت بعد ذلك وكانت امرأة برزة عفيفة جليلة جلدة قوية ، تحتبيء بفناء القبة ثم تسقي وتطعم من يمر بها ، وكان القوم مرملين مسنتين أي مقحطين فطلبوا منها لبناً أو لحماً أو تمراً يشترونه منها فلم يجدوا عندها شيئاً وقالت : والله لو كان عندنا شيء ما أعوزنا القرى ، فنظر ﷺ الى شاة في كسر الخيمة خلفها الجهد أي الهزال عن الغنم فسألها ﷺ : هل بها من لبن ؟ فقالت : هي أجهد من ذلك تريد أنها لضعفها وعدم طروق الفحل لها دون من لها لبن فقال : أتأذنين لي أن أحلبها ؟ فقالت : نعم . بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حلباً أي لبناً في الضرع فاحلبها فدعا بالشاة فاعتقلها أي وضع رجليها بين ساقه وفخذه ليحلبها ومسح ضرعها وسمى الله تعالى فتفاجت ودرت ودعا باناء فجيء له بإناء يربض الرهط أي يشبع الجماعة حتى يربضوا فحل فيه ثجاً أي حلباً قوياً ، وسقى أم معبد ثم سقى القوم حتى رووا ، ثم شرب آخرهم وقال : ساقي القوم آخرهم شرباً ، ثم حلب فيه مرة أخرى فشربوا عللاً بعد نهل أي ثانياً بعد الأول ثم حلب ثالثاً وتركه عندها .

وفي رواية ، قال لها : إرفعي هذا لأبي معبد إذا جاءك ثم ركبوا واذهبوا . وفي بعض الروايات : انها لما شاهدت هذه المعجزة تسلفت من جيرانها شاة أخرى وذبحتها اكراماً له ﷺ فشاهدت فيها معجزة أخرى حيث أكل منها ﷺ هو ومن معه وملأت سفرتهم منها وبقي أكثر لحمها عند أم معبد ، وبقيت الشاة التي مس ضرعها الى زمن عمر - رضي الله عنه - ثم بعد ارتحالهم جاء زوجها أبو معبد واسمه اكتم بن أبي الجون الخزاعي - رضي

الله عنه ـ فإنه أسلم بعد ذلك ، قال السهيلي : وله رواية عن النبيﷺ ، وهوفي في حياته أقبل يسوق غنماً عجافاً فلما رأى اللبن عجب وقال : ما هذا يا أم معبد ؟ أنى لك هذا ولا حلوب بالبيت ؟ فقالت : انه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا ، أي رأى الشاة ودعا لها وحكت له القصة : فقال : صفيه يا أم معبد . فقالت : رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة مليح الوجه حسن الخلق لم تعبه نجلة ولم تزر به صعلة والمراد أنه وسيم قسيم أي كامل الحسن في عينيه دعج وفي أشفاره وطف أي طول أحور أكحل أزج أقرن شديد سواد الشعر ، في عنقه سطع أي طول ، وفي لحيته كثاثة إذا صمت فعليه الوقار ، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء كأن منطقه خرزات نظمن طوال يتحدرن ، حلو المنطق لا نزر ولا هذر ، أجهر الناس إذا تكلم وأجملهم من بعيد وأحلاهم واحسنهم من قريب ، ربعة لا تشنؤه من طول ولا تقتحمه عين من قصر غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظراً أو أحسنهم قدراً له رفقاء يحفون به أي يستديرون حوله إذا قال استمعوا لقوله ، وإذا أمر تبادروا لأمره محفود أي مخدوم محشود أي عنده قوم ، لا عابس ولا مقند أي ليس كثير اللوم فقال أبو معبد : هذا والله صاحب قريش لو رأيته لاتبعته .

وفي رواية : ولقد هممت أن أصحبه ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً وما زالت قريش تطلب النبيﷺ حتى بلغوا أم معبد فسألوها عنهﷺ ووصفوه لها فقالت : ما أدري ما تقولون قد صادفني حالب الحائل فقالوا ذاك الذي نريده ثم أسلمت ـ رضي الله عنها ـ وهاجرت . قال السيد السمهودي في الوفاء : هاجرت هي وزوجها وأسلما . وفي خلاصة الوفاء فخرج أبو معبد في أثرهم ليسلم فيقال إنه أدركهم ببطن ريم ، فبايعه وانصرف . وفي شرح السنة للبغوي : هاجرت هي وزوجها وأسلم أخوها حبيش واستشهد يوم الفتح وكان أهلها يؤرخون بيوم نزول الرجل المبارك . روى ابن إسحق عن أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ انها قالت لما خفي علينا أمر رسول اللهﷺ ، أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام فخرجت إليهم فقال : أين أبوك يا أبنة أبي بكر ؟ فقلت : والله لا أدري أين أبي . فرفع أبو جهل يده وكان فاحشاً خبيثاً فلطم خدي لطمة واحدة خرج منها قرطي . ثم انصرفوا . قالت : ولما لم ندر أين توجه رسول اللهﷺ أتى رجل بعد ثلاث ليال . وفي رواية خمس ليال يغني بأسفل مكة يسمعون صوته ولا يرونه قيل : إنه من الجن وقيل سمعوا هاتفاً على أبي قبيس وهو ينشد هذه الأبيات :

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين حلا خيمتي أم معبد
هما نزلا بالبر ثم ترحلا فأفلح من أمسى رفيق محمد
فيا لقصي ما زوى الله عنكم به من فعال لا تجارى وسودد
ليهن بني كعب مكان فتاتهم ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها فإنكم أن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت له بصريح ضرة الشاة مزبد
فغادرها رهنا لديها الحالب يردّدها في مصدر ثم مورد

قالت أسماء - رضي الله عنها - فلما سمعنا قوله عرفنا حيث توجه ﷺ ورحم الله الأبوصيري حيث يقول :

وتغنت بمدحه الجن حتى أطرب الإنس منه ذاك الغناء

ولما بلغت أبيات الهاتف أهل المدينة من الأنصار - رضي الله عنهم - قال حسان - رضي الله عنه - بعد إسلامه مجيباً للأبيات :

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم وقدس من يسري اليه ويغتدي
ترحل عن قوم فضلت عقولهم وحل على قوم بنور مجدد
هداهم به بعد الضلالة ربهم وأرشدهم من يتبع الحق يرشد
وهل يستوي ضلال قوم تسفهوا عمي وهداة يهتدون بمهتد
وقد نزلت منه على أهل يثرب ركاب هدى حلت عليهم بأسعد
نبي يرى ما لا يرى الناس حوله ويتلو كتاب الله في كل مشهد
وإن قال في قوم مقالة غائب فتصديقها في اليوم أو في ضحى غد
ليهن أبا بكر سعادة جدّه بصحبته من يسعد الله يسعد

ثم بعد رواحهم من عند أم معبد ، تعرّض لهما سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي - رضي الله عنه - فإنه أسلم بالجعرانة عند منصرفه ﷺ من غزوة حنين والطائف والمدلجي نسبة إلى مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة فهو كناني حجازي ، وسبب تعرضه لهما ما

رواه البخاري عنه قال : جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ دية أي في كل واحد منهما لمن قتله وأسره فبينما أنا جالس في مجالس قومي بني مدلج إذ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال : يا سراقة إني قد رأيت آنفاً أسودة بالسواحل أراها محمدا وأصحابه . قال سراقة : فعرفت أنهم هم فقلت له : إنهم ليسوا هم ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا ثم لبثت ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي من وراء أكمة فتحبسها عليّ ، وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت .

قال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ تبعنا سراقة ونحن في جلد من الأرض فقلت : يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا فقال : لا تحزن إن الله معنا ، وكان النبي ﷺ لا يلتفت وأبو بكر ـ رضي الله عنه ـ يكثر الإلتفات قال : فلما دنا منا وكان بيننا وبينه رمحان أو ثلاثة ؟ قلت : هذا الطلب قد لحقنا وبكيت . قال ﷺ ما يبكيك ؟ قلت : أما والله ما على نفسي أبكي ولكن عليك . فقال ﷺ : اللهم اكفناه بما شئت . وفي رواية : اللهم اصرعه فساخت قوائم فرسه حتى بلغت الركبتين . وفي رواية : الى بطنها فطلب الأمان . وفي رواية : انه سقط عن فرسه واستقسم بالأزلام فخرج ما يكره ثم ركبها ثانياً وقرب حتى سمع قراءة النبي ﷺ فساخت يدا فرسه الى الركبتين فسقط عنها ثم خلصها واستقسم بالازلام فخرج الذي يكره فناداهم بالأمان قال : وكنت أرجو أن اردّه فآخذ المائة الناقة ، وروي في بعض التفاسير : أنه عاهد الله سبع مرات ثم ينكث العهد وكلما ينكث العهد تغوص قوائم فرسه في الأرض . وجاء في رواية : أن سراقة لما دنا من النبي ﷺ صاح وقال : يا محمد من يمنعك مني اليوم ؟ فقال النبي ﷺ : يمنعني الجبار الواحد القهار . ونزل جبريل ـ عليه السلام ـ وقال : يا محمد إن الله عز وجل يقول جعلت الأرض مطيعة لك فأمرها بما شئت . فقال رسول الله ﷺ : يا أرض خذيه ، فأخذت الأرض أرجل جواده الى الركب ، فساق سراقة فرسه فلم يتحرك ، فقال : يا محمد الأمان لو أنجيتني لأكونن لك لا عليك . فقال : يا أرض أطلقيه فأطلقت جواده ، فلما أيس ورأى تلك المعجزة قال : أنا سراقة . انظروني اكلمكم فوالله لا يأتيكم مني شيء تكرهونه وأنا أعلم أن قد دعوتما علي فادعوا الي . وفي رواية : قد علمت يا محمد أن هذا من دعائك فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه ولكما أن أردّ الناس عنكما ولا أضركما . وفي رواية لابن عباس وأنا لكم نافع غير ضار . ولا أدري لعل الحي يعني قومه فزعوا لركوبي وأنا راجع وردّاهم عنكم . قال : فوقفا لي

ودعا له ﷺ أن الله ينجيه مما هو فيه . قال : فركبت فرسي حتى جئتهما ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت انه سيظهر أمر رسول الله ﷺ . قال : فأخبرتهما خبر ما يريد الناس بهما من الحرص على الظفر بهما وبذل المال لن يحصلهما .

وفي رواية ابن عباس - رضي الله عنهما - وعاهدهم أن لا يقاتلهم ولا يخبر عنهم وأن يكتم عنهم ثلاث ليال قال : وعرضت عليهما الزد والمتاع فلم يرزآني اي لم ينقصاني مما معي شيئاً . وفي رواية قال : هذه كنانتي فخذ منها سهماً فانك تمر على إبلي وغنمي بمكان كذا وكذا ، فخذ منها حاجتك ، فقال : لا حاجة لنا في إبلك ودعا له . وفي رواية : عرضت عليهما الزاد والمتاع فقال رسول الله ﷺ : يا سراقة ، إذا لم ترغب في دين الإسلام فاني لا أرغب في إبلك ومواشيك ، وفي رواية : ولم يسألاني شيئاً إلا أن قال : أخف عنا . قال : فسألته أن يكتب لي كتاب أمن ، فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أديم . وفي رواية : إني لأعلم أن سيظهر أمرك في العالم ، وتملك رقاب الناس فعاهدني إني إذا أتيتك يوم ملكك تكرمني ، فأمر عامر بن فهيرة فكتب له . وفي رواية لأنس - رضي الله عنه - فقال : يا نبي الله مرني بما شئت . قال : تقف مكانك لا تتركن أحداً يلحق بنا ، فكان أوّل النهار مسلحة له أي حارساً له بسلاحه . وفي رواية : أنه قال للقوم لما رجع اليهم : قد عرفتم نظري بالطريق وبالأثر ، وقد استبرأت لكم فلم أر شيئاً فرجعوا .

وجاء في الحديث : من تمام القصة ان النبي ﷺ قال لسراقة : كيف بك إذا لبست سواري كسرى ؟ وفي رواية : إذا تسوَّرت بسواري كسرى ؟ قال كسرى بن هرمز ، قال نعم ، فعجب من ذلك فلما آتى بهما في خلافة عمر - رضي الله عنه - وبتاجه ومنطقته وكان عمر - رضي الله عنه - قد سمع بوعد النبي ﷺ لسراقة من أبي بكر - رضي الله عنه - فدعا بسراقة فألبسه السوارين تحقيقاً لهذه المعجزة وإظهاراً لها وقال : ارفع يديك وقال : الله أكبر الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة بن مالك أعرابياً من بني مدلج . ورفع عمر - رضي الله عنه - صوته ثم قسم ذلك بين المسلمين ،ومما جيء به لعمر - رضي الله عنه - مما غنمه المسلمون من كسرى بساطه وكان ستين ذراعاً في سيتن ذراعاً منظوماً باللؤلؤ والجواهر الملوّنة على ألوان زهر الربيع ، كان يبسطه في إيوانه ويشرب عليه إذا عدمت الزهور فقطع عمر - رضي الله عنه - البساط وقسمه على المسلمين فأصاب علياً - رضي الله عنه - قطعة باعها بخمسين ألف دينار ، وفي القصة أيضاً انه أخذ الكتاب الذي كتب له وجعله في كنانته . قال سراقة : فلم أذكر شيئاً مما كان حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ

من حنين خرجت للقائه ومعي الكتاب ، فلقيته بالجعرانة حتى دنوت منه فرفعت يدي بالكتاب ، فقلت : يا رسول الله هذا كتابك ، قال : يوم وفاء وبرّ ، ادنه فدنوت منه وأسلمت . وفي رواية عن سراقة ـ رضي الله عنه ـ إلى قومي فأتيته فقلت : أحب ان توادع قومي فان أسلم قومك أسلموا وإلا آمنت منهم . فأخذﷺ بيد خالد فقال : اذهب معه فافعل ما يريد . فصالحهم خالد على أن لا يعينوا على رسول اللهﷺ ، وإن أسلمت قريش أسلموا معهم . فأنزل الله تعالى : ﴿ إلا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق ﴾ الآية ، فكان من وصل اليهم كان معهم على عهدهم .

قال ابن إسحق : ولما بلغ أبا جهل ما لقي سراقة لامه في تركهم . وفي رواية : ان سراقة لما رجع الى مكة اجتمع عليه الناس فأنكر أنه رأى محمداًﷺ فلا زال به أبو جهل حتى اعترف فأخبرهم بالقصة فلامه أبو جهل في تركهم فأنشده سراقة :

أبا حكم واللات لو كنت شاهدا ... لأمر جوادي إذ تسيخ قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمداً ... رسول ببرهان فمن ذا يقاومه
عليك بكف القوم عني فانني ... أرى أمره يوما ستبدو معالمه

والى قصة سراقة أشار بعضهم بقوله :

غرت سارقة أطماع فساخ به ... جواده فانثنى للصلح مطلبا

وقال صاحب الهمزية :

فاقتفى أثره سراقة فاستهـ ... ـوته في الأرض صافن جرداء
ثم ناداه بعد ما سمعت الخسـ ... ـف وقد ينجد الغريق النداء

واجتازﷺ في طريقه ذلك بعبد يرعى غنماً فاستسقاه أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ اللبن فقال : ما عندي شاة تحلب غير أن ههنا عناقاً حملت عام أوّل وما بقي لها لبن . فقال : ادع بها فدعا بها فاعتقلهاﷺ ومسح ضرعها ودعا حتى أنزلت . وجاء أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ بمحجن وهو الترس فحلبﷺ فسقى أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ ثم حلب فسقى الراعي ، ثم حلب فشرب ، فقال الراعي : بالله من أنت ؟ فوالله ما رأيت مثلك . قال : أو

تراك تكتم عليّ حتى أخبرك ؟ قال : نعم . قال : فاني محمد رسول الله . قال : أنت الذي تزعم قريش انه صابىء ؟ قال : انهم ليقولون ذلك . قال : اشهد انك نبي وأن ما جئت به حق وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبي وأنا متبعك . قال : إنك لن تستطيع ذلك يومك فإذا بلغك إني قد ظهرت فأتنا .

ومما وقع لهم في الطريق انهﷺ لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين فكسا الزبير ـ رضي الله عنه ـ رسول اللهﷺ ثياباً بيضاء وكذا لقي طلحة بن عبيد الله ـ رضي الله عنه ـ النبيﷺ وأبا بكر ـ رضي الله عنه ـ فكساهما .

وأخرج البيهقي عن بريدة بن الحصيب ـ رضي الله عنه ـ قال : لما جعلت قريش مائة من الإبل لمن يرد النبيﷺ حملني الطمع فركبت في سبعين من بني سهم فلقيتهﷺ فقال : من أنت ؟ قلت : بريدة . فالتفت رسول اللهﷺ الى أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وقال : برد أمرنا وصلح . ثم قال : ممن أنت ؟ قلت : من أسلم . قال : سلمنا . ثم قال : ممن ؟ قلت من بني سهم قال : خرج سهمك يا أبا بكر فقال بريدة للنبيﷺ : من أنت ؟ قال : أنا محمد بن عبد الله رسول الله . فقال بريدة : اشهد ان لا إلّه إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . فأسلم بريدة وأسلم من كان معه جميعاً . قال بريدة : الحمد لله الذي أسلم بنو سهم طائعين غير مكرهين . فلما أصبح قال بريدة : يا رسول الله لا تدخل المدينة إلا ومعك لواء فحل عمامته ، ثم شدها في رمح ثم مشى بين يديه حتى دخلوا المدينة . ولما سمع المسلمون في المدينة بخروج رسول اللهﷺ من مكة كانوا يغدون كل غداة الى الحرة ينتظرونهﷺ حتى يردهم حر الظهيرة . وكان خروجهم ثلاثة أيام وهي المدّة الزائدة على المسافة المعتادة بين مكة والمدينة التي كان بها بالغار ، فانقلبوا يوماً بعد أن طال انتظارهم وأحرقتهم الشمس ، وإذا رجل من اليهود صعد على لطم أي محل مرتفع من آطامهم اي من محالهم المرتفعة لأمر ينظر اليه ، فبصر برسول اللهﷺ وأصحابه مبيضين أي لابسين ثياباً بيضاء وهي التي كساهم إياها الزبير وطلحة في الطريق . فلما رآهم ذلك اليهودي يزول بهم السراب اي يرفعهم ويظهرهم فلم يملك اليهودي ان قال بأعلى صوته : يا معشر العرب . وفي رواية : يا بني قيلة ، وهم الأنصار وأمهم تسمى قيلة هذا جدكم أي حظكم الذي تنتظرونه .

وفي رواية : لما دنوا من المدينة بعثوا رجلاً من أهل البادية الى أبي أمامة اسعد بن

زرارة وأصحابه من الأنصار ، ولا مانع من الأمرين . فثار المسلمون الى السلاح فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة وهو مع أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ في ظل نخلة كانت هناك ثم قالوا لهما : ادخلا آمنين مطمئنين . وفي رواية فاستقبله ﷺ زهاء خمسمائة من الأنصار فقالوا : اركبا آمنين مطاعين فعدل ذات اليمين حتى نزلا بقباء في دار بني عمرو بن عوف ، وذلك في يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأوّل ، وكان نزوله ﷺ عند كلثوم بن الهدم ، لأنه كان شيخ بني عمرو بن عوف ، وهم بطن من الأوس ، وكان كلثوم يومئذ مشركاً ثم أسلم ـ رضي الله عنه ـ وتوفي قبل غزوة بدر بيسير ، وقيل أسلم قبل وصوله ﷺ المدينة وعند وصوله ﷺ نادى كلثوم ، يا نجيح لغلام فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ نجحت يا أبا بكر ، وكان ﷺ يجلس للناس ويتحدث مع أصحابه في بيت سعد ابن خيثمة لأنه كان عزباً لا أهل له هناك ، وكان منزله يسمى منزل العزاب . وبهذا يجمع بين قول من قال : نزل على كلثوم ومن قال : نزل على سعد بن خيثمة ، ونزل أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ على حبيب بن اساف وقيل خارجة بن زيد ـ رضي الله عنه ـ .

ولما توجه ﷺ المدينة أمر علياً ـ رضي الله عنه ـ أن يقيم بعده حتى يرد الودائع فقام علي ـ كرم الله وجهه ـ بالأبطح ينادي : من كان له عند رسول الله ﷺ وديعة فليأت تؤدّى اليه أمانته . فلما نفذ ذلك ، ورد عليه كتاب رسول الله ﷺ بالشخوص اليه ، فابتاع ركائب ، وقدم ومعه الفواطم وأم أيمن وولدها أيمن وجماعة من ضعفاء المؤمنين ، ولما وصل نزل على كلثوم بن الهدم اقتداء بالنبي ﷺ وكان علي ـ رضي الله عنه ـ في طريقه يسير الليل ويكمن النهار ، حتى تفطرت قدماه . ولما وصل اعتنقه النبي ﷺ وبكى رحمة لما بقدميه من الورم ، وتفل في يديه وأمرّهما على قدميه فلم يشكهما بعد ذلك ، ولا مانع من وقوع ذلك من علي ـ رضي الله عنه ـ مع وجود ما يركبه لأنه يجوز أن يكون هاجر ماشياً رغبة في عظيم الأجر .

وسري السرور الى القلوب بوصول النبي ﷺ قال البراء بن عازب ـ رضي الله عنهما ـ ما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ . وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء وصعدت ذوات الخدور على الأجاجير أي الأسطحة عند قدومه ، يعلن بقولهنّ طلع البدر علينا الخ . وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جلس النساء والصبيان والولائد يقلن جهراً :

طلـــع البـــدر علينا من ثنيات الوداع
وجـــب الشـــكر علينا ما دعـــا لله داعي
أيهـــا المبعـــوث فينا جئـــت بالأمـــر المطاع

ولما استقر رسول الله ﷺ قام أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ للناس وأبو بكر شيخ أي شيبه ظاهر وإن كان النبي ﷺ أسنّ منه فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله ﷺ يحيي أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ فيعرّف بالنبي ﷺ حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ ، فأقبل أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ حتى ظلل عليه بردائه ، فعرف من جاء منهم بعد ذلك ولا يردان تظليل الغمام يغني عن تظليل أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ لأن ذلك كان قبل البعثة إرهاصاً لنبوته ﷺ ولم ينقل احد وقوع ذلك بعد البعثة ٠ وكان خروجه ﷺ من قباء يوم الجمعة بعد ان لبث يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وقيل : كان لبثه بضع عشرة ليلة ، وأسس ﷺ بقباء المسجد الذي أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله ﷺ ، وهو الذي نزلت فيه الآية ، وقيل إنه مسجد المدينة . وروى كل منهما في أحاديث صحيحة وجمع بعضهم بأن كل منهما يسمى المسجد الذي أسس على التقوى .

وروى الطبراني : عن الشموس بنت النعمان ـ رضي الله عنها ـ قالت : نظرت الى رسول الله ﷺ حين قدم وأسس مسجد قباء فرأيته يأخذ الحجر أو الصخرة حتى تتعبه فيأتي الرجل من أصحابه فيقول : يا رسول الله بأبي أنت وأمي أكفيك فيقول : لا حتى أسسه ، وجاء انه ﷺ لما أراد بناءه قال : يا أهل قباء ائتوني بأحجار من الحرة فجمعت عنده أحجار فخط القبلة وأخذ حجراً فوضعه . ثم قال ﷺ : يا أبا بكر ، خذ حجراً فضعه إلى جنب حجري ثم قال : يا عمر خذ حجراً فضعه الى جنب حجر أبي بكر . ثم قال : يا عثمان خذ حجراً فضعه الى جنب حجر عمر ، قال بعضهم : كأنه أشار الى ترتيب الخلافة . وصنع مثل ذلك عند بناء مسجد المدينة ، وكان ﷺ بعد تحوّله الى المدينة يأتي مسجد قباء يوم السبت ، ماشياً تارة وراكباً أخرى فيصلي فيه . وقال ﷺ : من توضأ وأسبغ الوضوء ثم جاء مسجد قباء فصلى فيه كان له أجر عمرة . ولما نزل قوله تعالى : ﴿ فيه رجال يحبون أن يتطهروا ﴾ أرسل رسول الله ﷺ يسألهم عن ذلك فقال : ما هذا الطهور الذي أثنى الله عليكم به ؟ فقالوا : يا رسول الله ما خرج منا رجل ولا امرأة الى الغائط إلا غسل فرجه اي بعد الاستنجاء بالأحجار . وفي رواية : ثم نتبع الأحجار الماء . فقال : هو هذا زاد في

رواية : ولا نام الليل كله على الجنابة .

ولما ركبﷺ وخرج من قباء سار الناس معه ما بين ماشٍ وراكب ، ولا زال أحدهم ينازع صاحبه زمام الناقة حرصاً على كرامة رسول اللهﷺ وتعظيماً له ، حتى دخل المدينة الشريفة . وصار الخدم والصبيان يقولون : الله أكبر جاء رسول اللهﷺ ، ولعبت الحبشة بحرابها فرحاً برسول اللهﷺ وقال بنو عمرو بن عوف له حين أراد الخروج من قباء : يا رسول الله أخرجت ملالاً لنا أو تريد داراً خيراً من ديارنا ؟ قال : اني أمرت بقرية تأكل القرى اي تغلبها وتقهرها ، والمراد أن أهلها يفتحون القرى فيأكلون أموال تلك القرى ويسبون ذراريهم ، فخلوا سبيلها ، يعني ناقتهﷺ ثم أدركته صلاة الجمعة في مسجد بني سالم بن عوف ، وهو المسجد الذي في بطن الوادي على يمين السالك الى مسجد قباء ويسمى مسجد الجمعة فصلاها بمن معه من المسلمين ، وكانوا مائة وهي أوّل جمعة صلاهاﷺ بالمدينة ، وخطب بها وهي أوّل خطبة خطبها في الإسلام . ومن خطبهﷺ تلك ، فمن استطاع ان يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فانها تجزىء الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة والسلام على رسول الله ورحمة الله وبركاته . وفي رواية : والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . ثم ركبﷺ بعد صلاة الجمعة متوجهاً الى المدينة وهو مردف أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ خلفه إكراماً له وإلا فقد كانت له راحلة ، ولما ركبﷺ أرخى لناقته زمامها وهي تنظر يميناً وشمالاً ، وكلما مر على دار من دور الأنصار يدعونه المقام عندهم يقولون : يا رسول الله هلم الى القوة والمنعة ، فيقول خلو سبيلها يعني ناقته فانها مأمورة .

وفي ذلك حكمة بالغة هي أن يكون تخصيصه ـ عليه السلام ـ لمن خصه الله بنزوله عنده آية معجزة تطيب بها النفوس وتذهب معها المنافسة ولا يحيك ذلك في صدر أحد منهم شيئاً . ولما مرّ على بني سالم بن عوف سأله منهم عتبان بن مالك ونوفل بن عبد الله بن مالك وعبادة بن الصامت فقالوا : يا رسول الله ؛ أقم عندنا في العز والثروة والمنعة . وفي رواية : انزل فينا ، فان فينا العدد والعدّة والحلقة أي السلاح ، ونحن أصحاب الحلائف والدرك ، كان الرجل من العرب يدخل هذه الهجرة خائفاً فيلجأ الينا . فقال لهم خيراً وقال لهم : خلوا سبيلها ، يعني ناقته فانها مأمورة ، وهوﷺ متبسم ويقول : بارك الله فيكم . فانطلقت حتى وردت دار بني بياضة اي محلتهم فسأله بنو بياضة ومنهم زياد بن لبيد وفروة

ابن عمرو وقالوا له بمثل ما تقدم فأجابهم بانها مأمورة خلوا سبيلها ، حتى وردت دار بني ساعدة ومنهم سعد بن عبادة والمنذر بن عمر وأبو دجانة فسأله بنو ساعدة بمثل ذلك فأجابهم يخلوا سبيلها فأنها مأمورة ، فانطلقت حتى مرت بدار بني النجار وهم أخواله ﷺ اي أخوال جده عبد المطلب فسأله بنو عدي بن النجار بمثل ما تقدم . وفي رواية : انهم قالوا له ﷺ : نحن أخوالك هلم الى العدد والمنعة والعزة مع القرابة لا تجاوز لغيرنا يا رسول الله ، ليس أحد من قومك أولى بك منا لقرابتنا . فأجابهم بمثل ما تقدم وبانها مأمورة . فانطلقت حتى بركت بمحل من محالهم وذلك في محل المسجد أو محل بابه او منبره عند دار بني مالك بن النجار ، وكان ذلك الموضع الذي بركت فيه مربد السهل وسهيل ابني رافع ابن عمرو والمريد الموضع الذي يجفف فيه التمر وقيل : كل شيء حبست فيه الإبل او الغنم ثم ثارت ، وهو ﷺ حتى بركت على باب أبي أيوب خالد بن زيد الانصاري وهو من بني مالك بن النجار ، ثم ثارت وبركت في مبركها الأول عند المسجد .

وقال الحافظ ابن حجر : أشارت الى أنه منزله حياً وميتاً ، وألقت جرانها بالأرض يعني باطن عنقها وازرمت يعني صوتت من غير أن تفتح فاها ، ونزل عنها ﷺ وقال : هذا المنزل إن شاء الله . واحتمل ابو أيوب رحله باذنه ﷺ وأدخله بيته ر ه زيد بن حارثة ، وكانت دار بني النجار أوسط دور الأنصار وأفضلها وهم أخوال عبد المطلب جده - عليه السلام - فأكرمهم الله بنزوله ﷺ عندهم . وفي رواية : انها استناخت به أولاً فجاء ناس فقالوا : المنزل يا رسول الله . فقال : دعوها ، فانبعثت حتى بركت عند المنبر من المسجد ثم تحلحت ، فنزل عنها . وقال : رب أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين أربع مرات ، وأخذه الذي كان يأخذه عند الوحي وسري عنه فقال : هذا ان شاء الله يكون المنزل ، فأتاه أبو أيوب فقال : إن منزلي أقرب المنازل فأذن لي أن أنقل رحلك . قال : نعم . فنقله وأناخ الناقة في ظلاله . فلما نقل رحله قال ﷺ : المرء مع رحله ثم جاء أسعد بن زرارة فأخذ ناقته ﷺ ، فكانت عنده . قال أبو أيوب - رضي الله عنه - لما نزل على رسول الله ﷺ حين قدم المدينة فكنت في العلو .

وفي رواية : لما نزل ﷺ في بيتي نزل في السفل وكنت أنا وأم أيوب في العلو ، فقلت : يا نبي الله بأبي أنت وأمي أكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتي ، فأظهر أنت فكن في العلو وننزل نحن ونكون في السفل . فقال : يا أبا أيوب إن الأرفق بنا وبمن يغشانا أن نكون في سفل البيت . فكان النبي ﷺ في سفله

وكنـا فوقـه في المسـكن . فلما خلـوت الى أم أيوب يعني زوجتـه قلـت لها : رسـول الله ﷺ أحـق بالعلـو منـا تنـزل عليه الملائـكة وينـزل عليه الوحـي ، فما بت تلك الليلة لا أنام ولا أم أيوب بحالـة هنيئـة ، بل بشر ليلـة تلك الفـكرة . وفي رواية أن أبا أيوب انتبـه ليلاً فقـال : نمشي فوق رسـول الله ﷺ فتحوّلـوا وباتـوا في جانب . زاد في رواية : فلقد انكر لنا حب فيه ماء فقمت انا وأم أيوب لقطيفة لنا ما لنا لحاف غيرها ننشف بها تخوّفاً أن يقطر على رأس رسول الله ﷺ منه شيء فيؤذيه . فلما قلت يا رسول الله ما بت الليلة أنا ولا أم أيوب ، قال : لم يا أبا أيوب ؟ قلت : كنت أحق بالعلو منا ، تنزل عليك الملائكة وينزل عليك الوحي . فقال ﷺ : السفل أرفق بنا . قلت : لا يكون ذلك والذي بعثك بالحق ، لا أعلو سقيفة أنت تحتها أبداً . زاد في رواية فلم يزل أبو أيوب يتضرّع اليه ﷺ حتى تحوّل الى العلو وأبو أيوب في السفل . قال أبو أيوب ـ رضي الله عنه ـ وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث به اليه فإذا ردّ علينا فضله تيممت أنا وأم أيوب موضع يده نبتغي بذلك البركة حتى بعثنا اليه يوماً بعشائه وقد جعلنا فيه بصلاً أو ثوماً فردّه ولم أر ليده فيه أثراً ، فجئته فزعاً فسألته فقال : اني وجدت فيه ريح هذه الشجرة وأنا رجل أناجي فأما أنتم فكلوه ، فأكلناه ولم نصنع له تلك الشجرة بعد . وهذا لا ينافي أن الطعام كان يأتيه أيضاً من غير أبي أيوب . فقد ورد انه ما من ليلة إلا وعلى باب رسول الله ﷺ الثلاثـة والأربعة يحملون اليه الطعام ، وأن جفنة سعد بن عبادة وجفنة أسعد بن زرارة تحملان اليه كل ليلة . واستمرت جفنة سعد بن عبادة تدور معه ـ عليه السلام ـ في بيوت أزواجه ، وان أوّل هدية دخلت عليه ـ عليه السلام ـ في بيت أبي أيوب قصعة فيها ثريد خبز بر بسمن ولبن جاء بها زيد بن ثابت ووضعها بين يديه ﷺ وقال : يا رسـول الله أرسلـت بهـذه القصعة اليك أمي . فقال : بارك الله فيك وفيها ودعا أصحابه وذكر ابن إسحـق أن هذا البيت الذي لأبي أيوب بناه له ـ عليه الصلاة والسلام ـ تبّع الحميري ، لما مر بالمدينة في رجوعه من مكة وترك فيها أربعمائة عالم .

روى ابن عساكر : انه قدم مكة وكسا الكعبة وخرج الى يثرب ، وكان في مائة ألف وثلاثين ألفاً من الفرسان ، ومائة ألف وثلاثة عشر ألفاً من الرجالة . ولما نزلها أجمع أربعمائة رجل من الحكماء والعلماء وتبايعوا أن لا يخرجوا منها ، فسألهم عن الحكمة في مقامهم فقالوا : ان شرف البيت وشرف هذه البلدة بهذا الرجل الذي يخرج يقال له محمد ﷺ ، فأراد تبع أن يقيم وأمر ببناء دار للنبي ﷺ ، وببناء أربعمائة دار لكل رجل منهم دار ،

واشترى لكل منهم جارية وأعتقها وزوجها منه ، وأعطاهم عطاء جزيلاً وأمرهم بالاقامة الى وقت خروجه . وكتب كتاباً للنبي ﷺ فيه إسلامه ومنه :

شهدت على أحمد أنه رسول من الله باري النسم
فلو مدّ عمري الى عمره لكنت وزيراً له وابن عم

وختمه بالذهب ودفعه الى كبيرهم وسأله أن يدفعه للنبي ﷺ ان ادركه ، وإلا لمن يدركه من ولده وولد ولده أبداً الى حين خروجه . وكان في الكتاب ، انه آمن به وعلى دينه وخرج تبع من يثرب فمات بالهند ، ومن موته الى مولده ﷺ ألف سنة سواء قاله الزرقاني في شرح المواهب فتداول الدار التي بناها تبع للنبي ﷺ الملوك الى أن صارت لأبي أيوب ، وهو ولد ذلك العالم الذي دفع اليه الكتاب ، ولما خرج ﷺ أرسلوا اليه كتاب تبع مع أبي ليلى ، فلما رآه ﷺ قال له : أنت أبو ليلى ومعك كتاب تبع الأوّل ؟ فبقي أبو ليلى متفكراً ولم يعرف رسول الله ﷺ ، فقال : من أنت ؟ فاني لم أر في وجهك أثر السحر ، وتوهم أنه ساحر ، فقال : أنا محمد ، هات الكتاب . فلما قرأه قال : مرحباً بتبع الأخ الصالح ثلاث مرات . قال ابن اسحق :وأهل المدينة الذين نصروه ـ عليه الصلاة والسلام ـ من ولد أولئك العلماء الأربعمائة وهم الأوس والخزرج ، فعلى هذا إنما نزل ﷺ في منزل نفسه لا في منزل غيره . وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : شهدت يوم دخول النبي ﷺ فلم أر يوماً أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه ﷺ المدينة ، وخرجت جويريات من بني النجار يضربن بالدفوف ويقلن :

نحن جوار من بني النجار يا حبذا محمد من جار

فخرج اليهنّ رسول الله ﷺ قال : أتحببنني ؟ قلن : نعم يا رسول الله . فقال : الله يعلم أن قلبي يحبكن . وفي رواية : وأنا والله أحبكنّ ،قال ذلك ثلاثاً وتفرّق الغلمان والخدم في الطرق ينادون : جاء محمد جاء رسول الله الله أكبر جاء محمد رسول الله ﷺ .

وجاء في رواية : أنّ ناقته ﷺ حين بركت في دار بني النجار أي محلتهم جاء رجل من بني سلمة وهو جبار بن صخر ـ رضي الله عنه ـ وكان من صالحي المسلمين فجعل ينخسها رجاء أن تقوم فتنزل في دار بني سلمة فلم تفعل ، وجاء انه ﷺ قال : خير دور الأنصار بنو النجار ،ثم بنو عبد الأشهل ،ثم بنو الحرث ،ثم بنو ساعدة . وفي كل دور الأنصار خير .

ولما بلغ ذلك سعد بن عبادة ـ رضي الله عنه ـ وكان من بني ساعدة ، وجد في نفسه . وقال : خلفنا فكنا آخر الأربع أسرجوا إليّ حماري ، فأتى رسول الله ﷺ فكلمه ابن أخته سهل فقال : أتذهب لرسول الله ﷺ لترد عليه ورسول الله ﷺ اعلم وليس حسبك أن تكون رابع أربع ، فرجع وقال : الله ورسوله اعلم ، وامر بحماره ان يفك عنه سرجه . وفي رواية : قال له : اجلس ألا ترضى أن سمى رسول الله ﷺ دارك في الدور الأربع التي سمي وما لم يسمّ اكثر مما سمي .فانتهى سعد بن عبادة عن كلام رسول الله ﷺ . ومكث ﷺ في دار ابي أيوب سبعة أشهر الى أن بنى المسجد وبعض مساكنه ، ولما تحوّل رسول الله ﷺ من بني عمرو بن عوف الى المدينة تحوّل المهاجرون فتنافس فيهم الأنصار ان ينزلوا عليهم حتى اقترعوا عليهم بالسهان فما نزل أحد من الأنصار إلا بقرعة بينهم ، وكان المهاجرون في دور الأنصار وأموالهم . ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك أبو بكر وبلال ـ رضي الله عنهما ـ بالحمى .

روى النسائي عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ لما قدم النبي ﷺ المدينة وهي أوبأ أرض الله ، أصاب أصحابه منها بلاء وسقم وصرف الله ذلك عن نبيه ﷺ ، وأصابت الحمى ابا بكر وبلالاً وعامر بن فهيرة ، فاستأذنت رسول الله ﷺ في عيادتهم ، وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب . فأذن لي فدخلت عليه وهم في بيت واحد فقلت : يا أبت ، كيف تجدك ، ويا بلال كيف تجدك ،وكان أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ إذا أخذته الحمى يقول : اذا قيل له كيف تجدك ؟

كل امرىء مصبح في أهله والموت أدنى من شراك نعله

قالت : فقلت إنا لله إن أبي يهذي وما يدري ما يقول ثم دنوت الى عامر بن فهيرة فقلت : كيف تجدك ؟ فقال :

لقد وجدت الموت قبل ذوقه ان الجبان حتفه من فوقه
كل امرى مجاهد بطوقه كالثور يحمي أنفه بروقه

فقلت : هذا والله ما يدري ما يقول ، أي لأنها سألتهم عن حالهم فأجابوها بما لا تعلق له والطوق الطاقة والروق القرن يضرب مثلاً في الحث على حفظ الحرم ، وكان بلال

إذا أقلعت عنه الحمى يقول :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بواد وحولي اذخر وجليل
وهل أردن يوماً مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل

اللهم العن عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف ، كما أخرجونا من أرضنا الى أرض الوباء . قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته وقلت : يا رسول الله انهم ليهذون وما يعقلون من شدة الحمى ، فنظر الى السماء وقال : اللهم حبِّب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، اللهم بارك لنا في صاعنا ومدّنا وصححها لنا ، وانقل حماها الى الجحفة فاستجاب الله له فطيب هواءها وترابها وساكنها والعيش بها ! حتى ان من أقام بها يجد من تربتها وحيطانها رائحة طيبة لا تكاد توجد في غيرها وقد تكرّر دعاؤه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بتحبيب المدينة والبركة في ثمارها .

قال العلامة الزرقاني : والظاهر ان الإجابة حصلت بالأوّل والتكرير لطلب المزيد وقد ظهر ذلك في الكيل بحيث يكفي المدّ بها ما لا يكفيه بغيرها، وهذا أمر محسوس لمن سكنها ونقل الله حماها الى الجحفة ، والمراد الحمى الشديدة الثقل الوبيئة فصارت الجحفة من يومئذ وبيئة لا يشرب أحد من مائها إلا حم ولا يمر بها طائر إلا حم وسقط . قال الزرقاني : والذي نقل عنها سلطان الحمى وشدّتها ووباؤها وكثرتها بحيث لا يعد الباقي بالنسبة لما نقل شيئاً واستجاب الله لرسوله ﷺ فسكن حب المدينة في قلوب أصحابه حتى قال عمر ـ رضي الله عنه ـ اللهم ارزقني شهادة في سبيلك ، واجعل موتي في بلد رسولك ، فاستجاب الله دعاءه ـ رضي الله عنه ـ فرزقه الشهادة على يد أبي لؤلؤة المجوسي واسمه فيروز غلام المغيرة بن شعبة ودفن عند حبيبه ﷺ . قال السهيلي : بعد ذكر كلام بلال السابق فيه من حنينهم الى مكة ما جلبت عليه النفوس من حب الوطن والحنين اليه .

وقد جاء في حديث أصيل الغفاري : انه قدم من مكة فسألته عائشة ـ رضي الله عنها ـ كيف تركت مكة يا أصيل ؟ فقال : تركتها حين ابيضت أباطحها ، وأحجن ثمامها ، واغدق اذخرها ، وأبشر سلمها ، فاغرورقت عينا رسول الله ﷺ وقال : تشوقنا يا أصيل دع القلوب تقر ، وكان ﷺ قبل بناء المسجد يصلي حيث أدركته الصلاة ، ولما أراد ﷺ بناء المسجد الشريف قال : يا بني النجار ثامنوني بحائطكم أي بستانكم اي اذكروا لي ثمنه

لاشتريه منكم . قالوا : لا نطلب ثمنه إلا إلى الله ، فأبى ذلكﷺ وابتاع ذلك منهم بعشرة دنانير ، أدّاها من مال أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ وكان من جملة محل مسجدﷺ مسجد لأبي أمامة أسعد بن زرارة ـ رضي الله عنه ـ وكان أبو امامة يجمع فيه بمن يليه وبعض منه كان مربداً للتمر لسهل وسهيل ابني رافع بن عمرو هما يتيمان في حجر معاذ بن عفراء وقيل : في حجر أسعد بن زرارة ، وجمع بانه كان في حجرها وبعض منه كان حائطاً اي بستاناً فيه نخل ، وبعض منه كان خرباً ، وبعض منه كان فيه قبور ، وبهذا جمع بين الأحاديث التي في بعضها أن موضع المسجد كان مربداً . وفي بعضها : كان بستاناً . وفي بعضها : كان مسجداً لأسهد بن زرارة ، الى غير ذلك . فأمرﷺ بالقبور فنبشت وبالعظام فغيبت ، وبالخرب فسويت بإزالة ما كان فيها ، وبالنخل فقطعت ، وجعلت عمداً للمسجد . ثم أمر باتخاذ اللبن فاتخذ وبنى المسجد وسقف بالجريدة وجعلت عمدة خشب النخل .

روى محمد بن الحسن المخزومي وغيره عن شهر بن حوشب ، لما أراد رسول اللهﷺ ان يبني المسجد قال : ابنوا لي عريشاً كعريش موسى ثمامات وخشبات وظلة كظلة موسى ، والأمر أعجل من ذلك قيل : وما ظلة موسى ؟ قال : كان إذا أقام أصاب رأسه السقف ، فلم يزل المسجد كذلك حتى قبض رسول اللهﷺ . قال بعضهم : ان عصا موسى وقامته وقبته كانت سبعة أذرع ، فهو تشبيه تام لأنه جعل ارتفاع سقف المسجد سبعة أذرع . وروى البيهقي عن سفينة مولى رسول اللهﷺ قال : لما بنى رسول اللهﷺ مسجد المدينة وضع حجراً ثم قال : ليضع ابو بكر حجره الى جنب حجري ، ثم ليضع عمر حجره الى جنب حجر ابي بكر ، ثم ليضع عثمان حجره الى جنب حجر عمر ، ثم ليضع علي . ففيه إشارة الى ترتيبهم في الخلافة ـ رضي الله عنهم ـ بل صرح به في رواية : انه سئل عن ذلك فقال : هؤلاء الخلفاء بعدي . قال الإمام أبو زرعة : اسناده لا بأس به ، فقد أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه .

وفي رواية : هؤلاء ولاة الأمر بعدي ، وأما ما اشتهر من أن النبيﷺ لم يستخلف ، فمعناه انه لم ينص على استخلاف أحد بعينه عند وفاته ، وذلك لا ينافي وقوع الخلافة لهؤلاء بعده ، ولا ينافي قولنا لم ينص قوله الخلفاء بعدي ، لأنه ليس نصاً لجواز أن يراد الخلافة في العلم والإرشاد وأيضاً لما كان قوله ذلك متقدماً على وقت الاستخلاف عادة وهو قرب الموت ، لم يكن نصاً سالماً من المعارضة . ثم لما استخلفوا تحقق المراد من تلك الإشارة .

ثم قال للناس: ضعوا أي الحجارة فوضعوا، وعمل المسلمون في بناء مسجده ﷺ وهو ﷺ معهم ، وكان المسلمون يحملون لبنة لبنة وعمار بن ياسر - رضي الله عنه - ينقل لبنتين لبنة عنه ولبنة عن النبي ﷺ ، فقال له النبي ﷺ : يا عمار ألا تحمل كما يحمل أصحابك ؟ قال : إني أريد من الله الأجر فمسح ﷺ التراب عن ظهره وقال له : للناس أجر ولك أجران ، وآخر زادك من الدنيا شربة لبن وتقتلك الفئة الباغية ، فكان كما أخبر ﷺ .

فقد أخرج الطبراني في الكبير باسناد حسن عن أبي سنان الدؤلي الصحابي - رضي الله عنه - قال : رأيت عمار بن ياسر دعا غلاما له بشراب ، فأتاه بقدح لبن فشرب منه ثم قال : صدق الله ورسوله ، اليوم ألقى الأحبة محمداً وحزبه . ان رسول الله ﷺ قال : ان آخر شيء تزوده من الدنيا شربة لبن ، والله لو هزمونا حتى بلغونا سعفات هجر لعلمنا أنا على الحق وأنهم على الباطل يعني لقوله ﷺ وتقتلك الفئة الباغية ثم قاتل فقتل - رضي الله عنه - ودفن بها سنة سبع وثلاثين عن ثلاث أو أربع وتسعين سنة .

روى البخاري في صحيحه : انه ﷺ كان ينقل معهم اللبن في بناء مسجده ويقول وهو ينقل الـٰـن قول عبد الله بن رواحة - رضي الله عنه - :

هذا الحمال لا حمــال خيبر هذا أبــرّ ربنــا وأطهر

ويقول أيضاً قول عبد الله بن رواحة :

اللهــم إن الأجــر أجــر الآخرة فارحــم الأنصــار والمهاجرة

وأصل البيت لا هم الخ . وقيل ان البيت المذكور لامرأة من الأنصار وبعده :

وعافهــم من حرّ نار ساعره فانهــا لكافــر وكافرة

والتمثيل بشيء من الشعر ليس يمتع إنما هو إنشاء لا إنشاد . ووضع النبي ﷺ يوماً رداءه وهو يعمل ، فوضع الناس أرديتهم وهم يعملون ، ويقولون :

لئــن قعدنــا والنبــي يعمل ذاك اذن للعمــل المضلل

ويروى :

لذاك منا العمل المضلل

وروى البيهقي عن الحسن : لما بنى رسول الله ﷺ المسجد ، أعانه أصحابه وهو معهم ، يتناول اللبن حتى اغبرّ صدره الشريف ﷺ وكان عثمان بن مظعون - رضي الله عنه - رجلاً متنطعاً أي متأنقاً مترفهاً ظريفاً ، وكان يحمل اللبنة فيجافي بها عن ثوبه ، فإذا وضعها نفض كمه ونظر الى ثوبه ، فان أصابه شيء من التراب نفضه فنظر اليه علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فأنشد يقول :

لا يستوي من يعمر المساجدا يدأب فيها قائما وقاعدا

ومن يرى عن التراب حائدا

وذلك على طريق المطايبة والمباسطة كما هو عادة المجتمعين على عمل وليس ذلك طعناً على عثمان - رضي الله عنه - فسمع قول علي عمار بن ياسر فجعل يرجز به ولا يدري من يعني به . فمرّ بعثمان بن مظعون فقال: يا ابن سمية لأعرفنّ بمن تعرّض ومعه حديدة فقال : لتكفن أو لأعترضنّ بها وجهك . فسمعه ﷺ فغضب . ثم قالوا لعمار إن رسول الله ﷺ قد غضب فيك ونخاف أن ينزل فينا قرآن فقال : أنا أرضيه كما غضب . فقال : يا رسول الله ما لي ولأصحابك ؟ قال : ما لك ولهم . قال : يريدون قتلي يحملون لبنة لبنة ويحملون عليّ لبنتين ، فأخذ ﷺ بيده وطاف به المسجد وجعل يمسح ذفرته وهي الشعر الذي في جهة القفا ويقول : يا ابن سمية ليسوا بالذي يقتلونك ، تقتلك الفئة الباغية . وقوله : يحملون علي الخ استعطاف ومباسطة ليزول غضب النبي ﷺ . وجعل ﷺ قبلة المسجد الى جهة بيت المقدس وبنى بيوتاً الى جنبه باللبن وسقفها بجذوع النخل والجريد .

وعن الحسن البصري رحمه الله قال : كنت وأنا مراهق أدخل بيوت أزواج النبي ﷺ في خلافة عثمان - رضي الله عنه - فأتناول سقفها بيدي . وعن الواقدي قال : كان لحارثة بن النعمان - رضي الله عنه - منازل قرب المسجد وحوله فكلما أخذ رسول الله ﷺ أهلا تحول له حارثة عن منزل ، حتى صارت منازله كلها لرسول الله ﷺ ، وكان ﷺ بعد استقراره في المدينة بعث زيد بن حارثة وأبا رافع مولاه الى مكة ، فقدما بفاطمة وأم كلثوم وسودة بنت زمعة وأسامة بن زيد وأم أيمن ، وأما رقية فسبقت مع زوجها عثمان - رضي الله عنه - وزينب

أخرت عند زوجها أبي العاص بن الربيع حتى أسر ببدر ، فلما منّ عليه أرسلها الى المدينة وبعث أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ عبد الله بن أريقط وكتب معه الى عبد الله بن أبي بكر أن يحمل معه أم رومان وأم ابي بكر وعائشة وأسماء ، قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ فخرج زيد بن حارثة ومن معه وخرج عبد الله بن أبي بكر معهم بعيال أبيه ومنهم عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : واصطحبنا حتى قدمنا المدينة فنزلنا في عيال أبي بكر ونزل آل النبي ﷺ عندنا ، وهو يومئذ يبني المسجد وبيوته فأدخل سودة أحد تلك البيوت وكان يقيم عندها ، ذكره الطبراني |وأما عائشة ـ رضي الله عنها ـ فلم يكن دخل بها ذلك الوقت ولما كان بعد قدومه ﷺ بخمسة أشهر آخى بين المهاجرين والأنصار .

قال السهيلي : لنذهب عنهم وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ويشدّ أزر بعضهم ببعض ، فلما عز الإسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة ، أبطل المواريث بين المتواخين وجعل المؤمنين كلهم إخوة ، وأنزل الله : ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ اي في التوادد ،وشمول الدعوة : وكان جملة الذين آخى بينهم تسعين ، خمسة وأربعون من المهاجرين ، وخمسة وأربعون من الأنصار وكانت المؤاخاة بينهم على الحق والمواساة والتوارث . وبذل الأنصار ـ رضي الله عنهم ـ في ذلك جهدهم وكتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار ودعا فيه يهود بني قينقاع وبني قريظة وبني النضير وصالحهم على ترك الحرب والأذى ، أن لا يحاربهم ولا يؤذيهم ، وأن لا يعينوا عليه أحداً . وانه ان دهمه بها عدوّ ينصروه وعاهدهم وأقرّهم على دينهم وأموالهم وكانت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في دار ابي طلحة زيد بن سهل ـ رضي الله عنه ـ زوج أم انس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ فآخى ﷺ بين أبي بكر وخارجة بن زيد ـ رضي الله عنهما ـ وكان صهراً لأبي بكر لأنه زوج ابنته لأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وبين عمر وعتبان بن مالك ـ رضي الله عنهما ـ وبين بلال وابن رويم الخثعمي ـ رضي الله عنهما ـ وبين زيد بن حارثة وأسيد بن حضير ـ رضي الله عنهما ـ وبين أبي عبيدة وسعد بن معاذ ـ رضي الله عنهما ـ وبين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع ـ رضي الله عنهما ـ وعند ذلك قال سعد بن الربيع لعبد الرحمن : يا عبد الرحمن اني من أكثر الأنصار مالاً فأنا مقاسمك وعندي امرأتان ، فأنا مطلق إحداهما ، فاذا انقضت عدّتها فتزوّجها . فقال : بارك الله لك في أهلك ومالك .

ثم قال عبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله عنه ـ دلوني على السوق فباع واشترى حتى صار من أكثر الصحابة مالاً ـ رضي الله عنه ـ وتوفي أسعد بن زرارة ـ رضي الله عنه ـ في

السنة الأولى من الهجرة وحزن ﷺ عليه حزناً شديداً. وكان - رضي الله عنه - نقيباً لبني النجار ، فلم يجعل رسول الله ﷺ لهم نقيباً بعده وقد قالوا له ﷺ : اجعل لنا رجلاً مكانه يقيم من أمرنا ما كان يقيم . فقال لهم رسول الله ﷺ : أنتم أخوالي وأنا نقيبكم ، وكره أن يخص بذلك بعضهم دون البعض . فكان من مفاخرهم كون النبي ﷺ نقيبهم وبنى رسول الله ﷺ بعائشة - رضي الله عنها - على رأس تسعة أشهر من الهجرة في شوال .

ولما قدم المسلمون المدينة كانوا يتحينون أوقات الصلوات من غير دعوة ، فإذا عرفوا دخول الوقت بعلامة حضروا ، وكان بلال ينادي : الصلاة جامعة . ثم تكلم الناس في شيء يعرفون به أوقات الصلاة فقال بعضهم : نتخذ ناقوساً مثل ناقوس النصارى . وقال بعضهم : بل بوقاً مثل قرن اليهود . وقال عمر - رضي الله عنه - تبعثون رجلاً منكم ينادي بالصلاة . وقال بعضهم : نوقد ناراً ونرفعها فإذا رآها الناس أقبلوا الى الصلاة . فرأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الأنصاري - رضي الله عنه - في منامه رجلاً يحمل ناقوساً قال : فقلت له يا عبد الله ، أتبيع الناقوس ؟ قال : وما تصنع به ؟ قلت : ندعو به الى الصلاة . قال : أفلا أدلك على ما هو خير لك من ذلك ؟ قلت : بلى فاستقبل القبلة وقال : الله أكبر الله اكبر الى آخر الأذان والإقامة . فلما أصبح اتى النبي ﷺ وأخبره فقال : انها رؤيا حق ان شاء الله . قم مع بلال فألق عليه فانه أندى منك صوتاً . قال : فقمت مع بلال - رضي الله عنه - فجعلت ألقيه عليه ويؤذن . قال : فسمع بذلك عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فخرج يجر رداءه يقول : والذي بعثك بالحق يا رسول الله لقد رأيت مثل ما رأى ، بل روى انه رآه أربعة عشر رجلاً وتأيد ذلك بالوحي من الله تعالى لنبيه ﷺ ، فما كان الاعتماد إلا على الوحي وكانت تلك المنامات سبباً في ذلك .

بَاب مُعَاداة اليهُود

وعند ظهور الإسلام وقوّته بالمدينة ، قامت نفوس أحبار اليهود ونصبوا العداوة لرسول الله ﷺ بغياً وحسداً لما خص الله به العرب ،وأنزل الله فيهم: ﴿ قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم اكبر ﴾ الآيات ، فمن أعدائه الذين انتصبوا لعداوته حيي وأبو ياسر ، وجدي بنو أخطب ، وسلام بن مشكم ، وكنانة بن الربيع ، وكعب بن الاشرف ، وعبد الله بن صوريا،وابن صلوباً ومخيريق ، ثم أسلم وصحب - رضي الله عنه - وكان له سبع حوائط فأوصى بها للنبي ﷺ ، وكان نصبهم له العداوة عند مشروعية الأذان والإعلان بالشهادة له ﷺ .

وعن صفية أم المؤمنين - رضي الله عنها - بنت حيي بن أخطب اليهودي قالت : كنت أحب ولد أبي اليه والى عمي أبي ياسر ، وكانا من أحبار اليهود وأعظمهم . فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة غدوا عليه ثم جاءا من العشي فسمعت عمي يقول لأبي : أهو هو؟ قال : نعم . والله قال : أتعرفه وتثبته ؟ قال : نعم . قال : فما في نفسك منه ؟ قال : عداوته ، والله ما بقيت . وفي رواية ، قالت :ان عمي أبا ياسر حين قدم رسول الله ﷺ المدينة ذهب اليه وسمع منه وحادثه ثم رجع الى قومه فقال : يا قوم ، اطيعوني فان الله قد جاءكم بالذي كنتم تنتظرونه فاتبعوه ولا تخالفوه . ثم انطلق أبي الى رسول الله ﷺ وسمع منه ثم رجع الى قومه فقال لهم : أتيت من عند رجل فوالله لا أزال له عدواً فقال له أخوه أبو ياسر : أطعني في هذا الأمر واعصني فيما شئت بعد لا نهلك . فقال : والله لا نطيعك ، ثم وافق ياسر أخاه حيياً فكانا أشدّ اليهود عداوة لرسول الله ﷺ ، جاهدين في ردّ الناس عن الإسلام بما استطاعا ، فأنزل الله فيهما ومن كان موافقاً لهما : ﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم

الحق ﴾ .

ومن شدة عداوة اليهود للنبي ﷺ ان لبيد بن الأعصم اليهودي صنع سحراً للنبي ﷺ في مشط ومشاطة ، وهي ما يخرج من شعر رأسه ﷺ ، أعطاها لهم غلام يهودي كان يخدم النبي ﷺ ، وجعل مثالاً من شمع وقيل : من عجين كمثال النبي ﷺ ، ثم غرز فيه أبراً وجعل معه وتراً عقد فيه احدى عشرة عقدة ، وجعل ذلك في بئر ذر ، وإن فكأن يخيل اليه ﷺ أن يفعل الفعل وهو لا يفعله مما لا تعلق له بالوحي كالأكل والشرب والنكاح ، ومكث سنة وقيل ستة أشهر ، وقيل أربعين يوماً ثم جاء جبريل للنبي ﷺ وأخبره بذلك السحر وبمكانه ، فأرسل ﷺ علياً وعمار بن ياسر ـ رضي الله عنهما ـ فاستخرجاه وصار ماء البئر كنقاعة الحناء ممسوخاً ، فجعل كلما حل عقدة وجد ﷺ في نفسه بذلك خفة ، حتى قام كأنما نشط من عقال وأنزل الله عليه المعوذتين وهما إحدى عشرة آية كلما قرأ آية انحلت عقدة ، وجعل جبريل ـ عليه السلام ـ يقول : باسم الله أرقيك والله يشفيك من كل داء يؤذيك . ثم انه ﷺ أحضر لبيداً فاعترف فعفا عنه لما اعتذر له بأن الحامل له على ذلك حب الدنانير . وقيل لرسول الله ﷺ : لو قتلته . فقال ﷺ :قد عافاني الله وما وراءه من عذاب الله أشد . وفي رواية : اما أنا فقد عافاني الله وكرهت ان أثير على الناس شراً .

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ان يهود كانوا يستفتحون اي يستنصرون على الأوس والخزرج قبل مبعثه ، اي يقولون : سيبعث نبي صفته كذا وكذا ، نقتلكم معه قتل عاد وإرم فبعد أن ظهر الإسلام بالمدينة قال لهم معاذ بن جبل ، وبشر بن البراء ـ رضي الله عنهما ـ يا معشر يهود ، اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستخفون علينا بمحمد ﷺ ، ونحن أهل كفر وشرك ، وتخبرون أنه مبعوث وتصفونه لنا. فقال سلام بن مشكم ، وهو من عظماء يهود بني النضير : ما جاء بشيء نعرفه هو الذي كنا نذكره لكم ، فأنزل الله في ذلك : ﴿ ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ﴾ وكان مالك بن الصلت من أحبار اليهود وكان يبغض النبي ﷺ ويلبس على اليهود ، وأخذ منهم كثيراً من المال فحضر يوماً عند النبي ﷺ ، فقال له النبي ﷺ أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ هل تجد فيها : ان الله يبغض الحبر السمين فأنت الحبر السمين قد سمنت من المال الذي تطعمك اليهود ؟ فغضب والتفت الى عمر ـ رضي الله عنه ـ وقال : ما أنزل الله على بشر من شيء فكان هذا

منه كفراً بنبينا ﷺ وبموسى - عليه السلام - وبما أنزل عليه . فقالت له اليهود : ما هذا الذي بلغنا عنك ؟ فقال : انه أغضبني فقلت ذلك فنزعوه من الرياسة وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف ، وأنزل الله : ﴿ وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى ﴾ وأنزل أيضاً : ﴿ فلما جاءهم ما عرفوا وكفروا به ﴾ .

ويروى ان يهود المدينة من بني قريظة والنضير وغيرهما كانوا إذا قاتلوا من يليهم من مشركي العرب أسد وغطفان وجهينة وغيرهم قبل مبعث النبي ﷺ يقولون : اللهم إنا نستنصرك بحق النبي الأمي الذي وعدت أنك باعثه في آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم . وفي لفظ : اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان ، الذي نجد نعته وصفته في التوراة فينصرون . وفي لفظ ، يقولون : اللهم ابعث النبي الذي نجد نعته في التوراة يعذبهم ويقتلهم . وفي لفظ : ان يهود خيبر كانت تقاتل غطفان وكلما التقوا هزمت يهود فدعت يوماً : اللهم إنا نسأل بحق النبي الذي وعدت ان تخرجه لنا في آخر الزمان إلا نصرتنا فنصرت فكانوا بعد ذلك اذا التقوا دعوا بهذا فيهزمون غطفان .

وممن كان من أحبار اليهود حريصاً على رد الناس عن الإسلام شاس بن قيس اليهودي كان شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم . مر يوماً على الأنصار الأوس والخزرج وهم مجتمعون يتحدثون ، فغاظه ما رأى من إلفتهم بعدما كان بينهم من العداوة فقال : قد اجتمع بنو قيلة والله ما لنا معهم إذا اجتمعوا من قرار فأمر فتى شاباً من اليهود فقال : اعمد اليهم فاجلس معهم ، ثم اذكر يوم بعاث اي يوم الحرب الذي كان بينهم وما كان فيه ، وأنشدهم ما كانوا يتقاولون به من الأشعار ففعل ، فتكلم القوم عند ذلك أي قال أحد الحيين : قد قال شاعرنا كذلك ، فرده عليه الآخرون وقالوا : قد قال شاعرنا كذلك ، وتنازعوا وتواعدوا على المقاتلة اي قالوا تعالوا نرد الحرب جذعاً كما كانت ، فنادى هؤلاء يا آل الأوس ، ونادى هؤلاء يا آل الخزرج ، ثم خرجوا للحرب . وقد أخذوا السلاح واصطفوا للقتال فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج اليهم فيمن كان معه من المهاجرين فقال : يا معشر المسلمين ، الله الله اتقوا الله ، أبدعوى الجاهلية أي أتقتلون بدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله الى الإسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر وألف به بينكم ؟ فعرف القوم انها

نزغة من الشيطان ، وكيد من عدوّهم فبكوا وعانق الرجال من الأوس الرجال من الخزرج ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ وأنزل الله في شاس بن قيس : ﴿ يا أهل الكتاب لم تصدّون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً ﴾ الآية . وأنزل الله في الأنصار : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم ، إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته إخواناً ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾ وصار اليهود يسألون النبي ﷺ عن أشياء تعنتاً وحسداً وبغياً ، ليلبسوا الحق بالباطل .

فمن جملة ما سألوه ﷺ عنه الروح ، فعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : كنت أمشي مع النبي ﷺ في المدينة وهو يتوكأ على عسيب النخل اي جريدة من جريد النخل إذ مر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض : لا تسألوه لئلا يسمعكم ما تكرهون . وفي رواية : لئلا يستقبلكم بشيء تكرهونه أي يجيبكم بما هو دليل على انه النبي الأمي ، وأنتم تكرهون نبوّته ﷺ فقاموا اليه فقالوا : يا أبا القاسم ما الروح ؟ وفي رواية : أخبرنا عن الروح . فسكت : قال ابن مسعود : فظننت انه يوحي اليه ، فقال : ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ، فقالوا : كذا نجد في كتابنا التوارة ، وتقدّم ان هذه الآية نزلت بمكة حين سأله كفار قريش عن أصحاب الكهف وذي القرنين والروح ، ولا مانع من تكرر نزولها حين سأله اليهود فلما سألوه سكت ﷺ ينتظر هل يوحى اليه إجابتهم بشيء غير ما أجاب به كفار قريش بمكة ، او بالجواب الأوّل بعينه ؟ فأوحى الله اليه الآية بعينها . فقرأها عليهم فقالوا : كذا نجد في كتابنا .

وجاء يهوديان مرة الى النبي ﷺ فسألاه عن قول الله تعالى : ﴿ ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ﴾ فقال لهما : لا تشركوا بالله شيئاً ولا تزنوا ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تسرقوا ، ولا تسحروا ، ولا تمشوا ببريء الى سلطان ، ولا تأكلوا الربا ، ولا تقذفوا المحصنة ، وعليكم يا يهود خاصة لا تعتدوا في السبت ، فقبّلا يديه ورجليه ﷺ وقالا : نشهد أنك نبي . قال : ما يمنعكما ان تسلما ؟ فقالا : نخاف إن أسلمنا تقتلنا

اليهود ، وهذا التفسير للتسع آيات لا ينافي في أن بعضهم فسرها بالمعجزات التي أعطيها موسى ـ عليه السلام ـ وهي التسعة المفصلات التي هي : العصا واليد البيضاء والسنون ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، لأن تلك آيات تتعلق بالتكليف والتوحيد وأصوله وترجع الى أمر الدين وهذه آيات تدل على صدق موسى ـ عليه السلام ـ ولا مانع من أن يراد الآيات الحسية والمعنوية الظاهرية والباطنية والله أعلم .

وقيل في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم إن الدين عند الله الإسلام ﴾ ان حبرين من أرض الشام لم يعلما بمبعثه ﷺ ، فقدما المدينة فقال أحدهما للآخر : ما أشبه هذه بمدينة النبي الخارج في آخر الزمان ، فأخبرا بهجرة النبي ﷺ ووجوده في تلك المدينة فجاءا اليه فلما رأياه ﷺ قالا له : أنت محمد ؟ قال : نعم . قالا : نسألك مسئلة إن أخبرتنا بها آمنا . فقال : اسألاني . فقالا : أخبرنا عن أعظم الشهادة في كتاب الله تعالى ، فأنزل الله تعالى : ﴿ شهد الله ﴾ الآية . فتلاها ﷺ عليهما فآمنا . وعن قتادة ـ رضي الله عنه ـ ان رهطاً من اليهود جاؤوا الى النبي ﷺ وقالوا : أخبرنا عن ربك من أي شيء خلق ؟ فغضب ﷺ حتى انتقع لونه فجاء جبريل وقال له : خفض عليك وأنزل الله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ الى آخر السورة أي هو متوحد في صفات الجلال والكمال ، منزه عن الجسمية ، واجب الوجود لذاته ، اي اقتضت ذاته وجوده مستغن عن غيره ، وكل ما عداه محتاج اليه . وقيل : ان وفد نجران لما نطقوا بالتثليث تحاوروا مع المسلمين فقالوا لهم : هل كان المسيح يأكل الطعام ؟ قالوا : لا يأكل الطعام فأنزل الله سورة الإخلاص إبطالاً لألوهية عيسى ـ عليه السلام ـ لأن الصمد هو الذي لا جوف له فهو غير محتاج الى الطعام .

وذكر السيوطي في الإتقان : أن سورة الاخلاص تكرّر نزولها جواباً للمشركين بمكة حين قالوا : صف لنا ربك . وجواباً لعبد الله بن سلام حين قال : أنسب ربك يا محمد ؟ كما سيأتي في خبر إسلامه وجواباً لأهل الكتاب بالمدينة . فقد ينزل الشيء مرتين تعظيماً لشأنه وتذكيراً له عند حدوث سببه خوف نسيانه وكان من أعلم أحبار اليهود عبد الله بن سلام بالتخفيف ، وكان قبل أن يسلم اسمه الحصين ، فلما أسلم سماه رسول الله ﷺ عبد الله وكان من ولده يوسف الصدّيق ، وقد أثنى الله تعالى عليه في قوله تعالى : ﴿ وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ﴾ وكان من يهود بني قينقاع ، جاء الى

رسول الله ﷺ وسمع كلامه في أوّل يوم دخل فيه رسول الله ﷺ دار أبي أيوب ، والذي سمعه قوله ﷺ : يا أيها الناس أفشوا السلام ، وصلوا الأرحام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام .

فعنه ـ رضي الله عنه ـ قال لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل اليه الناس بالجيم اي أسرفوا ، فكنت ممن أتى اليه . قال : فلما رأيت وجهه ، عرفت انه وجه غير كذاب أي لأن صورته ﷺ وهيئته وسمعته تدل على العقلاء على صدقه ، وانه لا يقول الكذب . قال عبد الله : فسمعته يقول : يا أيها الناس ، أفشوا السلام الخ . وعند ذلك قلت : أشهد أنك رسول الله حقاً ، وأنك جئت بحق ، ثم رجعت إلى أهل بيتي فأسلموا ، وكتمت اسلامي من اليهود . ثم جئته ﷺ في بيت أبي أيوب وقلت له : لقد علمت اليهود أني سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم فأختبئني يا رسول الله قبل أن يدخلوا عليك ، فادعهم فاسألهم عني قبل ان يعلموا أني أسلمت ، فانهم قوم بهت بضم الباء والهاء يواجهون الانسان بالباطل ، وهم أعظم قوم عضيهة أي كذباً ، وأنهم إن يعلموا أني أسلمت قالوا فيّ ما ليس فيّ وخذ عليهم ميثاقاً أني أن اتبعتك وآمنت بك أن يؤمنوا بك وبكتابك الذي أنزل عليك ، فأرسل رسول الله ﷺ اليهم فدخلوا عليه ، فقال لهم رسول الله ﷺ : يا معشر يهود ، ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً وأني جئتكم بحق أسلموا ، قالوا : ما نعلم فأعاد ذلك عليهم ثلاثاً وهم يجيبونه كذلك قال : فأي رجل فيكم ابن سلام ؟ قالوا : ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا . وفي رواية : خيرنا وابن خيرنا قال : أفرأيتم إن شهد أني رسول الله وآمن بالكتاب الذي أنزل عليّ أن تؤمنوا ؟ قالوا : نعم . فدعاه فقال : يا ابن سلام اخرج عليهم ، فخرج عليهم فقال : يا عبد الله بن سلام أما تعلم أني رسول الله تجدوني عندكم مكتوباً في التوراة والانجيل ، أخذ الله ميثاقكم أن يؤمن بي ويتبعني من أدركني منكم ؟ قال ابن سلام : بلى ، يا معشر اليهود ، ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو انكم لتعلمون انه رسول الله حقاً ، وإنه جاء بالحق .

زاد في رواية : انكم لتعلمون انه رسول الله تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة اسمه وصفته . فقالوا : كذبت أنت أشرنا وابن أشرنا ، وهذه لغة رديئة جاءت الى الرواية بها والفصحى شرنا وابن شرنا . قال ابن سلام : هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله ألم

أخبرك أنهم قوم بهت أهل غدر وكذب ، فأخرجهم رسول الله ﷺ وأظهرت إسلامي وأنزل الله تعالى قوله : ﴿ قل أرأيتم إن كان من عند الله ـ يعني الكتاب والرسول ـ ثم كفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ وأنزل الله فيه آيات كثيرة بعد ذلك منها قوله تعالى : ﴿ من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل ﴾ الآية : وقوله تعالى : ﴿ كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ﴾ وقوله تعالى : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين ﴾ الآية . وقوله تعالى : ﴿ أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل ﴾ وغير ذلك من الآيات .

وفي الخصائص الكبرى للجلال السيوطي عن تاريخ الشام لابن عساكر : أن ابن سلام اجتمع بالنبي ﷺ بمكة قبل أن يهاجر فقال له النبي ﷺ : أنت ابن سلام عالم أهل يثرب ؟ قال : نعم . قال : نشدتك بالذي أنزل التوراة على موسى هل في كتاب الله يعني التوراة صفتي ؟ قال : أنسب ربك يا محمد ؟ فتوقف ﷺ فقال له جبريل ـ عليه السلام ـ ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ﴾ فقال ابن سلام : أشهد أنك رسول الله وأن الله مظهرك ومظهر دينك على الأديان واني لأجد صفتك في كتاب الله تعالى : ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ﴾ أنت عبدي ورسولي إلى آخر ما تقدم عن التوارة . وهذا يدل على أن ابن سلام أسلم بمكة وكتم إسلامه ولكن قد يقال : كيف قال : فلما رأيت وجهه عرفت انه غير وجه كذاب ؟ وكيف قال : عرفت صفته واسمه ؟ وكيف أسلم ثانياً وأجيب بأنه فعل ذلك ثانياً بالمدينة إقامة للحجة على اليهود ، وقد وقع لميمون بن يامين وكان رأس اليهود مثل ما وقع لابن سلام ، فانه جاء الى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، ابعث اليهم يعني اليهود واجعلني حكماً فانهم يرجعون الي ، فأدخله وخبأه ، وأرسل اليهم فجاؤوه فقال لهم : اختاروا رجلاً يكون حكماً بيني وبينكم ، قالوا : قد رضينا ميمون بن يامين . فقال : اخرج اليهم فخرج وقال : أشهد أنه رسول الله فأبوا أن يصدّقوه ، وقد أشار الى إنكارهم نبوته ﷺ مع معرفتهم لها صاحب الهمزية بقوله :

عرفوه وأنكروه وظلما كتمه الشهادة الشهداء

أو نور الإلـه تطفئـه الأفواه وهـو الـذي به يستضـاء
كيف يهـدي الإلـه منهـم قلوبا حشوهـا من حبيبـه البغضاء

وقد جاء عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في تفسير قوله تعالى : ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوفِ بعهدكم ﴾ قال الله تعالى للأحبار من اليهود : أوفوا بعهدي الذي أخذته في أعناقكم للنبي ﷺ بأن تصدقوه وتتبعـوه أوفِ بعهدكم أنجز لكم ما وعدتكم عليه بوضـع ما كان عليكم من الإصر والأغـلال ، ولا تكونوا أوّل كافر به وعندكم فيه من العلم ما ليس عند غيركم وتكتموا الحق وأنتم تعلمون أي لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولي ، وبما جاء به وأنتم تجدونه فيما تعلمـون من الكتب التي بأيديكم .

وقد روى في سبب إظهار إسلام عبد الله بن سلام ـ رضي الله عنه ـ زيادة على ما تقدم انه ـ رضي الله عنه ـ قال : جاء رجل فأخبر بقدومه ﷺ وأنا في رأس نخلة أعمل فيها وعمتي من تحتي جالسة ، فما سمعت بقدومه ﷺ كبرت فقالت لي عمتي : لو كنت سمعت بموسى بن عمران ما زدت على هذا . فقلت لها : أي عمتي فوالله هو أخو موسى بن عمران وعلى دينه بعث بما بعث به . قالت : يا ابن أخي أهو النبي الذي كنا نخبر أنه يبعث مع الساعة ؟ فقلت لها : نعم. قال ابن سلام : وكنت عرفت صفته واسمه فكنت مسراً لذلك ساكتاً عليه حتى قدم المدينة ، فجئته فقلت له : اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي : ما أوّل الساعة ؟ وما أوّل طعام يأكله أهل الجنة ؟ وما بال الولد ينزع الى أبيه أو إلى أمه ؟ فقال النبي ﷺ : أخبرني بهنّ جبريل آنفاً ، فقال ابن سلام : ذاك يعني جبريل عدوّ اليهود من الملائكة لأنه ينزل بالخسف والهلاك وقيل : لأنه يطلع النبي ﷺ على سرهم ثم قال ﷺ : أما أوّل الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب ، وأما أوّل طعام يأكله أهـل الجنـة فزيادة كبد الحوت ، أي وهي القطعة المعلقة بالكبد ، وهي في الطعم في غاية اللذة ، وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد اليه وإن سبق ماء المرأة ماء الرجل ينزع الولد إليها وقد سأل علماء اليهود النبي ﷺ عن أشياء كثيرة فأجابهم عنها ، منها أنهم سألوه مرة فقالوا : أخبرنا عن علامة النبي فقال : تنام عيناه ولا ينام قلبه . وسألوه : أي طعام حرمه إسرائيل على نفسه قبل أن تنزل التوراة ؟قال : أنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل وهو يعقوب ـ عليه السلام ـ مرض مرضاً شديداً وطال سقمه فنذر لئن شفاه الله تعالى من سقمه ليحرمن أحب الشراب إليه وأحب الطعام إليه فكان احب

الطعام إليه لحمان الإبل ، وأحب الشراب إليه ألبانها قالوا : اللهم نعم أي حرمها ردعاً لنفسه ومنعاً لها من شهواتها .

وقيل لأنه كان به عرق النساء . وكان إذا طعم ذلك هاج به وذكر أن سبب نزول قوله تعالى : ﴿ كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرَّم إسرائيل على نفسه ﴾ قول اليهود له ﷺ كيف تقول : إنك على ملة ابراهيم وأنت تأكل لحوم الإبل وتشرب ألبانها ، وكان ذلك محرماً على نوح وإبراهيم حتى انتهى إلينا فنحن أولى بإبراهيم منك ومن غيرك . فأنزل الله تعالى الآية تكذيباً لهم ، بأن هذا إنما حرمه يعقوب على نفسه وهو متأخر عن إبراهيم ونوح فكيف يكون محرماً عليهما ؟ ومن ثم جاء : ﴿ قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ﴾ وجاء أنه ﷺ قال لرجل من علماء اليهود : أتشهد أني رسول الله ؟ قال : لا . قال : أتقرأ التوراة ؟ قال : نعم . قال : والإنجيل ؟ قال : نعم . فناشده هل تجدني في التوراة والإنجيل ؟ قال نجد مثلك ومثل مخرجك ومثل هيئتك فلما خرجت خفنا أن تكون أنت هو . فنظرنا فإذا أنت لست هو قال : ولم قال ذاك معه من أمته سبعون ألفاً ليس عليهم حساب ولاعتاب وإنما معك نفر يسير . قال : والذي نفسي بيده لانا هو وأنهم لاكثر من سبعين ألفاً وسبعين ألفاً . وسألته اليهود أيضاً عن الرعد والبرق فقال : الرعد صوت ملك موكل بالسحاب ، والبرق سوط من نار في يده يزجر به السحاب الى حيث أمره الله تعالى . وقيل في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها ﴾ الآية أن اليهود أنكروا النسخ فقالوا : ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويقول اليوم قولاً ويرجع عنه ؟ فنزلت . وقالوا مرة إغاظة له ﷺ ما يرى لهذا الرجل همة إلا في النساء والنكاح فلو كان نبياً كما زعم لشغله أمر النبوة عن النساء ، فأنزل الله تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية ﴾ .

فقد جاء ان سليمان ـ عليه السلام ـ كان له مائة امرأة وتسعمائة سرية وسألوه عن رجل زنى بامرأة بعد إحصانه أي لأن شريفاً في خيبر زنى بشريفة وهما محصنان ، فكرهوا رجمهما لشرفهما ، فبعثوا رهطاً منهم إلى بني قريظة ليسألوا رسول الله ﷺ أي قالوا لهم : إن هذا الرجل الذي بيثرب ليس في كتابه الرجم ولكنه التغريب فاسألوه فسألوه ﷺ فأجاب بالرجم فلم يقبلوا ذلك . فقال لجمع من علمائهم : أنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى أما تجدون في التوراة على من زنى بعد إحصان الرجم ؟ فأنكروا ذلك فقال عبد الله ابن سلام : كذبتم فإن فيها آية الرجم : ﴿ فأتوا بالتوراة فاتلوها ﴾ فاحضروا التوراة

فوضع واحد منهم على يده على تلك الآية فقال له ابن سلام : ارفع يدك عنها فرفعها ، فإذا فيها آية الرجم. وجاء في بعض الروايات أن احبار اليهود وهم كعب بن الأشرف وسعيد ابن عمرو ومالك بن الصلت اجتمعوا في بيت مدراسهم حين قدم رسول الله ﷺ ، وقد زنى رجل من اليهود بعد إحصانه بامرأة محصنة من اليهود قالوا : إن أفتانا بالجلد أخذنا به واحتججنا بفتواه عند الله ، وقلنا فتيا نبي من أنبيائك وإن أفتانا بالرجم خالفناه لأنا خالفنا التوراة ، فلا علينا من مخالفته .

وفي رواية : الصحيحين : عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن اليهود جاؤوا الى رسول الله ﷺ فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا بعد إحصان فقال لهم رسول الله ﷺ : ما تجدون في التوراة قالوا : نفضحهما بالسواد بأن نسود وجوههما ثم يحملان على حمارين وجوههما من قبل إدبار الحمارين ويطاف بهما ويجلدان بحبل من ليف يطلى بقار . فقال عبد الله بن سلام : كذبتم إن فيها آية الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها . فقال له عبد الله بن سلام : إرفع يدك فرفع يده فإذا فيها آية الرجم فقالوا : صدقت يا محمد فيها آية الرجم .

وفي رواية : لما جاؤوا اليه ﷺ وقالوا : يا أبا القاسم ، ما ترى في رجل وامرأة زنيا بعد الإحصان ؟ فقال لهم : ما تجدون في التوراة ؟ فقالوا : دعنا من التوارة . فقل ما عندك ، فأفتاهم بالرجم فأنكروه ، فلم يكلمهم رسول الله ﷺ حتى أتى بيت مدراسهم فقام على الباب فقال : يا معشر يهود أخرجوا إليّ أعلمكم فأخرجوا له عبد الله بن صوريا وأبا ياسر بن أخطب ووهب بن يهود فقالوا : هؤلاء علماؤنا فقال : أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى ما تجدون في التوراة على من زنى بعد إحصان ؟ فقالوا : يحمم أي يسوّد وجهه ويجتنب فقال عبد الله بن سلام : كذبتم فإن فيها آية الرجم وفي رواية : لما سألهم أجابوه إلا شاباً منهم فإنه سكت فألح عليه ﷺ في النشدة فقال : اللهم إذ نشدتنا فانا نجد في التوراة الرجم ، ولكن رأينا أنه إن زنى الشريف لا يرجم ولو رجمنا الوضيع دون الشريف كان من الحيف فاتفقنا على ما نقيمه على الشريف والوضيع وهو ما علمت يعني التعزير السابق فعند ذلك قال رسول الله ﷺ : أنا أحكم بما في التوراة ، وهذا الشاب هو عبد الله بن صوريا ويروى أنه ﷺ لما أمرهم بالرجم أبوا أن أن يخذوا به فقال له جبريل ـ عليه

السلام ـ إجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه جبريل للنبي ﷺ فقال ﷺ لهم : هل تعرفون شاباً أمرد أبيض أعور ويسكن فدك يقال له ابن صوريا ؟ قالوا : نعم وهو أعلم يهودي على وجه الأرض بما أنزل الله تعالى على موسى ـ عليه السلام ـ في التوراة ورضوا به حكماً فقال له النبي ﷺ : أنشدك الله الذي لا إلّه إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى وفلق البحر ورفع فوقكم الطور ، وأنجاكم وأغرق فرعون ، وظلل عليكم الغمام ، وأنزل عليكم المن والسلوى ، والذي أنزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من أحصن ؟ قال : نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال : خفت إن كذبته أن ينزل علينا العذاب .

وفي رواية قال في جوابه للنبي ﷺ : نعم والذي ذكرتني به لولا خشية أن تحرقني التوراة إن كذبتك ما اعترفت لك ولكن كيف هو في كتابك يا محمد ؟ قال : إذا شهد أربعة رهط عدول أنه قد أدخله فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم . فقال ابن صوريا : والذي أنزل التوراة على موسى هكذا أنزل الله في التوراة على موسى ، فليتأمل الجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها ويجاب بأنه يحتمل أن القضية تكررت وعلى تسليم أنها قضية واحدة لم تكرر فيمكن أن مدة مراجعة النبي ﷺ فيها طالت وأيامها اتسعت ، فحصل بينه وبين علماء اليهود تلك المخاطبات في مجالس متعددة ، فحصل في كل مجلس منها الكلام مع بعض منهم دون البعض الآخر ، واختلفت العبارات فكل من حفظ شيئاً رواه ، فبعضهم يرويه بلفظه وبعضهم بمعناه . وجاء في بعض الروايات : أن ابن صوريا سأل رسول الله ﷺ عن أشياء يعرفها من أعلام نبوّته ، فأجابه عنها فلما تحققها قال : أشهد أن لا إلّه إلا الله وأشهد أنك رسول الله النبي الأمي ، وهذا مما يدل على إسلامه ومشى عليه السهيلي وجماعة .

وقال الحافظ ابن حجر : لم أقف لعبد الله بن صوريا على إسلام من طريق صحيح والله أعلم . ثم بعد تحقق الرجم في التوراة قال رسول الله ﷺ : أئتوا بالشهود فجاؤوا بأربعة فشهدوا أنهم أو اذكره في فرجها مثل الميل في المكحلة فأمر بهما فرجما عند باب المسجد : قال ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ فرأيت الرجل ينحني على المرأة يقيها الحجارة فكان ذلك سبباً لنزول قوله تعالى : ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ﴾ الآية . ونزول : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾ وما معها من الآيات وفيها : ﴿ فأولئك هم الكافرون ، وأولئك هم الفاسقون ﴾ وعن عمرو بن ميمون

قال : رأيت الرجم في الجاهلية في غير بني آدم كنت في اليمن في غنم لأهلي فجاء قرد ومعه قردة فتوسد يدها ونام فجاء قرد أصغر منه فغمزها فسلت يدها من تحت رأس القرد برفق وذهبت معه ، ثم جاءت فاستيقظ القرد فزعاً فشمها فصاح فاجتمعت القردة فجعل يصيح ويومي اليها بيده فذهبت القردة يمنة ويسرة ، فجاؤوا بذلك القرد فحفروا لهما حفرة فرجموهما ورجمتهما معهم قال بعضهم : لو صح هذا لكانوا من الجن إذ التكاليف في الإنس والجن دون غيرهما . وقد ذكر غير واحد أن أحبار اليهود غيروا صفته ﷺ التي في التوراة خوفاً من انقطاع نفقتهم ، فانها كانت على عوامهم لقيام الأحبار بالتوراة فخافوا أن تؤمن عوامهم فتنقطع عنهم النفقة وكانوا يقولون لمن أسلم : لا تنفقوا أموالكم على هؤلاء يعني المهاجرين فإنا نخشى عليكم الفقر ، فأنزل الله تعالى : ﴿ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله ـ أي من العلم بصفة النبي ﷺ ـ التي يجدونها في كتابهم ﴾ فقد كان في كتابهم أنه ﷺ أكحل العين ربعة ، جعد الشعر حسن الوجه فمحوه . وقالوا نجده طويلاً أزرق العينين سبط الشعر وأخرجوا ذلك إلى أتباعهم وقالوا : هذا نعت النبي الذي يخرج في آخر الزمان وعند ذلك أنزل الله تعالى : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزل الله ﴾ الآية . وكان اليهود إذا كلموا النبي ﷺ قالوا : راعنا سمعك واسمع غير مسمع ، ويضحكون فيما بينهم لأن ذلك سب قبيح بلسان اليهود فلما سمع المسلمون منهم ذلك ظنوا أن ذلك شيء كان أهل الكتاب يعظمون به أنبياءهم ، فصار المسلمون يقولون ذلك للنبي ﷺ ففطن سعد بن معاذ لليهود يوماً وهم يضحكون فقال لهم : يا أعداء الله لئن سمعنا من رجل منكم هذا بعد هذا المجلس لأضربن عنقه فأنزل الله : ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا ﴾ .

وفي رواية : أن اليهود لما سمعوا الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ يقولون له ﷺ : إذا ألقي عليهم شيئاً يا رسول الله راعنا أي أنظرنا وتأن علينا حتى نفهم ، وكانت هذه الكلمة عبرانية تتساب بها اليهود ، فلما سمعوا المسلمين يقولون له ﷺ راعنا ، خاطبوا رسول الله ﷺ براعنا يعنون بذلك السبة . ومن ثم لما سمع سعد بن معاذ ذلك من اليهود وقال لهم : يا أعداء الله عليكم لعنة الله ، والذي نفسي بيده إن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله ﷺ لأضربن عنقه بالسيف . فقالوا : ألستم تقولونها أنتم فنزلت . وجاءه ﷺ جماعة من اليهود بأطفالهم فقالوا له : يا محمد هل على أولادنا هؤلاء من ذنب ؟ قال : لا . فقالوا : والذي تحلف به ما نحن إلا كهيئتهم ما من ذنب نعلمه بالنهار إلا كفر عنا بالليل ، وما من

ذنب نعمله بالليل إلا كفر عنا بالنهار . فأنزل الله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الـذين يزكون أنفسهم ﴾ الآية . وجاء أن جماعة من أحبار اليهود منهم ابن صوريا قبل أن يسلم على ما تقدم وشاس بن قيس وكعب بن أسد ، اجتمعوا وقالوا : نبعث إلى محمد لعلنا نفتنه في دينه فجاؤوا اليه فقالوا : يا محمد ، قد عرفت أنا أحبار اليهود وأشرافهم وإن اتبعناك اتبعك كل اليهود ، وبيننا وبين قوم خصومة فنحاكمهم إليك فتقضي لنا عليهم فنؤمن بك ، فأبى ذلك . وأنزل الله تعالى : ﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم ﴾ الآية .

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : كان رجل من اليهود من التجـار وفي رواية : من النصارى بالمدينة فسمع المؤذن يقول : أشهد أن محمداً رسول الله فقـال : أخزى الله الكاذب . وفي رواية : أحرق الله الكاذب . فدخلت خادمته بنار وهو نائم وأهله نيام فسقطت شرارة فأحرقت البيت واحترق هو وأهلـه . ولما نزل قولـه تعـالى : ﴿ ومن ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً ﴾ قال حيي بن أخطب : يستقرضنا ربنـا وإنمـا يستقرض للفقير الغني فأنزل الله تعالى : ﴿ لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ﴾ وقيل في سبب نزولها إن أبا بكر ـ رضي الله عنـه ـ دخـل بيت المدراس فقال : ففنحاص بن عازوراء إتق الله وأسلم فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول الله فقال : يا أبا بكر ما لنا إلى الله من فقر وإنه إلينا لفقير فغضب أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ وضرب وجه فنحاص ضرباً شديداً . وقال : لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك فشكاه فنحاص الى رسول الله ﷺ فذكر له أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ ما كان منه فأنكر قوله ذلك ، فنزل ﴿ لقد سمع الله ﴾ الآية . وقيل : في سبب نزولها أيضاً أن رسول الله ﷺ أرسل أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ إلى فنحاص بن عازوراء بكتاب وكان قد انفرد بالعلم والسيادة على يهود بني قينقاع بعد إسلام عبد الله بن سلام ـ رضي الله عنه ـ يأمرهم في ذلك الكتـاب بالإسلام وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وأن يقرضوا الله قرضاً حسناً فلما قرأ فنحـاص الكتاب قال : قد احتاج ربكم سنمده .

وفي رواية : قال : يا أبا بكر تزعم أن ربنا يستقرضنا أموالنا وما يستقرض إلا الفقير من الغني فإن كان حقاً ما تقول فإن الله إذاً لفقير ونحن أغنياء فضرب أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ وجه فنحاص ضرباً شديداً وقال : لقد هممت أن أضربه بالسيف وما منعنـي أن أضربه بالسيف إلا أن رسول الله ﷺ لما دفع إلي الكتاب قال : لاتفتت علي بشيء حتى

ترجع الي فجاء فنحاص إلى النبيﷺ وشكا أبا بكر- رضي الله عنه - فقالﷺ لأبي بكر- رضي الله عنه : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : يا رسول الله إنه قال قولاً عظيماً ، زعم أن الله فقير وأنهم أغنياء ، فغضبت لله تعالى قال فنحاص : والله ما قلت هذا فنزلت الآية تصديقاً لأبي بكر- رضي الله عنه - وقد قال بعض اليهود لبعض العلماء : إنما قلنا إن الله فقير ونحن أغنياء لأنه استقرض أموالنا فقال له : إن كان استقرضها لنفسه فهو فقير وإن كان استقرضها لفقرائكم ثم يكافىء عليها فهو الغني الحميد ، وقد انضم إلى اليهود جماعة من الأوس والخزرج منافقون على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث ، إلا أنهم دخلوا في دين الإسلام تقية من القتل لما قهرهم الإسلام بظهوره و اجتماع قومهم عليه فكان هواهم مع اليهود في السر وفي الظاهر مع المسلمين وهؤلاء هم المنافقون .

وقد ذكر بعضهم أن المنافقين الذين كانوا على عهد النبيﷺ ثلثمائة ، منهم الجلاس ابن سويد بن الصامت وأنه قال يوماً : إن كان هذا الرجل صادقاً لنحن شر من الحمير فسمعها عمير بن سعد - رضي الله عنه - من جلاس وكان عمير يتيماً في حجره ، ولا مال له وكان جلاس يكفله ويحسن إليه فجاء الجلاس ليلة فاستلقى على فراشه ثم قال : لئن كان ما يقوله محمد حقاً فلنحن شر من الحمير . فقال له عمير : يا جلاس إنك لأحب الناس إلي وأحسنهم عندي يداً ، ولقد قلت مقالة لئن رفعتها عليك لأفضحنك ولئن صمت عليها أي أمسكت عنها ليهلكنّ على ديني ولإحداهما أيسر عليّ من الأخرى ، فمشى إلى رسول الله ﷺ فذكر له مقالة جلاس ، فأرسل رسول الله ﷺ إلى جلاس فحلف بالله لقد كذب علي عمير وما قلت ما قال ، فقال عمير بن سعد : لقد قلت : فتب إلى الله ولولا أن ينزل القرآن فيجعلني معك ما قلته وجاء أنهﷺ استحلف الجلاس عند المنبر فحلف أنه ما قال واستحلف الراوي عنه فحلف لقد قال ، وقال : اللهم أنزل على نبيك تكذيب الكاذب وتصديق الصادق . فقال النبيﷺ : آمين . فنزل : ﴿ يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر- الى قوله - فان يتوبوا يك خيراً لهم ﴾ فاعترف الجلاس وتاب وقبل منهﷺ توبته وحسنت توبته . ولم ينزع عن خير كان يفعله مع عمير .

فكان ذلك مما عرف به حسن توبته - رضي الله عنه - وقالﷺ لعمير : لقد وفت اذنك ومنهم ، نبتل بن الحرث قال النبيﷺ : من أحب أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل بن الحرث ، كان يجلس إليهﷺ ثم ينقل حديثه الى المنافقين وهو الذي قال لهم : إنما محمد أذن من حدثه بشيء صدقه فأنزل الله تعالى : ﴿ ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون

هو أذن قل أذن خير لكم ﴾ الآية . وجاء جبريل إلى النبيﷺ فقال له : يجلس معك رجل صفته كذا ، فقال للحديث الذي تحدث به كبده أغلظ من كبد الحمار .

وفي رواية : ينقل حديثك للمنافقين ومنهم عبد الله بن أبي بن سلول وهو رأس المنافقين ، ولاشتهاره بالنفاق لم يعد في الصحابة وكان من اعظم أشراف أهل المدينة ، وكانوا قبل مجيئهﷺ قد نظموا له الخرز ليتوّجوه ، ثم يملكوه لأن الأنصار من آل قحطان ولم يتوّج من العرب إلا قحطان ولم يبق من الخرز الذي يتوّج به إلا خرزة واحدة كانت عند سمعون اليهودي وقد جاء في بعض الروايات في حكاية انتقالهﷺ من قباء الى المدينة أنه عرّج على عبد الله بن أبي بن سلول يريد النزول عنده تألفاً له ، وكان عبد الله جالساً محتبياً ، فلما رأى النبيﷺ يريد النزول عنده قال : اذهب الى الذين دعوك وانزل عليهم .

فقال له سعد بن عبادة : يا رسول الله لا تجد في نفسك من قوله ، فقد قدمت علينا والخزرج تريد أن تملكه فلما ردّ بالحق الذي أعطاك الله شرق فذلك الذي فعل به ما رأيت فعفا عنه رسول اللهﷺ ، ووقع له في بعض الأيام أنهﷺ قيل له : يارسول‌الله لو أتيت عبد الله بن أبي بن سلول أي متألفاً له ليكون ذلك سبباً لإسلام من تخلف من قومه وليزول ما عنده من النفاق ، فانطلق النبيﷺ وركب حماراً وانطلق المسلمون يمشون معه فلما أتاه النبيﷺ قال له : اليك عني والله لقد آذاني نتن حمارك . فقال رجل من الأنصار والله لحمار رسول اللهﷺ أطيب ريحاً منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فشتمه فغضب لكل واحد منهما أصحابه فكان بينهما ضرب بالجريد والأيدي والنعال : فنزل ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ﴾ كذا في البخاري وفيه أيضاً أن رسول اللهﷺ مرّ على عبد الله بن أبي بن سلول في جماعة فقال : لقد آذانا ابن أبي كبشة في هذه البلاد فسمعها ابنه عبد الله ـ رضي الله عنه ـ فاستأذن رسول اللهﷺ أن يأتيه برأسه فقالﷺ : لا ولكن برّ أباك وكان عبد الله بن أبي جميل الصورة ممتلىء الجسم ، فصيح اللسان وهو المعني بقوله تعالى : ﴿ وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ﴾الآية .وعن الزهري قال: أخبرني عروة عن أسامة بن زيد ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول اللهﷺ ركب حماراً على أكاف وأردف أسامة خلفه يعود سعد بن عبادة ـ رضي‌الله عنه ـ في بني الحرث من الخزرج قبل وقعة بدر حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبي بن سلول ، وذلك قبل أن يسلم فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود ، وفى المسلمين عبد الله بن رواحة ـ رضي الله عنه ـ فثار غبار من مشي الحمار فحمر ابن أبي وجهه بردائه ثم قال : لا تغبروا علينا فسلم

رسول الله ﷺ ، ثم نزل ودعاهم الى الله تعالى وقرأ عليهم القرآن .

فقال ابن ابي : أيها المرء إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقاً فلا تؤذنا به في مجالسنا ، إرجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه . فقال عبد الله بن رواحة : بلى يا رسول الله فأغشنا به فانا نحب ذلك واستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتبادرون القتال ، فلم يزل ﷺ يخفضهم حتى سكتوا . ثم ركب ﷺ دابته حتى دخل على سعد بن عبادة ـ رضي الله عنه ـ فقال رسول الله ﷺ : يا سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب يعني عبد الله بن أبي ؟ قال : كذا وكذا فقال سعد بن عبادة : يا رسول الله أعف عنه وأصلح فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي أنزل الله عليك وقد اصطلح أهل هذه البحيرة على أن يتوجوه ويعصبوه بالعصابة فلما رد بالحق الذي أعطاك الله شرق فذلك الذي فعل به ما رأيت فعفا عنه رسول الله ﷺ .

كان ابن أبي هذا رأس المنافقين وأبي أبوه وسلول أمه وقيل جدته أم أبيه ومن نفاقة ما أخرجه الثعلبي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال نزلت : ﴿ وإذا لقوا الذين آمنوا ﴾ الآية في عبد الله بن أبي وأصحابه ، وذلك أنهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من الصحابة فقال ابن أبي : انظروا كيف أرد عنكم هؤلاء السفهاء ، فأخذ بيد أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ فقال : مرحباً بالصدّيق سيد بني تيم وشيخ الإسلام ، وثاني رسول الله في الغار ، الباذل نفسه وماله لرسول الله . ثم أخذ بيده عمر ـ رضي الله عنه ـ وقال : مرحباً بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين الله ، الباذل نفسه وماله لرسول الله ﷺ . ثم أخذ بيد علي ـ رضي الله عنه ـ فقال : مرحباً بابن عم رسول الله ﷺ وختنه وسيد بني هاشم ما خلا رسول الله ﷺ فقال علي ـ رضي الله عنه ـ : اتق الله يا عبد الله ولا تنافق ، فإن المنافقين شرّ خليقة الله . فقال له عبد الله : مهلاً يا أبا الحسن أتقول لي هذا والله إن إيماننا كإيمانكم وتصديقنا كتصديقكم ، ثم افترقوا .

فقال لأصحابه : كيف رأيتموني فعلت ؟ فأثنوا عليه خيراً فرجع المسلمون إلى النبي ﷺ وأخبره بذلك فنزلت الآية : ﴿ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم ﴾ إلى آخر الآيات التي في المنافقين كلها فيه وفي أصحابه وهو الذي قال : ﴿ لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز ـ يعني نفسه وأصحابه ـ منها الأذل ﴾ يعني النبي ﷺ وأصحابه . فرد الله عليهم بقوله : ﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ وستأتي القصة

إن شاء الله تعالى ، وبالجملة فقد لاقى ﷺ من شدّة الأذى الصادر من المنافقين واليهود بالمدينة شيئاً كثيراً ولكنه بالنسبة لأذى أهل مكة كالعدم ، فإنه كان بالمدينة في غاية العزة والمنعة والقوّة من أوّل يوم وأذى اليهود غايته بالمجادلة والتعنت في السؤال كما قال تعالى : ﴿ لن يضرّوكم إلا أذى ﴾ وكان جبريل يأتيه بغالب الأجوبة لأسئلتهم ، ومع ذلك صبر في أوّل قدومه على شيء يسير من أذى اليهود والمنافقين . ثم لما قوت شوكة الإسلام واشتد الجناح أذن له ﷺ بالقتال بعدما نهي عنه في نيف وسبعين آية غالبها بمكة، وكلها يأمره فيها هو ومن معه بالصبر على الأذى . ثم أنجز الله له وعده عملاً بقوله تعالى : ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا ﴾ .

باب مغازيه ﷺ

وأذن الله لرسوله ﷺ في القتال لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر صفر في السنة الثانية من الهجرة . قال الزهري : أوّل آية نزلت في الإذن بالقتال قوله تعالى : ﴿ أُذن للذين يقاتَلون بأنهم ظُلموا وأن الله على نصرهم لقدير ﴾ أخرجه النسائي بإسناد صحيح عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ وأخرج الإمام أحمد والحاكم وصححه عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : لما خرج النبي ﷺ من مكة قال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ أخرجوا نبيهم ليهلكن فنزلت : ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ﴾ الآية .

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فهي أوّل آية نزلت في القتال وقيل قوله تعالى : ﴿ قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ﴾ وقيل أوّل آية نزلت فيه : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين ﴾ الآية ، كان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ يأتون النبي ﷺ ما بين مضروب ومشجوج فيقول لهم : اصبروا فاني لم أؤمر بالقتال ، حتى هاجر فأذن له بالقتال، وحكمة تأخير الإذن بالقتال أنهم لما كانوا بمكة كان المشركون أكثر عدداً فلو أمر الله المسلمين وهم قليل بالقتال لشق عليهم ، فلما بغى المشركون وأخرجوه ـ عليه السلام ـ من بين أظهرهم وهموا بقتله واستقرّ ـ عليه السلام ـ بالمدينة واجتمع عليه المهاجرون والأنصار وقاموا بنصره وصارت المدينة دار إسلام ومعقلاً يلجئون اليه ، شرع الله جهاد الأعداء فبعث ـ عليه السلام ـ البعوث والسرايا وعزا بنفسه . وقد جرت عادة المحدثين وأهل السير واصطلاحاتهم غالباً أن يسموا كل عسكر حضره النبي ﷺ بنفسه الكريمة غزوة ، وما لم يحضره بل أرسل بعضاً من أصحابه الى العدوّ وسرية وبعثاً وخرج بقولهم غالباً غير الغالب ، فإنهم قد يسمون بعض السرايا غزوة كقولهم : غزوة مؤتة وغزوة ذات السلاسل . واستمر ﷺ هو وأصحابه يقاتلون حتى دخل الناس في دين الله أفواجاً

أفواجاً وجاؤوا بعد الفتح من أقطار الأرض طائعين ، وكان عدد مغازيه التي غزا فيها بنفسه تسعاً وعشرين وهي : غزوة ودّان ، غزوة بواط ، غزوة العشيرة ، غزوة صفوان ، وتسمى : غزوة بدر الأولى ، غزوة بدر الكبرى ، غزوة بني سليم ، غزوة بني قينقاع ، غزوة السويق ، غزوة قرقرة الكدر ، غزوة غطفان ، وهي غزوة ذي أمر ، غزوة ابحران بالحجاز ، غزوة أحد ، غزوة حمراء الأسد ، غزوة بني النضير ، غزوة ذات الرقاع ، وهي غزوة محارب وبني ثعلبة ، غزوة بدر الأخيرة ، وهي غزوة بدر الموعد ، غزوة دومة الجندل ، غزوة بني المصطلق ويقال لها المريسيع ، غزوة الخندق ، غزوة بني قريظة ، غزوة بن لحيان ، غزوة الحديبية ، غزوة ذي قرد - بضمتين - غزوة خيبر ، غزوة وادي القرى ، غزوة عمرة القضا ، غزوة فتح مكة ، غزوة حنين والطائف ، غزوة تبوك ، وأما سراياه التي بعث فيها أصحابه فسبع وأربعون سرية وقيل تزيد على سبعين سرية وستأتي كلها مفصلة إن شاء الله تعالى .

قال العلامة الحلبي في السيرة : لا يخفى انه ﷺ مكث بضع عشرة سنة بمكة ينذر بالدعوة من غير قتال صابراً على شدّة أذية العرب بمكة واليهود بالمدينة له ولأصحابه لأمر الله له بذلك أي بالإنذار وبالصبر على الأذى والكف بقوله تعالى : ﴿ وأعرض عنهم ﴾ وبقوله : ﴿ واصبر ﴾ ووعده بالنصر والفتح . ولما كثرت أتباعه ﷺ وكانوا يقدمون محبته على محبة آبائهم وأبنائهم وأزواجهم وأصر المشركون على الكفر والتكذيب ، أذن له في القتال . وقد ذكروا في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ ألم تر الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية ﴾ أن جماعة من الصحابة - رضي الله عنهم - منهم : عبد الرحمن بن عوف والمقداد بن الأسود وقدامة بن مظعون وسعد بن أبي وقاص ، كانوا يلقون من المشركين أذى كثيراً بمكة فقالوا : يا رسول الله كنا في عز ونحن مشركون فلما آمنا صرنا أذلة فأذن لنا في قتال هؤلاء ، فيقول لهم : كفوا أيديكم عنهم فإني لم أؤمر بقتالهم : فلما هاجر ﷺ إلى المدينة وأمر بالقتال للمشركين كرهه بعضهم وشق عليه ، فأنزل الله ﴿ ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم ﴾ الآية ، وكانت الصحابة - رضي الله عنهم - بمكة وبعد أن هاجروا قبل أن يؤذن لهم بالقتال في غاية من الحذر ، لأن العرب رمتهم قاطبة عن قوس وتعرضوا لقتالهم من كل جانب حتى أنهم أعني المسلمين كانوا لا يبيتون إلا في السلاح ، ولا

يصبحون إلا فيه . ويقولون ترى نعيش حتى نبيت مطمئنين لا نخاف إلا الله عز وجل ؟

فأنزل الله عليهم : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنَّهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ﴾ .

ثم أذن في القتال أي أبيح الإبتداء به حتى لمن لم يقاتل لكن في غير الأشهر الحرم بقوله تعالى : ﴿ فإذا انسلخ الأشهر الحرُم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ الآية ثم أمر به مطلقاً بقوله تعالى : ﴿ قاتلوا المشركين كافة ﴾ ثم استقر أمر الكفار معهﷺ على ثلاثة أقسام ؛ القسم الأول : محاربون وهم الكفار المحاربون ، إذا كانوا ببلادهم يجب قتالهم على الكفاية في كل عام مرة . والقسم الثاني : أهل عهد وهم المؤمنون من غير عقد الجزية بأن صالحهم على أن لا يحاربوا ولا يظاهروا عليه عدوه ، وهم على كفرهم آمنون على دمائهم وأموالهم . والقسم الثالث : أهل ذمة وهم من عقدت لهم الجزية وزاد بعضهم : من دخل في الإسلام تقية وهم المنافقون ، فإنه أمر أن يقبل منهم علانيتهم ويكل سرائرهم إلى الله تعالى فكان معرضاً عنهم إلا فيما يتعلق بشرائع الإسلام وأوّل ما ابتدأ به ﷺ التعرض لعير قريش لأخذ ما فيها ليكون ذلك سبباً لافتتاح القتال ، ولتقوى قلوب أصحابه على القتال شيئاً فشيئاً ، وينتفعوا بما يحصل لهم من الغنائم التي يغنمونها من تلك العير ، فيستعينوا بها فكان أوّل بعثوه وسراياهﷺ ، أن بعث عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وكان في رمضان وقيل في ربيع الأوّل في السنة الثانية من الهجرة وأمره على ثلاثين رجلاً من المهاجرين فخرجوا يعترضونَ عيرا لقريش جاءت من الشام تريد مكة أي يتعرضون لها ليمنعوها من مقصدها باستيلائهم عليها ، وكان فيها أبو جهل ـ لعنه الله ـ في ثلثمائة راكب . وقيل : في ثلاثين ومائة . فلما بلغوا ساحل البحر من ناحية العيص التقوا وتصافوا للقتال ثم حجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني وكان مصالحاً للفريقين .

فانصرف القوم بعضهم عن بعض ولم يكن بينهم قتال : وقال النبيﷺ في مجدي هذا : إنه ميمون النقيبة ، مبارك الأمر أو قال رشيد الأمر . ولما قدم رهط مجدي هذا على النبيﷺ كساهم ومجدي لم يعلم له إسلام ولم يذكره أحد في الصحابة ، مع أنه سعى في هذا الصلح المبارك ، وكان المسلمون فيه قليلين والكفار كثيرون وهو أوّل التقاء وقع بينهم ولم يكن النبيﷺ معهم ، فلربما إن المسلمين لم يثبتوا للكفار لكثرتهم عليهم فكان في هذا

الصلح ستر للحال وبقاء لشوكة أهل الإسلام ، فلهذا قال النبيﷺ في مجدي : إنه ميمون النقيبة مبارك الأمر ، أو قال رشيد الأمر : وإنما بعث النبيﷺ في هذه السرية المهاجرين ولم يبعث معهم أحداً من الأنصار ، بل أبقاهم حتى غزا بهم بدراً وهو معهم لأنهم شرطوا له أن يمنعوه في دارهم ولم يذكر لهم وقت البيعة انهم يخرجون من دارهم حتى جاء الأمر معهم بالتدريج ورضوا به وطابت به نفوسهم فقاتلوا معه خارج المدينة وقيل : كان في هذه السرية جماعة من الأنصار والله اعلم .

سرية عبيدة بن الحرث بن المطلب بن عبد مناف المستشهد ببدر كما سيأتي ان شاء الله

وكانت إلى بطن رابغ في شوّال على رأس ثمانية أشهر من الهجرة في ستين رجلاً ، وقيل : في ثمانين رجلاً من المهاجرين ليس فيهم أحد من الأنصار يلقى أبا سفيان بن حرب ، وقد أسلم عام الفتح ـ رضي الله عنه ـ وقيل : مكرز بن حفص العامري اختلف في صحبته وقيل عكرمة بن أبي جهل ، وقد أسلم في عام الفتح ـ رضي الله عنه ـ وكانوا في مائتي رجل ، فلما التقوا لم يقع بينهم قتال إلا أن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ رمى بسهم فكان أوّل سهم رمى به في الإسلام . وقيل إنه نثر كنانته وتقدم أمام أصحابه فرمى بما في كنانته وكان فيها عشرون سهماً ، ما منها سهم إلا ويجرح إنساناً،أو دابة . ثم انصرف القوم عن القوم وللمسلمين قوّة وشوكة وفرّ من المشركين الى المسلمين المقداد بن عمرو وعتبة بن غزوان وكانا مسلمين لكنهما خرجا ليتوصلا الى النبيﷺ ، قال بعضهم : ان بعث حمزة كان على رأس سبعة أشهر من الهجرة في رمضان وبعث عبيدة على رأس ثمانية أشهر في شوّال وقيل أنهﷺ عقد رايتيهما معاً ، ثم تأخر خروج عبيدة إلى رأس الثمانية لأمر اقتضاه والله أعلم ثم :

سرية سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

وكانت الى الخرار بخاء معجمة وراءين الأولى منهما مشددة مفتوحة وهو واد في الحجاز يصب في الجحفة وكان ذلك في ذي القعدة على رأس تسعة أشهر في عشرين رجلا من المهاجرين يعترض عيراً لقريش ، فخرجوا على أقدامهم فوصلوا الخرار صبح خامسة من خروجهم من المدينة فوجدوا العير قد مرت بالأمس ، فرجعوا ولم يلقوا كيداً وأوّل مغازيه التي خرج فيها بنفسهﷺ غزوة ودان .

قال الزهري في علم المغازي خير الدنيا والآخرة . وقال زين العابدين بن الحسين ابن علي رضي الله عنهم : كنا نعلم مغازي رسول الله ﷺ كما نعلم السور من القرآن . وعن اسمعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه كان أبي يعلمنا المغازي والسرايا ويقول يا بني انها شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكرها . فأول غزوة خرج فيها ﷺ غزوة ودّان بفتح الواو وتشديد الدال ، وهي قرية جامعة من أعمال الفرع . وبعضهم يسميها غزوة الأبواء فمنهم من اضافها الى ودان ومنهم من أضافها الى الأبواء لأنهما متقاربان في وادي الفرع ، خرج ﷺ إليها في صفر لاثنتي عشرة مضت منه على رأس إثني عشر شهراً من مقدمه المدينة يريد عيراً لقريش وبني ضمرة أي ويريد بني ضمرة وعبر بعضهم بقوله : يريد قريشاً وبني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة وقيل : لم يكن ﷺ مريداً لهم بل مريداً للعير التي لقريش فقط ، فلما لقي بني ضمرة عقد بينه وبينهم صلحاً . وكان خروجه ﷺ في ستين راكباً من المهاجرين ليس فيهم احد من الأنصار فلم يدرك العير التي أراد وكانت المصالحة بينه وبين بني ضمرة ، على أنهم لا يغزونه ولا يكثرون عليه جمعاً ولا يعينون عليه عدواً وأن لهم النصر على من رامهم بسوء ، وإنه إذا دعاهم لنصر أجابوه وعقد ذلك معه سيدهم مخشي بن عمرو الضمري وكتب بينهم كتاب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب محمد رسول الله ﷺ لبني ضمرة بأنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم ، وإن لهم النصر على من رامهم اي قصدهم بسوء ، بشرط أن لا يحاربوا في دين الله ما بل بحر صوفة ، وأن النبي ﷺ إذا دعاهم لنصر أجابوه عليهم بذلك ذمة الله ورسوله ، وكان لواؤه ﷺ أبيض وكان مع عمه حمزة رضي الله عنه واستعمل على المدينة سعد بن عبادة رضي الله عنه وانصرف إلى المدينة راجعاً وكانت غيبته خمس عشرة ليلة وهذه أول غزواته ﷺ .

غزو بواط

بفتح الباء وضمها وتخفيف الواو وآخره طاء ، جبل من جبال جهينة بقرب ينبع ، غزاها ﷺ في شهر ربيع الأوّل ، وقبل الآخر ، على رأس ثلاثة عشر شهراً من الهجرة في مائتين من أصحابه المهاجرين يعترض عيراً لتجار قريش عدتها الفان وخمسمائة بعير فيها أمية بن خلف ومائة رجل من قريش فرجع ﷺ ولم يلق كيداً اي حرباً . وكان اللواء بيد سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه واستعمل على المدينة سعد بن معاذ رضي الله عنه .

غزوة العشيرة

بضم العين المهملة مصغراً وبالشين أو بالسين آخره هاء ، بخلاف غزوة العسرة فهي غزوة تبوك وأما هذه فمنسوبة لموضع لبني مدلج بينبع خرج اليهاﷺ في جمادى الأولى ، وقيل الآخرة على رأس ستة عشر شهراً من الهجرة في خمسين ومائة رجل وقيل : في مائتي رجل من المهاجرين ومعهم ثلاثون بعيراً يعتقبونها يريد عير قريش التي صدرت من مكة إلى الشام بالتجارة ، وكانت قريش جمعت أموالها في تلك العير ، ويقال إن فيها خمسين الف دينار وألف بعير وكان قائد تلك العير ابو سفيان بن حرب ومعه سبعة وعشرون ، وقيل تسعة وثلاثون رجلاً منهم مخرمة بن نوفل وعمرو بن العاص رضي الله عنه فخرج اليها ليغنمها فوجدها قد مضت قبل ذلك بأيام وهي العير التي خرج اليها حين رجعت من الشام فكان بسببها وقعة بدر ، وحل اللواء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه واستعمل على المدينة ابا سلمة بن عبد الاسد المخزومي رضي الله عنه وصالحﷺ في هذه الغزوة بني مدلج بن كنانة وحلفاء بني ضمرة .

قال الواقدي : ان هذه الغزوات الثلاث كانﷺ يخرج فيها فتلقى تجار قريش حين يمرون الى الشام ذهاباً واياباً ، وبسبب ذلك كانت وقعة بدر وكذلك السرايا التي بعثها قبل بدر ، ثم رجعﷺ ولم يلق كيداً .

غزوة بدر الأولى

قال ابن إسحق : ولما رجع عليه الصلاة والسلام من غزوة العشيرة لم يقم إلا ليالي حتى أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة اي الابل والمواشي التي تسرح للمرعى بالغداة ، وكان كرز بن جابر من رؤساء المشركين ثم أسلم وصحب رضي الله عنه وأمر على سرية واستشهد في فتح مكة فخرجﷺ حتى بلغ سفوان بفتح السين والفاء آخره نون موضع من ناحية بدر ففاته كرز بن جابر ، وتسمى بدر الأولى ، فرجع ولم يلق كيداً وكان اللواء بيد علي بن أبي طالب رضي الله عنه واستعمل على المدينة زيد بن حارثة رضي الله عنه .

سرية أمير المؤمنين عبد الله بن جحش رضي الله عنه الاسدي

أحد السابقين الى الاسلام واستشهد بأحد رضي الله عنه . روى ابو القاسم البغوي

عن سعد بن أبي وقاص قال : بعثناﷺ في سرية قال : لأبعثن عليكم رجلاً أصبركم على الجوع والعطش فبعث علينا عبد الله بن جحش رضي الله عنه وسماهﷺ أمير المؤمنين ، فهو أول من تسمى في الاسلام به ولا بنا فيه. القول بأن عمر رضي الله عنه أول من تسمى بأمير المؤمنين ، لأن المراد أول من تسمى بذلك من الخلفاء وكانت هذه الغزوة في رجب على رأس سبعة عشر شهراً ، وكان معه ثمانية من المهاجرين وقيل إثنا عشر الى نخلة وهو موضع على ليلة من مكة بين مكة والطائف ، وكان يعتقب كل إثنين منهم بعيراً وكتب لهﷺ كتاباً وأمره أن لا ينظر اليه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضي لما أمر به ولا يستكره من اصحابه أحداً ، فلما سار يومين فتح الكتاب فإذا فيه : إذا نظرت في كتابي هذا فامضِ حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشاً ، وتعلم لنا من أخبارهم فقال : سمعاً وطاعة . واخبر أصحابه إنه نهاه أن يستكره أحداً منهم ولم يتخلف منهم أحد وسلك على الحجاز حتى اذا كان ببحران بفتح الباء وضمها أضلّ سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان ـ رضي الله عنهما ـ بعيرهما الذي كانا يعتقبان عليه ، فتخلفا في طلبه ومضى عبد الله وأصحابه ، حتى نزلوا بنخلة يترصدون قريشاً ، فمرت بهم عيرهم تحمل زبيباً وأدماً أي جلوداً وتجارة من تجارات قريش فيها عُمرو بن الحضرمي وعثمان ونوفل إبنا عبد الله المخزوميان والحكم ابن كيسان ، فنزلوا قربهم فهابوهم فأرشدهم عبدالله بن جحش الى ما يزيل رعبهم ، فحلق بعض أصحابه رأسه. وأشرف عليهم ، فلما رأوهم آمنوا وقالوا : عمار أي معتمرون لابأس عليكم منهم فقيدوا ركابهم وسرحوها وصنعوا طعاماً فتشاور المسلمون وقالوا : نحن في آخر يوم من رجب او في اول يوم من شعبان ، اي شكوا في اليوم أهو من الشهر الحرام أم لا ، فان قتلناهم هتكنا حرمة الشهر الحرام ، وان تركناهم دخلوا حرم مكة فامتنعوا به منا ، ثم شجعوا أنفسهم عليهم ، وأجمعوا على قتالهم اي قتل من قدروا عليه منهم ، فقتلوا عمرو بن الحضرمي رماه عبد الله بن واقد بسهم فقتله واستأسروا عثمان بن عبد الله المخزومي والحكم بن كيسان ، وهرب من هرب واستاقوا العير فكانت أوّل غنيمة في الإسلام ، وكان القتل أول قتل وقع نصرة للاسلام . فقسمها عبد الله بن جحش رضي الله عنه بين أصحابه وعزل الخمس من ذلك لرسول اللهﷺ باجتهاد منه وقيل : قدموا بالغنيمة كلها فقسمها النبيﷺ بعد غزوة بدر ، وقال لهم النبيﷺ : ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام ، فسقط في أيدي القوم وظنوا أنهم هلكوا وعنفهم إخوانهم فيما صنعوا ، وتكلمت قريش فقالوا : إن محمداً أسفك الدماء وأخذ المال في الشهر الحرام ، وقالت :

اليهود تتفاءل بذلك عليه ﷺ عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله بن عمر، وعمرت الحرب والحضرمي حضرت الحرب، وواقد وقدت الحرب فجعل الله ذلك عليهم لا لهم، وبعثت قريش تعير النبي ﷺ بفعل أصحاب السرية، فأنزل الله تعالى بعد ان أكثر الناس القول: ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل: قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله، وكفر به والمسجد الحرام، وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة - يعني الكفر - أكبر من القتل ﴾ فكان في ذلك تأييد لما صدر من تلك السرية، وفي ذلك يقول عبد الله بن جحش رضي الله عنه:

تعدّون قتلاً في الحرام عظيمة ... وأعظم منه لو يرى الرشد راشد
صدودكم عما يقول محمد ... وكفر به والله راء وشاهد
وإخراجكم من مسجد الله اهله ... لئلا يرى لله في البيت ساجد
فإنا وإن عيرتمونا بقتله ... وأرجف بالاسلام باغ وحاسد
سقينا من ابن الحضرمي رماحنا ... بنخلة لما أوقد الحرب واقد
دماً وابن عبد الله عثمان بيننا ... ينازعه غل من القيد عاقد

وبعثت قريش الى رسول الله ﷺ في فداء الأسيرين وهما عثمان بن عبد الله المخزومي والحكم بن كيسان فقال ﷺ: لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا يعني سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان المتخلفين في طلب بعيرهما، فان تقتلوهما نقتل صاحبيكم. فقدم سعد وعتبة بعدها بأيام فأما الحكم بن كيسان فأسلم وحسن إسلامه، وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قتل يوم بئر معونة شهيداً، وأما عثمان فلحق بمكة فمات بها كافراً ﴿ ومن يضلل الله فلا هادي له ﴾ وفي شهر رجب هذا حولّت القبلة الى الكعبة بعد أن كانوا يصلون الى بيت المقدس وفي شعبان فرض صيام رمضان ثم زكاة الفطر. وأما زكاة المال فقيل فرضت في هذا الشهر أيضاً وقيل سنة تسع، وقيل قبل الهجرة والله اعلم.

غزو بدر الكبرى

ويقال العظمى ويوم وقعة بدر وهو يوم الفرقان المذكور في قوله تعالى ﴿ وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ﴾ لأن الله تعالى فرق فيه بين الحق والباطل، وهو

يوم البطشة الكبرى المذكور في قوله تعالى ﴿ يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون ﴾ فهو يوم أعز الله فيه الاسلام ، وقوي أهله ودمغ فيه الشرك وخرب محله مع قلة عدد المسلمين وكثرة العدو ، فهو آية ظاهرة على عناية الله تعالى بالاسلام وأهله مع ما كان العدو عليه من القوة بسوابغ الحديد والعدة الكاملة والخيل المسومة والخيلاء الزائدة أعز الله به رسوله ، وأظهر وحيه وتنزيله ، وبيض وجه النبي وقبيله ، وأخزى الشيطان وجيله ، ولهذا قال الله تعالى ممتناً على عباده المؤمنين وحزبه المتقين : ﴿ ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلـة ـ اي قليل عددكم ـ لتعلموا ان النصر إنما هو من عند الله ﴾ لا بكثرة العدد والعـدد والعـدد والحاصل أن هذه الغزوة كانت أعظم غزوات الاسلام ، إذ منها كان ظهـوره ، وبعـد وقوعها اشرق على الآفاق نوره . ومن حين وقوعها أذل الله الكفار وأعز الله من حضرها من المسلمين ، فهو عند الله من الأبرار فقد قالﷺ : لعل الله أطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة ، أو فقد غفرت لكم .

وكان خروجهم يوم السبت لثنتي عشرة خلت من رمضان على رأس تسعة عشر شهراً وخرجت معه الأنصار ولم تكن قبل ذلك خرجت معه وكان عدّة البدريين ثلثمائة وثلاثة عشر ، أو وأربعة عشر ، او وخمسة عشر ، وسبب هذه الغزوة التعرض للعير التي خرج رسول اللهﷺ في طلبها حتى بلغ العشيرة ووجدها سبقته فلم يزل مترقبا قفولها اي رجوعها من الشام فعند قفولها ندب المسلمين اي دعاهم وقـال : هذه عـير قريش فيهـا أموالهـم فاخرجوا إليها لعل الله ان ينفلكموها ، فانتدب ناس أي أجابوا ، وثقل آخرون لظنهم أن رسول اللهﷺ لم يرد حرباً ، ولم يحتفل بها رسول اللهﷺ أي لم يهتم بها بل قال : من كان ظهره أي ما يركبه حاضراً فليركب معنا ولم ينتظر من كان ظهره غائباً عنه ،وكان أبو سفيان لقي رجلاً فأخبره انهﷺ قد كان عرض لعيره في بدايته ، وأنه ينتظر رجوع العير فلما رجع وقرب العير من أرض الحجاز صار يتجسس الأخبار ويبحث عنها ، ويسأل من لقي من الركبان تخوفاً من رسول اللهﷺ ، فسمع من بعض الركبان أنهﷺ استنفر أصحابـه لك ولعيرك فخاف خوفاً شديداً فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري بعشرين مثقالا ليأتي مكة وأن يجدع بعيره ويحول رحله ويشق قميصه من قبله ومن دبره ، إذا دخل مكة ويستنفر قريشاً ويخبرهم أن محمداً قد عرض لعيرهم هو وأصحابه ، وكانت تلك العير فيها أموال قريش ، حتى قيل إنه لم يبق بمكة قرشي ولا قرشية له مثقال فصاعداً إلا بعث به في تلك العير إلا حويطب بن عبد العزى .

ويقال : إن في تلك العير خمسين ألف دينار وألف بعير وتقدم أن قائدها أبو سفيان وكان معه مخرمة بن نوفل وعمرو بن العاص ، وكان جملة من معه سبعة وعشرين وقيل : إنها تسعة وثلاثون رجلاً . فخرج ضمضم سريعاً إلى مكة وقبل أن يقدم بثلاث ليالٍ رأت عاتكة بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ وهي مختلف في إسلامها رؤيا أفزعتها فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فقالت له : يا أخي والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتني أي اشتدت علي وتخوفت ان يدخل على قومك منها شر ومصيبة فاكتم عني ما أحدثك . وفي رواية قالت له : لن أحدثك حتى تعاهدني أن لا تذكرها فإنهم ان سمعوها تعني كفار قريش آذونا وأسمعونا ما لا نحب فعاهدها العباس ثم قال لها : ما رأيت ؟ قالت رأيت راكباً اقبل على بعير له ، حتى وقف بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته : ألا انفروا يا آل غدر إلى مصارعكم في ثلاث أي بعد ثلاثة أيام . وقوله : يا آل غدر معناه يا أصحاب الغدر وعدم الوفاء قالت : فأرى الناس اجتمعوا إليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله قالت : رأيت بعيره مثل به أي انتصب به على ظهر الكعبة ثم صرخ بمثلها ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمثلها ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوي حتى إذا كانت بأسفل الجبل أرفضت اي تكسرت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلها منها فلقة فقال لها العباس : والله إن هذه لرؤيا أي عظيمة وأنت فاكتميها ولا تذكريها لأحد . ثم خرج العباس فلقي الوليد بن عتبة وكان صديقاً له فذكرها له واستكتمه فذكرها الوليد لأبيه فتحدث بها ففشا الحديث . قال العباس : فغدوت لاطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة ، فلما رآني أبو جهل قال : يا ابا الفضل إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا ، فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم فقال ابو جهل : يا بني عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبية ؟ قال : قلت : وما ذاك ؟ قال : الرؤيا التي رأت عاتكة . قلت وما رأت ؟ قال : يا بني عبد المطلب أما رضيتم إن يتنبأ رجالكم حتى يتنبأ نساؤكم . وفي رواية ما رضيتم يا بني هاشم بكذب الرجال حتى جئتمونا بكذب النساء ، ثم قال ابو جهل : وقد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال : أنفروا في ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاث فإن يكن حقاً ما تقول فسيكون ، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتاباً انكم أكذب أهل بيت في العرب : قال العباس : فوالله ما كان مني إليه كبير أمر إلا أني جحدت ذلك وأنكرت أن تكون رأت شيئاً .

وفي رواية : أن العباس قال لأبي جهل : هل أنت منته يا مسفر استه ؟ أي يا مأبون أو جبان فان الكذب فيك وفي أهل بيتك . فقال : من حضرهما ما كنت يا أبا الفضل جهولاً ولا خرفاً ثم ان العباس لقي من أخته عاتكة أذى شديداً حين أفشى من حديثها . قال العباس : فلما أمسيت لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني تقول لي : اقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ؟ ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ثم لم يكن عندك غيرة لشيء مما سمعت فقلت لهنّ ، وأيم الله لا تعرضنّ له وان عاد قتلته ، فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا مغضب ارى أني قد فاتني منه أمر أحب أن أدركه منه ، فدخلت المسجد فرأيته فوالله إني لأمشي نحوه اتعرضه ليعود الى بعض ما قال فأوقع به إذ هو قد خرج نحو باب المسجد يشتد أي يعدو ، فقلت في نفسي : ما له لعنه الله أكل هذا الفرق أي الخوف مني فإذا هو يسمع ما لم أسمع صوت ضمضم بن عمرو الغفاري وهو يصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيره قد جدع بعيره اي قطع أنفه وأذنه وحوّل رحله وشق قميصه وهو يقول : يا معشر قريش ، اللطيمة اللطيمة ، أي أدركوا اللطيمة وهي العير التي تحمل الطيب والبز اموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه لا أرى ان تدركوها . وفي لفظ : إن أصابها محمد لن تفلحوا أبداً الغوث الغوث . قال العباس : فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الأمر فتجهز الناس سراعاً وفزعوا أشد الفزع وخافوا من رؤيا عاتكة .

ويروى أنهم قالوا : أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي ، والله ليعلمن غير ذلك فكانوا بين رجلين إما خارج وإما باعث مكانه رجلاً وأعان قويهم ضعيفهم وقام أشراف قريش يحضون الناس على الخروج . وقال سهيل بن عمرو : أتاركون أنتم محمداً والصباة من أهل يثرب يأخذون أموالكم من أراد مالاً فهذا مالي ، ومن أراد قوة فهذي قوتي ، ولم يتخلف من أشراف قريش إلا أبو لهب خوفاً من رؤيا عاتكة وكان يقول : رؤيا عاتكة كأخذ بيد أي صادقة لا تتخلف ، وبعث مكانه العاص بن هشام ابن المغيرة استأجره بأربعة آلاف درهم كانت له عليه ديناً فأفلس بها فقال له : أخرج وديتي لك . وهشام هذا قتل كافراً في هذه الغزوة قتله عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأراد التخلف أمية بن خلف وكان شيخاً جسيماً ثقيلاً فجاء إليه وهو جالس مع قومه عقبة بن أبي معيط بمجمرة فيها بخور يحملها حتى وضعها بين يديه ثم قال : يا أبا علي إستجمر فإنما أنت من النساء فقال له : قبحك الله وقبح ما جئت به وكان عقبة سفيهاً وكان أبو جهل هو الذي

سلط عقبة على ذلك .

وجاء أبو جهل أمية بن خلف فقال له : يا أبا صفوان إنك متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادي ؟ وفي رواية : من أشراف الوادي تخلفوا معك فسر يوماً أو يومين فتجهز أمي مع الناس ، وسبب إرادته التخلف أن سعد بن معاذ قدم مكة معتمراً فنزل على أمية لأن أمية كان إذا قدم المدينة للذهاب إلى الشام في تجارته ينزل على سعد فقال سعد لأمية : أنظر لي ساعة لعلي أطوف بالبيت ، وقال أمية لسعد : إذا انتصف النهار . فبينا سعد يطوف إذ أتاه ابو جهل فقال : من هذا الذي يطوف ؟ فقال له سعد : أنا سعد ابن معاذ . فقال له أبو جهل : أتطوف بالكعبة آمنا وقد آويتم محمداً وأصحابه ؟ وفي لفظ : آويتم الصباة وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلك سالماً ، فتلاحيا أي تخاصما وسعد يرفع صوته ، فصار أمية يقول لسعد : لا ترفع صوتك على أبي الحكم فإنه سيد أهل الوادي وجعله يسكت فقال سعد لأمية : إليك عني فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنه قاتلك . قال إياي ؟ قال : نعم قال : بمكة . قال سعد : لا أدري . قال أمية : والله ما كذب محمد ، فكاد يحدث أي يبول في ثيابه فزعاً ، فرجع الى امرأته فقال : ما تعلمين ما قال أخي اليثربي يعني سعد بن معاذ ؟ قالت : وما ذاك ؟ قال : زعم انه سمع محمداً يزعم انه قاتلي . قالت : والله ما كذب محمد .

فلما جاء الصريخ وأراد الخروج قالت له امرأته : ما علمت ما قال لك اخوك اليثربي ؟ قال : فاني لا أخرج . فلما صمم على عدم الخروج بل أقسم بالله لا يخرج من مكة اتاه عقبة بن أبي معيط بالمجمرة وقال له أبو جهل ما قال كما تقدم ، فخرج ناوياً ان يرجع عنهم ومعنى كونه ﷺ قاتله ، انه كان ﷺ سبباً في قتله وإلا فهو ﷺ لم يباشر إلا قتل أخي أمية ، وهو أبي بن خلف في غزوة أحد كما سيأتي إن شاء الله تعالى . ومن ثم جاء في رواية : أن سعد بن معاذ قال لأمية ، إن أصحابه يعني النبي ﷺ يقتلونك واستقسم بالازلام جماعة فخرج لهم ما يكرهون ، منهم أمية بن خلف وعتبة بن ربيعة واخوه شيبة وزمعة بن الأسود وحكيم بن حزام ، فلما خرج لهم القدح الناهي المكتوب عليه لا تفعل ، أجمعوا على المقام وعدم الخروج ، فجاءهم أبو جهل وأزعجهم وحثهم على الخروج وأعانه على ذلك عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحرث .

يروى ان عداساً الذي اجتمع بالنبي ﷺ بالطائف وأسلم على يديه كما تقدم قال

لسيديه عتبة وشيبة ابني ربيعة : بأبي وأمي أنتما والله ما تساقان إلا لمصارعكما ، فأرادا عدم الخروج ، فلم يزل بهما أبو جهل حتى خرجا عازمين على العود عن الجيش ، ولما فرغوا من جهازهم وكان ذلك في ثلاثة أيام وقيل : في يومين ، وأجمعوا السير اي عزموا عليه وكانوا خمسين وتسعمائة وقيل : كانوا ألفاً وقادوا معهم من الخيل مائة فرس عليها مائة درع سوى دروع المشاة ، وكان حامل لوائهم السائب بن يزيد ثم أسلم رضي الله عنه وهو الأب الخامس للإمام الشافعي رضي الله عنه وخرجوا على الصعب والذلول لشدة إسراعهم ، ومعهم القيان وهن الاماء المغنيات يضربن بالدفوف يغنين بهجاء المسلمين وهم في غاية من البطر والخيلاء حين خروجهم ، كما قال تعالى ﴿ أُخرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله ، والله بما يعملون محيط ﴾ وكان المطعمون لهذا الجيش اثني عشر رجلاً كل واحد منهم ينحر كل يوم عشر جزر ، وفيهم أنزل الله ﴿ إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون ﴾ وهؤلاء الاثناءعشر هم أبو جهل وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وحكيم بن حزام والعباس بن عبد المطلب وأبو البختري وزمعة بن الاسود وأبي بن خلف وامية بن خلف والنضر بن الحرث ونبيه ومنبه ابنا الحجاج . وقيل الآية المذكورة نزلت في الذين انفقوا أموالهم لتجهيز الجيش الذي قاتلوا به النبي ﷺ يوم أحد ، وقيل في هؤلاء وهؤلاء .

ولما أرادوا الخروج من مكة كان بينهم وبين كنانة دماء لان قريشاً كانت قتلت شيخاً من كنانة ، فمر شاب وضيء من قريش بكنانة فقتلوه ثم إن اخا المقتول ظفر بعامر سيد كنانة بمر الظهران فقتله وجاء بسيفه وعلقه بأستار الكعبة فلما أصبحت قريش ، رأت سيف عامر فعرفوه وعرفوا قاتله فكاد ذلك يصرفهم عن الخروج خوفاً من كنانة لكون طريقهم في المسير عليهم ، وخافوا أن يخلفوهم على ديارهم بشيء يكرهونه ، فجاءهم إبليس لعنه الله في صورة سراقة بن مالك المدلجي الكناني ، وكان من أشراف بني كنانة وقال لهم : أنا لكم جار من ان يأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه ، وخرج معهم إبليس ووعدهم ان بني كنانة قد اقبلوا لنصرهم ، وحسن لهم الامر وقربه لهم وهونه عليهم ، كما قال تعالى ﴿ وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم ﴾ ثم بعد ان خرج ضمضم الى أهل مكة اشتد حذر ابي سفيان فأخذ طريق الساحل وَجَدَّ في السير حتى فات المسلمين فلما أمن أرسل الى قريش يأمرهم بالرجوع ، وكانوا حينئذ بالجحفة فامتنع أبو جهل ، وقال : والله لا نرجع حتى نحضر بدراً فنقيم فيه ثلاثة أيام ، وننحر الجزر ،

ونطعم الطعام ونسقي الخمر ، وتعزف علينا القيان بالمعازف اي بالملاهي ، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا ، فلا يزالون يهابوننا أبداً .

وهذا هو الرياء الذي أشار اليه سبحانه وتعالى بقوله ﴿ خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ﴾ ولما بلغ أبا سفيان كلام أبي جهل قال : هذا بغي ، والبغي منقصة وشؤم ، لان القوم انما خرجوا لنجاة اموالهم ، وقد نجاها الله تعالى ، ولما قال أبو جهل ما قال ، رجع من قريش بنو زهرة وكانوا نحو المائة ، وقيل : ثلثمائة فلذا قيل : لم يقتل أحد منهم ببدر ، وقيل قتل منهم رجلان ، وكان قائد بني زهرة الأخنس بن شريق الثقفي وكان حليفا لهم فقال لهم : يا بني زهرة قد نجى الله أموالكم وخلص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل ، فانه كان في العير وإنما نفرتم لتمنعوه وماله فارجعوا فانه لا حاجة لكم ان تخرجوا في غير منفعة دعوا ما يقول هذا يعني ابا جهل ، فقال له ابو جهل : ما كذب محمد قط ، كنا نسميه الأمين ، لكن اذا كانت في بني عبد المطلب السقاية والرفادة والمشورة ثم تكون فيهم النبوة فأي شيء يكون لنا ونحن معهم كفرسي رهان ؟ فرجع الأخنس ببني زهرة والأخنس هذا اختلف في اسلامه والاكثرون على انه أسلم عام الفتح رضي الله عنه وكان من المؤلفة ثم حسن اسلامه . قيل ان الأخنس جاء الى النبي ﷺ فأظهر الاسلام ، وقال : الله يعلم اني لصادق . ثم هرب بعد ذلك فمر بقوم من المسلمين فحرق زرعهم فنزل فيه ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ـ الى قوله ـ وبئس المهاد ﴾ قال الحلبي نقلا عن الاصابة : ولا مانع من انه اسلم ثم ارتد ثم أسلم ثم ان بني هاشم أرادوا الرجوع فاشتد عليهم أبو جهل وقال لقريش : لا تفارقنا هذه العصابة حتى نرجع . ثم لم يزالوا سائرين حتى نزلوا بالعدوة القصوى قريباً من الماء ، وسيأتي أن رسول الله ﷺ نزل بعيداً عن الماء أولاً ثم انتقل وقرب منه . ولما خرج رسول الله ﷺ من المدينة استعمل عليها والياً أبا لبابة ابن عبد المنذر الأوسي رضي الله عنه واستعمل ابن ام مكتوم رضي الله عنه على الصلاة بالناس وخلف عاصم بن عدي رضي الله عنه على قباء وأهل العالية لشيء بلغه عن اهل مسجد الضرار .

وعقد ﷺ لواء أبيض ودفعه لمصعب بن عمير رضي الله عنه وكان أمامه ﷺ رايتان سوداوان ، إحداهما مع علي بن ابي طالب والاخرى مع سعد بن معاذ ، وقيل مع الحباب ابن المنذر ثم ضرب عسكره ببئر أبي عتبة على ميل من المدينة ، فعرض أصحابه ورد من استصغر وتقدم ان عدة أصحابه البدريين ثلثمائة وثلاثة عشر ، او وأربعة عشر ، او وخمسة

عشر . وكان معهم سبعون بعيراً يعتقبونها ، وكان معهم من الخيل فرسان فرس لمرثد الغنوي ، وفرس للمقداد ، وقيل : للزبير . وقال بعضهم : كان معهم خمسة أفراس فرسان له ﷺ وفرس لمرثد وفرس للزبير وفرس للمقداد ، وتقدم ان قريشاً عدتهم خمسون وتسعمائة وقيل : كانوا ألفاً وقادوا مائة فرس عليها مائة درع سوى دروع المشاة ، ولما عد ﷺ أصحابه فوجدهم ثلثمائة وثلاثة عشر فرح وقال : عدة اصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر .

ولما أراد ﷺ الخروج لبس درعه ذات الفضول وتقلد بسيفه العضب ، ولما نظر الى أصحابه قال : اللهم انهم حفاة فاحملهم ، وعراة فاكسهم ، وجياع فأشبعهم ، وعالة فأغنهم من فضلك فما رجع منهم أحد الا وله البعير والبعيران واكتسى من كان عارياً وأصابوا طعاماً من أزواد قريش وأصابوا فداء الأسارى فاغتنى به كل عائل . وسار ﷺ حتى بلغ الروحاء وهو موضع به بئر على نحو أربعين ميلاً من المدينة فأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا غيرهم ، وكان قد بعث ﷺ رجلين يتجسسان أخبار عير ابي سفيان ، فمضيا حتى نزلا بدراً ، فأناخا الى تل قريب من الماء ، وأخذا يستقيان من الماء ، فسمعا جاريتين تقول احداهما لصاحبتها : إن أتاني العير غداً او بعد غد اعمل لهم اي أخدمهم ثم أقضيك الذي لك ، فانطلقا حتى أتيا رسول الله ﷺ فأخبراه بما سمعا ، فاستشار النبي ﷺ أصحابه في طلب العير ، وفي حرب النفير اي القوم النافرين للحرب يعني ان النبي ﷺ خير أصحابه بين ان يذهبوا للعير أو الى محاربة النفير . وأخبرهم عن قريش بمسيرهم وقال لهم : ان الله وعدكم إحدى الطائفتين إما العير وإما قريش . وكانت العير أحب اليهم ليستعينوا بما فيها من الأموال على شراء الخيل والسلاح . قال تعالى ﴿ وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودّون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ، ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ﴾ وفي رواية : استشار النبي ﷺ أصحابه وقال لهم : ان القوم قد خرجوا على كل صعب وذلول اي مسرعين فما تقولون : العير أحب اليكم من النفير ؟ قالوا : نعم . اي قالت طائفة منهم : العير أحب الينا من لقاء العدو . وفي رواية : هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له إنا خرجنا للعير ؟ .

وفي رواية : يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو ، فتغير وجه رسول الله ﷺ . قال أبو أيوب : وفي ذلك أنزل الله تعالى ﴿ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون ﴾ الآية . وروى أبو نعيم في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما

قال : أقبلت عير لأهل مكة من الشام فخرج النبيﷺ يريدها فبلغ ذلك أهل مكة فأسرعوا اليها ، فسبقت العير المسلمين وكان الله وعدهم إحدى الطائفتين وكانوا أن يلقوا العير أحب اليهم وأيسر شوكة وأخصر مغنما من ان يلقوا النفير . وفي رواية : ان النبيﷺ استشار الناس فتكلم المهاجرون فأحسنوا ثم استشارهم فقام أبو بكر فقال : فأحسن اي جاء بكلام حسن . ثم قام عمر فقال : فأحسن . روى ابن عقبة انه قال : يا رسول الله انها قريش وعزها والله ما ذلت منذ عزت ولا أسلمت منذ كفرت ،والله لتقاتلنك فتأهب لذلك أهبته وأعد لذلك عدته . ثم قام المقداد بن عمرو ، فقال : يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ﴾ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكم مقاتلون . وفي رواية : ولكننا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا برك الغماد يعني مدينة الحبشة لجالدنا اي ضاربنا معك من دونه حتى تبلغه فقال لهﷺ خيراً ودعا له بخير .

قال ابن مسعود رضي الله عنه في آخر قصة المقداد : فرأيت النبيﷺ أشرق وجهه وسره يعني قوله . وروى ابن ابي حاتم عن ابي ايوب الأنصاري رضي الله عنه قال : قال لنا رسول اللهﷺ ونحن بالمدينة : اني أخبرت عن عير أبي سفيان ، فهل لكم ان تخرجوا إليها لعل الله يغنمناها ويسلمنا . قلنا : نعم فخرجنا فلما سرنا يوماً أو يومين قال : قد أخبروا خبرنا فاستعدوا للقتال فقلنا : لا والله ما لنا طاقة بقتال القوم . فأعاد فقال المقداد : لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى ﴿ إنا ههنا قاعدون ﴾ ولكن نقول إنا معكما مقاتلون ، قال : فتمنينا معشر الأنصار لو أنا قلنا كما قال المقداد ، وأنزل الله في ذلك ﴿ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون ﴾ ثم قال عليه الصلاة والسلام ثالث مرة : أيها الناس أشيروا عليّ وإنما يريد الأنصار لأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا : يا رسول الله انا برآء من ذمامك اي من ضمان مناصرتك حتى تصل الى دارنا ، فاذا وصلت الينا فأنت في ذمامنا ، نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأبناءنا ونساءنا . وكانﷺ يخشى أن تكون الأنصار لا ترى وجوب نصرته عليها إلا ممن دهمه أي جاءه فجأة من العدوّ بالمدينة فقط ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم من بلادهم الى عدوّ . فلما قال ذلك اي كرر قوله أشيروا علي ، قال له سعد بن معاذ رضي الله عنه وهو سيد الأوس بل هو سيد الأنصار . قال الزرقاني : كان فيهم كالصديق رضي الله عنه في المهاجرين قال : والله

لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال : أجل ، اي نعم ، قال : قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهوداً ومواثيق على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أمرت .

وفي رواية : ولعلك تخشى أن تكون الأنصار ترى أن لا ينصروك إلا في ديارهم واني أقول عن الأنصار وأجيب عنهم ولعلك يا رسول الله خرجت لأمر فأحدث الله غيره فامض لما شئت ، وصل حبال من شئت ، واقطع حبال من شئت ، وسالم من شئت ، وعاد من شئت ، وخذ من أموالنا ما شئت ، وأعطنا ما شئت ، وما أخذت منا كان أحب الينا مما تركت ، وما امرت به من أمر فأمرنا نتبع أمرك ، ولئن سرت بنا حتى تأتي برك الغماد لنسيرن معك . وفي رواية : فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره ان نلقى عدوّنا ، انا لصبر عند الحرب ، صدق عند اللقاء ، ولعل الله ان يريك منا ما تقرّ به عينك . فسر على بركة الله . زاد في رواية ابن مردويه : فنحن عن يمينك وشمالك وبين يديك وخلفك ولا تكونن كالذين قالوا لموسى ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ﴾ ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما متبعون . قال الحافظ ابن حجر : ان المحفوظ ، أن هذا الكلام للمقداد وان سعداً انما قال ما ذكر عنه أولا . وروى مسلم أن سعد بن عبادة سيد الخزرج رضي الله عنه قال مثل ما قال سعد بن معاذ ، ولفظه عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ استشار الناس حين بلغه إقبال أبي سفيان فتكلم ابو بكر فأعرض عنه ثم تكلم عمر فأعرض عنه ، فقام سعد بن عبادة فقال : إيانا تريد يا رسول الله ؟ والذي نفسي بيده لو أمرتنا ان نخيضها البحر لأخضناها ، ولو أمرتنا ان نضرب أكبادنا الى برك الغماد لفعلنا .

قال في المواهب : وانما يعرف ذلك عن سعد بن معاذ . قال الحافظ ابن حجر : ويمكن الجمع بأنه ﷺ استشارهم مرتين : الأولى بالمدينة أول ما بلغه خبر العير فتكلم سعد ابن عبادة بما ذكر . والثانية : كانت بعد ان خرج فتكلم سعد بن معاذ . وقال الطبراني : ان سعد بن عبادة انما قال ذلك يوم الحديبية ، واختلف في شهوده بدراً والله اعلم .

قال الزرقاني : ان سعد بن عبادة كان يتهيأ للخروج الى بدر ويأتي دور الأنصار ويحضهم على الخروج فنهش اي لدغته حية قبل ان يخرج فأقام فقال ﷺ : لئن كان سعد لم يشهدها لقد كان عليها حريصاً ثم ضرب له بسهمه وأجره ، كما ان عثمان بن عفان رضي

الله عنه تخلف لتمريض زوجه رقية بنت النبيﷺ ورضي عنها ، فانها كانت مريضة وجعل النبي له اجر رجل وسهمه فهما معدودان من البدريين ، وان لم يحضرا ثم قالﷺ : سيروا على بركة الله وأبشروا فان الله وعدني احدى الطائفتين إما العير وإما النفير اي وقد فاتت العير فلا بد من الطائفة الأخرى ، لأن وعد الله لا يتخلف ويشير الى هذه قوله : والله لكأني أنظر الآن الى مصارع القوم اي الذين يقتلون ببدر . ولما وصلوا الى بدر أراهمﷺ مواضع مصارعهم .

روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ ليرينا مصارع أهل بدر ويقول : ان هذا مصرع فلان غداً ان شاء الله تعالى ، ويضع يده على الأرض ههنا وههنا ، فما ماط أحدهم اي ما تنحى عن موضع يده عليه الصلاة والسلام فهو معجزة ظاهرة ، ثم ارتحلﷺ من المكان الذي كان فيه وسار حتى نزل قريباً من بدر ، وبعث علياً والزبير وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم يتجسسون الأخبار فأصابوا راوية لقريش ، معها غلام لنبيه ومنبه ابني الحجاج وغلام لبني العاص فأتوا بهما ورسول الله ﷺ قائم يصلي فقالوا : لمن أنتما ؟ وظنوهما لأبي سفيان فقالا : نحن سقاة لقريش بعثونا نسقيهم من الماء فضربوهما ، فلما أوجعوهما ضرباً قالا . نحن لأبي سفيان فتركوهما فلما فرغﷺ من صلاته قال : اذا صدقاكم ضربتموهما واذا كذباكم تركتموها ، صدقا والله انهما لقريش ، ثم قال لهما : اخبراني عن قريش ، قالا : هم وراء هذا الكثيب اي التل من الرمل ، فقال لهما رسول الله ﷺ : كم القوم ؟ قال : كثير . وفي لفظ : هم والله كثير عددهم شديد بأسهم . قال : ما عدتهم ؟ قالا : لا ندري . قال : كم تنحرون أي من الجزر كل يوم ؟ قالا يوماً تسعاً ويوماً عشراً ، فقالﷺ : القوم ما بين التسعمائة والألف . ثم قال لهما : فمن فيهم من أشراف قريش ؟ قالا : عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، وأبو البحتري بن هشام ، وحكيم بن حزام ، ونوفل بن خويلد ، وزمعة بن الأسود ، وأبو جهل بن هشام ، والنضر بن الحرث ، وسهيل بن عمرو ، فأقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال : هذه مكة قد ألقت اليكم أفلاذ كبدها أي قطع كبدها وكان نزول قريش بالعدوة القصوى ، والعدوة جانب الوادي وحافته والمكان المرتفع ، والقصوى البعدى من المدينة أي التي هي ابعد من الاخرى عن المدينة . ونزل المسلمون على كثيب أعفر ، قيل المراد أحمر وأبيض ليس بالتشديد تسوخ فيه الأقدام وحوافر الدواب ، وسبقهم

المشركون الى ماء بدر فأحرزوه وحفروا القلب لأنفسهم ليجعلوا فيها الماء من الآبار المعينة فيشربوا منها ويسقوا دوابهم . ومع ذلك ألقى الله في قلوبهم الخوف حتى صاروا يضربون وجوه خيلهم إذا صهلت من شدة الخوف . وألقى الله الأمنة والنوم على المسلمين ، بحيث لم يقدروا على منعه ، وأصبح المسلمون بعضهم محدث وبعضهم جنب لأنهم لما ناموا احتلم أكثرهم وأصابهم الظمأ ، وهم لا يصلون الى الماء لسبق المشركين اليه ، ووسوس الشيطان لبعضهم وقال : تزعمون أنكم على الحق وفيكم نبي الله وأنكم أولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء ، وأنتم عطاش وتصلون محدثين مجنبين وما ينتظر أعداؤكم إلا أن يقطع العطش رقابكم ، ويذهب قواكم ، فيتحكموا فيكم كيف شاؤوا ؟

فأرسل الله عليهم مطراً سال منه الوادي فشرب المسلمون واتخذوا الحياض على عدوة الوادي واغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب وملئوا الاسقية وأطفأ المطر الغبار ولبد الأرض حتى ثبتت عليها الأقدام والحوافر ، وزالت عنهم وسوسة الشيطان ، ورد الله كيده في نحره ، وطابت أنفسهم وضر ذلك بالمشركين لكون أرضهم كانت سهلة لينة ، وأصابهم ما لم يقدروا معه على الارتحال ، وقد أشار سبحانه وتعالى الى ذلك بقوله ﴿ إذ يغشيكم النعاس أمنةً منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ـ اي بالصبر على مجالدة العدوّ وبالوثوق على لطف الله ـ ويثبت به الأقدام ﴾ حتى لا تسوخ في الرمل . وعن علي رضي الله عنه أصابنا من الليل طش من مطر فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر ، وبات رسول الله ﷺ يدعو ربه . وفي رواية يصلي تحت شجرة ويكثر في سجوده يا حي يا قيوم ، يكرر ذلك حتى أصبح . قال قتادة : كان النعاس يوم بدر ، ويوم أحد وكان كله أمنة . لكنه في بدر كان ليلاً قبل القتال . وفي أُحد كان وقت القتال . قال ابن مسعود : النعاس في مصاف القتال من الايمان ، والنعاس في الصلاة من النفاق . لأنه في الأول يدل على ثبات الجنان ، وفي الثاني يدل على عدم الاهتمام بالصلاة .

قال علي رضي الله عنه : فلما ان اطلع الفجر نادى رسول الله ﷺ للصلاة عباد الله فجاء الناس من تحت الشجر والحجف فصلى بنا رسول الله ﷺ ثم خطب وحض على القتال في خطبته . فقال بعد ان حمد الله واثنى عليه : أما بعد ، فاني أحثكم على ما حثكم الله عليه إلى أن قال : وان الصبر في مواطن اليأس مما يفرج الله به الهمّ وينجي به من الغم الحديث .

وقال ابن اسحق في حكاية وقعة بدر : فخرج ﷺ يبادرهم الى الماء حتى جاء أدنى ماء من بدر فنزل به فقال الحباب بن المنذر بن الجموح رضي الله عنه . يا رسول الله هذا منزل أنزلكه الله تعالى لا تتقدمه ولا تتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ فقال بل هو الرأي والحرب والمكيدة . قال : فان هذا ليس بمنزلٍ فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم ، فاني أعرف غزارة مائه فننزل به ثم نغوّر ما وراءه من القلب اي ندفنها ونفسدها عليهم ثم نبني عليه اي على ذلك الماء الذي ننزل عليه حوضاً فنملؤه ماء فنشرب ولا يشربون . فقال ﷺ : أشرت بالرأي وفي رواية فنزل جبريل فقال : الرأي ما أشار به الحباب ، فنهض ﷺ ومن معه من الناس حتى أتى أدنى ماء من القوم فنزل عليه ثم أمر بالقلب فغورت وبنى حوضاً على القليب الذي نزل عليه فملىء ماء ثم قذفوا فيه الآنية . وفي رواية : ثم نهض المسلمون الى أعدائهم فغلبوهم على الماء واغاروا القلب التي كانت تلي العدو ، فعطش الكفار وجاء النصر وهذا كله إنما حصل بعد إشارة الحباب رضي الله عنه وكان مع قريش رجل من بني المطلب بن عبد مناف يقال له جهم بن الصلت أسلم عام خيبر رضي الله عنه وضع رأسه بعد ان نزل القوم ببدر ، فأغفى ثم قام فزعاً فقال لأصحابه ، : هل رأيتم الفارس الذي وقف علي ؟ فقالوا : لا . قال : وقف عليّ فارس ، وقال : قتل ابو جهل وعتبة وشيبة وزمعة وابو البحتري وأمية بن خلف وفلان وفلان وعد رجالاً من أشراف قريش ممن قتل يوم بدر . وقال : أسر سهيل بن عمرو وفلان وفلان وعد رجالاً ممن أسر . قال : ثم رأيت ذلك الفارس ضرب في لبة بعيره اي نحره ، ثم أرسله في العسكر فما من خباء من أخبية العسكر إلا أصابه من دمه . فقال له أصحابه : انما لعب بك الشيطان .

ولما شاعت هذه الرؤيا في العسكر وبلغت أبا جهل قال : جئتم بكذب بني المطلب مع كذب بني هاشم سيرون غداً من يقتل . وفي لفظ آخر : قال ابو جهل : هذا نبي آخر من بني المطلب سيعلم غداً من المقتول نحن أم محمد وأصحابه ؟ ولما خرجوا من مكة كان أوّل من نحر لهم أبو جهل ، نحر لهم بمر الظهران عشر جزائر وكانت جزور منها بعد ان نحرت بها حياة فجالت في العسكر فما بقي خباء من أخبية العرب الا أصابه من دمها ، ومن ذلك المجل رجع بنو عدي تفاؤلاً بذلك وبعد أن استقر النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم بالموضع الذي أشار به الحباب ، قال سعد بن معاذ رضي الله عنه : يا رسول الله الا نبني

لك عريشاً تكون فيه وندع عندك ركائبك ، ثم نلقي عدونّا فان أعزنا الله وأظهرنا ، كان ذلك ما احببناه وان كانت الأخرى جلست على ركائبك ، فلحقت بمن وراءنا فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد لك حباً ، منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك يمنعك الله بهم ، يناصحونك ويجاهدون معك ، فاثنى عليه ﷺ خيراً ودعا له بخير وقال : يقضي الله خيراً من ذلك يا سعد أي وهو نصرهم وظهورهم ، ثم بني له ذلك العريش فوق تل مشرف على المعركة وكان ﷺ فيه وأبو بكر رضي الله عنه . وعن علي رضي الله عنه انه قال : أخبروني من أشجع الناس ؟ قالوا : أنت . قال : أشجع الناس ابو بكر رضي الله عنه لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً فقلنا : من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوي اليه احد من المشركين؟ فكان ابو بكر رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ ، فوالله ما دنا منا أحد إلا وأبو بكر رضي الله عنه شاهر بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوى أحد اليه إلا أهوى اليه ابو بكر رضي الله عنه .

وجاء انه لما التحم القتال وقف أيضاً على باب العريش سعد بن معاذ رضي الله عنه وجماعة من الأنصار ومما يستدل به على شجاعة الصديق رضي الله عنه أيضاً ثبوته يوم وفاة النبي ﷺ ، وقتاله أهل الردة ، وغير ذلك . والعريش شيء يشبه الخيمة يستظل به فبني له ﷺ . قال السيد السمهودي : ومكانه عند مسجد بدر وهو معروف عند النخيل والعين قريبة منه . ثم لما اصبحوا عدل النبي ﷺ صفوف اصحابه واقبلت قريش ورآها ﷺ وقال : اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادّك وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذي وعدتني . ولما اطمأنت قريش أرسلوا عمير بن وهب الجمحي ، وكان كافراً ثم أسلم بعد ذلك رضي الله عنه وقالوا : احرز لنا أصحاب محمد أي انظر عدتهم ، فجال بفرسه حول عسكر النبي ﷺ ثم رجع اليهم فقال : ثلثمائة رجل يزيدون او ينقصون قليلاً ، ولكن أمهلوني حتى انظر أللقوم كمين أو مدد ؟ فذهب في الوادي حتى أبعد ، ثم رجع اليهم وقال : ما رأيت شيئاً ولكن قد رأيت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا رجال يثرب تحمل الموت الناقع اذ تروهم خرساً لا يتكلمون ، يتلمظون تلمظ الأفاعي لا يريدون ان يقبلوا الى اهليهم زرق العيون كأنهم الحصى تحت الحجف ، قوم ليس لهم منعة الا سيوفهم . والله ما نرى ان نقتل منهم رجلاً حتى يقتل رجل منكم ، فاذا أصابوا منكم عدادهم فما خير العيش بعد ذلك فروا رأيكم . فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى في الناس فأتى عتبة بن ربيعة فقال : يا ابا الوليد انك كبير قريش وسيدها والمطاع فيها ، هل

لك ان تذكر بخير الى آخر الدهر؟ فقال : وما ذاك يا حكيم ؟ قال : ترجع بالناس .

وفي رواية : قال له حكيم : تجير بين الناس وتحمل دم حليفك عمرو بن الحضرمي اي الذي قتله واقد بن عبد الله في سرية عبد الله بن جحش الى نخلة ، وتتحمل ما أصاب محمد من تلك العير ، فانهم لا يطلبون من محمد الا ذلك . فقال عتبة : نعم . قد فعلت هو حليفي ، فعلي عقله اي ديته وعليّ ما أصيب من المال . ونعم ما قلت يا حكيم ، ونعم ما دعوت اليه . فركب عتبة جملاً له احمر وصار بجيله في صفوف قريش يقول : يا قوم ، اطيعوني فانكم لا تطلبون غير دم ابن الحضرمي وما أخذ في العير وقد تحملت ذلك . ثم قال : انشدكم الله في الوجوه التي تضيء ضياء المصابيح يعني قريشاً ان تجعلوها أنداداً لهذه الوجوه التي كأنها عيون الحيات يعني الأنصار . وقد رآه النبيﷺ في القوم وهو على جمله فقال : إن يكن في أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الاحمر ان يطيعوه يرشدوا .

وذكر ابن اسحق ان عتبة قام خطيباً فقال : يا معشر قريش ، والله ما تصنعون شيئاً ان تلقوا محمداً وأصحابه والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر في وجه رجل يكره النظر اليه قد قتل ابن عمه أو ابن خاله ، او رجلاً من عشيرته . فارجعوا وخلوا بين محمد وسائر العرب فان أصابه غيركم فذاك الذي أردتم وان كان غير ذلك ألفاكم ولم تعدموا منه ما تريدون . يا قوم اعصبوها اليوم برأسي اي اجعلوا عارها متعلقاً بي وقولوا جبن عتبة ، وأنتم تعلمون أني لست بأجبنكم . ثم قال عتبة لحكيم : انطلق لابن الحنظلية وأخبره يعني أبا جهل . قال حكيم : فانطلقت فوجدت أبا جهل قد نثل درعاً له من جرابها أي أخرجها فقلت : يا أبا الحكم ان عتبة أرسلني اليك بكذا وكذا . فقال : انتفخ سجره وهي كلمة تقال للجبان . ثم جاء ابو جهل لعتبة وقال له : لو غيرك يقول هذا لاعضضته بظر أمه ، والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد .

وفي رواية : وأرسل بذلك حكيم بن حزام الى أبي جهل فأخبره فقال : والله ما بعتبة ما قال ولكنه رأى ان محمداً وأصحابه أكلة جزور ، وفيهم ابنه يعني أبا حذيفة بن عتبة رضي الله عنه ـ فانه كان مع النبيﷺ ومن السابقين في الاسلام ، فيخوفكم عليه ثم افسد ابو جهل على الناس رأى عتبة وبعث الى عامر بن الحضرمي وقال له : هذا حليفك يريد الرجوع بالناس ، وقد رأيت نارك بعينك فقم فأنشد مقتل أخيك فقام عامر وكشف استه ، وحثا التراب على رأسه وصرخ واعمراه واعمراه ، فحميت الحرب وتهيئوا للقتال

والشيطان معهم لا يفارقهم في صورة سراقة يقول لهم : لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم ، فخرج الأسود المخزومي ، وكان شرساً سيء الخلق . فقال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم أولا لأهدمنه او لأموتن دونه . فلما أقبل قصده حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه فضربه دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله دماً . ثم اقتحم الحوض زاعما ان تبرّ يمينه فقتله حمزة في الحوض والاسود هذا هو الاسود بن عبد الاسد المخزومي اخو عبد الله بن عبد الاسد المخزومي رضي الله عنه زوج ام سلمة رضي الله عنها والأسود اوّل قتيل قتل يوم بدر من المشركين ، وهو اوّل من يأخذ كتابه بشماله يوم القيامة وأما أخوه عبد الله بن عبد الاسد فهو اوّل من يأخذ كتابه بيمينه كما جاء ذلك في أحاديث متعددة . ثم ان عتبة بن ربيعة التمس بيضة اي خودة يدخلها في رأسه فما وجد في الجيش بيضة تسع رأسه لعظمها فاعتجر ببرد له اي تعمم به ، ثم خرج بين اخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد ابن عتبة حتى انفصل من الصف ودعا الى المبارزة فخرج اليه فتية من الأنصار وهم : عوف ومعاذ ابنا الحرث الأنصاريان التجاريان ، وأمهما عفراء بنت عبيد بن ثعلبة الأنصارية وعبد الله بن رواحة الأنصاري رضي الله عنهم . فقال عتبة ومن معه لهم : من أنتم ؟ قالوا : رهط من الأنصار قالوا : ما لنا بكم من حاجة أكفاء كرام إنما نريد قومنا . ثم نادى مناديهم : يا محمد ، أخرج الينا أكفاءنا من قومنا فناداهم أن ارجعوا الى مصافكم وليقم اليهم بنو عمهم . ثم قال ﷺ : قم يا عبيدة بن الحرث قم يا حمزة . قم يا علي فلما قاموا ودنوا منهم قالوا : من انتم ؟ لأنهم كانوا متلثمين لما خرجوا فتسموا لهم . قال ابن اسحق ، فقال : عبيدة عبيدة . وقال : حمزة حمزة . وقال : علي علي . قالوا نعم . اكفاء كرام فبارز عبيدة وكان أسنّ القوم المسلمين عتبة وكان اسنّ الثلاثة وبارز حمزة شيبة . هذه رواية ابن إسحق وأما رواية موسى بن عقبة فقال فيها : برز حمزة لعتبة وعبيدة لشيبة ورجحها بعضهم واتفقوا على ان علياً برز للوليد فقتل علي الوليد وقتل حمزة عتبة واختلف عبيدة وشيبة بضربتين كلاهما أثخن صاحبه فكر حمزة وعلي بأسيافهما على شيبة فدنفا عليه واحتملا صاحبهما فحازاه الى اصحابه وكانت الضربة التي اصابت عبيدة في ركبته فمات منها لما رجعوا بالصفراء وقبره معروف بين الصفراء والحمراء ولما احتملوا عبيدة جاؤوا به الى النبي ﷺ ومخ ساقه بسيل ، وأضجعوه الى جانب موقفه ﷺ ، فأفرشه رسول الله ﷺ قدمه الشريف فوضع خده عليها ، وقال له رسول الله ﷺ : أشهد أنك شهيد بعد أن قال له عبيدة ألست شهيداً ؟ وفي رواية : انه قال : أشهيدا أنا يا رسول الله ؟ قال : نعم . قال :

وددت والله أن ابا طالب كان حياً ليعلم اننا احق منه بقوله :

ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن ابنائنا والحلائل

ثم أنشأ يقول :

فان يقطعوا رجلي فاني مسلم أرجى به عيشاً من الله عاليا
وألبسني الرحمن من فضل منه لباساً من الإسلام غطى المساويا

وفي هذه القصة فضيلة ظاهرة لحمزة وعبيدةوعلي رضي الله عنهم وعبيدة هذا هو عبيدة بن الحرث عبد بن المطلب بن عبد مناف قال ابو ذر رضي الله عنه ان قوله تعالى ﴿ هذان خصمان اختصموا في ربهم ﴾ نزلت في الذين برزوا يوم بدر فذكر هؤلاء الستة . وعن علي رضي الله عنه قال : انا أوّل من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة ، فينا نزلت هذه الآية ﴿ هذان خصمان اختصموا في ربهم ﴾ وكان من حكمة الله تعالى ان جعل المسلمين قبل ان يلتحم القتال في أعين المشركين قليلاً استدراجاً لهم ليقدموا ولما التحم القتال جعلهم في أعين المشركين كثيراً ليحصل لهم الرعب والوهن وجعل الله المشركين عند التحام القتال في أعين المسلمين قليلاً ليقوى جأشهم على مقاتلتهم .

ومن ثم جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال : لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل : أتراهم سبعين ؟ قال : أراهم مائة . وأنزل الله تعالى : ﴿ وإذ يركموهم اذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم ﴾ ومن ثم قال تعالى ﴿ قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين ﴾ اي يرى أولئك الكفار المؤمنين مثليهم رأي العين وقد ذكروا ان قباب بن أشيم كان مع المشركين ثم أسلم رضي الله عنه قال في نفسه يوم بدر : لو خرجت نساء مكة بأكمتها ردت محمداً وأصحابه ، وعنه رضي الله عنه قال : لما اسلمت بعد الخندق فسألت عن رسول الله ﷺ فقالوا : هو ذاك في المسجد مع ملأ من أصحابه فأتيته وأنا لا أعرفه من بينهم ، فسلمت عليه فقال : يا قباب أنت القائل يوم بدر : لو خرجت نساء قريش بأكمتها ردت محمداً وأصحابه ؟ قال قباب : والذي بعثك بالحق ما تحدث به لساني ولا ترفرفت به شفتاي ولا سمعه مني أحد ، وما هو إلا شيء هجس في قلبي أشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده

ورسوله . وان ما جئت به هو الحق ، وحينئذ يكون معنى قوله ﷺ : انت القائل ؟ اي في نفسك ، فيكون اطلاعه على ذلك من معجزاته ﷺ .

قال ابن اسحق : لما قتل المبارزون خرج ﷺ من العريش لتعديل الصفوف فعدلهم بقدح في يده اي سهم لا نصل فيه ولا ريش ، مرّ ﷺ بسواد بن غزية حليف بن النجار وهو خارج من الصف ، فطعنه ﷺ في بطنه بالقدح ، وقال استو يا سواد فقال : يا رسول الله أوجعتني ، وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني اي مكنـي من القـوادي القصـاص من نفسك ، فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه وقال : استقد أي خذ القود فاعتنق سواد النبي ﷺ ، وقبّل بطنه فقال : ما حملك على هذا يا سواد ؟ فقال : يا رسول الله حضر ما ترى فأردت ان يكون آخر العهد بك ان يمسّ جلدي جلدك ، فدعا له رسول الله ﷺ بخير ، ثم لما عدل رسول الله ﷺ الصفوف ، قال لهم : ان دنا القوم منكم فانضحوهم اي ادفعوهم عنكم بالنبل ، واستبقوا نبلكم اي لا ترموها على بعد ، فان الرمي مع البعد يخطىء غالباً ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم . وخطبهم خطبة حثهم فيها على الجهاد والمصابرة مثل التي قبل مجيئهم الى محل القتال ، ثم عاد الى العريش وتزاحف الناس اي مشى كل فريق جهة الآخر ، ودنا بعضهم من بعض ، واقبل نفرمن قريش حتى وردوا حوضه ﷺ فقال : دعوهم فما شرب منه رجل يومئذ إلا قتل إلا حكيم بن حزام ، فانه أسلم وحسن إسلامه رضي الله عنه فكان إذا اجتهد في يمينه قال : لا والذي نجاني يوم بدر ، وأمر ﷺ أصحابه أن لا يحملوا على المشركين حتى يأمرهم ، وكان ﷺ قد أخذته سنة من النوم فاستيقظ وقد أراه الله إياهم في منامة قليلاً ، فأخبر أصحابه فكان تثبيتاً لهم .

وكان سعد بن معاذ رضي الله عنه متوحشـاً سيفـه في نفـر من الأنصـار على باب العريش ، يحرسونه ﷺ ، ورسول الله ﷺ في العريش هو وابو بكر رضي الله عنه ليس معه فيه غيره وهو عليه الصلاة والسلام يناشد ربه إنجاز ما وعده من النصر . قال تعالى ﴿ واذ يعدكم الله إحدى الطائفتين وكان حقا علينا نصر المؤمنين ولقـد سبقـت كلمتنـا لعبادنـا المرسلين أنهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون ﴾ ولما اصطف الناس للقتال رمى قطبة بن عامر حجراً بين الصفين وقال: لا أفرّ إلا إن فرّ هذا الحجر .

وكان أوّل من خرج من المسلمين مهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقتله عامر بن الحضرمي بسهم أرسله اليه فكان مهجع أوّل قتيل من المسلمين . وجاء عنه ﷺ ان مهجعاً سيد الشهداء اي من أهل بدر ثم قتل عمرو بن الحمام وهو اوّل قتيل من الأنصار ثم

حارثة بن سراقة ، وقد جاءت امه الى رسول الله ﷺ بعد أن قدم من بدر وهي عمة انس ابن مالك ـ رضي الله عنه ـ فقالت : يا رسول الله حدثني عن حارثة فان يكن في الجنة لم أبك عليه ولكن أحزن وإن يكن في النار بكيت ما عشت في الدنيا . فقال : يا أم حارثة انها ليست بجنة ولكنها جنان ، وحارثة في الفردوس الأعلى فرجعت وهي تضحك وتقول ، بخ بخ لك يا حارثة . وفي رواية : قال لها ويحك أو هبلت أهي جنة واحدة ، انها جنان كثيرة والذي نفسي بيده انه لفي الفردوس الأعلى ثم دعا رسول الله ﷺ بإناء من ماء ، فغمس يده فيه ومضمض فاه ثم ناول أم حارثة فشربت ، ثم ناولت ابنتها فشربت ثم أمرهما ينضحان في جيوبهما . ففعلتا فرجعتا من عند رسول الله ﷺ وما بالمدينة امرأتان أقر عيناً منهما ولا أسر ، وقد كان حارثة رضي الله عنه سأل النبي ﷺ ان يدعو الله له بالشهادة فقد جاء انه ﷺ قال لحارثة يوماً : وقد استقبله كيف أصبحت يا حارثة ؟ قال : أصبحت مؤمنا بالله حقاً . قال : انظر ما تقول فان لكل قول حقيقة . قال : يا رسول الله عزلت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري .فكأني بعرش ربي بارزاً ، وكأنـي انظـر الى أهـل الجنـة يتزورون فيها ، وكأني أنظر الى أهل النار يتعاوون فيها . قال : ابصرت فالزم عبد بذر الله الايمان في قلبك ، اي انت عبد الخ . فقال : ادع الله لي بالشهادة ، فدعا له رسول الله ﷺ بذلك . وقال ابو جهل لعنه الله وأصحابه حين قتل عتبة وشيبة والوليد : لنا العزى ولا عزى لكم ، ونادى منادي رسول الله ﷺ : الله مولانا ولا مولى لكم ، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار ، وسيأتي وقوع مثل ما قال أبو جهل وأصحابه من ابي سفيان في يوم أحد وانه أجيب بمثل هذاالجواب ، وصار رسول الله ﷺ يناشد ربه ما وعده من النصر .

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال وهو في قبة يعني العريش يوم بدر : اللهم اني أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم فلا تعبد . وفي رواية : ان تهلك هذه العصابة من أهل الايمـان اليوم فلا تعبـد في الارض . وفي رواية : اللهم إن ظهروا على هذه العصابة ظهر الشرك ولا يقوم لك دين اي لأنه ﷺ علم انه آخر النبيين فاذا هلك هو ومن معه لا يبقى من يتعبد بهذه الشريعة : وفي لفظ : اللهم لا تودع مني ولا تخذلني أنشدك ما وعدتني ، وما زال يدعو ربه مادًّا يديه مستقبل القبلة حتى سقطرداؤه عن منكبيه ، فأخذ ابو بكر رضي الله عنه رداءه وألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال : يا نبي الله ، كفاك تناشد ربك فسينجز لك ما وعـدك . وفي رواية : لينصرنك الله وليبيضنّ وجهك . وفي رواية : ألححت على ربك وانما قال أبو بكر رضي

الله عنه ذلك لأنه شق عليه تعب النبيﷺ في إلحاحه بالدعاء لأنه رضي الله عنه رقيق القلب شديد الاشفاق على رسول اللهﷺ ، وقيل : لان الصديق رضي الله عنه، كان في مقام الرجاء والنبيﷺ في مقام الخوف ، لأن الله يفعل ما يشاء وكلا المقامين في الفضل سواء .

ذكره السهيلي : قال بعضهم : إن مقام الخوف يقتضي أن يجوز فيه أن لا يقع النصر يومئذ لأن وعده بالنصر لم يكن معيناً في تلك الوقعة وإنما كان مجملاً ، فبفرض تأخره لا ينافي انه أعطاه ما وعده ربه ، والجواب الاول اولى أعني كونه شق عليه تعب النبيﷺ وحين رأى المسلمون القتال قد نشب ، عجوا بالدعاء إلى الله تعالى . وعن ابن مسعود رضي الله عنه ما سمعنا مناشداً ينشد ضالة أشد من مناشدة محمد لربه يوم بدر ، اللهم أنشدك ما وعدتني .

وروى النسائي والحاكم عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال : قاتلت يوم بدر شيئاً من قتال ثم جئت لاستكشاف حال النبيﷺ فاذا رسول اللهﷺ يقول في سجوده : يا حي يا قيوم لا يزيد على ذلك ، فرجعت فقاتلت ثم جئته فوجدته كذلك فعل ذلك أربع مرات ، وقال في الرابعة ففتحعليه .وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود رضي الله عنه قال : لما كان يوم بدر ونظر رسول اللهﷺ الى المشركين فتكاثرهم ، والى المسلمين فاستقلهم ، فركع ركعتين وقام ابو بكر عن يمينه يحرسه . وفي رواية : عن علي رضي الله عنه قام ابو بكر شاهراً السيف على رأسهﷺ لا يهوي اليه أحد إلا أهوى اليه ، فقال عليه الصلاة والسلام ، وهو في سجوده : اللهم لا تودع مني ، اللهم لا تخذلني ، اللهم اني أنشدك ما وعدتني .

وفي الصحيح : أن رسول اللهﷺ لماكان يوم بدر في العريش مع الصديق رضي الله عنه أخذت رسول اللهﷺ سنة من النوم ثم استيقظ مبتسماً فقال : أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله ، هذا جبريل على ثناياه النقع اي الغبار أي إشارة الى مناصرتهﷺ ليدخل عليه وعلى أصحابه السرور ، وذلك انه لما التحم القتال وعج النبيﷺ والمسلمون بالدعاء أنزل الله الملائكة كما قال تعالى ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين ﴾ أي متتابعين ، وقيل ردفاً لكم ، وقيل وراء كل ملك ملك آخر . ويوافق ذلك ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أمدّ الله نبيهﷺ يوم بدر بألف من الملائكة فكان جبريل في خمسمائة وميكائيل في خمسمائة . وجاء أيضاً أن الله أمدّه بثلاثة آلاف : ألف مع جبريل

وألف مع ميكائيل وألف مع إسرافيل . وقيل : وعدهم الله أن يمدهم بألف ثم زيدوا في الوعد بألفين ، وقيل أمدهم الله بثلاثة آلاف ، ثم أكملهم خمسة آلاف . قال تعالى ﴿ إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ﴾ اي ألف مع جبريل وألف مع ميكائيل وألف مع إسرافيل ؟ ﴿ بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين ﴾ وقيل إن المدد يوم بدر كان بألف ، ويوم احد بثلاثة آلاف . ثم وقع الوعد باكمالهم خمسة آلاف لو صبروا . وجاء ان الملائكةكانوا على صور الرجال ، فكان الملك يمشي أمام الصف في صورة رجل ويقول : أبشروا فانّ الله ناصركم عليهم ، ويظنّ المسلمون أنه منهم وجاء انهم يقولون للمسلمين : أثبتوا فان عدوّكم قليل اي قليل في نظركم وإن كثروا عدداً . قال تعالى ﴿ وإذ يريكموهم إذا التقيتم في أعينكم قليلاً ﴾ حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه لمن كان بجنبه اتراهم سبعين ؟ فقال : أراهم مائة .

وروى البيهقي عن حكيم بن حزام : أن يوم بدر وقع نمل من السماء قد سد الأفق فاذا الوادي يسيل نملاً أي نازلاً من السماء فوقع في نفسي ان هذا شيء أيد بهﷺ وهو الملائكة وروي بسند حسن عن جبير بن مطعم قال : رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل الجراد الأسود مبثوثاً حتى امتلأ الوادي فلم أشك انها الملائكة فلم يكن إلا هزيمة القوم ، وإنما نزلت الملائكة تشريفاً للنبيﷺ وأمته ، وإلا فملك واحد كجبريل عليه السلام قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه كما فعل في مدائن قوم لوط ، وأهلك قوم صالح بصيحة واحدة . وقد قال تعالى في إهلاك أهل القرية الذين كذبوا رسل عيسى عليه السلام ﴿ وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين إن كانت إلا صيحة واحدة فاذا هم خامدون ﴾ فأفاد سبحانه وتعالى بمفهوم الآية ، أن انزال الجند من خواصهﷺ تشريفاً له ولم يقع ذلك لغيره ، وكانت الملائكة يوم بدر شركاء للمؤمنين في بعض الفعل ليكون الفعل منسوباً للنبيﷺ ولأصحابه وليهابهم العدو حيث يعلم أن الملائكة تقاتل معهم ، وقد حكى الله عنهم صفة قتالهم حيث علمهم سبحانه وتعالى ذلك بقوله ﴿ فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ﴾ وجاء لولا ان الله تعالى حال بيننا وبين الملائكة التي نزلت يوم بدر، لمات أهل الأرض خوفاً من شدّة صعقاتهم وارتفاع أصواتهم ، وجاء في حديث مرسل : ما رؤي الشيطان أحقر ولا أدحر ولا أصغر من يوم عرفة إلا ما رؤي يوم بدر ، وجاء أن ابليس جاء في صورة سراقة بن مالك المدلجي الكناني

في جند من الشياطين اي مشركي الجنّ في صورة رجال من بني مدلج من بني كنانة معه رأيته وقال للمشركين ﴿ لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم ﴾ وتقدم أنه قال لهم ذلك عند ابتداء خروجهم حين خافوا من بني كنانة ، وكان وحده ويجوز ان يكون جنده لحقوا به فلا منافاة . فلما رأى الشيطان جبريل والملائكة وكانت يده في يد الحرث بن هشام المخزومي أخي ابي جهل ، انتزع يده من يده ثم نكص على عقبيه وتبعه جنده فقال له الحرث : يا سراقة أتزعم انك جار لنا ؟ فقال : ﴿ اني بريء منكم ، إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب ﴾ فتشبث به الحرث وقال له : والله لا أرى إلا خفافيش يثرب ، فضربه إبليس في صدره فسقط وفرّ من بين يديه . قال الحرث : ما علمت انه الشيطان إلا بعد ان أسلمت .

وذكر السهيلي : ان من بقي من قريش بعد وقعة بدر وهرب الى مكة وجدوا سراقة بمكة فقالوا له : يا سراقة خرقت الصف وأوقعت فينا الهزيمة فقال : والله ما علمت بشيء من أمركم وما شهدت فما صدقوه حتى أسلموا وسمعوا ما أنزل الله ، فعلموا انه إبليس . يروى انه لما ضرب الحرث في صدره لم يزل ذاهباً حتى سقط في البحر ، ورفع يديه ، وقال : يا رب موعدك الذي وعدتني ، اللهم إني أسألك نظرتك اياي يعني قوله تعالى ﴿ إنك من المنظرين ﴾ وخاف أن يخلص اليه القتل . وفي قصة مجيء الشيطان وفراره ونكصه ، يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

سرنا وساروا الى بدر لحينهم ... لو يعلمون يقين العلم ما ساروا
دلاهم بغرور ثم اسلمهم . ... إن الخبيث لمن والاه غرر

ولما نكص الشيطان على عقبيه قال ابو جهل لعنه الله يا معشر الناس ، لا يهمنكم خذلان سراقة فانه كان على ميعاد من محمد ولا يهمنكم قتل عتبة وشيبة والوليد فانهم عجلوا فواللات والعزى لانرجع حتى نقرن محمداً وأصحابه بالحبال ، وصار يقول : لا تقتلوهم خذوهم باليد وجاء انه كان مع المسلمين يوم بدر من مؤمني الجنّ سبعون ، لكن لم يثبت انهم قاتلوا ، بل كانوا مدداً فقط .

وجاء ان جبريل عليه السلام جاء للنبيﷺ وقال له : يا محمد إن الله بعثني اليك

وأمرني أن لا أفارقك حتى ترضى . ثم خرج رسول الله ﷺ من العريش الى الناس فحرضهم وقال : والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبراً لا أدخله الله الجنة ، فقال عمير بن الحمام ـ بضم الحاء وتخفيف الميم ـ ، وفي يده تمرات يأكلهنّ بخ بخ ، وهي كلمة تقال لتعظيم الأمر والتعجب منه ، أما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ، ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل رضي الله عنه . وفي رواية : أنه ﷺ قال ﴿ قوموا الى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴾ فقام عمير بن الحمام وقال : بخ بخ فقال رسول الله ﷺ له : لم تبخبخ اي لم تتعجب ؟ فقال : رجاء ان أكون من أهلها .

وفي رواية : ما يحملك على قولك بخ بخ ؟ قال : لا والله يا رسول الله إلا رجاء ان أكون من أهلها . فأخذ تمرات فجعل يلوكهنّ ثم قال : والله ان بقيت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة فنبذهنّ وقاتل وهو يقول :

ركضا الى الله بغير زاد	إلا التقى وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد	وكل زاد عرضة النفاد

غير التقى والبر والرشاد

ولا زال يقاتل حتى قتل رضي الله عنه ثم أخذ رسول الله ﷺ حفنة من الحصى . وفي رواية : قبضة من تراب . وفي رواية : قال لعلي رضي الله عنه : ناولني فاستقبل قريشاً ثم قال : شاهت اي قبحت الوجوه ، اللهم أرعب قلوبهم وزلزل أقدامهم ، ثم نفحهم اي رماهم بها فلم يبق من المشركين رجل الا امتلأت عينه . وفي رواية : وانفه وفمه لا يدري أين يتوجه يعالج التراب لينزعه من عينيه ، فانهزموا وردفهم المسلمون يقتلون ويأسرون وإلى هذا أشار سبحانه وتعالى بقوله ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ ووقع مثل ذلك في غزوة أحد وغزوة حنين ، وبهذا يجمع بين الروايات وقاتل ﷺ بنفسه يوم بدر قتالاً شديداً وكذا أبو بكر رضي الله عنه فكما كانا في العريش مجتهدين في الدعاء قاتلا بأبدانهما جمعاً بين المقامين ، ولما خرج ﷺ من العريش قال ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ .

وروى ابن سعد انه : لما انهزم المشركون دنا رسول الله ﷺ في أثرهم بالسيف مصلتاً

يتلو هذه الآية ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ وهذه الآية نزلت بمكة ، وكانت هزيمة الجند يوم بدر . وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية سيهزم الجمع قلت : أي جمع ؟ فلما كان يوم بدر وانهزمت قريش نظرت الى رسول الله ﷺ في آثارهم بالسيف مصلتاً يقول : سيهزم الجمع ويولون الدبر ، فكانت ليوم بدر أخرجه الطبراني في الاوسط . والى رميه ﷺ بالحصى أشار صاحب الهمزية بقوله :

ورمى بالحصى فأقصد جيشاً ما العصا عنده وما الالقاء

وقال ﷺ لأصحابه : من قتل قتيلاً فله سلبه ومن أسر أسيراً فهو له . ولما وضع القوم أيديهم يأسرون نظر رسول الله ﷺ الى سعد بن معاذ رضي الله عنه ،فوجد في وجهه الكراهية لما يصنع القوم . فقال له رسول الله ﷺ لكأنك يا سعد تكره ما يصنع القوم ؟ قال : اجل ، والله يا رسول الله كانت أوّل وقعة أوقعها الله بأهل الشرك ، فكان الاثخان في القتل اي الإكثار منه والمبالغة فيه ، أحب إليّ من استبقاء الرجال وذكر بعضهم ان النبي ﷺ قال لأصحابه : اني قد عرفت أن رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا إكراهاً لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله اي بل يأسره . وقال من لقي أبا البختري بن هشام فلا يقتله اي لأنه ممن قام في نقض الصحيفة . ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله .

فقال ابو حذيفة بن عتبة بن ربيعة : انقتل آباءنا وأبناءنا واخواننا وعشيرتنا ونترك العباس ؟ لئن لقيته يعني العباس لألجمنه السيف ، وقال ذلك لأن أباه عتبة وعمه شيبة وأخاه الوليد أوّل من قتل من الكفار مبارزة ، وعشيرته وهي بنو عبد شمس قد قتل منهم جماعة . فبلغت تلك المقالة رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب : يا أبا حفص أيضرب وجه عم رسول الله ﷺ بالسيف ؟ فقال عمر : والله لأنه أوّل يوم كناني فيه رسول الله ﷺ بأبي حفص . ثم قال عمر : يا رسول الله دعني أضرب عنقه يعني أبا حذيفة بالسيف فوالله لقد نافق ، فأبى رسول الله ﷺ ، فكان ابو حذيفة رضي الله عنه يقول : ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلتها يومئذ ، ولا أزال منها خائفاً إلا ان تكفرها عني الشهادة ، فقتل شهيداً يوم اليمامة عند قتالهم لمسيلمة الكذاب ، وأهل الردة في جملة

من قتل فيها من الصحابة وهم أربعمائة وخمسون وقيل : ستمائة رضي الله عنهم أجمعين . ولقي المجذر أبا البختري فقال له : ان رسول الله ﷺ قد نهانا عن قتلك فقال : وزميلي اي رفيقي ؟ وكان معه زميل قد خرج معه من مكة يقال له جنادة بن مليحة . فقال له المجذر : لا والله ما نحن بتاركي زميلك ما أمرنا رسول الله ﷺ الا بك وحدك . قال : لا والله لأموتن أنا وهو جميعاً لا تتحدث عنا نساء مكة أني تركت زميلي يقتل حرصاً على الحياة فقتله المجذر بعد أن قاتله ، ثم أتى رسول الله ﷺ فقال ، والذي بعثك بالحق لقد جهدت عليه ان يستأسر فآتيك به ، فأبى الا ان يقاتلني فقاتلني فقتلته . وكان من جملة من خرج مع المشركين يوم بدر عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وكان اسمه قبل الاسلام عبد الكعبة وقيل : عبد العزى فسماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن ، وكان من أشجع قريش وأشدهم رماية وكان أسنّ اولاد ابي بكر رضي الله عنه . وكان فيه دعابة فلما أسلم قال لأبيه ابي بكر رضي الله عنه لقد اهدفت لي اي ارتفعت لي يوم بدر مراراً فصدفت عنك اي اعرضت ، فقال له ابو بكر رضي الله عنه لو هدفت لي لم اعرض عنك ، والمراد من كونه أهدف له اي ارتفع له وهو لا يشعر بذلك فلا ينافي ما قيل ان عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنهما يوم بدر دعا الى البراز فقام اليه ابو بكر رضي الله عنه ليبارزه فقال له رسول الله ﷺ : متعنا بنفسك يا أبا بكر . أما علمت انك عندي بمنزلة سمعي وبصري . وأنزل الله تعالى ﴿ يا أيها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾ وفي بعض السير ان الصديق قال لولده عبد الرحمن يوم بدر وهو مع المشركين : لم يسلم ابن مالي يا خبيث . فقال له عبد الرحمن : كلا ما معناه لم يبق الا عدة الحرب التي هي السلاح وفرس سريعة الجري ، تقاتل عليها شيوخ الضلال .

وروى ابن مسعود رضي الله عنه الى الصديق رضي الله عنه دعا ابنه عبد الرحمن الى المبارزة يوم أحد فقال له النبي ﷺ : متعنا بنفسك أما علمت انك مني بمنزلة سمعي وبصري ؟ فأنزل الله تعالى ﴿ يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ﴾ ولا مانع من التعدد حتى في نزول الآية واستبعد بعضهم كون ابي بكر يدعو للمبارزة بعد نزولها اولا في بدر فلعل ذكر أحد من الاشتباه على بعض الرواة . وبه يردّ ما ذكر ان سببها ان أبا بكر رضي الله عنه سمع والده أبا قحافة يذكر النبي ﷺ بشر فلطمه لطمة سقط منها . فاخبر ابو بكر النبي ﷺ فقال له : لا تعد لمثلها . فقال : والله لو حضرني السيف لقتلته .

وفي كلام الزمخشري : ان عبد الرحمن أسلم رضي الله عنه في هدنة الحديبية وهاجر الى المدينة ومات سنة ثلاث وخمسين بمحل بينه وبين مكة ستة أميال ، فحمل على أعناق الرجال الى مكة ودفن بها وقدمت أخته عائشة رضي الله عنها من المدينة فأتت قبره فصلت عليه . واما ابو قحافة والد أبي بكر رضي الله عنه فأسلم عام الفتح رضي الله عنه وعاش الى أول خلافة الصديق رضي الله عنه ثم توفي بالمدينة ، ولم يعرف خليفة ولي الخلافة في حياة ابيه غير ابي بكر رضي الله عنه .

وفي هذا اليوم أعني يوم بدر قتل أبو عبيدة بن الجراح أباه وكان مشركاً وكان أبوه قد قصده ليقتله ، فولى عنه ابو عبيدة لينكف عنه ويرجع ، فلم ينكف فرجع اليه وقتله . وانزل الله تعالى ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم ﴾ الآية .

وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال : لقيت أمية بن خلف وكان صديقاً لي في الجاهلية ومعه ابنه علي آخذاً بيده ، وكان معي أدراع استلبتها من القوم فانا أحملها ، فلما رآني امية ناداني باسمي الاوّل يا عبد عمرو ، فلم أجبه . فناداني يا عبد الإله فأجبته ، وذلك انه كان قال لي لما سماني رسول الله ﷺ عبد الرحمن أترغب عن اسم سماك به أبوك ؟ فقلت : نعم فقال : الرحمن لا أعرفه ولكني اسميك بعبد الإله فلما ناداني بعبد الآله قلت : نعم . ثم قال هل لك فيّ فانا خير لك من هذه الادراع التي معك ؟ قلت : نعم فطرحت الادراع من يدي واخذت بيده وبيد ابنه علي وهو يقول : ما رأيت كاليوم قط . ثم قال لي : يا عبد الآله من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره أي كانت في درعه بحيال صدره ؟ قلت : ذلك حمزة بن عبد المطلب قال : ذاك الذي فعل بنا الافاعيل ، قال عبد الرحمن : ثم خرجت امشي بهما فوالله إني لأقودهما إذ رآه بلال معي ، وكان هو الذي يعذب بلالاً بمكة على ان يترك الاسلام كما تقدم ، فقال بلال : يا انصار رسول الله هذا أمية بن خلف رأس الكفر لانجوت ان نجا فقلت : يا بلال أبأسيري تفعل ذلك ؟ قال : لا نجوت ، ان نجا وكررت وكرر ذلك ، ثم صرخ بأعلى صوته : يا أنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت ان نجا ، فأحاطوا بنا فأصلت بلال السيف اي سله من غمده وضرب رجل علي بن امية ، فوقع وصاح أمية صيحة ما سمعت مثلها قط .

وفي رواية البخاري عن عبد الرحمن بن عوف ان بلالاً لما استصرخ الأنصار قال :

خشيت ان يلحقونا ، فخلفت لهم ابنه لأشغلهم به فقتلوه ثم اتونا حتى لحقوا بنا ، وكان امية رجلاً ثقيلاً فقلت : أبرك فبرك فألقيت عليه نفسي لأمنعه ، فتخللوه بالسيوف من تحتي حتى قتلوه ، فأصاب احدهم رجلي بسيفي اي ظهر قدمه ، والذي باشر قتله مع بلال معاذ ابن عفراء وخارجة بن زيد وحبيب بن أساف فهم اشتركوا في قتله . قال ابن اسحق : وأما ابنه علي فقتله عمار بن ياسر وحبيب بن اساف ، وكان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يقول : رحم الله بلالاً ذهبت ادراعي وفجعني بأسيري . وفي رواية : فلا أدراعي ولا أسيري ، وهنأ أبو بكر رضي الله عنه بلالاً حين قتل امية بأبيات منها قوله :

هنيئـا زادك الرحمـن خيراً فقـد أدركت ثأرك يا بلال

وقال رسول الله ﷺ : من له علم بنوفل بن خويلد ؟ فقال علي رضي الله عنه أنا قتلته . فكبر رسول الله ﷺ وقال : الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه . فانـه لما التقى الصفان نادى نوفل بصوت رفيع : يا معشر قريش اليوم يوم الرفعة والعلى . فقال رسول الله ﷺ : اللهم اكفني نوفل بن خويلد . . .

وفي صحيح مسلم : عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه انه قال : اني لواقف يوم بدر في الصف فنظرت عن يميني وعن شمالي واذا انا بين غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما فغمزني احدهما سراً من صاحبه فقال : يا عم ، هل تعرف أبا جهل بن هشام ؟ فقلت : نعم وما حاجتك به ؟ قال : بلغني انه كان يسب النبي ﷺ ، والذي نفسي بيده لو رأيته لم يفارق سوادي سواده حتى يموت إلا عجل منا أي الأقرب اجلا ، فغمرني الآخر فقال مثلها سراً من صاحبه ، فعجبت لذلك اي لحرص كل منهما على ذلك ، واخفائه عن صاحبه ليكون هو المختص به فلم أنشب اي ألبث ان نظرت الى ابي جهل يزول في الناس أي يتحول من محل الى محل آخر فقلت لهما : ألاتريان هذا صاحبكما الذي تسـألان عنـه ؟ فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه اي أشرفا به الى القتل وصيراه الى حركة المذبوح ، وسيأتي ان ابن مسعود رضي الله عنه هو الذي تمم قتله ، ثم انصرفا الى رسـول الله ﷺ فأخبراه فقال : ايكما قتلـه ؟ فقـال كل واحـد منهما : انـا قتلتـه . قال : هل مسـحتما سيفيكما ؟ قالا : لا ، فنظر رسول الله ﷺ في السيفين فقال : كلاهما قتله ، وقضى بسلبه لهما ، الا السيف ، فسيأتي انه قضى به لابن مسعود .

قال ابن اسحق : ان ابا جهل لما نزل القتال أقبل يرتجز ويقول :

ما تنقم الحرب العوان مني بازل عامين حديث سني
لمثل هذا ولدتني أمي

فأذاقه الله الهوان وقتله شرّ قتلة ، وجعل ذلك حسرة عليه وجاء في الحديث : ان الله قتل ابا جهل ، فالحمد لله الذي صدق وعده .

ولما انقضى القتال وانهزم المشركون امر رسول الله ﷺ ابـي جهـل ان يلتمس في القتلى . وقال : ان حفي عليكم اي بان قطع رأسه وأزيل عن جثته فانظروا الى اثر جرح في ركبته ، فاني ازدحمت يوماً انا وهو على مائدة لعبد الله بن جدعان ، ونحن غلامان وكنت أشف منه اي اكبر منه بيسير ، فدفعته فوقع على ركبتيه فجحش اي خدش على احداهما جحشاً لم يزل اثره به وهذا هو مراد بعضهم بقوله : ان النبي ﷺ صارع ابا جهل فصرعه ، فخرج الناس يلتمسونه في القتلى ، وفيهم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه . قال عبد الله : فرأيت أبا جهل وهو بآخر رمق فعرفته فوضعت رجلي على عنقه ، ثم قلت له : قد اخزاك الله يا عدوّ الله قال وبم أخزاني ؟ أعار علي رجل قتلتموه اي ليس بعار على رجل قتلتموه . وفي رواية : لا رجل اعمد من رجل قتلتموه اي انا سيد رجل قتلتموه لان عميد القوم سيدهم ، اي فلا عار علي في قتلكم اياي ، وفي رواية : وهل اشرف من رجل قتله قومه ؟ ثم قال له : لو غير أكار قتلني ، والأكار الزراع يعني الأنصار لأنهم كانوا أصحاب زرع اي لو كان الذي قتلني غير فلاح لكان أعظم لشأني ، ولم يكن عليّ نقص . ثم قال لابن مسعود: اخبرني لمن الدبرة اي النصرة والظفر اليوم لنا أو علينا ؟ قلت : لله ولرسوله ﷺ . وسأل ابن مسعود عن اهل الاجسام الطوال الذين يقتلون ويأسرون فينا . فقال له : أولئك الملائكة . فقال : هم الذين غلبونا لا أنتم . وهذا غاية في كفره وعناده ، حيث تحقق ذلك كله ولم يؤمن بالله وبرسوله ﷺ . ثم ان ابن مسعود رضي الله عنه وطىء على عنقه وعلا فوق صدره يريد حز رأسه . فقال له : لقد ارتقيت يا رويعي الغنم مرتقى صعباً .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : فضربته بسيفي لأحز رأسه فلم يغن عني شيئاً

فبصق في وجهي وقال : خذ سيفي واحتز به رأسي من عرشي ليكون أنهى للرقبة والعرش عرق في اصلي الرقبة ففعلت كذلك . وجاء انه قال لابن مسعود رضي الله عنه : احتز من اصل العنق ليرى عظيماً مهاباً في عين محمد وقل له : ما زلت عدواً لي سائر الدهر ، واليوم اشد عداوة ، ولما اتى النبيﷺ برأسه وأخبره بقوله قال : كما اني أكرم النبيين على اللهوأمتي أكرم على الله ، كذلك فرعون هذه الأمة أشد وأغلظ من فراعنة سائر الأمم ، اذ فرعون موسى حين ادرك الغرق قال : آمنت انه لا إلّه الا الذي آمنت به بنو اسرائيل . وفرعون هذه الأمة ازداد عداوة وكفرا .

وفي رواية : قال ابن مسعود رضي الله عنه : ثم جئت برأسه الى رسول اللهﷺ فقلت : يا رسول الله هذا رأس عدوّ الله ابي جهل . فقال رسول اللهﷺ : الله الذي لا إلّه غيره وردها ثلاثاً قلت : نعم والله الذي لا إلّه غيره . ثم ألقيت رأسه بين يدي رسول الله ﷺ فحمد الله ، وجاء انه سجد خمس سجدات شكراً . وفي رواية : صلى ركعتين وقال : الحمد لله الذي اعز الاسلام واهله الله اكبر الحمدلله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده . وكون ابي جهل بصق في وجه ابن مسعود وقال له : خذ سيفي الى آخر ما تقدم بنا في كونه وصل الى حركة المذبوح إلا ان يقال يجوز ان يكون في اول الأمر حين ضربه الانصار ، وصل الى حركة المذبوح فتركوه ثم تراجعت اليه روحه حتى قدر على ما ذكر فذفف عليه ابن مسعود رضي الله عنه .

قال ابن قتيبة : ذكر ان ابا جهل قال لابن مسعود رضي الله عنه وهما بمكة : لأقتلنك . فقال : والله لقد رأيت في النوم اني اخذت حدجة حنظل فوضعتها بين كتفيك ورأيتني أضرب كتفيك ، ولئن صدقت رؤياي لأطأن على رقبتك ولأذبحنك ذبح الشاة ، فكان في تذفيف ابن مسعود رضي الله عنه عليه تصديق تلك الرؤيا . جاء في رواية : ان ابن مسعود وجده متقنعاً في الحديد وهو منكبّ لا يتحرك ، فرفع سابغة البيضة عن قفاه فضربه فوقع رأسه بين يديه .

وروى الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : انتهيت الى ابي جهل وهو صريع وعليه بيضة ومعه سيف جيد ، ومعي سيف جيد ، ومعي سيف رديء فجعلت أنتف رأسه وأذكره نتفاً كان ينتف رأسي بمكة ، فأخذت سيفه فرفع رأسه فقال : على من كانت الدبرة ؟ ألست برويعينا بمكة فقتلته ؟ ثم سلبته فلما نظر اليه إذ هو ليس به جراح وإنما

هي اخدار وأورام في عنقه ويديه وكتفيه كهيئة آثار السياط اي آثار سود كسمة النار ليس به جراح من جراح الآدميين اي في داخل بدنه ، فلا ينافي ما تقدم من قطع ابـن الجمـوح لرجله ، ومن ضرب ابن عفراء له حتى اثبته فأتى ابن مسعود رضي الله عنه النبيﷺ فاخبره به اي بالضرب الذي كهيئة السياط فقال : ذاك ضرب الملائكة . وعن بعض الصحابـة رضي الله عنهم ، قال: كنا ننظر الى المشرك امامنا مستلقياً فننظر اليه فاذا هو قد حطم انفه وشق وجهه كضربة بالسوط فاخضر ذلك الموضع .

وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه عن أبيه رضي الله عنه قال : لقد رأيتنا يوم بدر وان احدنا ليشير بسيفه الى المشرك اي يرفعه عليه فيقع رأسه عن جسده قبل ان يصل اليه السيف . وقد جاء ان الملائكة كانت لا تعلم كيف تقتـل الآدميين ، فعلمهـم الله ذلك بقوله : ﴿ فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ﴾ اي مفصل ، فكانوا يعرفون قتلى الملائكة من قتلاهم بآثار سود كسمة النار . وفي رواية وصف ذلك الأثر بالخضرة ولا منافاة لأن الأخضر لشدة خضرته ربما قيل فيه اسود وتلك الآثار بعد مفارقة الرأس او اليد من فعل الملائكة . وجاء ان بعض ضربهم كان في الكتفين ، وفي الوجه والأنف واكثره فوق الأعناق والبنان ، وفسر بعضهـم الأعنـاق بالـرؤوس ، والضرب في الأعنـاق تارة يفصلها وتارة لأوفى الحالين يرى اثر ذلك اسود في العنق ليستـدل به على انـه من فعـل الملائكة .

وجاء ان النبيﷺ وقف على القتلى والتمس ابا جهل فلم يجده حتى عرف ذلك في وجهه ثم قال : اللهم لا تعجزني فرعون هذه الأمة ، فسعى له الرجال حتى وجده ابن مسعود الحديث . وفي الصحيحين عن انس رضي الله عنه لما قال رسول اللهﷺ : من ينظر لنا ما صنع ابو جهل ؟ انطلق ابن مسعود رضي الله عنه فوجده قد ضربه ابن عفراء حتى برد . وفي رواية : ترك فأخذ بلحيته فقال : انت ابو جهل ، الحـديث . ولما جاء ابـن مسعود يخبر النبيﷺ بأنه وجده فقتله اي تمم قتله قال له عقيل بن ابي طالب وكان قبل اسلامه رضي الله عنه وهو أسير عند النبيﷺ : كذبت ما قتلته . قال : فقلت له بل انت الكذاب الآثم يا عدو الله قد والله قتلته . قال فما علامته ؟ قلت : ان بفخذه حلقة كحلقة الجمل المحلق . قال : نعم وهذا هو اثر الجحش الذي جحشه اياه النبيﷺ كما تقدم . ولا منافاة بين اخبار ابن مسعود النبيﷺ بقتل ابي جهل ومجيئه برأسـه ، لاحتمال ان

يكون اخبر أولاً ثم رجع وجاء برأسه ، وتكذيب عقيل لابن مسعود يحتمل ان يكون في اصل قتل ابي جهل ، وانه يعتقد انه ما قتل بل هو حي مع قومه ، او التكذيب في ان ابن مسعود هو القاتل . ويريد ان القاتل غيره كالأنصار . ثم ان النبيﷺ بعد القاء الرأس بين يديه خرج يمشي مع ابن مسعود رضي الله عنه حتى اوقفه على ابي جهل فقال : الحمد لله الذي أخزاك يا عدوّ الله . هذا كان فرعون هذه الأمة ورأس قاعدة الكفر .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : ونفلني سيفه اي اعطانيه وكان قصيراً عريضاً فيه قبائع فضة وحلق فضة . وعن قتادة : ان رسول اللهﷺ قال : ان لكل امة فرعوناً وان فرعون هذه الأمة ابو جهل ، قتله الله شرّ قتلة ـ بكسر القاف ـ لبيان الهيئة قتلته الملائكة . وفي رواية : قتله ابن عفراء اي وابن الجموح ، وقتلته الملائكة واجهز عليه ابن مسعود رضي الله عنه وعن معاذ بن عمرو بن الجموح رضي الله عنه قال : رأيت ابا جهل وقد أحاطوا به وهم يقولون : ابو الحكم لا يخلص اليه ، فلما سمعتها عمدت نحوه وحملت عليه فضربته ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه اي أسرعت قطعه ، فوالله ما شبهتها حين طاحت ، الا بالنواة تطيح من تحت مرضخة النوى فضربني ابنه عكرمة رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك على عاتقي ، فطرح يدي فتعلقت بجلدة من جسمي وأجهضني القتال اي شغلني فلقد قاتلت عامة يومي واني لأسحبها خلفي ، فلما آذتني وضعت عليها قدمي ثم تمطيت عليها حتى طرحتها ، ثم جئت بها الى رسول اللهﷺ ، فبصق عليها وألصقها فلصقت . قال ابن اسحق : وعاش رضي الله عنه الى خلافة عثمان رضي الله عنه وهو صحيح سليم . ثم بعد ضربة ابن الجموح لأبي جهل جاءه وهو عقير معوذ ـ بضم الميم وتشديد الواو مفتوحة ومكسورة ـ ابن عفراء فضربه حتى اثبته اي اثخنه وتركه وبه رمق ، حتى جاء ان مسعود فذفف عليه هكذا بجمع بين الروايات ، فان في بعضها قتله ابن الجموح ، وفي بعضها : ابن عفراء ، وفي بعضها : ابن مسعود رضي الله عنهم ومعوذ هذا لا يزال يقاتل حتى قتل رضي الله عنه .

وجاء في بعض الروايات : ان ابن الجموح ومعاذاً ومعوّذاً ابني عفراء اشتركوا في قتل ابي جهل ، فلعل معاذاً اعان اخاه معوّذاً وكان معه في ذلك ، وقد جاء في الحديث : رحم الله ابني عفراء اشتركا في قتل فرعون هذه الأمة ، قيل له : يا رسول الله من قتله معهما ؟ قال : الملائكة وعفراء اسم امهما وأبوهما اسمه الحرث وقيل : ان معاذ بن عمرو

ابن الجموح اخوهما لأمهما . فان كلا من الحرث وعمرو بن الجموح تزوج عفراء فيصح ان يقال في ابن الجموح انه ابن عفراء ، فلا تنافي بين الروايات . ولذا قال ﷺ : يرحم الله ابني عفراء ، قد اشتركا في قتل فرعون هذه الأمة ورأس ائمة الكفر . وقد كان ابو جهل اشد الناس عداوة وحسداً للنبي ﷺ ولم يلق ﷺ من احد من الأذية مثل ما لقي من ابي جهل لعنه الله . وكان مقارباً للنبي ﷺ في السن ، وكان بينه وبينه قبل البعثة شدة مخالطة ومصاحبة . فلما بعثه الله ﷺ كان أشد الناس له حسداً وعداوة ولم يزل على ذلك حتى أهلكه الله يوم بدر ، وهو يوم البطشة الكبرى ، وكان أشد الناس اجتهاداً في إخراج النفير . ولما أرادوا الخروج من مكة اخذ بأستار الكعبة هو وبقية قريش وقالوا : اللهم انصر أعلى الجندين ، وأجل الفئتين ، وأكرم الحزبين ، وأفضل الدينين وفي ذلك نزل قوله تعالى ﴿ ان تستفتحوا ـ اي تطلبوا الفتح اي النصر ـ فقد جاءكم الفتح ﴾ الآية ، ولما دنا القوم بعضهم من بعض يوم بدر قال : اللهم أقطعنا للرحم فأحنه اي أهلكه الغداة . اللهم من كان أحب اليك وأرضى عندك فانصره . وفي لفظ : اللهم اولانا بالحق فانصره فقوله تعالى ﴿ ان تستفتحوا ﴾ الخ شامل لذلك كله .

وفي رواية : انه قال يوم بدر : اللهم انصر أفضل الدينين عندك وأرضاهما لك . وفي رواية : اللهم انصر خير الدينين . اللهم ديننا القديم ودين محمد الحادث . وقد استجاب الله دعاءه . وكان ذلك عليه لا له ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون . وكان رأسه اول رأس حمل في الاسلام . وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض قد أرسلوها خلف ظهورهم إلا جبريل عليه السلام . فانه كان عليه عمامة صفراء وقيل : حمراء . وقيل : بعض الملائكة كانوا بعمائم صفر ، وبعضهم بعمائم بيض ، وبعضهم بعمائم سود ، وبعضهم بعمائم حمر ، جمعاً بين الروايات . بل صرح بذلك في رواية عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ كان سيما الملائكة يوم بدر عمائم قد ارخوها بين أكتافهم خضر وصفر وحمر اي وبيض وسود ، وكان الزبير بن العوّام رضي الله عنه يوم بدر متعمماً بعمامة صفراء . فقال ﷺ : نزلت الملائكة اي بعضهم بسيما ابي عبد الله يعني الزبير وقد ذكر ان الزبير رضي الله عنه قاتل يوم بدر قتالاً شديداً حتى كان الرجل يدخل يده في الجراح التي في ظهره وكان شعار الانصار اي علامتهم التي يتعارفون بها في ذلك إذا جاء الليل أو وقع اختلاط أحد أحد . وشعار المهاجرين يا منصور أمت ويقال : احد أحد . كانت خيل الملائكة بلقاً مسوّمة اي مزينة وكان ذلك بوضع الصوف في نواصي الخيل وأذنابها . وفي

رواية العهن الاحمر والابيض . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : حدثني رجل من بني غفار قال : اقبلت انا وابن عم لي حتى صعدنا على جبل مشرف بنا على بدر ونحن مشركان ننتظر على من تكون الدبرة اي الغلبة وقيل : بمعنى الهزيمة ، والأول ارجح فننهب مع من ينهب فبينا نحن في الجبل واذ سحابة فسمعنا فيها حمحمة الخيل فسمعت قائلاً يقول : اقدم حيزوم ، فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه اي غشاؤه فمات مكانه . وأما انا فكدت أهلك ثم تماسكت . وقوله : أقدم ـ بضم الدال ـ من التقدم كلمة يزجر بها الخيل ، وحيزوم قيل : اسم فرس جبريل ـ عليه السلام ـ وفي اثر مرسل ان رسول الله ﷺ قال لجبريل ـ عليه السلام ـ من القائل يوم بدر من الملائكة : اقدم حيزوم ؛ فقال جبريل : ما كل أهل السماء أعرف .

قال ابن كثير : وهذا الاثر يردّ قول من زعم ان حيزوم اسم فرس جبريل وفيه انه لا يبعد أن يقول احد من الملائكة لفرس جبريل اقدم حيزوم ولا يعرف جبريل ذلك القائل .

وفي رواية : جاءت سحابة فسمعنا أصوات الرجال والسلاح ، وسمعنا قائلاً يقول لفرسه : أقدم حيزوم ، فنزلوا عن ميمنة رسول الله ﷺ . ثم جاءت سحابة اخرى فنزل منها رجال كانوا على ميسرته ﷺ ، فاذا هم على الضعف من قريش ، فمات ابن عمي . وأما انا فتماسكت وأخبرت النبي ﷺ وأسلمت . وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الغمام الذي ظلل بني اسرائيل في التيه هو الذي جاءت فيه الملائكة يوم بدر . وعنه ايضا قال : بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين امامه اذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول أقدم حيزوم ، فنظر الى المشرك أمامه فخر مستلقياً فننظر اليه ، فاذا هو قد حطم أنفه ، وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك اجمع . فجاء ذلك الأنصاري ، فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال : صدقت ذلك من مدد السماء . . .

وعن علي رضي الله عنه وكرم وجهه قال : هبت ريح شديدة يوم بدر ما رأيت مثلها قط . ثم جاءت اخرى كذلك ، ثم جاءت اخرى كذلك ، فكانت الأولى جبريل نزل في ألف من الملائكة امام النبي ﷺ ، وكانت الثانية ميكائيل نزل في الف من الملائكة عن يمين رسول الله ﷺ ، وكانت الثالثة إسرافيل في الف من الملائكة عن ميسرة رسول الله ﷺ .

وفي مسلم عن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه انه رأى عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد يقاتلان كأشد القتال

يعني جبريل وميكال .

وانكسر سيف عكاشة رضي الله عنه وهو بتشديد الكاف اكثر من تخفيفها ابن محصن الأسدي رضي الله عنه وهو يقاتل به فأعطاه رسول الله جذلاً من حطب أي أصلاً من أصول الحطب ، وقال : قاتل بهذا يا عكاشة فلما أخذه من رسول الله ﷺ هزه فعاد في يده سيفاً طويل القامة شديد المتن ابيض الحديد فقاتل به حتى فتح الله تعالى على المسلمين ، وكان ذلك السيف يسمى العون ، ثم لم يزل عند عكاشة ، وشهد به المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ حتى قتل وهو عنده ، في قتال اهل الردة في زمن الصديق رضي الله عنه ثم لم يزل متوارثاً عند آل عكاشة ، وسيأتي مثل ذلك في غزوة احد لعبد الله بن جحش رضي الله عنه وجاء في فضل عكاشة رضي الله عنه انه ممن يدخل الجنة بغير حساب ، وانكسر سيف سلمة بن اسلم رضي الله عنه فأعطاه رسول الله ﷺ قضيباً كان في يده اي عرجوناً من عراجين النخل وقال : اضرب به فاذا هو سيف جيد فلم يزل عنده ، وضرب خبيب رضي الله عنه فمال شقه فتفل عليه رسول الله ﷺ ولأمه ورده فانطبق ، ورمى رفاعة بن مالك رضي الله عنه بسهم ففقئت عينه فبصق عليها رسول الله ﷺ ودعا له فما آذاه شيء منها ورجعت كما كانت .

ثم أمر رسول الله ﷺ بالقتلى من المشركين ان ينقلوا من مصارعهم وان يطرحوا في القليب فطرحوا في القليب الا ما كان من أمية بن خلف فانه انتفخ في درعه فملأه ، فذهبوا ليحركوه فتزايل اي تقطعت اوصاله فألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة .

قال السهيلي : وانما ألقوا في القايب ولم يدفنوا لأنه عليه الصلاة والسلام كره ان يشق على أصحابه لكثرة جيف الكفار أن يأمرهم بدفنهم ، فكان جرهم الى القليب أيسر اليهم . وفيه أيضاً إشارة الى أن الحربي لا يجب دفنه ، بل يجوز اغراء الكلام على جيفته ولما ألقي عتبةوالد أبي حذيفة رضي الله عنه في القليب تغير وجه أبي حذيفة ففطن له رسول الله ﷺ فقال له : فعلك دخلك من شأن ابيك شيء ؟ فقال : لا والله ولكني كنت أعرف من أبي رأياً وحلماً وفضلاً فكنت أرجو أن يهديه الله للاسلام ، فلما رأيت ما مات عليه أحزنني ذلك فدعا له رسول الله ﷺ بخير وقال له خيراً .

وجاء ان أبا حذيفة رضي الله عنه أراد ان يبارز أباه ويقتله لما طلب المبارزة فنهاه

النبيﷺ عن قتل أبيه وان تمكن منه ثم بعد إلقائهم في القليب بثلاثة ايام جاء رسول اللهﷺ حتى وقف على شفير القليب وجعل يناديهم بأسمائهم ويقول : يا فلان ابن فلان ، ويا فلان ابن فلان ، هل وجدتم ما وعد الله ورسوله حقاً ؟ فاني وجدت ما وعدني الله حقاً وجاء في بعض الطرق ناداهم بأسمائهم ، فقال : يا عتبة بن ربيعة يا شيبة بن ربيعة ويا أمية بن خالمة ويا أبا جهل بن هشام ، وانما ذكر أمية بن خلف وإن لم يكن من أهل القليب لأنه كان قريباً من القليب . وفي رواية : قال لهمﷺ بئس عشيرة كنتم لنبيكم ، كذبتموني وصدقني الناس ، واخرجتموني وآواني الناس ، وقاتلتموني ونصرني الناس . فقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه : يا رسول الله ، كيف تكلم أجساد الأرواح فيها ؟ فقال : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير انهم لا يستطيعون ان يردوا شيئاً . وفي رواية : يسمعون كما تسمعون ولكن لا يجيبون . وعن قتادة : أحياهم الله حتى سمعوا كلام رسول اللهﷺ توبيخاً وتصغيراً وندمة وحسرة عليهم . والمراد باحيائهم شدة تعلق ارواحهم بأجسادهم حتى صاروا كالأحياء في الدنيا لأن الروح بعد مفارقة الجسد يصير لها تعلق به ، وبواسطة ذلك التعلق يعرف الميت من يزوره ويأنس به ويرد سلامه إذا سلم ولا يصير الميت به حياً كحياة الدنيا ، لكنه قد يقوى في نحو الأنبياء والشهداء والصالحين ، حتى يصير كالحي في الدنيا ، ولا يردّ على قوله ما أنتم بأسمع منهم قوله تعالى ﴿ انك لا تسمع الموتى ﴾ لأن المراد لا تسمعهم سماع قبول ، وقد أشار الى ذلك الجلال السيوطي في قوله :

سماع موتى كلام الخلق قاطبة ... جاءت به عندنا الآثار في الكتب
وآية النفي معناها سماع هدى ... لا يقبلون ولا يصغون للادب

وجاء في بعض الروايات : ان النبيﷺ نادى اهل القليب وقال لهم : ما تقدم قبل طرحهم فيه وجمع بين الروايات بأن ذلك تكرر منه . قال لهم ذلك قبل طرحهم وبعد طرحهم ، وسمى من تقدم منهم وهم أربعة ولم يسم الباقين وهم عشرون ، لأن الاربعة المذكورين هم اعظم رؤساء قريش ، وبقية أصحاب القليب من بني عبد مناف ستة : عبيدة، والعاصي ولدا أبي أحيحة سعيد بن العاص بن أمية ، وحنظلة بن أبي سفيان ، والوليد بن عتبة ، والحرث بن عامر ، وطعيمة بن عدي . ومن سائر قريش أربعة عشر نوفل بن عبد ، وزمعة ، وعقيل ابنا الاسود ، والعاص بن هشام أخو أبي جهل ، وأبو

قيس بن الوليد ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج السهمي ، وعلي بن أمية بن خلف ، وعمرو بن عثمان عم طلحة أحد العشرة ، ومسعود بن أبي أمية أخو أم سلمة ، وقيس بن الفاكه بن المغيرة المخزومي ، والاسود بن عبد الاسد اخو ابي سلمة ، وأبو العاص بن قيس بن عدي السهمي ، وامية بن رفاعة . فهؤلاء عشرون تنضم الى الاربعة فتكمل العدة . ولقد أحسن العلامة ابن جابر الاندلسي حيث ذكر قصة بدر في بعض اشعاره فقال :

بدا يوم بدر وهو كالبدر حوله ... كواكب في أفق المواكب تنجلي
وجبريل في جند الملائك دونه ... فلم تغن اعداد العدو المخذل
رمى بالحصى في أوجه القوم رمية ... فشردهم مثل النعام بمجهل
وجادلهم بالمشرفي فسلموا ... فجادله بالنفس كل مجندل
عبيدة سل عنهم وحمزة واستمع ... حديثهم في ذلك اليوم من علي
هموا عتبوا بالسيف عتبة إذا غدا ... فذاق الوليد الموت ليس له ولي
وشيبة لما شاب خوفاً تبادرت ... اليه العوالي بالخضاب المعجل
وجال أبو جهل فحقق جهله ... غداة تردى بالردى عن تذلل
وأضحى قليباً في القليب وقومه ... يؤمونه فيه الى شر منهل
وجاءهم خير الانام موبخاً ... ففتح من أسماعهم كل مقفل
وأخبر ما أنتم بأسمع منهم ... ولكنهم لا يهتدون لمقول
سلا عنهم يوم السلا اذا تضاحكوا ... فعاد بكاء عاجلاً لم يؤجل
الم يعلموا علم اليقين بصدقه ... ولكنهم لا يرجعون لمعقل
فيا خير خلق الله جاهك ملجئي ... وحبك ذخري في الحساب وموئلي
عليك صلاة يشمل الآل عرفها ... وأصحابك الاخيار أهل التفضل

وحكى العلامة ابن مرزوق ان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مر مرة ببدر ، فاذا رجل يعذب ويئن من وجع العذاب ، فلما اجتاز به ناداه يا عبد الله . قال ابن عمر رضي الله عنهما فلا أدري أعرف اسمي ام كما يقول الرجل لمن يجهل اسمه يا عبد الله فالتفت اليه فقال : اسقني فأردت أن أفعل فقال الأسود الموكل بتعذيبه : لا تفعل فان هذا من المشركين الذي قتلهم رسول الله ﷺ ببدر . قال الزرقاني : هو أبو جهل . وقد رواه

الطبراني وابن أبي الدنيا وغيرهما . وفي رواية ابن منده عن ابن عمر رضي الله عنهما بينما أنا سائر بجنبات بدر إذ خرج رجل من حفرة في عنقه سلسلة فناداني يا عبد الله اسقني فلا أدري أعرف اسمي او دعاني بدعاية العرب ، وخرج رجل من تلك الحفرة في يده سوط فناداني : يا عبد الله لا تسقه فانه كافر ، ثم ضربه بالسوط فعاد الى حفرته ، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته بذلك فقال لي : قد رأيته ؟ قلت : نعم قال : ذاك عدوّ الله أبو جهل ، وذاك عذابه الى القيامة . وروى ابن ابي الدنيا عن الشعبي ، ان رجلا قال للنبي ﷺ : انـي مررت ببدر فرأيت رجلاً يخرج من الأرض فيضربه رجل بمقمعة معه حتى يغيب في الأرض ثم يخرج ، فيفعل به مثل ذلك مراراً . فقال ﷺ : ذاك أبو جهل بن هشام يعذب الى يوم القيامة .

وكان جملة من قتل من المشركين سبعين ، وأسر منهم سبعون ، فمن القتلى أهـل القليب المتقدم ذكرهم وهم أربعة وعشرون كلهم من رؤسائهم ، والباقـون من باقيهـم وكان من أفضل الاسرى العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ ، وعقيل بن أبي طالب ، ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب ، وكل هؤلاء أسلموا بعد ذلك رضي الله عنهم وهم من بني هاشم . وممن أسلم من الاسرى من سائر قريش : ابـو العـاص بن الـربيع وزوج السيدة زينب بنت النبي ﷺ ورضي عنها أسلم قبيل فتح مكة ، واثنى عليه المصطفى ﷺ في مصاهرته ورد عليه زينب رضي الله عنه وعنها . وأبو عزيز زرارة بن عمير أخو مصعب بن عمير أسلم يوم بدر بعد الفداء رضي الله عنه ، والسائب بن عبيد ، كذلك أسلم رضي الله عنه بعد الفداء وعدي بن الخبار ، والسائب بن ابي حبيش ، وأبـو وداعـة السهمـي ، وسهيل بن عمرو العامري ، أسلموا في فتح مكة ، وخالد بن هشام المخزومي وعبد الله بن السائب ، والمطلب بن حنطب ، وعبد الله بن أبي بن خلف أسلم يوم الفتح وقتـل يوم الجمل ، وعبد الله بن زمعة أخو سودة ، ووهب بن عمر الجمحي ، وقيس بن السائب المخزومي ، وقسطاس مولى أمية بن خلف ، والوليد بن الوليد .

قال في المواهب : وكان العباس رضي الله عنه فيما قاله أهل العلم بالتاريخ قد أسلم قديماً وكان يكتم إسلامه ، وكان يسره ما يفتح الله على المسلمين ، وكان النبي ﷺ يطلعه على اسراره حين كان بمكة ، وكان يحضر مع النبي ﷺ حين كان يعرض نفسه على القبائل وكان يحثهم ويرحضهم على مناصرته كما تقدم ذلك في حضوره بيعة العقبة التي كانت مع الأنصار قبل الهجرة . فهذا كله يدل على اسلامه ، وكان النبي ﷺ امره بالمقام بمكة ليكتب

له اسرار قريش وأخبارهم ، ولما أرادوا الخروج واستنفروا الناس ما امكنه التخلف عنهم ، ولهذا قال النبيﷺ يوم بدر : من لقي العباس فلا يقتله فانه خرج مستكرهاً ولا ينافي ذلك قولهﷺ له لما طلب منه الفداء : ظاهر امرك انك كنت علينا لان كونه عليهم في الظاهر لا ينافي كونه مكرهاً في الباطن ، فعامله النبيﷺ بظاهر حاله تطييبا لقلوب الصحابة رضي الله عنهم حيث فعل مثل ذلك بآبائهم وأبنائهم وعشائرهم .

وجاء ان العباس رضي الله عنه كان له مال وديون في قريش ، وكان يخشى إن أظهر إسلامه ضياعها عندهم فكان يخفي إسلامه باذن من النبيﷺ ، ولم يظهرالنبيﷺ إسلامه للصحابة رفقاً به وخوفاً على ضياع ماله ، وللنبيﷺ غرض في إخفاء إسلامه ليكون له عيناً ينقل أخبار القوم ، ومن ثم لما قهرهم الاسلام يوم فتح مكة أظهر اسلامه ، فهو لم يظهر إسلامه لهم الا يوم فتح مكة . وهذا لا ينافي اسبقية اسلامه وانه اظهره للنبي ﷺ وأصحابه بعد وقعة بدر ، كما يأتي ، لان الذي تأخر الى فتح مكة ظهوره لأهل مكة . وكان العباس رضي الله عنه كثيراً ما يطلب الهجرة الى رسول الله ﷺ ، فيكتب له النبيﷺ مقامك بمكة خير لك . وفي رواية : استأذن العباس رضي الله عنه النبيﷺ في الهجرة فكتب اليه : يا عم أقم مكانك الذي انت فيه ، فان الله عز وجل يختم بك الهجرة ، كما ختم بي النبوة ، وكان كذلك . فقد كان آخر المهاجرين لانه استقبل النبيﷺ بالابواء ولا علم له بخروج النبيﷺ بفتح مكة فرجع معه وكان الذي أسر العباس رضي الله عنه كعب بن عمرو الأنصاري السلمي ويكنى بأبي اليسر رضي الله عنه فقيل للعباس : كيف اسرك ابو اليسر وهو دميم ولو شئت لجعلته في كفك ؟ فقال : ما هو إلا أن لقيته فظهر في عيني كالخندمة الأشم ، وهو جبل عظيم من جبال مكة .

وفي رواية : عن علي - رضي الله عنه - فجاء رجل من الأنصار بالعباس رضي الله عنه أسيرا فقال العباس : ان هذا والله ما أسرني ، لقد أسرني رجل أجلح من أحسن الناس وجهاً على فرس أبلق ، ما أراه في القوم . فقال الأنصاري : أنا اسرته يا رسول الله . فقال ﷺ : اسكت فقد أيدك الله بملك كريم . وفي رواية : قال له النبيﷺ : كيف أسرته ؟ فقال : قد أعانني الله عليه بملك كريم . ولما أسر رضي الله عنه شدوا وثاقه كبقية الأسرى فصار يئن فسمع النبيﷺ أنينه فلم يأخذه نوم فقيل ما أسهرك يا رسول الله ؟ قال : أنين العباس . فقام رجل وأرخى وثاقه ، وكان العباس رضي الله عنه رجلاً طويلاً فأراه النبيﷺ بعد رجوعه الى المدينة بالأسرى ان يلبسه قميصاً وكان ذلك بعد ان حصل

الفداء وإظهاره إسلامه ، فلم يجدوا له قميصاً يكون على طوله فكساه عبد الله بن أبي بن سلول قميصه ، ولهذا لما مات عبد الله بن أبي هذا وكان رئيس المنافقين ، جاء ابنه وكان من فضلاء الصحابة رضي الله عنه الى النبيﷺ يطلب قميصهﷺ ليكفن أباه فيه رجاء بركة النبيﷺ ، فأعطاهﷺ قميصه تطييباً لقلب ابنه وتألفاً لبقية المنافقين ومكافأة لما فعله مع عمه العباس ـ رضي الله عنه ـ وجعلﷺ فداء العباس رضي الله عنه أربعمائة اوقية . وفي رواية : مائة أوقية . وفي رواية . أربعين أوقية من ذهب ، وجعل عليه فداء ابن أخيه عقيل بن ابي طالب ثمانين اوقية ، وجعل عليه فداء ابن أخيه نوفل بن الحرث كذلك .

وفي رواية : قال له افد نفسك يا عباس وابني أخويك عقيل بن أبي طالب ونوفل ابن الحرث بن عبد المطلب ، وحليفك عتبة بن عمرو ففدى نفسه بمائة أوقية ، وكل واحد بأربعين اوقية . وقال للنبيﷺ : تركتني فقير قريش ما بقيت . وفي لفظ : تركتني اسأل الناس في كفي . فقال له رسول اللهﷺ : فأين المال الذي دفعته لام الفضل ؟ يعني زوجته وقلت لها ان أصبت فهذا لبني الفضل وعبد الله وقثم . وفي رواية : فللفضل كذا وعبد الله كذا . فقال : والله اني اشهد انك رسول الله ان هذا شيء ما علمه إلا أنا وأم الفضل . أنا اشهد ان لا اله الا الله وأنك عبده ورسوله . وفي رواية : قال للنبيﷺ : لقد تركتني فقير قريش ما بقيت . فقال له : كيف تكون فقير قريش وقد استودعت بنادق الذهب ام الفضل ؟ وقلت لها ان قتلت فقد تركتك غنية ما بقيت . وفي رواية : اين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل ؟ فقال : اشهد ان الذي تقوله قد كان وما اطلع عليه إلا الله ، وأتى الشهادتين اي نطق بهما بحضرة النبيﷺ وأصحابه ، فلا ينافي القول بأسبقية إسلامه وانه كان يكتمه والنبيﷺ يعلم ذلك .

ومما يؤيد ذلك أنه جاء في بعض الروايات : ان العباس رضي الله عنه قال : علام يؤخذ منا الفداء وكنا مسلمين ؟ وفي رواية : وكنت مسلماً ولكن القوم استكرهوني ؟ فقال له النبيﷺ : الله اعلم بما تقول ، ان يك حقاً فان الله يجزيك ولكن ظاهر أمرك انك كنت علينا . وقد أنزل الله تعالى في العباس رضي الله عنه ﴿ يا ايها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما اخذ منكم ويغفر لكم ﴾ وعند نزول الآية قال العباس رضي الله عنه للنبيﷺ : وددت انك كنت اخذت مني أضعاف ما أخذت . وقد صدق الله وعده له فأعطاه الله مالاً عظيما حتى كان عنده مائة عبد في يد كل

عبد مال يتجر فيه ، وكان يقول واني لأرجو من الله المغفرة . وقيل : ان العباس ما فدى نوفلا بل عقيلاً فقط ، بدليل انه جاء في رواية : انه ﷺ قال لابن عمه نوفل بن الحرث بن عبد المطلب : افد نفسك يا نوفل . قال : مالي شيء افدي به نفسي . قال : افد نفسك من مالك . وفي رواية : من رماحك فقال : اشهد انك رسول الله والله ما احد يعلم ان لي بمكة رماحاً غير الله اي وفدى نفسه ولم يفده العباس رضي الله عنه .

وكان من الاسرى النضر بن الحرث العبدري بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي وكان من أشد الناس عداوة للنبي ﷺ ، وكان يقول في القرآن انه أساطير الأولين . ويقول لو شئنا لقلنا مثل هذا وغير ذلك من الأقاويل ، فنظر اليه النبي ﷺ وهو أسير فقال النضر للاسير الذي بجانبه : محمد والله قاتلي ، فانه نظر إلي بعينين فيهما الموت . فقال له : والله ما هذا منك ، الا رعب . ثم قال النضر لمصعب بن عمير العبدري : يا مصعب انت اقرب من هنا اليّ رحماً فكلم صاحبك ان يجعلني كرجل من أصحابي يعني المأسورين ، هو والله قاتلي . فقال له مصعب : انت كنت تقول في كتاب الله ما تقول ، ثم أمر النبي ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه فضرب عنقه . وذكر بعضهم ان النضر هذا له أخ يسمى باسمه أسلم عام الفتح وشهد حنيناً وكان من المؤلفة . وقيل بل أسلم قديماً وهاجر الى الحبشة والله أعلم .

ولما ضربت عنق النضر وبلغ الخبر أخته قتيلة وقيل : انما هي بنته رثته ثم أسلمت رضي الله عنها وتلك الابيات تقول فيها :

يا راكباً ان الأثيل مظنة	من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ بها ميتاً بأن تحية	ما ان تزال بها النجائب تخفق
مني اليك وعبرة مسفوحة	جادت بواكفها وأخرى تخنق
هل يسمعني النضر ان ناديته	ام كيف يسمع ميت لا ينطق
أمحمد ولأنت نجل نجيبة	في قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما	من الفتى وهو المغيظ المحنق
او كنت قابل فدية فلينفقن	بأعز ما يغلو به ما ينفق
فالنضر أقرب من أسرت قرابة	وأحقهم ان كان عتق يعتق

ظلـت سيوف بنـي أبيه تنوشه لله ارحـام هنـاك تشقق
صبـراً يقـاد الى المنية متعباً رسف المقيد وهـو عان موثق

وفي رواية : بدل قولها أمحمد ، البيت :

أمحمـد يا خـير ضمـن كريمة في قومهـا والفحـل فحـل معرق

وحين سمع ذلك ﷺ بكى وقال : لو بلغني هذا الشعر قبل قتلـه لمننت عليه اي لقبول شفاعتها عنده فلا ينافي ان ما فعله حق .

ومن الأسرى ايضاً : عقبة بن ابي معيطبن ذكوان المكنى بأبي عمرو بن أمية بن عبد شمس ، وكان من أشد الناس عداوة للنبيﷺ ، وهو من المستهزئين بهﷺ كما تقدم ، فأمر بضرب عنقه عند عرق الظبية وهي شجرة يتظلل بها وقال حين قدم للقتل : من للصبية يا محمد ؟ قال : النار . وجاء عن ابن عبـاس ـ رضي الله عنهما ـ ان عقبـة لما قدم للقتـل نادى : يا معشر قريش ما لي أقتل من بينكم صبراً؟ فقال له النبيﷺ : بكفرك واجترائك على الله ورسولهﷺ . وفي رواية : ببزاقك في وجهي ،وتقدم ان عقبة كان يكثر مجالسة النبي ﷺ ، فاتخذ ضيافة فدعا رسول الله ﷺ فأبى رسول اللهﷺ ان يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل ، وكان أبي بن خلف صديقه فعاتبه وقال : صبأت يا عقبة ؟ قال : لا . ولكن أبى ان يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه وشهدت له الشهادة وليست في نفسي .فقال له أبي : وجهي من وجهك حرام ان لقيت محمداً فلم تطأ قفـاه وتبـزق في وجهه ، وتلطم عينه . فوجد النبيﷺ ساجداً ففعل به ذلك ، ولما بزق رجع بزاقه اليه واحترق وجهه ، وصار اثر ذلك باقياً في وجهه الى موته ، وهو الذي وضع سلا الجزور على ظهر النبيﷺ وهو ساجد ، وكان شديد السفه والفجور . وانزل الله تعالى فيه ﴿ ويوم يعضّ الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً لقد أضلني عن الذكر بعد اذ جاءني ﴾ ويروى ان النبيﷺ قال له بمكة : لا ألقاك خارج مكة ، إلا علوت رأسك بالسيف . وفي رواية : لما قال : مالي أقتل من بينك صبراً قال له النبيﷺ : بكفرك وفجورك وعتوك على الله ورسوله . وقيل : ان النبيﷺ قال له : لست من قريش هل أنت إلا يهودي من أهل صفورية ، وذلك لان أمية جدّ أبيه خرج الى

الشام فوقع على يهودية لها زوج من صفورية ، وهو نسبة لموضع من ثغور الشام : فولدت ذكوان وهو والد ابي معيطعلى فراش اليهودي فاستلحقه بحكم الجاهلية . واختلف في من باشر قتله فقيل : عاصم بن ثابت جد عاصم بن عمر بن الخطاب لأمه ، وقيل : ان عاصم بن ثابت خاله لا جده ، لأن ام عاصم جميلة بنت ثابت أخت عاصم بن ثابت ، وكون القاتل لعقبة عاصم بن ثابت هوالصحيح . وقيل :قتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويحتمل أنهما اشتركا في مباشرة ذلك . وقيل انه بعد قتله صلب على شجرة .

وذكر ابن قتيبة ان طعيمة بن عدي اخا المطعم بن عدي كان من جملة الأسرى ، وان النبيﷺ أمر بضرب عنقه كالنضر بن الحرث ، وعقبة بن أبي معيط . والصحيح عند أهل السير والمغازي ان طعيمة بن عدي قتل في معركة القتال قتله حمزة رضي الله عنه وسيأتي ان شاء الله تعالى في غزوة أحد ، ان قتل حمزة كان بسبب قتله لطعيمة المذكور .

ثم استشار رسول اللهﷺ اصحابه في الأسرى فقال لهم رسول اللهﷺ : ما ترون في هؤلاء الأسرى ، ان الله قد مكنكم منهم . وفي رواية : انهﷺ استشار أبا بكر وعمر وعلياً رضي الله عنهم فيما هو الأصلح من الأمرين القتل أوأخذ الفداء . فقال ابو بكر : يا رسول الله أهلك وقومك . وفي رواية : هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان ، قد اعطاك الله الظفر بهم ، ونصرك عليهم ، أرى ان تستبقيهم ، وتأخذ الفداء منهم فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار ، وعسى الله ان يهديهم بك فيكونون لنا عضداً . فقال رسول اللهﷺ : ما تقول يا ابن الخطاب ؟ فقال : يا رسول الله قد كذبوك واخرجوك وقاتلوك ما أرى ما رأى ابو بكر ، ولكني أرى ان تمكنني من فلان قريب لعمر . وفي رواية : نسيب له فأضرب عنقه وتمكن علياً من عقيل أخيه فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من أخيه العباس فيضرب عنقه ، حتى يعلم انه ليس في قلوبنا مودة للمشركين ، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم . وقال ابن رواحة : انظروا وادياً كثير الحطب فأضرمه عليهم نارا . وفي رواية : ان عمر رضي الله عنه لما قال ذلك أعرض عنه رسول اللهﷺ ، ثم عادﷺ فقال : يا أيها الناس ان الله قد أمكنكم منهم ، فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله اضرب اعناقهم فأعرض عنه رسول اللهﷺ ، فعل ذلك ثلاثاً ، وهو يعرض عنه لما جبل عليهﷺ من الرأفة والرحمة في حالة إيذائهم له ، فكيف في حال قدرته عليهم ؟ فقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال : يا رسول الله ، أرى ان تعفو عنهم وتقبل الفداء منهم ، فذهب عنهﷺ ما

كان من الغم ، ولم يذكر عن علي رضي الله عنه جواب مع انه احد الثلاثة المستشارين .

قال العلامة الزرقاني : لأنه لما رأى تغير المصطفى ﷺ حين اختلف الشيخان ، لم يجب او لم تظهر له مصلحة حتى يذكرها ولهذا لما ظهر لعبد الله بن رواحة رضي الله عنه الجواب قال : انظر وادياً كثير الحطب فأضرمه عليه ناراً . فقال العباس رضي الله عنه وهو يسمع قطعت رحمك . وفي رواية : ثكلتك أمك فدخل ﷺ فقال : اناس يأخذ بقول عمر ، وأناس بقول ابي بكر ، وأناس بقول ابن رواحة . ثم خرج فقال : ان الله ليلين قلوب أقوام فيه حتى تكون ألين من اللبن ، وان الله ليشدد قلوب اقوام فيه حتى تكون أشد من الحجارة ، مثلك يا أبا بكر في الملائكة كمثل ميكائيل ينزل بالرحمة ، ومثلك في الأنبياء مثل ابراهيم ، قال ﴿ فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ﴾ . ومثلك يا عمر في الملائكة مثل جبريل ينزل بالشدة والبأس والنقمة على اعداء الله . ومثلك في الأنبياء مثل نوح إذ قال : ﴿ رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً ﴾ . ومثلك في الأنبياء مثل موسى اذ قال ﴿ ربنا اطمس على اموالهم ﴾ . الآية . لو اتفقتما ما خالفتكما وأخذ بقول ابي بكر رضي الله عنه وقال : لا يفلتن احد منهم الا بفداء او ضرب عنق . فقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : يا رسول الله الا سهيل بن بيضاء فاني سمعته يذكر الاسلام ، فسكت ﷺ فما رأيتني في يوم اخاف ان تقع على الحجارة مني في ذلك اليوم ، حتى قال رسول الله ﷺ : الا سهيل بن بيضاء . وانزل الله تعالى ﴿ ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ، لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم ، فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً واتقوا الله ان الله غفور رحيم ﴾ .

فجاء عمر رضي الله عنه والنبي ﷺ وأبو بكر يبكيان فقال : يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك ؟ فان وجدت بكاء بكيت وإلا تباكيت لبكائكما . فقال ﷺ : أبكي للذي عرض على اصحابك من الفداء . وفي رواية ، قال : ان كاد ليمسنا في خلاف ابن الخطاب عذاب عظيم ولو نزل العذاب ما افلت منه إلا ابن الخطاب . وفي رواية : وسعد بن معاذ لانه أيضاً كره الأسر وحب الاثخان ولم يقل وابن رواحة لأنه اشار باضرام النار وليس بشرع . قال بعضهم : في هذه الآيات دليل على انه يجوز الاجتهاد للأنبياء لان العتاب لا يكون فيما صدر عن وحي . وقال السبكي في قوله تعالى ﴿ ما كان

لنبي - اي غيرك يا محمد - ان يكون له أسرى ﴾ الخ اي وأما أنت فمخير بين قتلهم وأخذ الفداء منهم . وعن الأعمش في قوله تعالى ﴿ لولا كتاب من الله ﴾ سبق اي بأنه سبحانه وتعالى لا يعذب أحداً ممن شهد بدراً . ويؤيده حديث : وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم وأحسن ما قيل في الآية ان فيها العتاب على ارتكاب خلاف الأولى ، وانه كان الأولى الاثخان بالقتل . لكن لما سبق في علم الله ان هذا هو الذي يقع وأنتم مخيرون بين الامرين لم يؤاخذكم بفعل الامر الجائز لكم المقدر ، وقوعه قبل خلق السموات والارض . وفي الآية تخويف للكفار ووعيد شديد وترغيب لهم في الاسلام وحث للمؤمنين على قتال الكفار وتأييد لرأي عمر رضي الله عنه وهذا من المواضع التي جاء القرآن فيها موافقاً لقول عمر رضي الله عنه وهي كثيرة نحو بضع وثلاثين أفردت بالتأليف .

وروى الحاكم باسناد صحيح عن علي رضي الله عنه قال : جاء جبريل الى النبيﷺ يوم بدر فقال : خير أصحابك في الأسرى ان شاؤوا القتل وان شاؤوا الفداء على ان يقتل منهم عاما مقبلاً مثلهم ، قالوا : الفداء ويقتل منا . وفي رواية قالوا : بل نفاديهم فنقوى به عليهم ويدخل قابلاً منا الجنة سبعون ففادهم .

ثم ان استقر الأمرعلى الفداءفرّق رسول اللهﷺ الأسرى في أصحابه ليرجعوا بهم الى المدينة حتى يرسل لهم اهلهم وعشائرهم بالفداء ، وقيل تفريقهم بين أصحابه انما كان بعد وصوله المدينة . وقال : لما فرقهم استوصوا بهم خيراً .

قال ابن اسحق : فكان ابو عزيز بن عمير شقيق مصعب بن عمير في الاسرى فقال : مر بي اخي ورجل من الأنصار يأسرني فقال له : شدّ يديك به فان امه ذات متاع لعلها تفديه منك . قال : فكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا من بدر فكانوا اذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول اللهﷺ اياهم بنا ، ولما قال اخوه للأنصاري شد يدك به قال : يا اخي هذه وصايتك بي ؟ ثم أرسلت أمه اربعة آلاف درهم ففدته بها ثم أسلم رضي الله عنه وتوامت قريش على ان لا يعجلوا في طلب فداء الاسرى . قالوا : لئلا يتغالى محمد وأصحابه في الفداء ، فلم يلتفت لذلك المطلب بن أبي وداعة السهمي ، بل خرج من الليل خفية وقدم المدينة فافتدى أباه بأربعة آلاف درهم ، وقد قالﷺ لما رأى ابا وداعة أسيرا : ان له بمكة ابناً كيساً تاجراً ذا مال وكأنكم به

قد جاء في طلب أبيه فجاء وفداه فكان اوّل أسير فدي ، واسم ابي وداعة الحرث ثم أسلم رضي الله عنه فقد عده بعضهم من الصحابة . وعند ذلك بعثت قريش في فدا الأسارى وكان الفداء فيهم على قدر أموالهم ، وكان من اربعة آلاف درهم الى ثلاثة الى ألفين الى ألف . ومن لم يكن معه مال وهو يحسن الكتابة دفعوا له عشرة من غلمان المدينة يعلمهم الكتابة ، فاذا علمهم كان ذلك فداءه . وجاء جبير بن مطعم وهو كافر يسأل النبيﷺ في أساري بدر ، فقال لهﷺ : و لو كان شيخك أو الشيخ أبوك حياً فأتانا فيهم لنفعناه . وفي رواية : لو كان مطعم حياً وكلمني في هؤلاء النفر . وفي رواية : في هؤلاء النتني لتركتهم له لان المطعم أجار النبيﷺ ، لما قدم من الطائف وكان ممن سعى في نقض الصحيفة كما تقدم ، وسماهم نتنى لكفرهم ، وكان موت المطعم قبل وقعة بدر ، وهو على كفره واما جبير ابنه فأسلم رضي الله عنه .

وكان من الاسرى ابو العاص بن الربيع رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وهو زوج زينب بنت النبيﷺ ورضي عنها . وهو ابن خالتها هالة بنت خويلد رضي الله عنها أخت خديجة ام المؤمنين رضي الله عنها وكنيته ابو العاص واسمه لقيطوقيل : مقسم بكسر الميم ، وقيل : هشيم واشتهر بكنيته ، وابوه الربيع بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف . فلما أسر ابو العاص بعثت زينب رضي الله عنها في فدائه قلادة لها ، كانت أمها خديجة رضي الله عنها أدخلتها بها حين تزوجها ابو العاص ، فلما رأى النبيﷺ تلك القلادة رق لها رقة شديدة وقال للصحابة : ان رأيتم ان تطلقوا لها اسيرها وتردوا لها قلادتها فافعلوا . وشرط عليهﷺ ان يخلي سبيل زينب اي ان تهاجر الى المدينة ، ولم يكن في ذلك الوقت تزوج الكافر بالمسلمة محرماً ، وانما حرم ذلك بعد لان الأحكام انما شرعت بالتدريج . فلما بعثﷺ وأسلم أهله وبناته ولم يسلم ابو العاص زوج زينب لم يفرق بينهماﷺ ، وقد كان كفار قريش منوا الى أبي العاص وسألوه ان يطلق زينب بنت رسول اللهﷺ وقالوا له : نزوجك اي امرأة شئت من قريش فأبى ذلك وقال : والله لا أفارق صاحبتي وما أحب أن لي بامرأتي أفضل امرأة من قريش . وأثنى عليه النبيﷺ بذلك خيراً وشكر له ذلك . فلما وصل ابو العاص مكة أمرها باللحوق بأبيها وقد كانﷺ أرسل زيد بن حارثة ورجلاً من الانصار وقال لهما : تكونان بمحل كذا لمحل قريب من مكة حتى تمر بكما زينب فتصحباها حتى تأتيا بها ، فلما ارادت الخروج من مكة خرج معها كنانة بن الربيع وهو اخو زوجها ، قدّم لها بعيراً فركبته وأخذ قوسه وكنانته ثم خرج بها نهاراً ،

يقودها في هودج لها ، وكانت حاملاً . فتحدث بخروجها رجال من قريش فخرجوا في طلبها حتى أدركوها بذي طوى ، فكان أول من سبق اليها هبار بن الأسود رضي الله عنه ، فانه أسلم بعد ذلك ونخس البعير بالرمح ، فوقعت وألقت حملها . ثم ان كنانة بن الربيع برك ونثر كنانته واخذ قوسه وقال : والله لا يدنو مني رجل الا وضعت فيه سهما فجاء اليه ابو سفيان في رجال من قريش وقال : كف عنا نبلك حتى نكلمك . ثم قال له : انك لم تصب في فعلك فانك خرجت بزينب علانية ، على رؤوس الناس من بين أظهرنا ، فيظن الناس ان ذلك من ذل اصابنا وان ذلك منا ضعف ووهن ، ولعمري ما لنا بحبسها عن أبيها حاجة ولكن ارجع بها حتى اذا هدأت الأصوات ، وتحدث الناس ان قد وودناها ، فسر بها سراً فألحقها بأبيها ففعل وأقامت ليالي ثم خرج بها ليلاً حتى أسلمها الى زيد بن حارثة وصاحبه .

وفي رواية : انه ﷺ قال لزيد بن حارثة : الا تنطلق فتجيء بزينب ؟ قال : بلى ، يا رسول الله : قال : فخذ خاتمي فأعطها فانطلق زيد فلم يزل يتلطف حتى لقي راعياً فقال : لمن ترعى ؟ قال : لأبي العاص . قال : فلمن هذه الغنم ؟ قال : لزينب بنت محمد ، فتكلم معه . ثم قال له : ان اعطيتك شيئاً تعطها إياه ولا تذكره لأحد ؟ قال : نعم ، فأعطاه الخاتم فانطلق الراعي الى زينب فأدخل غنمه وأعطاها الخاتم ، فعرفته فقالت : من اعطاك هذا ؟ قال : رجل . قالت : فأين تركته ؟ قال : بمكان كذا وكذا . فسكنت حتى إذا كان الليل خرجت اليه ، فلما جاءته قال لها زيد اركبي بين يدي ، على بعير . قالت : لا ، ولكن اركب أنت بين يديّ فركب وركبت خلفه حتى اتت المدينة ، وذلك بعد شهر من بدر . وكونها خرجت في الليل الى زيد لا ينافي الرواية التي فيها خرج معها حموها اي اخو زوجها حتى سلمها لزيد لامكان ان يكون معها حين خرجت ، ثم أسلم زوجها رضي الله عنه وهاجر وردّها اليه ﷺ بغير عقد بل بالنكاح الأول وقيل : عقد له عليها عقداً آخر وولدت له امامة التي كان يحملها ﷺ على ظهره وهو يصلي . ثم لما كبرت تزوّجها عليّ رضي الله عنه بعد خالتها فاطمة رضي الله عنها لعليّ بذلك . ولما حضرت علياً رضي الله عنه الوفاة قال لها : اني لا آمن ان يخطبك معاوية بعد موتي ، فان كان لك في الرجال حاجة فقد رضيت لك المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب عشيراً . فلما توفي علي رضي الله عنه وانقضت عدّتها ، أرسل معاوية رضي الله عنه يخطبها ، وبذل لها من المهر مائة ألف دينار ، فلما خطبها أرسلت الى المغيرة بن نوفل ان هذا

الرجل أرسل يخطبني فان كان لك حاجة في فأقبل ، فجاء وخطبها من الحسن بن علي رضي الله عنه فزوّجها منه وقيل : زوّجها منه الزبير بن العوّام بوصية من ابيها له عليها ، ويمكن الجمع بينهما .

وكان من جملة الأسرى عمرو بن ابي سفيان بن حرب أخو معاوية أسره عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقيل لابي سفيان افد عمراً ابنك فقال : ايجمع على دمي ومالي قتلوا حنظلة ، يعني ابنه وهو شقيق ام حبيبة ام المؤمنين رضي الله عنها وأفدى عمراً ، دعوة في أيديهم يمسكونه ما بدا لهم . فبينما ابو سفيان بمكة اذ وجد سعد بن النعمان أخا بني عمرو بن عوف قد وفد من المدينة معتمراً فعدا عليه أبو سفيان فحبسه بابنه عمرو ، فمضى بنو عمرو ابن عوف الى رسول الله ﷺ فأخبروه خبر سعد بن النعمان وسألوه ان يعطيهم عمرو بن ابي سفيان فيفكون به صاحبهم ، ففعل رسول الله ﷺ فبعثوا به الى ابي سفيان ، فخلى سبيل سعد ولم يذكر عمرو هذا فيمن أسلم من الاسرى ، والظاهر انه مات على شركه .

وكان من جملة الاسرى سهيل بن عمـرو العامـري ، وكان من أشراف قريش وفصحائها وخطبائها . وكان يخطب قريشاً ويحثهم على قتال النبي ﷺ ، فلما أسر قال عمر رضي الله عنه لرسول الله ﷺ : دعني انزع ثنيتي سهيل بن عمرو حتى يدلع لسانه اي يخرج فلا يستطيع الكلام ،لأنه كان اعلم والأعلم اذا نزعت ثنيتاه لا يستطيع الكلام ، فلا يقوم عليك خطيباً في موطن ابدا .فقال له رسول الله ﷺ: لا امثل به فيمثل الله بي وان كنت نبياً وعسى ان يقوم مقاماً لا تذمه فكان كذلك فانه أسلم رضي الله عنه عام الفتح وحسن إسلامه ، وصار من فضلاء الصحابة حتى انه لما مات رسول الله ﷺ أراد اكثر اهل مكة الرجوع عن الاسلام ، فقام سهيل بن عمرو خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ، ثم ذكر وفاة رسول الله ﷺ وأتى بخطبة ثبت الله بها الناس ، تشبه خطبة ابي بكر رضي الله عنه التي خطبها بالمدينة يوم وفاة النبي ﷺ ، وقال سهيل في خطبته : أيها الناس من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حيّ لا يموت ، ألم تعلموا ان الله قال ﴿ انك ميت وانهم ميتون ﴾ وقال ﴿ وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين ﴾ .

قال : والله اني لأعلم ان هذا الدين يمتد امتداد الشمس في طلوعها وغروبهـا ،

fتوكلوا على ربكم فان دين الله قائم ، وكلمة الله تامة ، وان الله ناصر من نصره ، ومقو دينه ، وقد جمعكم الله على خيركم يعني أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ وان ذلك لا يزيد الاسلام الا قوّة ، فمن رأيناه ارتد ضربنا عنقه . فتراجع الناس وكفوا عما هموا به فكان في قيامه ذلك المقام معجزة للنبيّ ﷺ حيث أخبر به قبل حصوله بأعوام كثيرة وذلك يوم بدر حين قال لعمر ـ رضي الله عنه ـ عسى ان يقوم مقاماً لا تذمه ، ولما أسر سهيل قدم مكرز بن حفص في فدائه فلما ذكر قدراً ارضاهم به قالوا له هات . قال ليس عندي هنا شيء ولكن اجعلوا رجلي مكان رجله وخلوا سبيله حتى تبعث اليكم بفدائه فخلوا سبيل سهيل وحبسوا مكرزاً في محله حتى جاءهم الفداء .

وكان في الاسرى الوليد بن الوليد ، اخو خالد بن الوليد رضي الله عنه ، فأفتكه اخواه هشام وخالد ، فلما سلموا فداءه وافتكوه ووصل الى مكة اسلم فعاتبوه في ذلك . فقال : كرهت ان يظنّ بي اني جزعت من الأسر ثم لما أسلم اراد الهجرة فحبسه اخواه هشام وخالد فكان النبي ﷺ يدعو له في القنوت ويقول : اللهم انج الوليد بن الوليد ثم انفلت ولحق بالنبي ﷺ في عمرة القضاء .

وكان في الاسرى وهب بن عمير الجمحي رضي الله عنه فانه اسلم بعد ذلك وأسره رفاعة بن رافع وبقي بالمدينة مع الأسرى ، وكان أبوه عمير شيطاناً من شياطين قريش ، وكان ممن يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه بمكة ، فجلس عمير يوماً مع صفوان بن أمية بن خلف بن وهب الجمحي رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وكان جلوسه معه في الحجر فتذاكرا ما أصاب قريشاً يوم بدر وذكرا أصحاب القليب ومصابهم فقال صفوان : والله ما في العيش خير بعدهم لانه قتل أبوه أمية وأخوه عليّ فقال له عمير : صدقت اما والله لولا دين عليّ ليس له عندي قضاء وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي لكنت آتي محمدا حتى اقتله ، فان لي فيهم علة ، ابني اسير في أيديهم ، فاغتنمها صفوان وقال له : علي دينك انا أقضيه عنك وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا . قال عمير : فاكتم عني شأني وشأنك وتعاقدا وتعاهدا على ذلك . ثم ان عميرا أخذ سيفه فشحذه اي سنه وسمه اي جعل فيه السم ، ثم انطلق حتى قدم المدينة ، فبينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ، اذ نظر الى عمير حين اناخ راحلته على باب المسجد متوشحا بالسيف فقال عمر رضي الله عنه هذا الكلب عدوّ الله عمير بن وهب ما جاء الا

بشر ، فدخل عمر ـ رضي الله عنه ـ على رسول الله ﷺ فقال : يا نبيّ الله هذا عدوّ الله عمير ابن وهب ، قد جاء متوشحاً بسيفه قال : فأدخله عليّ فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فأمسكه بها ، وقال لرجال ممن كان معه من الانصار : ادخلوا على رسول الله ﷺ ، فاجلسوا عنده فانّ هذا الخبيث غير مأمون . ثم دخل به عمر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ ، فلما رآه رسول ﷺ وعمر آخذ بحمالة سيفه في عنقه قال : أرسله يا عمر ، ادن يا عمير ، فدنا ثم قال عمير : انعموا صباحاً وكانت تحية الجاهلية بينهم فقال له رسول الله ﷺ : قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتكم يا عمير ، بالسلام تحية أهل الجنة ، ما جاء بك يا عمير ؟ قال : جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم يعني ولده وهباً فأحسنوا فيه . قال : فما بال السيف ؟ قال : قبح الله السيوف وهل أغنت عنا شيئاً ؟ قال : أصدقني ما الذي جئت له ؟ قال : ما جئت الا لذلك . فقال له النبي ﷺ : بل قعدت انت وصفوان بن امية في الحجر فتذاكرتما اصحاب القليب من قريش ثم قلت : لولا دين عليّ وعيال لخرجت حتى أقتل محمداً ، افتحمل لك صفوان بدينك وعيالك حتى تقتلني له ، والله حائل بيني وبين ذلك . قال عمير : أشهد انك رسول الله قد كنا يا رسول الله نكذبك ، فيما تأتي به من خبر السماء ، وما ينزل عليك من الوحي ، وهذا امر لم يحضره الا انا وصفوان ، فوالله اني لأعلم انه ما اتاك به الا الله تعالى ، فالحمد لله الذي هداني للاسلام وساقني هذا المساق . ثم شهد شهادة الحق فقال رسول الله ﷺ : فقهوا أخاكم في دينه ، وأقرئوه القرآن ، وأطلقوا له أسيره ، ففعلوا ذلك واسلم ابنه أيضا رضي الله عنه . ثم قال عمير : يا رسول الله اني كنت جاهداً على إطفاء نور الله شديد الاذى لمن كان على دين الله فأنا احب ان تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم الى الله وإلى الإسلام لعل الله يهديهم ، والا آذيتهم في دينهم كما كنت أؤذي أصحابك في دينهم . فأذن له رسول الله ﷺ ، فلحق بمكة وكان صفوان حين خرج عمير يقول لأهل مكة : أبشروا بوقعة تأتيكم الآن تنسيكم وقعة بدر وكان صفوان يسأل عن عمير الركبان ، حتى قدم راكب فأخبره بإسلامه ، فحلف ان لا يكلمه أبداً وان لا ينفعه ولا يواسيه ابداً فلما قدم عمير مكة لم يبدأ بصفوان بل بدأ بيته وأظهر الاسلام ودعا اليه فبلغ ذلك صفوان ، فقال : قد عرفت حيث لم يبدأني قبل منزله ، انه انتكس وصبأ ولا أكلمه ابداً ولا انفعه ولا عياله بنافعة ابداً ، ثم ان عميراً رضي الله عنه وقف على صفوان وناداه أنت سيد من ساداتنا أرأيت الذي كنا عليه من عبادة حجر والذبح له ، أهذا دين ؟ أشهد ان لا إله إلا الله وأشهد ان محمداً عبده ورسوله ، فلم يجبه صفوان بكلمة

وعند فتح مكة هو الذي استأمن النبي ﷺ لصفوان ثم اسلم صفوان رضي الله عنه عند تقسيم غنائم حنين بالجعرانة حين أعطاه ﷺ واديا مملوءاً من النعم ، فقال : أشهد ان الملوك لا تطيب نفوسهم بهذا ، ولا تطيب به الا نفوس الانبياء ، اشهد ان لا اله إلا الله وأنك رسول الله ﷺ ، وحسن اسلامه وصار من فضلاء الصحابة رضي الله عنه وكان يسمى سيد البطحاء وكان من فصحاء قريش .

ومنّ رسول الله ﷺ على نفر من الأسرى بغير فداء منهم أبو عزة عمرو الجمحي الشاعر كان يؤذي النبي ﷺ والمسلمين بشعره فقال : يا رسول الله اني فقير وذو عيال وحاجة قد عرفتها فامنن علي صلى الله عليك وسلم ، فمن عليه رسول الله ﷺ . وفي رواية : قال له : ان لي خمس بنات ليس لهن شيء فتصدق بي عليهن ففعل واطلقه وأخذ عليه عهداً ان لا يظاهر عليه احداً . ولما وصل الى مكة قال : سحرت محمداً . ورجع لما كان عليه من الايذاء بشعره ولما كان يوم أحد خرج مع المشركين يحرّض على قتال المسلمين بشعره فأسر ، فأمر النبي ﷺ بضرب عنقه ، فقال : أعتقني واطلقني فاني تائب . فقال ﷺ . لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين فضربت عنقه وحمل رأسه الى المدينة وأنزل الله فيه : ﴿ وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم ﴾ .

ولما فرغ رسول الله ﷺ من طرح أهل القليب في قليبهم أرسل عبد الله بن رواحة رضي الله عنه بشيراً لأهل العالية وهو موضع قريب من المدينة وزيد بن حارثة رضي الله عنه بشيراً لأهل السافلة بما فتح الله على رسول الله والمسلمين وأركب ﷺ زيد بن حارثة ناقته القصواء وقيل : العضباء فجعل عبد الله بن رواحة ـ رضي ارلله عنه ـ ينادي في أهل العالية : يا معشر الانصار أبشروا بسلامة رسول الله ﷺ وقتل المشركين وأسرهم . ونادى زيد بن حارثة في أهل السافلة بذلك ويقولان قتل فلان وأسر فلان ، وفلان من أشراف قريش ، فصار عدوّ الله كعب بن الأشرف اليهودي يكذبهما ويقول : ان كان محمد قتل هؤلاء فبطن الأرض خير من ظهرها . قال اسامة بن زيد رضي الله عنهما : فأتانا الخبر بالمدينة حين سوّينا التراب على رقية بنت رسول الله ﷺ ورضي عنها زوج عثمان رضي الله عنه وكان عمرها عشرين سنة ثم زوجه ﷺ ابنته الأخرى ام كلثوم ، وتوفيت عندها أيضاً رضي الله عنها فقال ﷺ : زوّجوا عثمان لو كان لي ثالثة لزوجته اياها وما زوجته إلا بوحي من الله . وفي رواية :لو ان لي أربعين زوجتك واحدة بعد واحدة حتى لا تبقى منهن واحدة .

قال العلامة الحلبي : وام عثمان بنت عمتهﷺ أروى بنت عبد المطلب توأمه عبد الله أبي النبيﷺ . ولما جاء زيد بن حارثة بشيراً قال رجل من المنافقين لأبي لبابة - رضي الله عنه - قد تفرق أصحابكم تفرقا لا تجتمعون بعده أبداً . قد قتل محمد وغالب أصحابه ، وهذه ناقته عليها زيد بن حارثة لا يدري ما يقول من الرعب . قال اسامة : فبلغني ذلك فجئت حتى خلوت بأبي وسألته عما يقول ذلك الرجل وقلت : أحق ما تقول ؟ قال : اي والله انه لحق ما أقول يا بني ، فقويت نفسي ورجعت الى ذلك المنافق فقلت : انت المرجف برسول اللهﷺ ؟ لتقدمنك الى رسول اللهﷺ ، اذا قدم فيضرب عنقك فقال : إنما هو شيء سمعته من الناس يقولونه ثم أقبلﷺ راجعاً الى المدينة . ولما خرج من مضيق الصفراء قسم الغنيمة ونادى مناديه : من قتل قتيلاً فله سلبه ،من أسر أسيراً فهو له . وكان قد نادى بمثل ذلك حين القتال للتحريض على القتال والترغيب فيه ، وأسهم لجماعة قد تخلفوا بأمر منه ﷺ منهم عثمان بن عفان رضي الله عنه تخلف لتمريض رقية بنت النبيﷺ ورضي عنها فهو معدود من أهل بدر ، وان لم يحضر كما أخبر بذلك النبيﷺ وجعل له سهماً في الغنيمة ، ومنهم أبو لبابة رضي الله عنه خلفهﷺ على أهل المدينة ، وعاصم بن عدي خلفه على أهل قباء والعالية . ومنهم من أرسله لكشف امر العدو وتجسس خبره فلم يجيء الا وقد انقضى القتال وهما : طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد . ومنهم الحرث بن حاطب أمره النبيﷺ على بني عمرو بن عوف .

ولما قارب رسول اللهﷺ المدينةخرج المسلمون للقائه وتهنئته بما فتح الله عليه ، فتلاقوا معه بالروح وتلقته الولائد عند دخول المدينة يقلن :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داعي

وتلقاه أسيد بن حضير وقال : الحمد لله الذي أظفرك وأقر عينك .

وأما أهل مكة فأول من قدم عليهم بمصاب قريش الحيسمان بن اياس الخزاعي ، رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك فلما جاء مكة صار يحدثهم بما شاهده ، ويقول : قتل عتبة وشيبة وابو الحكم وامية وفلان وفلان من اشراف قريش ، وأسر فلان وفلان فقال صفوان بن امية وكان جالساً في الحجر : والله ما يعقل هذا سلوه عني فسألوه قالوا له : ما

فعل صفوان ابن امية ؟ فقال . هو ذاك جالس في الحجر ، وقد رأيت أباه واخاه حين قتلا ، ثم قدم ابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وهو ابن عم النبي ﷺ وأخوه من الرضاع ارتضع معه من حليمة رضي الله عنها ، وكان مشركاً من أشد الناس على النبي ﷺ ، ثم أسلم رضي الله عنه وحسن اسلامه وهاجر مع عمه العباس ، والتقيا مع النبي ﷺ بالأبواء وهو متوجه الى فتح مكة ، فلما قدم أبو سفيان بن الحرث على أهل مكة بعد وقعة بدر سأله عمه أبو لهب عن خبر قريش فقال : هلم اليّ عندي الخبر والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا ، يقتلوننا كيف شاؤوا ويأسروننا كيف شاؤوا وأيم الله مع ذلك ما لمت الناس ، لقينا رجالاً بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض ، والله لا يقوم لها شيء اي لا يقاومها شيء ، فقال ابو رافع مولى رسول الله ﷺ وكان ذلك الوقت مولى للعباس رضي الله عنه ثم وهبه للنبي ﷺ فقلت له : والله تلك الملائكة ، فرفع أبو لهب يده فضربني في وجهي ضربة شديدة وثاورته فاحتملني وضرب بي الأرض ثم برك علي يضربني فقامت أم الفضل زوج العباس رضي الله عنها وهي لبابة بنت الحرث الهلالية اخت ميمونة ام المؤمنين رضي الله عنها وكانت من السابقات للاسلام كما تقدم ، الى عمود فضربت به رأس ابي لهب حتى شجته شجة منكرة وقالت : استضعفته أن غاب سيده ، قال أبو رافع : فقام مولياً ذليلاً فوالله ما عاش بعدها الا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة ، وهي قرحة كانت العرب تتشاءم بها ، ويقولون انها تعدي أشد العدوى ، فتباعد عنه أهله وبنوه حتى قتله الله ، وبقي بعد موته ثلاثة ايام لا يقرب احد منه . فلما خافوا السبة في تركه حفروا له ثم دفعوه بعود في حفرته وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه . واما أولاده فأسلم منهم عتبة ومعتب يوم الفتح رضي الله عنهما وثبتا يوم حنين مع النبي ﷺ ، واسلمت ايضاً اختهما درة وهاجرت فلها صحبة رضي الله عنها واما عتيبة بالتصغير فمات كافراً عقره الأسد في طريق الشام في حياة ابيه بدعوة النبي ﷺ حين طلق ابنة النبي ﷺ ، وسفه عليه فقال : اللهم سلط عليه كلباً من كلابك كما تقدم ، ولما ظهر خبر قريش وتحقق عند اهل مكة ما صاروا اليه من القتل والأسر ، ناحت قريش على قتلاهم اكثر النوح واستداموه شهراً ، وجز النساء شعورهنّ ، وكن يأتين بفرس الرجل أو راحلته وتستر بالستور وينحن حولها ، ويخرجن الى ازقة ، ثم أشير عليهم ان لا تفعلوا فيبلغ محمداً وأصحابه فيشمتوا بكم ، ولا تبكوا قتلانا حتى نأخذ بثأرهم وتواصوا على ذلك .

ولما بلغ النجاشي الخبر اي خبر نصرة رسول الله ﷺ ببدر فرح فرحاً شديداً وطلب

جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه ومن كان معه بأرض الحبشة من الصحابة رضي الله عنهم فدخلوا عليه فوجدوه جالساً على التراب لابساً أثواباً خلقة فقالوا له : ما هذا ايها الملك ؟ فقال لهم : ان أبشركم بما يسركم انه قد جاءني من نحو أرضكم عين لي ، فأخبرني ان الله نصر نبيه ﷺ ، وأهلك عدوه فلان ابن فلان ، وفلان ابن فلان ، وعدد جماعة التقوا بمحل يقال له بدر ، كثير الأدراك كنت أرعى فيه غنما لسيدي من بني ضمرة فقال له جعفر رضي الله عنه : مالك جالساً على التراب وعليك هذه الأخلاق ؟ قال : إنا نجد فيما انزل الله على عيسى عليه السلام ، ان حقاً على عباد الله ان يحدثوا لله عز وجل تواضعاً عندما احدث لهم نعمة ، وفي رواية : كان عيسى صلوات الله وسلامه عليه اذا حدثت له من الله نعمة ازداد تواضعاً فلما أحدث الله نصرة نبيه ﷺ أحدثت هذا التواضع ، ولما اوقع الله تعالى بالمشركين يوم بدر واستأصل رؤوسهم قالوا : ان ثأرنا بأرض الحبشة ، فلنرسل الى ملكها ليدفع الينا من عنده من اتباع محمد فنقتلهم بمن قتل منا ، فأرسلوا عمرو ابن العاص وعبد الله بن ربيعة رضي الله عنهما فانهما اسلما بعد ذلك الى النجاشي ، ليدفع اليهما من عنده من المسلمين . وأرسلوا معهما هدايا للنجاشي وأصحابه فردهما خائبين وتقدمت القصة بتمامها عند ذكر الهجرة الى الحبشة وقد وفد عمرو بن العاص رضي الله عنه على النجاشي مرة ثالثة ستأتي ان شاء الله ، وفيها قصة إسلامه .

ولما رجع رسول الله ﷺ الى المدينة مؤيداً منصوراً خافه كل عدوّ بها وحولها ، وأسلم كثير من أهل المدينة ودخل عبد الله بن ابي في الاسلام ظاهراً وقالت اليهود تيقناً أنه النبي الذي نجد نعته في التوراة وآمن منهم جماعة ، وبقي على كفرهم آخرون ﴿ ومن يضلل الله فلا هادي له ﴾ .

وكان جملة من استشهد يوم بدر أربعة عشر رجلاً ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار ، منهم ستة من الخزرج واثنان من الأوس ، فالستة المهاجرون عبيدة بن الحرث ابن المطلب قطعت رجله في المبارزة مع عتبة بن ربيعة ، وأخيه وولد فمات بالصفراء فدفنه ﷺ بها ، ومهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قيل انه اول قتيل وأوّل من يدعى يوم القيامة من شهداء هذه الأمة ، وكان قتله بسهم أرسله عامر بن الحضرمي وعمير بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما . روي ان النبي ﷺ استصغر عميراً فرده فبكى فلما رأى بكاءه أذن له في الخروج ، فقتل وهو ابن ست عشرة سنة ، وعاقل بن بكير

الليثي ، وصفوان بن بيضاء الفهري ، وذو الشمالين عمير، وقيل الحرث ، وقيل عمرو بن عبد عمرو بن نضلة الخزاعي ، والثمانية الأنصاريون الخزرجي منهم ، عوف بن عفراء وحارث بن سراقة ويزيد بن الحرث بن قيس بن مالك ، ورافع بن المعلى وعمير بن الحمام بن الجموح ، والأوسي ،.منهم سعد بن خيثمة ومبشر بن عبد المنذر رضي الله عنهم أجمعين وكلهم دفنوا ببدر ما عدا عبيدة لتأخر وفاته دفن بالصفراء وقيل بالروحاء .

روى الطبراني باسناد رجاله ثقات عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : ان الذين قتلوا من أصحاب محمدﷺ يوم بدر جعل الله أرواحهم في الجنة في طير خضر تسرح في الجنة فبينما هم كذلك اذا طلع عليهم ربهم اطلاعة فقال : يا عبادي ماذا تشتهون ؟ فقالوا : يا ربنا هل فوق هذا من شيء ؟ قال : فيقول ماذا تشتهون ؟ فيقولون في الرابعة ترد أرواحنا في اجسادنا فنقتل كما قتلنا . قال في المواهب : ولا يقدح في وعد الله تعالى للمسلمين بالظفر استشهاد هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم لأنه وعدهم الظفر بقريش حيث قال ﴿ واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم ﴾ ولم يعدهم انه لا يقتل منهم احد فلا ينافي قتل هؤلاء فقد نجز الموعود وغلبوا عدوّهم كما وعد الله ، فكان وعد الله مفعولاً ، ونصره للمؤمنين ناجزاً ،والحمد لله على ذلك ، وقتل من المشركين سبعون وأسر سبعون كما رواه البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنهما . وفي المواهب وشرحها : قال ابن مرزوق في شرح البردة : ومن آيات بدر الباقية مدى الازمان ما كنت أسمعه من غير واحد من الحجاج انهم إذا اجتازوا بذلك الموضع أي بدر يسمعون هيئة الطبل كهيئة طبل الملوك ويرون ان ذلك لنصر أهل الايمان ، وربما أنكرت ذلك وربما تأولته بأن الموضع صلب أي شديد لا سهولة فيه ، فتجيب فيه حوافر الدواب اي تكون بصوت يشبه تصويتها في الأرض الصدى فيقولون لي : ان الموضع سهل رمل غير صلب وغالب ما يسير هناك الإبل وأخفافها لا تصوت في الارض، ثم لما من الله عليّ بالوصول الى ذلك الموضع المشرق بالنور نزلت عن الراحلة أمشي وبيدي عود طويل من شجر السعدان المسمى بأم غيلان ، وقد نسيت ذلك الخبر الذي كنت أسمع فما راعني وأنا سائر في الهاجرة الا واحد من عبيد الأعراب الجمالين يقول : أتسمعون الطبل ؟ فأخذتني لما سمعت كلامه قشعريرة بينة ، وتذكرت ما كنت أخبرت به وكان في الجوّ بعض ريح فسمعت صوت الطبل وأنا دهش مما أصابني من الفرح والهيبة فشككت وقلت : لعل الريح سكنت في هذا العود الذي في يدي فجلست على الأرض او ثبت قائما او فعلت جميع ذلك فسمعت صوت الطبل سماعاً محققاً

وسمعت صوتاً لا أشك أنه صوت طبل ، وذلك من ناحية اليمن ونحن سائرون الى مكة . ثم نزلنا ببدر أسمع ذلك الصوت يومي أجمع المرّة بعد المرة . ولقد أخبرت ان ذلك الصوت لا يسمعه جميع الناس اهـ . كلام ابن مرزوق .

قال العلامة الزرقاني : قال صاحب تاريخ الخميس : ولما نزلت ببدر سنة ست وثلاثين وتسعمائة صليت الفجر يوم الأربعاء أوائل شعبان وأقمنا يوماً فوجدت صوت ذلك الطبل يجيء من كثيب ضخم طويل مرتفع كالجبل شمالي بدر فطلعت أعلاه وتتابع الناس لسماعه وكانوا زهاء مائة من رجال ونساء ، فما سمعت شيئاً فنزلت أسفله فسمعت من سفح الكثيب صوتاً كهيئة الطبل الكبير سماعاً محققاً بلا شك مراراً متعددة ، وسمعه الناس كلهم كما سمعت ، وكان ذلك الصوت يجيء تارة من تحتنا ثم ينقطع وتارة من خلفنا ثم ينقطع وتارة من قدامنا وتارة من شمالنا فسمعناه سماعاً محققاً وكان الوقت صحواً ،اثقاً لا ريح فيه اهـ .

وقد جاء في فضل أهل بدر أحاديث وآثار ، فمنها ان جبريل ـ عليه السلام ـ اتى النبيﷺ فقال : ما تعدون اهل بدر فيكم ؟ قال : من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها . قال جبريل عليه السلام : وكذلك من شهد بدراً من الملائكة . وفي رواية . أن للملائكة الذين شهدوا بدراً في السماء لفضلاً على من تخلف منهم .

وروى الطبراني بسند جيد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول اللهﷺ : أطلع الله على أهل بدر فقال : إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ، أو فقد وجبت لكم الجنة اي غفرت لكم ما مضى وما سيقع من الذنوب يقع مغفوراً . وقيل ان ذلك كناية عن الحفظ من الوقوع في الذنوب في المستقبل ، ولو فرض حصول شيء منها يلهمون توبة عنها لتغفر أو يوجد ما يكفر عنهم فليس فيه إباحة الذنوب ولا الاغراء عليها . وقد كانﷺ يكرم أهل بدر ويقربهم على غيرهم . ومن ثم جاء جماعة من أهل بدر للنبيﷺ وهو جالس في صفة ضيقة ومعه جماعة من أصحابه ، فوقفوا بعد ان سلموا ليفسح لهم القوم فلم يفعلوا فشق قيامهم على النبي ﷺ فقال لمن لم يكن من أهل بدر من الجالسين : قم يا فلان ، قم يا فلان ، بعدد الواقفين فعرف رسول اللهﷺ الكراهة في وجه من أقامه ، فقال : رحم الله رجلاً يفسح لأخيه . فنزل قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا ﴾ الآية ، فجعلوا يقومون لهم

بعد ذلك ويجلسونهم ، وجاء عن كثير من العلماء ، ان تلاوة أسمائهم والتوسل بها وكتابتها وحملها وتعليقها في الدور سبب للحفظ والنصر والفتح والسلامة من كيد الأعداء وظلم الظالمين إلى غير ذلك من الفوائد والخواص ، وقد أفردت بالتآليف تلك الخواص مع بقية مناقبهم ، وكذلك غزوة بدر وذكر ما وقع فيها قد أفردت بالتآليف . وفي هذا القدر كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم .











